وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد أي إن تعودوا إلى الدعاء نعد إلى الإجابة وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى النصر ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله أمر الصحابة بطاعته وطاعة رسوله ولا تولوا عنه أي لا تعرضوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون يعني أنهم لما لم ينتفعوا بما سمعوا فكأنهم لم يسمعوا فلا تكونوا مثلهم
قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون سمى الكفار صما بكما لأنهم لما لم يسمعوا الحق ولم ينطقوا بالحق ولم يعقلوا الحق سماهم بذلك وعدهم من جملة الأنعام
ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم أي لأسمعهم سماع التفهم والقبول لو علم أنهم يصلحون لذلك
ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فإن قيل كيف يستقيم قوله لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا قيل معناه لو علم فيهم خيرا لأسمعهم سماع التفهم ولو

تفسير السمعاني ج:2 ص:256
تفسير السمعاني ج 2/ص 257
دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون 24 أسمعهم سماع الآذان لتولوا وقيل معناه ولو أسمعهم سماع التفهم لتولوا لما سبق لهم من الشقاوة وأنهم لا يصلحون لذلك ولا خير فيهم وقيل معناه أنهم كانوا يقولون للنبي أحيي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى نشهد لك بالنبوة فنؤمن بك فقال الله تعالى ولو أسمعهم كلام قصي لتولوا وهم معرضون
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال السدي في قوله لما يحييكم أراد به الإيمان وسمى السدي بذلك لأنه كان يجلس في سدة مسجد الكوفة
وقال قتادة هو القرآن وقال الفراء هو الجهاد وقال ابن قتيبة هو الشهادة

وروى أبو هريرة أن النبي دعا أبي بن كعب وهو في الصلاة فأسرع القراءة وأتم الصلاة وأجابه فقال النبي ما منعك أن تجيبني فقال كنت في الصلاة فقال - عليه السلام - أما سمعت قوله الله تعالى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم فقال علمت لا أعود
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال سعيد بن جبير وجماعة يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان قال الضحاك يحول بين المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة
وفيه قول ثالث أن معناه يحول بين المؤمن والخوف وبين الكافر والأمن وذلك أن الكفار كانوا آمنين والمسلمين كانوا خائفين فأبدل الله تعالى خوف هؤلاء بالأمن وأمن هؤلاء بالخوف وعبر بالقلب لأنه محل الخوف والأمن وأنه إليه

تحشرون

تفسير السمعاني ج:2 ص:257
تفسير السمعاني ج 2/ص 258
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب 25 واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون 26 يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون 27 واعلموا أنما أموالكم
قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أكثر المفسرين على أن الآية في أصحاب النبي ومعناها اتقوا عذابا يصيب الظالم وغير الظالم
قال الزبير حين رأى ما رأى يوم الجمل ما علمت أن هذه الآية نزلت فينا أصحاب رسول الله حتى كان هذا اليوم وقال ابن عباس في معنى الآية لا تقروا المنكر بينكم ومروا بالمعروف كي لا يعمكم الله بعقاب فيصيب الظالم وغير الظالم
وقيل أراد بالفتنة تفريق الكلمة واختلاف الآراء واتقوا فتنة تفريق الكلمة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فيكون العذاب مضمرا فيه واعلموا أن الله شديد العقاب

قوله تعالى واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس قال وهب بن منبه يعني تتخطفكم فارس وقال عكرمة يتخطفكم كفار العرب فآواكم يعني إلى المدينة وأيدكم بنصره أي قواكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم لعلكم تشكرون
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون قال الكلبي نزلت الآية في أبي لبابة بن عبد المنذر فإن النبي لما حاصر بني قريظة بعثه إليهم - وكان منهم - فقالوا له ماذا يفعل بنا لو نزلنا على حكيه فوضع أصبعه على حلقه وأشار إليهم بالذبح - يعني يقتلكم - قال أبو لبابة فما برحت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله ونزلت الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:258
تفسير السمعاني ج 2/ص 259
وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم 28 يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم 29 وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
وقيل الآية في جميع الأمانات نهي العباد عن الخيانة في الأمانات وتدخل في الأمانات الطاعات فإن الطاعات أمانات عند العباد على معنى أنها بينهم وبين

ربهم أدوها أو لم يؤدوها
قوله تعالى واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم قيل هذا أيضا في أبي لبابة وكان فيهم أهله وأولاده وأمواله فقال ما قال خوفا عليهم وقيل هو في سائر الخلق وفي الحديث الولد مجبنة مبخلة ومجهلة وروي أن النبي رأى الحسن والحسين فقال إنكم لتجبنوني وتبخلوني وتجهلوني وإنكم لمن ريحان الله وأشار إلى الحسن والحسين يعني توقعون الآباء في الجبن والبخل والجهل وقوله لمن ريحان الله أي من رزق الله

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال ابن عباس أي مخرجا وقال جاهد منجاة ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم
قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك سبب نزول الآية أن المشركين اجتمعوا في دار الندوة ليدبروا أمر رسول الله فدخل

تفسير السمعاني ج:2 ص:259
تفسير السمعاني ج 2/ص 260

الماكرين 30 وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا عليهم إبليس في صورة شيخ فقالوا له ما الذي أدخلك علينا قال أنا شيخ من نجد ولست من تهامة وقد بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل وأنه لا يعدمكم مني رأي فقالوا اتركوه ثم تشاوروا فقال عتبة اربطوه على جمل وأخرجوه من بلدكم تكفكموه العرب فقال إبليس ليس هذا برأي أما ترون حلاوة منطقه وأخذه القلوب فلو فعلتم به ذلك يذهب فيستميل قلوب قوم ثم يغزوكم ويفرق جمعكم فتركوا ذلك فقال أبو البختري بن هشام نحبسه في بيت ونتربص به ريب المنون فقال إبليس ليس هذا برأي فإن له عشيرة وقوما لا يرضون به ويخرجونه فتركوا ذلك فقال أبو جهل عندي رأي هذه خمسة أحياء من قريش نختار من كل حي شابا قويا ونضع في يده سيفا حادا ونأمرهم أن يضربوه دفعة واحدة حتى يتفرق دمه في القبائل ويعجز قومه عن القتال فيرضون بالدية فقال إبليس هذا هو الرأي وتفرقوا عليه فأخبره الله تعالى بمكرهم ونزلت الآية فروى أن النبي بعث أبا بكر ليتفحص عن حالهم فلما جاء إليهم فإذا إبليس قد خرج من بينهم فماشاه ساعة ثم لما أراد أن يفارقه قال له أبو بكر أين تريد فقال له اللعين لي قوم بهذا الوادي فعلم أبو بكر أنه إبليس فقال الحمد لله الذي أخزاك واظهر دينه فاختفى منه فقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا هو مكرهم ذلك والمكر التدبير ليثبتوك أي ليحبسوك كما قال أبو البختري أو يقتلوك كما قال أبو جهل أو يخرجوك كما قال عتبة

ويمكرون ويمكر الله والمكر من الله التدبير بالحق وقيل هو الأخذ بغتة قال الزجاج معناه يجازيهم جزاء المكر
والله خير الماكرين أي خير المدبرين
قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا قول النضر بن الحارث بن كلدة وكان قد خرج إلى الحيرة من أرض العراق

تفسير السمعاني ج:2 ص:260
تفسير السمعاني ج 2/ص 261
أساطير الأولين 31 وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم 32 وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان واشترى أخبار رستم واسفنديار وأحاديث العجم وجاء بها إلى مكة وقال لو شئت لقلت مثل القرآن فذلك قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين أي أكاذيب الأولين والأساطير جمع الأسطورة وهي المكتوبة فإن قيل إذا كان القرآن معجزا كيف يستقيم قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وهل يقول أحد لو شئت قلبت الحجر ذهبا والعصا حية وهو عاجز عنه
قيل إن القرآن مطمع ممتنع فقد يتوهم صفوهم أنه يقول مثله ويمتنع عليه ذلك فيخطئ ظنه وقيل إنه توهم بجهله أنه يمكنه الإتيان بمثله وكان عاجزا
قوله تعالى وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أكثر المفسرين على أن هذا قول النضر بن الحارث وفي الصحيح برواية أنس أن هذا قول أبي جهل عليه اللعنة
وهذا يدل على شدة بصيرتهم في الكفر وأنه لم تكن لهم شبهة وريبة في كذب الرسول لأن العاقل لا يسأل العذاب بمثل هذا متردد في أمره وهذا دليل على أن العارف ليست بضرورته
وحكى عن معاوية أنه قال لرجل من أهل اليمن ما أجهل قومك حيث قالوا ربنا باعد بين أسفارنا فقال الرجل وأجهل من قومي قومك حيث قالوا إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعني أهل مكة وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي معناه أقوال
أحدها أن هذا في قوم من المسلمين بقوا بمكة بعد هجرة الرسول وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر

تفسير السمعاني ج:2 ص:261
تفسير السمعاني ج 2/ص 262

الله معذبهم وهم يستغفرون 33 وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
وقيل في قوم علم الله تعالى أنهم يؤمنون ويستغفرون من أهل مكة وذلك مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ونحوهم فلما كان في علم الله تعالى أنهم لأصحابه يسلمون ويستغفرون عدهم مستغفرين في الحال
وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفي أصلابهم من يستغفر إذ كان لبعضهم أولاد قد أسلموا
وقيل إنما قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون دعوة لهم إلى الإسلام والاستغفار كالرجل يقول لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك
وفي الخبر أن النبي قال أنزل الله على أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت لهم الاستغفار إلى يوم القيامة وهو في جامع أبي عيسى بطريق أبي موسى الأشعري
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال من قال في كل يوم أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر له ذنوبه وإن كان فارا من الزحف
واستدل بهذا الأثر من عد الفرار من الزحف من جملة الكبائر
قوله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله فإن قال قائل كيف التلفيق بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم قيل أراد بالأول عذاب الاستئصال وبهذا عذاب السيف وقيل أراد بالأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة

تفسير السمعاني ج:2 ص:262
تفسير السمعاني ج 2/ص 263
الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون 34 وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون 35 إن

وقيل المراد به أولئك الذين ترك تعذيبهم لكون النبي بينهم ومعناه وما لهم ألا يعذبهم الله بعد خروجك من بينهم
وهم يصدون عن المسجد الحرام أي يمنعون عنه وما كانوا أولياءه وذلك أنهم كانوا يدعون إنا أولياء البيت إن أولياؤه إلا المتقون يعني المؤمنين ولكن أكثرهم لا يعلمون
قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال ابن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - والحسن المكاء الصفير والتصدية التصفيق والمكاء في اللغة اسم طائر له صفير فكأنه قال إلا صوت مكاء وقال مجاهد والمكاء أن يجعل أصابعه في شدقيه والتصدية الصفير فجعلهما شيئا واحدا وقال سعيد بن جبير التصدية هي صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام والأول أصح قال الشاعر
وحليل غانية تركت مجدلاتمكو فريصته كشدق الأعلم

أي تصفر فريصته كشدق الأعلم
والقصة في ذلك أن أربعة من بني عبد الدار كانوا إذا صلى النبي في المسجد الحرام وقف اثنان عن يمينه واثنان عن يساره فيصفر اللذان عن يمينه ويصفق اللذان عن يساره حتى يخلطوا عليه القراءة
قال ابن الأنباري إنما سماه صلاة لأنهم أمروا بالصلاة في المسجد فلما وضعوا ذلك موضع الصلاة سماه صلاة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
قوله تعالى إن الذيك كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون فيه قولان

تفسير السمعاني ج:2 ص:263
تفسير السمعاني ج 2/ص 264
الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون 36 ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون 37 قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت

أحدهما أن الآية في المطمعين يوم بدر وهم اثنا عشر نفرا من رؤس المشركين أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام وأبي بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود والعباس بن عبد المطلب لأن كل واحد منهم كان كل يوم ينحر عشرة أبعرة ويطعم الجيش
والقول الثاني أن هذا في أبي سفيان بن حرب استأجر ثلاثة آلاف رجل من الأحابيش يوم أحد لقتال النبي - عليه السلام - فنزل قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ثم تكون حسرة عليهم يوم القيامة ثم يغلبون
قال الحسن أشد الناس حسرة يوم القيامه من يرى ماله في ميزان غيره والذين كفروا إلى جهنم يحشرون
قوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب أي ليفرق الله الخبيث من الطيب الخبيث ما أنفق من الحرام والطيب ما أنفق من الحلال وقيل الخبيث ما أنفق في المعصية والطيب ما أنفق في الطاعة
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا أي يجمعه جميعا يقال سحاب مركوم إذا كان بعضه على بعض فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون
وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال إن الله تعالى يجمع الدنيا يوم القيامة فيأخذ ماله ويطرح الباقي في النار ولأي معنى يطرحه في النار قيل ليضيق المكان على الكفار وقيل لتكون الحسرة أشد عليهم إذا نظروا إليها
قوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال يحيى بن

تفسير السمعاني ج:2 ص:264
تفسير السمعاني ج 2/ص 265

(2/255)

الأولين 38 وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير 39 وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير 40 واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى معاذ الرازي - رحمه الله - إيمان لم يعجز عن هدم كفر قبله فمتى يعجز عن هدم ذنب بعده
وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين قيل سنة الأولين أن يصل عذاب الدنيا بعقوبة الآخرة
قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي لا يكون شرك ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير فالمولى القيم بالأمور والنصير الناصر
قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية
اختلف العلماء في الغنيمة والفيء فأحد القولين أنهما سواء وهو المال المأخوذ من الكفار على وجه القهر
والقول الثاني - وهو الأصح - أنهما مختلفان والفرق بينهما أن الغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار على وجه العنوة بإيجاف الخيل والركاب والفيء هو المال المأخوذ من غير إيجاف خيل ولا ركاب
وهذا القول منقول عن سفيان الثوري والشافعي - رضي الله عنهما - وغيرهما فأن الله أكثر المفسرين على أن قوله لله افتتاح كلام وليس لله سهم منفرد بل سهم الله وسهم الرسول واحد
وفيه قول آخر أن لله سهما يصرف إلى الكعبة وقد روي أن الحسن بن محمد بن الحنفية سئل عن هذه الآية فقال قوله فأن لله خمسة افتتاح كلام لله الدنيا والآخرة وعن أبي العالية الرياحي قال كان رسول الله يقسم الغنيمة على

تفسير السمعاني ج:2 ص:265
تفسير السمعاني ج 2/ص 266
خمسة أسهم فيفرز الخمس منه ثم يأخذ منه قبضة فيجعله للكعبة ثم يقسم الباقي على ما ذكر الله

(2/256)

وأما قوله وللرسول أكثر المفسرين على أن للرسول سهما مفردا وقال بعضهم ليس للرسول سهم أصلا وإنما هو افتتاح كلام ومعنى ذكر الرسول أن التدبير إليه

ثم اختلفوا على القول الأول أن ذلك السهم بعد موته لمن يكون
قال قتادة هو للخليفة بعده وقال بعضهم يرد إلى الأسهم الأربعة وأما مذهب الشافعي أن ذلك السهم يصرف إلى المصالح
وفيه قول رابع أنه يصرف إلى الكراع والسلاح في سبيل الله وهذا مروي عن إبراهيم النخعي وغيره
وأما قوله ولذي القربى اختلفوا في هذا على ثلاثة أقاويل
فمذهب الشافعي أن لهم سهما مفردا بعد رسول الله إلى قيام الساعة يشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم على ما هو المعروف وهذا قول أحمد وغيره
وقال مالك الأمر فيه إلى الإمام إن شاء أعطاهم وإن شاء لم يعطهم وكذلك في الباقي وإنما ذكروا لجواز الصرف إليهم لا للاستحقاق
والقول الثاني وهو مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - أن سهم ذوي القربى يرد إلى الباقين وليس لهم سهم مفرد فيقسم على ثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ويروون هذا عن الخلفاء الأربعة أنهم قسموا على هذا الوجه والله أعلم بالصواب
ثم اختلفوا في ذوي القربى من هم قال مجاهد هم بنو هاشم خاصة وروي عن ابن عباس أنه قال جميع قريش وحكى عنه أنه سئل عن سهم ذوي القربى فقال نزعم أنه لنا ويأبى قومنا ذلك علينا

تفسير السمعاني ج:2 ص:266
تفسير السمعاني ج 2/ص 267
والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى

والقول الثالث أن ذوي القربى هم بنو هاشم وبنو المطلب وهذا قول الشافعي - رحمه الله - وقد دل عليه الخبر المروي بطريق جبير بن مطعم - رضي الله عنه - عن النبي قسم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب فمشيت أنا وعثمان إلى رسول الله وقلنا يا رسول الله إنا لا ننكر فضيلة بني هاشم لمكانك الذي وضعك الله فيهم ولكننا وإخواننا بني المطلب في القرابة منك سواء وقد أعطيتهم وحرمتنا فقال أنا وبني المطلب شيء واحد - وشبك بين أصابعه - وإنهم لم يفارقونا في الجاهلية والإسلام
وأما قوله تعالى واليتامى فاليتامى لهم سهم مفرد بالإنفاق واليتيم الذي يستحق السهم هو الذي لا أب له فيكون صغيرا فقيرا
وقوله والمساكين فالمساكين هم أهل الحاجة وسيرد الفرق بين المسكين والفقير في سورة براءة
وأما قوله وابن السبيل فهو المنقطع الذي بعد عن ماله
وقوله إن كنتم آمنتم بالله معناه واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول على ما ذكر إن كنتم آمنتم بالله وقيل معناه يأمران فيه بما يريدان فاقبلوا إن كنتم آمنتم بالله
قوله تعالى وما أنزلنا يعني إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا

وفيه قول آخر أن هذا راجع إلى قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان معناه التقى حزب الله وحزب الشيطان

تفسير السمعاني ج:2 ص:267
تفسير السمعاني ج 2/ص 268
الجمعان والله على كل شيء قدير 41 إذ إنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم 42 إذ
والله على كل شيء قدير

وروي عن الشعبي أنه قال يوم الفرقان يوم السابع عشر من رمضان أخبر الله تعالى بتمام قدرته
قوله تعالى إذ أنتم بالعدوة الدنيا الآية العدوة شفير الوادي والغدوة والعدوة واحد وقوله الدنيا يعني الأدنى من المدينة فهي تأنيث الأدنى وهم بالعدوة القصوى يعني الأقصى من مكة وهي تأنيث الأقصى والركب أسفل منكم قالوا معناه والركب بمنزل أسفل منكم والركب هو العير الذي كان عليه أبو سفيان وكانوا بساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه ولو تواعدتم الاتفاق والاجتماع للقتال لاختلفتم لقلتكم وكثرتهم في الميعاد ولكن الله جمع من غير ميعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا
قوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة الآية فيها قولان
أحدهما - وهو الأظهر - أن الهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان ومعناه ليكفر من كفر عن حجة بينة فيما له وعليه ويحيا من حي يعني ويؤمن من آمن على مثل ذلك
والقول الثاني أن الهلاك هو الموت والحياة هي العيش ومعناه ليموت من يموت عن حجة بينة ويعيش من يعيش على مثل ذلك
وإن الله لسميع عليم سميع لأقوالكم عليم بأموركم
قوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلا الآية فيها قولان
أظهر القولين أن المنام حقيقة النوم فرآهم رسول الله في نومه أقل مما كانوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:268
تفسير السمعاني ج 2/ص 269
يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور 43 وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور 44 يا

أيها الذين آمنوا في العدد
والقول الثاني وهو قول الحسن البصري أنه قوله تعالى في منامك أي في عينك قليلا وسمى العين مناما لأنها موضع النوم

ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الأمر يعني في الإحجام والإقدام ولكن الله سلم أي سلمكم من الفشل والجبن إنه عليم بذات الصدور
وقد صح عن النبي أنه كان يستعيذ بالله من الجبن
قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور معنى الآية أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المؤمنين ليقدموا ولا يجبنوا وقلل المؤمنين في أعين الكفار لئلا يهربوا
وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال قلت يوم بدر لبعض من كان بجنبي تراهم سبعين رجلا فقال أراهم مائة ثم إنا أسرنا منهم فقلنا لهم كم كنتم فقالوا كنا ألفا ليقضي الله يعني ليقضي الله من إعلاء الإسلام وإذلال الشرك ونصرة المؤمنين وقتل المشركين
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة الآية الفئة الجماعة

تفسير السمعاني ج:2 ص:269
تفسير السمعاني ج 2/ص 270
إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون 45 وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين 46 ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعلمون
قوله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ومعنى ذكر الله هو الدعاء بالنصرة والظفر لعلكم تفلحون وكونوا على رجاء الفلاح
قوله تعالى وأطيعوا الله ورسوله الآية وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا معناه ولا تختلفوا فتضعفوا وتذهب ريحكم معناه جدكم وجهدكم
وقال قتادة الريح هاهنا ريح النصرة وقد صح عن النبي أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
والقول الثالث قول الأخفش وغيره وتذهب ريحكم أي دولتكم واصبروا إن الله مع الصابرين معلوم التفسير

وفي الآية فضيلة عظيمة لأهل الصبر فإن الله تعالى قال إن الله مع الصابرين
قال الشاعر
إني رأيت في الأيام تجربةللصبر عاقبة محمودة الأثر
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس الآية البطر

الطغيان في النعمة وترك الشكر والرياء إظهار الجميل وإبطان القبيح
والآية نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر فقال تعالى للمؤمنين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
ويصدون عن سبيل الله معناه يمنعون عن سبيل الحق والله بما يعلمون محيط
روي عن النبي أنه قال حين أقبل المشركون اللهم هذه قريش أقبلت

تفسير السمعاني ج:2 ص:270
تفسير السمعاني ج 2/ص 271
محيط 47 وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم وإني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب 48 إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض بفخرها وخيلائها تحادك وتحاد رسولك الخبر إلى آخره
قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
الآية روي أن إبليس - عليه ما يستحق - تمثل في صورة سراقة بن مالك وقال للمشركين وإني جار لكم معناه مجير لكم من بني كنانة فلا يصيبكم منهم سوء ثم جعل يحرضهم على القتال فلما تراءت الفئتان أي تلاقت الفئتان المؤمنون والمشركون نكص على عقبيه رجع القهقري على عقبيه وقال إني بريء منكم
في القصة أنه كان آخذا بيد الحارث بن هشام أخي أبي جهل فلما رأى الملائكة ينزلون من السماء يقدمهم جبريل - عليه السلام - نزع يده من يد الحارث وهرب فقال له الحارث أفرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وقال إني أرى ما لا ترون وهرب إني أخاف الله

فإن قال قائل كيف قال إني أخاف الله وقد ترك السجود لآدم وهو لم يخف الله الجواب فيه قولان
أحدهما أنه قال هذا كذبا والقول الثاني أنه خاف أن يؤخذ فيفتضح بين الإنس ومنهم من قال خاف أنه قد حضر أجله والله شديد العقاب
قوله تعالى إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم هؤلاء قوم كانوا أسلموا بمكة ولم يهاجروا فكان في قلوبهم بعض الريب فخرجوا مع المشركين وقالوا إن نرى مع محمد قوة انتقلنا إليه فلما رأوا قلة المؤمنين وضعف شوكتهم قالوا هذا القول فأنزل الله تعالى هذه الآية إذ يقول المنافقون الآية
قوله تعالى ومن يتوكل على الله ومن يثق بالله فإن الله عزيز حكيم قد

تفسير السمعاني ج:2 ص:271
تفسير السمعاني ج 2/ص 272
غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم 49 ولو ترى إذ

يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق 50 ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد 51 كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب 52 ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم بينا معنى العزيز الحكيم من قبل
قوله تعالى ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة فيه قولان
أحدهما أن هذا عند الموت وقوله يضربون وجوههم وأدبارهم يضربون وجوههم بأسواط النار وأدبارهم سوقا إلى العذاب
والقول الثاني أن التوفي هاهنا هو القتل ومعناه قتل الملائكة المشركين ببدر وقوله يضربون وجوههم وأدبارهم معناه يضربونهم بالسيف إذا أقبلوا وقوله وأدبارهم ويضربونهم بالسيف إذا أدبروا ويقولون وذوقوا عذاب الحريق

روي عن الحسن البصري أنه قال مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم فهذا معنى قوله وذوقوا عذاب الحريق
قوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ومعناه ظاهر
قوله تعالى كدأب آل فرعون الآية الدأب هاهنا بمعنى العادة ومعناه عادتهم في الكفر كعادة آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله الآية ومعنى الآية ظاهر
قوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم الآية فيه قولان
أحدهما معناه لم يكن مغيرا نعمة يعني لم يكن مبدلا النعمة بالبلية

تفسير السمعاني ج:2 ص:272
تفسير السمعاني ج 2/ص 273
53 كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين 54 إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون 55 الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني حتى يتركوا الشكر ويؤتوا الكفران
والقول الثاني أن هذا في أهل مكة فإن الرسول كان نعمة أنعمها الله تعالى عليهم فكفروا بهذه النعمة فغيرها الله تعالى ومعناه أنه نقلها إلى أهل المدينة وأن الله سميع عليم معلومان
قوله تعالى كدأب آل فرعون ومعناه ما بينا وإعادة الذكر للتأكيد ويجوز أن هذا كان في قوم آخرين سوى الأولين
قوله تعالى والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم يعني نهلك هؤلاء كما أهلكنا أولئك
قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الأولين والآخرين
قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا الآية هذه الآية مثل قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل سماهم الله تعالى دواب وأنعاما لقلة انتفاعهم بعقولهم وألبابهم وأسماعهم وأبصارهم فهم لا يؤمنون معناه ظاهر

قوله تعالى الذين عاهدت منهم هذه الآية نزلت في قوم من المشركين عاهدوا مع رسول الله ثم نقضوا العهد فقال الله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة يعني كلما عاهدوا نقضوا وهم لا يتقون معناه لا يتقون نقض العهد
قوله تعالى فإما تثقفنهم في الحرب معناه فإما تصادفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم قال الشاعر
أطوف في الأباطح كل يوممخافة أن يشرد بي حكيم

تفسير السمعاني ج:2 ص:273
تفسير السمعاني ج 2/ص 274
56 فإما تثقفهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون 57 وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين 58 ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون 59 وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
قوله تعالى لعلهم يذكرون يعني يتذكرون
ومعنى الآية أي نكل بهؤلاء الذين جاءوا لحربك أو نقضوا عهدك تنكيلا يفرق بينهم من خلفهم من جماعاتهم
فقوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة الآية معنى المخافة هاهنا هو الإحساس بالخيانة فانبذ إليهم على سواء يعني فانبذ العهد إليهم على سواء يعني على حالة تستوي أنت وهم في العلم به
والمراد من الآية ألا تقاتلهم قبل نبذ العهد وقبل علمهم بالنبذ حتى لا تنسب إلى نقض العهد وهذه الآية تعد من فصيح القرآن
قوله تعالى إن الله لا يحب الخائنين والمعنى معلوم
قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا الآية في القوم الذين انهزموا يوم بدر من المشركين قوله سبقوا يعني فاتوا

قوله إنهم لا يعجزون يعني لا يفوتوني وقرأ ابن محيصن لايعجزون والصحيح القراءة الأولى وقد قرئت الآية بقراءتين أنهم و إنهم فقوله إنهم على طريق الابتداء وقوله أنهم يعني لأنهم لا يفوتون ومعنى الفوات منقول عن أبي عبيدة وعن الحسن البصري أنه قال لا يعجزون معناه إن فاتهم عذاب الدنيا لا يفوتهم من عذاب الآخرة
وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية الإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة وقوله من قوة فيه أقوال

تفسير السمعاني ج:2 ص:274
تفسير السمعاني ج 2/ص 275
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا
أحدها ما روى عقبة بن عامر أن النبي قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي أورده مسلم في الصحيح
والقول الثاني وهو أن القوة ذكور الخيل والرباط إناثها هذا قول عكرمة
وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلة صهيلها
وعن أبي محيريز قال كانوا يستحبون ركوب ذكور الخيل عند الصفوف وركوب إناث الخيل عند الثبات والغارات
والقول الثالث أن القوة هي جميع الأسلحة وقد قيل إن القوة الحصون والحصون الخيول قال الشاعر
ولقد علمت على تجنبي الردىأن الحصون الخيل لا مدر القرى
وقوله ترهبون به معناه تخيفون به عدو الله وعدوكم أي أعداء الله وأعداءكم واحد بمعنى الجمع وقوله وآخرين من دونهم أي ترهبون به آخرين من دونهم واختلفوا في معناه
روي عن مجاهد أنه قال هم بنو قريظة وفيه قول آخر أنهم المنافقون
وفيه قول ثالث أنهم الجن وعن السدى أنه قال أهل فارس
وروي عن النبي أنه قال لن يخبل الجن آدميا في داره فرس عتيق أورده النقاش في تفسيره

تفسير السمعاني ج:2 ص:275
تفسير السمعاني ج 2/ص 276
من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون 60 وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم 61 وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين 62 وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض
وفي الآية قول رابع روي عن معاذ بن جبل أنه قال وآخرين من دونهم يعني الشياطين
وقوله لا تعلمونهم الله يعلمهم ظاهر
قوله وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون أي لا ينقص أجوركم
قوله تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها السلم والسلم والسلم الصلح ومعناه وإن مالوا إلى الصلح فمل إليه
وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا هذه الآية منسوخة بآية السيف
قوله تعالى وتوكل على الله معناه ثق بالله إنه هو السميع العليم
قوله تعالى وإن يريدوا أن يخدعوك الخداع أن يظهر خلاف ما يبطن
قوله فإن حسبك الله يعني فإن كافيك هو هو الذي أيدك بنصره هو الذي قواك

بنصره وبالمؤمنين أي قواك بالمؤمنين وألف بين قلوبهم أكثر المفسرين أن هذا في الأوس والخزرج وقد كانت بينهم إحن وتراث في الجاهلية وكان القتال بينهم قائما مائة سنة فألف الله بين قلوبهم بالنبي قال الزجاج كان الرجل منهم يلطم اللطمة فكان يقاتل بقوته إلى أن يستفيد منها فألف الله بين قلوبهم بالإسلام حتى صار الرجل يقاتل أخاه وقريبه على الإسلام
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال نزلت الآية في المتحابين في الله وفي الأخبار عن النبي أنه قال المؤمن مألفة ولا خير فيمن لا يؤلف ولا

تفسير السمعاني ج:2 ص:276
تفسير السمعاني ج 2/ص 277

جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم 63 يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين 64 يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يألف
وعن خالد بن معدان أنه قال إنه لله ملكا في السماء نصفه من ثلج ونصفه من نار وتسبيحه اللهم كما ألفت بين الثلج والنار فألف بين قلوب عبادك الصالحين
قوله لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم أي منيع في ملكه حكيم في خلقه
قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روي عن ابن عباس برواية الوالبي أنه قال أسلم تسعة وثلاثون رجلا وثلاث وعشرون امرأة ثم أسلم عمر رضي الله عنه تمام الأربعين فأنزل الله تعالى هذه الآية
وفي الآية قولان أحدهما يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك أي يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين فتكون من في موضع النصب
والقول الثاني حسبك الله وحسبك تباعك من المؤمنين فتكون من في موضع الرفع قال الشاعر
إذا كانت الهيجاء وانشقت العصافحسبك والضحاك سيف مهند
وهذا استشهاد للقول الأول
وقرأ الشعبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ومعناه قريب من الأول
قوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال قرئ في الشاذ حرض

تفسير السمعاني ج:2 ص:277
تفسير السمعاني ج 2/ص 278
يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون 65 الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين

بإذن الله والله مع المؤمنين بالصاد غير معجمة والمعروف بالضاد معجمة والتحريض هو الحث على المبادرة إلى الشيء

قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا هذا خبر بمعنى الأمر وكان الله تعالى أمر المؤمنين ألا يفر الواحد منهم عن عشرة ولا تفر المائة منهم عن ألف فإن قال قائل أيش معنى بأنهم قوم لا يفقهون وأي اتصال لهذا بمعنى الآية
جوابه معناه أنهم يقاتلون على جهالة لا على حسبة وبصيرة وأنتم تقاتلون على بصيرة وحسبة فلا يثبتون إذا ثبتم ثم إن المسلمين سألوا الله التخفيف فأنزل الله تعالى الآية الأخرى وأمر ألا يفر الواحد من أثنين والمائة من المائتين
فإن قال قائل الله تعالى قال يغلبوا مائتين ونحن رأينا القتال على هذا العدد بلا غلبة فكيف يستقيم معنى الآية والخلف في خبر الله لا يجوز
قلنا إن معنى قوله يغلبوا أي يقاتلوا كأنه أمرهم بالقتال على رجاء الظفر والنصرة من الله تعالى
وأما قوله الآن خفف الله عنكم هذه الآية ناسخة للآية الأولى وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وعلم أن فيكم ضعفاء والمعروف ضعفا و ضعفا ومعناهما واحد
فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين وباقي الآية معناه معلوم

تفسير السمعاني ج:2 ص:278
تفسير السمعاني ج 2/ص 279
الصابرين 66 ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم 67 لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
قوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى قرئ أسرى وأسارى قال أهل اللغة أسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع وحكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال الأسرى هم المأخوذون من غير شد والأسارى هم الذين أخذوا وشدوا والأصح عند أهل اللغة أنه لا فرق بينهما قاله الأزهري

وقوله تعالى حتى يثخن في الأرض الإثخان القتل وقيل المبالغة في التنكيل تريدون عرض الدنيا بالإفداء
قوله تعالى والله يريد الآخرة معناه يرغبكم في الآخرة وقوله والله عزيز حكيم قد ذكرنا معنى العزيز الحكيم
واعلم أن الآية نزلت في أسارى بدر فإنه روي أن النبي قتل سبعين يوم بدر وأسر سبعين من المشركين ثم إنه استشار أصحابه في الأسارى فقال أبو بكر

- رضي الله عنه - هؤلاء قومك وأسرتك وأهلك استبقهم لعل الله أن يهديهم بك وخذ منهم الفداء فيكون معونة للمسلمين وقال عمر هؤلاء آذوك وأخرجوك وكفروا بما جئت به فاضرب أعناقهم فمال الرسول إلى قول أبي بكر وأحب ما ذكره
وروي أنه قال لأبي بكر مثلك مثل إبراهيم حين قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقال لعمر مثلك مثل نوح حين قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه لا يخلين أحد منكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:279
تفسير السمعاني ج 2/ص 280
أخذتم عذاب عظيم 68 فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم عن أسير إلا بفداء أو بضرب عنقه ففادوا وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية الأوقية أربعون درهما فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها
قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم روي عن النبي برواية أبي هريرة أنه قال لم تحل الغنائم لأحد سود الرءوس قبلكم كانت نار تنزل من السماء فتأكلها قال أبو هريرة فلما كان يوم بدر ووقعوا فيما وقعوا من الغنائم فادوا الأسارى قبل أن ينزل الوحي بالجواز أنزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم الآية وفي معنى الآية أقوال
أحدها لولا كتاب من الله سبق في تحليل الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم هذا قول سعيد بن جبير وجماعة

والثاني لولا كتاب من الله سبق من مغفرته لأهل بدر ما صنعوا لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم هذا قول الحسن البصري
والثالث لولا كتاب من الله سبق أنهم لم يقدم إليكم ألا تأخذوا لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فإنه لا يعذب من غير تقدمة
وقد صح عن النبي أنه قال أريت عذابكم دون هذه الشجرة وأشار إلى شجرة قريبة منه وروي أنه قال لعمر لو نزل العذاب ما نجا أحد سواك
وروي أنه قال له كاد يصيبنا

تفسير السمعاني ج:2 ص:280
تفسير السمعاني ج 2/ص 281
69 يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم 70 وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم 71 إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
وروي أنه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله أيديهم عما أخذوا من الفداء فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها

قوله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب فإنه أسر يوم بدر وكانت معه عشرون أوقية من الذهب فأخذت منه ثم قال له النبي افد نفسك وابني أخيك - يعني عقيلا ونوفلا - فقال مالي شيء وقد أخذتم ما كان معي قال أين المال الذي دفعته إلى أم الفضل وقلت إن أصبت في هذا الوجه فلعبد الله كذا وللفضل كذا ولقثم كذا فقال والله ما كان معنا أحد فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم إنه فادى نفسه وابني أخيه فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها
قوله تعالى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا معناه إن يعلم في قلوبكم إيمانا
قوله تعالى يؤتكم خير مما أخذ منكم قال العباس فقد آتاني الله خيرا مما أخذ مني وكان له عشرون عبدا يتجر كل عبد في عشرين ألف درهم

وقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم قال العباس وأنا أرجو من الله المغفرة
قوله تعالى وإن يريدوا خيانتك
الخيانة ضد الأمانة ومعناه إن أرادوا أن يكفروا بك فقد خانوا الله من قبل أي قد كفروا بالله من قبل
قوله فأمكن منهم يعني مكن منهم والله عليم حكيم
قوله تعالى إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله الآية الهجرة هي الخروج من الوطن إلى غيره وقد كانت فرضا في ابتداء

تفسير السمعاني ج:2 ص:281
تفسير السمعاني ج 2/ص 282
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير 72 والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير 73 الإسلام فلما كان يوم فتح مكة قال النبي لا هجرة بعد اليوم
وروي عن الحسن البصري أنه قال الهجرة قائمة إلى قيام الساعة فعلى أهل البوادي إذا أسلموا أن يهاجروا إلى الأمصار
قوله والذين آووا ونصروا هؤلاء أهل المدينة ومعنى الإيواء ضمهم المهاجرين إلى أنفسهم في الأموال والمساكن
قوله أولئك بعضهم أولياء بعض فيه قولان
أحدهما أولئك أعوان بعض
والقول الثاني معناه يرث بعضهم من بعض

قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
قطع الموالاة بين المسلمين وبينهم حتى يهاجروا وكان المهاجر لا يرث من الأعرابي ولا الأعرابي من المهاجر ثم قال وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر يعني وإن استنصروكم الذين لم يهاجروا فعليكم النصر ثم استثنى وقال إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق أي موادعة فلا تنصروهم عليهم قوله والله بما تعملون بصير معناه ظاهر
قوله تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعني أن بعضهم أعوان بعض
والقول الثاني إن بعضهم يرث من البعض
وقوله إلا تفعلوه يعني إن لم تقبلوا هذا الحكم تكن فتنة في الأرض وفساد كبير
الفتنة في الأرض قوة الكفر والفساد الكبير ضعف الإيمان

تفسير السمعاني ج:2 ص:282
تفسير السمعاني ج 2/ص 283
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم 74 والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم 75
قوله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية فإن قيل أي معنى في هذا التكرار
قلنا المهاجرون كانوا على طبقات وكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد الحديبية قبل فتح مكة وكان بعضهم ذا هجرتين وهما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى والمراد من الثانية الهجرة الثانية
قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا يعني لا مرية ولا ريب في إيمانهم
قوله لهم مغفرة ورزق كريم روى في الرزق الكريم أن المراد منه رزق الجنة لا يصير بخوى بل يصير رشحا له ريح المسك

قوله تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم الآية
أراد به فأولئك معكم فأنتم منهم وهم منكم
قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أكثر المفسرين على أن هذه الآية ناسخة لما سبق من إثبات الميراث بالهجرة فنقل الميراث من الهجرة إلى الميراث بالقرابة
قوله تعالى في كتاب الله أي في حكم الله
قوله إن الله بكل شيء عليم قال أهل العلم ليس المراد من أولي الأرحام الأقرباء الذين ليس لهم عصوبة ولا فرض وإنما المراد من أولي الأرحام أهل العصابات ثم ميراث الأقرباء مذكور في موضع آخر وهو آية الميراث والله أعلم

تفسير السمعاني ج:2 ص:283
تفسير السمعاني ج 2/ص 284
تفسير سورة التوبة
اعلم أن هذه السورة مدنية وقد صح عن النبي برواية البراء بن عازب أنها آخر سورة أنزلت كاملة ولها أسماء كثيرة
وروي عن ابن عباس أنه سئل عن هذه السورة فقال هي الفاضحة مازال ينزل قوله تعالى ومنهم ومنهم حتى طننا أنه لا يترك منا أحدا وقال حذيفة بن اليمان هي سورة العذاب
ومن المعروف أنها تسمى سورة البحوث ومن أسمائها المبعثرة ومن أسمائها المنيرة ومن أسمائها الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين وروى النقاش عن ابن عمر أنها تسمى المقشقشة وعن عمران بن حدير أنه قال قرأت هذه السورة على أعرابي فقال هذه السورة أظنها آخر ما أنزلت فقلت له ولم فقال أرى عهودا تنبذ وعقودا تنقض
وعن سعيد بن جبير أن هذه السورة كانت تعدل سورة البقرة في الطول

وأما الكلام في حذف التسمية روي عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان - رضي الله عنه - ما بالكم عمدتم إلى سورة التوبة وهي من المئين وإلى سورة الأنفال وهي من المثاني فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان إذا أنزل على رسول الله الشيء من القرآن دعا بعض من يكتب فيقول له ضعه في سورة كذا ضعه في سورة كذا وكانت الأنفال من أول ما أنزلت بالمدينة والتوبة من آخر ما أنزلت وكان قصتيهما شبيهة بعضها ببعض وخرج رسول الله من الدنيا ولم يبين لنا شيئا فظننا أنهما سورة واحدة فلذلك قرنا بينهما ولم نكتب بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير السمعاني ج:2 ص:284
تفسير السمعاني ج 2/ص 285
براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين 1 فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين 2 وأذان
وهذا خبر في الصحيح أورده مسلم وروى أن الصحابة اختلفوا فقال بعضهم هما سورتان وقال بعضهم هما سورة واحدة فاتفقوا أن يفصلوا ببياض بين السورتين ولا يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
والقول الثالث ما حكى عن سفيان بن عيينة من المتقدمين والمبرد من المتأخرين أن السورة سورة نقض العهد والبراءة من المشركين والتسمية أمان وافتتاح خير فلهذا لم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى برآءة من الله ورسوله قوله براءة هذه براءة والبراءة نقض العصمة ومعنى الآية تبرؤ من الله ورسوله
إلى الذين عاهدتم من المشركين وقال بعضهم برىء الله ورسوله من المشركين
قوله تعالى فسيحوا في الأرض معناه أقبلوا وأدبروا واذهبوا وجيئوا أربعة أشهر

اختلفوا في الأشهر الأربعة
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ابتداؤه من يوم النحر وآخره العاشر من شهر ربيع الآخر وقال الزهري هو شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم

والقول الأول هو الصواب
قوله تعالى واعلموا أنكم غير معجزي الله أي غير فائتي الله ومعناه أنه

تفسير السمعاني ج:2 ص:285
تفسير السمعاني ج 2/ص 286
وإن أجلكم هذه المدة فلا يعجز عن عذابكم كما يعجز من يفوته الشيء وأن الله مخزي الكافرين أي مذل الكافرين
وسبب نزول الآية أنه كان بين رسول الله وبين المشركين عهود ومدد فلما غزا غزوة تبوك أرجف المنافقون بالنبي فجعل المشركون ينقضون العهود - وقيل إن هذا كان قبل غزوة تبوك - فلما كانت سنة تسع من الهجرة بعث أبا بكر - رضي الله عنه - للحج بالناس وبعث عليا - رضي الله عنه - ليقرا على الناس هذه الآيات من أول هذه السورة ويروى أنه بعث أبا بكر أولا ثم إنه بعث عليا في إثره وقال لا يبلغ هذه الآيات إلا رجل منى يعني من رهطي فكان أبو بكر أميرا على الموسم وكان علي ينادي في الناس بهذه الآيات
وروى أن عليا سئل بم بعثك رسول الله فقال بعثني بأربعة أشياء أولها من كان بينه وبين رسول الله عهد فمدته إلى أربعة أشهر والثاني لا يحجن بعد هذا العام مشرك والثالث لا يطوفن بالبيت عريان والرابع لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة فإن قال قائل كيف بعث أبا بكر بهذه الآيات ثم عزله وبعث عليا وقال لا يبلغ عني إلا رجل مني فإن كان لا يبلغ هذا إلا رجل من رهطه فكذلك سائر الأشياء والجواب عنه ذكر العلماء أن رسول الله لم يعزل أبا بكر عن الموسم وكان هو الأمير وإنما بعث عليا لينادى بهذه الآيات لأن العرب كانوا تعارفوا أنه لا يعقد على القوم إلا سيدهم ولا ينقض إلا سيدهم أو رجل من أهله فبعث عليا على ما تعارفوا ليزيح العلل بالكلية فلا تبقى لهم علة فكان المعنى هذا والله أعلم

تفسير السمعاني ج:2 ص:286
تفسير السمعاني ج 2/ص 287

من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين

قوله تعالى وأذان من الله ورسوله معناه إعلام من الله ورسوله قال الحارث بن حلزة
آذنتنا بينهماأسماءرب ثاو يمل منه الثواء
معناه أعلمتنا
قوله تعالى إلى الناس يوم الحج الأكبر اختلفوا في يوم الحج الأكبر على أقوال
روى يحيى بن الجزار أن عليا - رضي الله عنه - خرج يوم العيد على دابة فأخذ رجل بلجام دابته وقال ما يوم الحج الأكبر فقال هو اليوم الذي أنت فيه خل عنها
وروى مثل هذا عن ابن عمر والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن أبي أوفى
والقول الثاني قول ابن عباس - رضي الله عنهما - قال هو يوم عرفة وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وجماعة
وقال ابن سيرين - وهو القول الثالث - يوم الحج الأكبر هو اليوم الذي حج فيه رسول الله اتفق فيه حج أهل الملل كلها
والصحيح هو أحد القولين الأولين
واختلفوا في الحج الأكبر
فأحد القولين أن الحج الأكبر هو القرآن والحج الأصغر هو الإفراد
والقول الثاني أن الحج الأكبر هو الحج والأصغر هو العمرة
قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم معناه ورسوله بريء

تفسير السمعاني ج:2 ص:287
تفسير السمعاني ج 2/ص 288

كفروا بعذاب أليم 3 إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين 4 فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم أيضا إلا الذين عاهدتم من المشركين وقع الاستثناء على قوم من بني ضمرة أمر الله رسوله أن يتم إليهم عهدهم إلى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر والسبب في الإتمام أنهم لم ينقضوا العهد وهذا معنى قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيئا وقرأ عطاء بن يسار ثم لم ينقضوكم شيئا بالضاد المعجمة
قوله تعالى ولم يظاهروا عليكم أحدا ومعناه ولم يعاونوا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين يعني المتقين عن نقض العهد
وروى عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال المتقي من يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس
قوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين روي في التفاسير أن النبي أجل المشركين الذين كان بينهم وبين النبي عهد أربعة أشهر وأجل الذين لم يكن بين رسول الله وبينهم عهد باقي ذي الحجة والمحرم وهو خمسون ليلة

فهذا معنى الآية
فإن قيل قال تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم وما ذكرتم بعض الأشهر الحرم
قلنا هذا القدر كان متصلا بما مضى فأطلق عليه اسم الجميع ومعناه هو مضى المدة المعروفة التي تقع بعد انسلاخ الأشهر الحرم
قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم معناه معلوم
قوله وخذوهم ظاهر أي خذوهم أسرا والعرب تسمي الأسير أخيذا وفي المثل أكذب من أخيذ
قوله تعالى واحصروهم يعني واحبسوهم يعني حولوا بينهم وبين

تفسير السمعاني ج:2 ص:288
تفسير السمعاني ج 2/ص 289

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم 5 وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون 6 كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما المسجد الحرام هذا هو معنى الحبس هاهنا
وقوله واقعدوا لهم كل مرصد قال أبو عبيدة المرصد الطرق يعني اقعدوا لهم بطرق مكة حتى لا يصلوا إلى المسجد الحرام قال الشاعر
ولقد علمت ولا أخالك ناسيا أن المنية للفتى بالمرصد
قوله فإن تابوا يعني آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم يعني خلوا سبيلهم ليصلوا إلى المسجد الحرام إن الله غفور رحيم معلوم
قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره الإستجارة طلب الأمان ومعنى الآية وإن أحد من المشركين طلب منك الأمان فأجره أي أمنه حتى يسمع كلام الله يعني فيما له وعليه من العقاب والثواب والوعد والوعيد ثم أبلغه مأمنه يعني الموضع الذي يأمن فيه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ومعناه أنهم يحتاجون إلى أن يسمعوا كلام الله تعالى لجهلهم
قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله قال الفراء كلمة كيف هاهنا كلمة استفهام بمعنى الجحد ومعناه لا يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله يعني ولا عند رسوله
قوله تعالى إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هؤلاء قوم من بني ضمرة على ما ذكرنا
قوله تعالى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعني إذا وفوا بعهدكم وفوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:289
تفسير السمعاني ج 2/ص 290

استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين 7 كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون 8 اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا بعهدهم إن الله يحب المتقين قيل معناه إن الله يحب المؤمنين وقيل يحب المتقين نقض العهد

قوله تعالى كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يعني كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة اختلفت الأقوال في إلا روي عن مجاهد أن إلا هو الله تعالى وفي الشاذ قرئ لا يرقبوا فيكم إيلا ولا ذمة وإيل هو الله

وروي عن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال في كلمات مسيلمة الكذاب - لعنه الله - حين سمع أنه يقول يا ضفدع نقي نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فقال أبو بكر إن هذا كلام لم يخرج من إل يعني من الله

والقول الثاني قول أبي عبيدة الإل هو العهد والذمة التذمم

والثالث قول الضحاك - وهو أولى الأقاويل وأحسنها - قال إن الإل هو القرابة والذمة العهد قال حسان بن ثابت

لعمرك إن إلك من قريشكإل السقب من رأل النعام

قوله تعالى يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم يعني يعدون الوفاء بالقول وتأبى قلوبهم إلا الغدر وأكثرهم فاسقون فإن قال قائل هذا في المشركين وهم كلهم فاسقون فكيف قال وأكثرهم

قلنا الفسق هاهنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهده فلهذا قال وأكثرهم فاسقون

قوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا الآية قال الحسن البصري الدنيا

تفسير السمعاني ج:2 ص:290
تفسير السمعاني ج 2/ص 291

يعملون 9 لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون 10 فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون 11 وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر بحذافيرها ثمن قليل ومعنى الآية أنهم اختاروا الدنيا على رضا الله وعلى الإيمان بآيات الله فصدوا عن سبيله يعني منعوا الناس عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ظاهر المعنى

قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة المراقبة الحفظ والإل والذمة قد ذكرنا معناهما وأولئك هم المعتدون المجاوزون للحدود

وقوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم هذا في العهد الذي كان بين رسول الله وبين قريش فنقضوا العهد وكان نقضهم أنهم عاونوا بني بكر على خزاعة وكانت بنو بكر حلفاء قريش وخزاعة حلفاء النبي فجاء رجل من خزاعة إلى النبي بالمدينة وأنشده
لاهم إني ناشد محمداحلف أبينا وأبيه الأتلدا
وإن قريشا نقضوك الموعدا
وبيتونا بالوثير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا
في أبيات كثيرة فقال رسول الله لانصرت إن لم أنصركم

تفسير السمعاني ج:2 ص:291
تفسير السمعاني ج 2/ص 292
إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون 12 ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين 13 قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف وروى أنه رأى سحابة تبرق فقال رسول الله إن هذه السحابة لتستهل بنصر خزاعة وكان هذا ابتداء القصد لفتح مكة
قوله تعالى وطعنوا في دينكم هذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهرا لا يبقى له عهد ويجوز قتله

قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعني رءوس الكفر ورءوس الكفر هم أبو سفيان وسهيل بن عمرو وأمية بن صفوان وعكرمة بن أبي جهل إنهم لا أيمان لهم يعني لا عهود لهم وقرأ الحسن البصري إنهم لا إيمان لهم وهو اختيار ابن عامر ويجوز أن تكون الأيمان هاهنا بمعنى الإيمان تقول العرب أمنته إيمانا فذكر المصدر وأراد به الاسم لعلهم ينتهون
قوله تعالى ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم معناه معلوم
قوله وهموا بإخراج الرسول معلوم وهم بدءوكم أول مرة أراد به أنهم بدءوا بالقتال في حرب بدر قال أبو جهل - لعنه الله - لا نرجع حتى نستأصل محمدا وأصحابه أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين معناه ظاهر
قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم معنى الآية ظاهر
وقوله ويشف صدور قوم مؤمنين يعني خزاعة
ويذهب غيظ قلوبهم أي خزاعة ويتوب الله على من يشاء والله عليم

تفسير السمعاني ج:2 ص:292

تفسير السمعاني ج 2/ص 293
صدور قوم مؤمنين 14 ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم 15 أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون 16 ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حيكم روي عن النبي أنه قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف إلا خزاعة عن بني بكر إلى العصر

(2/281)

قوله تعالى أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية قال أهل التفسير لما أمر الله تعالى نبيه بالقتال ظهر المنافقون فأنزل الله تعالى هذه الآية أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والمراد من العلم هاهنا العلم الذي يقع الجزاء عليه وهو العلم بعد الوجود لاعلم الغيب الذي لا يقع الجزاء عليه ولما يعلم الله يعني ولم يعلم الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة قال الفراء الوليجة البطانة وهو خاصة الإنسان الذي يفشي سره إليه فصار معنى الآية ولما يعلم الله ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يعلم الذين امتنعوا أن يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ظاهر
قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله معنى الآية نفي أهلية عمارة المسجد الحرام عن المشركين
قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر و شاهدين نصب على الحال وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر هي سجودهم للأصنام وقولهم في التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملكك

تفسير السمعاني ج:2 ص:293
تفسير السمعاني ج 2/ص 294
حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون 17 إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين 18 أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
وفيه قول آخر أن معنى قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر هو أنك تقول لليهودي ما أنت فيقول يهودي وتقول للنصراني ما أنت فيقول نصراني وكذلك المجوسي والمشرك
قوله تعالى أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون الحبوط هو البطلان وخالدون دائمون

(2/282)

قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله سبب نزول الآية أن العباس - رضي الله عنه - لما أسر يوم بدر عيره أصحاب رسول الله بترك الإسلام والهجرة فقال نحن عمار المسجد الحرام وسقاة الحجيج
وفي رواية أنه لما أسلم قال للمسلمين لئن سبقتمونا بالإسلام فقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحجيج فأنزل الله تعالى هذه الآية إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله معناه لم يترك الإيمان بالله من خشية أحد فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب فإن قال قائل أتقولون إن كل من عمر مسجدا بكون هكذا على ما قال الله تعالى
قلنا معنى الآية - والله أعلم - أن من كان بهذه الأوصاف كان أهل عمارة المسجد الحرام ولا يعمر المسجد الحرام إلا من استجمع هذه الأوصاف وعمارة المسجد الحرام بذكر الله والرغبة إليه والدعاء والصلاة وغيره
قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في علي والعباس - رضي الله عنهما - وكان الذي عير العباس بترك الإسلام

تفسير السمعاني ج:2 ص:294
تفسير السمعاني ج 2/ص 295
والهجرة هو علي - رضي الله عنه - فقال العباس نحن عمار المسجد الحرام وسقاة الحجيج فقال الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج ومعناه أجعلتم أهل سقاة الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقرىء أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام وعلى هذه القراءة لا يحتاج إلى تقدير الأهل لا يستوون عند الله معناه لا يستوي من عبد الله وهو مؤمن ومن عمر المسجد وهو مشرك والله لا يهدي القوم الظالمين وقد وردت أخبار في الترغيب في عمارة المساجد

روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي قال من رأيتموه يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ثم قرأ قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي قال من غدا أو راح إلى المسجد أعد الله له نزلا كلما غدا أو راح
وروى جابر - رضي الله عنه - أن النبي قال المسجد سوق من أسواق الجنة من دخله كان ضيف الله قراه المغفرة وتحيته الكرامة فإذا دخلتم فارتعوا قيل يا رسول الله وما الرتاع قال الابتهال إلى الله والرغبة
وقد صح عن النبي أنه قال من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة

تفسير السمعاني ج:2 ص:295
تفسير السمعاني ج 2/ص 296
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين 19 الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون 20 يبشرهم ربهم برحمة منه
وفي رواية عائشة - رضي الله عنها - أن النبي قال من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة
قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله فإن قال قائل كيف يستقيم قوله أعظم درجة عند الله وليس للمشركين درجة أصلا الجواب من وجهين
أحدهما أعظم درجة من درجتهم على تقديرهم في أنفسهم وهذا مثل قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ومعناه على تقديرهم في أنفسهم
والثاني أن هؤلاء الصنف من المؤمنين أعظم درجة عند الله من غيرهم
ثم قال تعالى وأولئك هم الفائزون الفائز الذي ظفر بأمنيته
ثم قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة الآية والبشارة خبر سار صدق يسمى بشارة لأنه تتغير به بشرة الوجه

تفسير السمعاني ج:2 ص:296
تفسير السمعاني ج 2/ص 297
ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم 21 خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم 22 يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون 23 قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة
قوله برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم النعيم هو العيش اللذيذ والمقيم الدائم وهو من لا يظعن أبدا خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم معناه ظاهر
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء الآية نزلت الآية في قو م أسلموا بمكة فلما هاجر المسلمون لم يهاجروا قال ابن عباس كان الرجل إذا أراد أن يهاجر تعلق به أهله وولده وقالوا أتضيعنا وتتركنا فيقيم شفقة عليهم فأنزل الله تعالى هذه الآية
قوله تعالى إن استحبوا الكفر على الإيمان معناه أي اختاروا الكفر على الإيمان
قوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر فهذا معنى قوله تعالى فأولئك هم الظالمون
قوله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم روي أن الآية الأولى لما نزلت قال أولئك الذين أسلموا ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فأنزل الله تعالى هذه الآية
قوله تعالى وعشيرتكم قرئت بقراءتين عشيرتكم و عشيراتكم والأصح عشيرتكم فإن جمع العشيرة هو عشائر والعشيرات قالوا ضعيف في اللغة

قوله تعالى وأموال اقترفتموها أي اكتسيتموها ومثله قوله تعالى ومن

تفسير السمعاني ج:2 ص:297
تفسير السمعاني ج 2/ص 298

تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين 24 لقد نصركم الله يقترف حسنة يعني يكتسب
قوله وتجارة تخشون كسادها معناه ظاهر
وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال في قوله وتجارة تخشون كسادها قال هي الأخوات والبنات إذا لم يوجد لهن خاطب حكاه النقاش في تفسيره
قوله ومساكن ترضونها يعني تستطيبونها
قوله أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا معناه فانتظروا
قوله حتى يأتي الله بأمره أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح مكة وهذا أمر تهديد وليس بأمر حتم ولا ندب ولا إباحة
قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين معناه ظاهر
قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم الآية حنين واد بين مكة والطائف إذ أعجبتكم كثرتكم روي أن النبي كان في اثني عشر ألفا والمشركون أربعة آلاف عليهم مالك بن عوف النصري فقال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة وقش لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض الله تعالى قوله ووكلهم إلى أنفسهم فحمل المشركون حملة انهزم المسلمون كلهم سوى نفر يسير بقوا مع رسول الله فيهم العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
وذكر البخاري في الصحيح برواية البراء بن عازب أن أبا سفيان بن الحارث

تفسير السمعاني ج:2 ص:298
تفسير السمعاني ج 2/ص 299

في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين 25 ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذاب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين كان آخذا برأس بغلة النبي يوم حنين والنبي يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد الله بن عبد المطلب ثم إن العباس - رضي الله عنه - نادى المسلمين

بأمر رسول الله - وكان رجلا صيتا - فجعل ينادي يا أصحاب سورة البقرة يا أنصار الله وأنصار رسول الله يا أصحاب الشجرة هذا رسول الله فرجعوا وقاتلوا ووقعت الهزيمة على الكفار القصة إلى آخرها فهذا معنى قوله ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني أن الظفر ليس بالكثرة بل بنصرة الله تعالى
قوله تعالى وضاقت عليكم الأرض بما رحبت قال الفراء الباء هاهنا بمعنى في معناه في رحبها وسعتها وقيل المعنى برحبها وسعتها
قوله تعالى ثم وليتم مدبرين أي متفرقين أي منهزمين
قوله تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية السكينة الرحمة وقيل السكينة الآمنة وهي فعيلة من السكون وهاهنا هي بمعنى النصر قال الشاعر
لله قبر بالبسيطة غالهاماذا أجن سكينة ووقارا
قوله تعالى وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة ونزلت لا للقتال ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين فإن المروي أن الملائكة لم تقاتل إلا في يوم بدر

تفسير السمعاني ج:2 ص:299
تفسير السمعاني ج 2/ص 300
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم 27 يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن
قوله تعالى وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والأسر وذلك جزاء الكافرين معناه ظاهر

قوله تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم معناه ظاهر وهذا في الذين كفوا عن القتل
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس معنى قوله نجس قذر فإذا ضم إلى غيره قيل رجس نجس وإذا أفرد قيل نجس
روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال نجاستهم كنجاسة الكلب والخنزير
وعن الحسن البصري قال إذا صافح مسلم كافرا يجب عليه غسل يده
والصحيح أن المراد من الآية أنه يجب الاجتناب منهم كما يجب الاجتناب من النجاسات وقيل إن معنى قوله نجس أنهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون
قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا هذا خبر بمعنى أمر ومعناه لا تخلوهم أن يدخلوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
ومذهب المدنيين أن المسجد الحرام هو جميع الحرم ولا يترك كافر يدخله وإن كان معاهدا أو عبدا وهذا قول عمر بن عبد العزيز وجماعة
ومذهب الكوفيين أنه يجوز أن يدخله المعاهد والعبد وهذا مروي عن جابر
وقوله وإن خفتم عيلة يعني فقرا وفي مصحف عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وإن خفتم عائلة يعني أمرا شاقا يقال عالني الأمر أي شق علي
وسبب نزول الآية أن أهل مكة إنما كانت معايشهم من التجارات والأرباح فلما

أمر الله تعالى المسلمين أن لا يخلوا الكفار أن يدخلوا المسجد الحرام قالوا فكيف

تفسير السمعاني ج:2 ص:300
تفسير السمعاني ج 2/ص 301

خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم 28 قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم أمر معايشنا وخافوا الفقر وضيق العيش فقال الله تعالى لهم وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء فروي أنه أسلم أهل جرش - بالجيم معجمة - وصنعاء وسائر نواحي اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى أهل مكة ووسع الله عليهم إن الله عليم حكيم ومعناه ظاهر
قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله فإن قال قائل إن أهل الكتابين يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف معنى الآية
الجواب من وجهين
أحدهما أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر كإيمان المؤمنين فإنهم قالوا عزير ابن الله وقالوا المسيح ابن الله وقالت اليهود لا أكل ولا شرب في الجنة
والجواب الثاني أن كفرهم ككفر من لا يؤمن بالله واليوم الآخر في عظم الجرم
قوله تعالى ولا يدينون دين الحق قال أبو عبيدة ولا يطيعون الله كطاعة أهل الحق
قوله من الذين أوتوا الكتاب حتى يطعوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال قتادة عن يد عن قهر وذل وقال غيره عي يد أي يعطي بيده وفيه قول ثالث عن يد أي عن إقرار بإنعام أهل الإسلام عليهم وهم صاغرون روي عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال معناه وهم مذمومون وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال يؤخذ ويوجأ في عنقه فهذا معنى الصغار وقال غيره يؤخذ منه وهو قائم والآخذ جالس وقيل إنه يلبب ويجر إلى موضع الإعطاء بعنف وعند الشافعي - رضي الله عنه - معنى الصغار هو جريان أحكام الإسلام

تفسير السمعاني ج:2 ص:301
تفسير السمعاني ج 2/ص 302

صاغرون 29 وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله عليهم وهذا معنى حسن
قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله هذا في قوم بأعيانهم كانوا بالمدينة أفناهم السيف منهم سلام بن مشكم ومالك بن الضيف وفنحاص اليهودي وأما الآن فلا يقول منهم أحد هذا ويقال إن القائلين لهذه المقالة قوم من سلفهم ومتقدميهم
وكان السبب في ذلك أن اليهود لما بدلوا وخالفوا شريعة التوراة نسخ الله تعالى التوراة من صدورهم فخرج عزير يسيح في الأرض يطلب العلم فلقيه جبريل - عليه السلام - فعلمه التوراة وروي أنه نزل نور فدخل جوفه فقرأ التوراة عن ظهر قلبه فرجع وأملى التوراة على اليهود فقال جماعة منهم هذه المقالة يعني عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله هم على ذلك الآن
قوله ذلك قولهم بأفواههم فإن قال قائل الإنسان لا يقول قولا إلا بفمه فكيف يكون معنى هذا الكلام
الجواب أن معناه أنهم قالوا هذا القول بلا حجة ولا بيان ولا برهان وإنما كان مجرد قول بلا أصل
قوله تعالى يضاهئون قرئ بقراءتين و يضاهئون يعني يشابهون والمضاهاة المشابهة والمماثلة تقول العرب امرأة ضهياء إذا كانت لا تحيض فهي تشبه الرجال
قوله تعالى قول الذين كفروا من قبل فيه معنيان
أحدهما قول الذين أشركوا من قبل فإن المشركين كانوا يقولون مناة واللات والعزى بنات الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:302
تفسير السمعاني ج 2/ص 303
ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون 30 اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا
والقول الثاني أن النصارى قالوا في المسيح ما قالت اليهود في عزير فهذا معنى قوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

قاتلهم الله قال أبو عبيدة لعنهم الله وقيل قتلهم الله كما تقول العرب عافاه الله أي أعفاه الله
وفيه قول ثالث أن هذه كلمة تعجب قال الشاعر
فيا قاتل الله ليلى كيف تعجبنوأخبر الناس أنى لا أباليها
وليس المعنى تحقيق المقاتلة ولكنه كلمة تعجب
قوله تعالى أنى يؤفكون معناه أنى يصرفون يقال أرض مأفوكة إذا صرف عنها

المطر وقول مأفوك إذا كان مصروفا عن الحق
قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقال الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وقد بينا فيها أقوالا من قبل فإن قال قائل إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان فأيش معنى قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلنا معناه أنهم استحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا فهذا معنى عباداتهم لهم وقد صح هذا المعنى برواية عدي بن حاتم عن النبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:303
تفسير السمعاني ج 2/ص 304
إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون 31 يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون 32 هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 33 يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
قوله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون معناه ظاهر
قوله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم معناه يريدون أن يخمدوا نور الله والمراد من النور القرآن وقيل هو محمد
وقوله بأفواههم معناه بتكذيبهم
قوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ظاهر المعنى

قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قال المفسرون هذا عند نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام لا يبقى في الأرض أحد إلا أسلم
وفي قوله ليظهره على الدين كله قول آخر وهو أنه الإظهار بالحجة فدين الإسلام ظاهر على كل الأديان بالدليل والحجة
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله الآية وقد بينا معنى الأحبار والرهبان من قبل وقوله ليأكلون أموال الناس بالباطل قال أهل التفسير إن المراد منه أخذ الرشاء في الأحكام والمآكل التي كانت لعلمائهم على سفلتهم ويصدون عن سبيل الله معناه أنهم يمنعون الناس عن الإسلام وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الكنز هو المال المجموع قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:304
تفسير السمعاني ج 2/ص 305
سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم 34
لا در درى إن أطعمت نازلهمقرف الحتى وعندي البر مكنوز

والحتى قالوا هو المقل
واختلف أهل العلم في من نزلت هذه الآية قال بعضهم نزلت في أهل الكتاب والأكثرون أنها نزلت في الكل
واختلفوا في الكنز روي عن ابن عمر وجماعة أن الكنز كل مال لم تؤد زكاته وأما الذي أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال أربعة آلاف درهم نفقة وما فوقها كنز وقال بعضهم ما فضل عن الحاجة فهو كنز
وقوله ولا ينفقونها في سبيل الله فإن سأل سائل وقال إنه تقدم ذكر الذهب والفضة جميعا فكيف قال ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما
الجواب عنه من وجهين
أحدهما أن المعنى ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله
والثاني أن معنى الآية يكنزون الذهب ولا ينفقونه ويكنزون الفضة ولا ينفقونها فاكتفى بأحدهما عن الآخر قال الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأي مختلف
معناه نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض وفي مثل هذا قول الشاعر
إن شرخ الشباب والشعر الأسود
ما لم يعاض كان جنونا
يعني ما لم يعاضيا
قوله فبشرهم بعذاب أليم معناه ضع هذا الوعيد موضع البشارة وإلا فالوعيد لا يكون بشارة حقيقة

تفسير السمعاني ج:2 ص:305
تفسير السمعاني ج 2/ص 306
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون 35
قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم أي يوقد عليها حتى تصير نارا
قوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال أهل التفسير لا يوضع درهم مكان درهم ولا دينار مكان دينار ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضعه وفي حديث أبي أمامة الباهلي رضي عنه أن رجلا من أهل الصفة مات وترك دينارا فقال النبي كيه ومات آخر وترك دينارين فقال كيتان وقد صح عن النبي أنه قال يجعل الذهب والفضة صفائح فيكوى بها في كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار
وروى ثوبان أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله أي المال نتخذ وقد أنزل في المال ما أنزل فقال ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعينه على دينه

تفسير السمعاني ج:2 ص:306
تفسير السمعاني ج 2/ص 307
إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة
وفي الأخبار - أيضا - عن النبي أن الكنز يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه قال الآية منسوخة بآية الزكاة وقال سائر العلماء ليست بمنسوخة وعن أبي بكر الوراق - رحمه الله - أنه قال إنما ذكر الجبهة والجنب والظهر لأن الغني إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه كشحه
قوله تعالى هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وعيد وتهديد
قوله تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال أهل التفسير معنى الآية هو أن الشهور التي تعبد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم هي الشهور بالأهلة وقد كان أهل الجاهلية يحسبون السنة بالشهور الشمسية ويجعلون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم وأما في الشريعة فالسنة ما بينا ولهذا يكون الصوم تارة في الشتاء وتارة في الصيف
قوله في كتاب الله أي في حكم الله وقيل في اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأرض ظاهر المعنى
قوله منها أربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد

تفسير السمعاني ج:2 ص:307
تفسير السمعاني ج 2/ص 308
كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين 36 إنما النسيء زيادة في الكفر
وقد صح عن النبي برواية أبي بكرة أنه قال ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم 000 الخبر
قوله ذلك الدين القيم أي ذلك الحساب الصحيح
قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم اختلفوا في هذا على قولين
أحدهما أن قوله فلا تظلموا فيهن ينصرف إلى الأشهر الأربعة
والثاني أنه منصرف إلى جميع أشهر السنة وهذا محكي عن ابن عباس
وأما الظلم في هذا الموضع فهو ترك الطاعة وفعل المعصية
وقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة أي قاتلوا جميع المشركين كافة كما قاتلوا جميعكم

قوله واعلموا أن الله مع المتقين من الظلم بالنصرة والظفر
قوله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر قرىء بغير الهمز والمشهور بالهمزة قال أهل العربية وهو الأصح والنسيء هو التأخير يقال نسأ الله في أجلك أي أخر
وسبب نزول الآية أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون المحرم مرة حلالا ومرة حراما فإذا أحلوا المحرم أبدلوا الصفر بالتحريم وكان السبب في ذلك أن عامة معايشهم كانت بالغارات والقتال والسيوف فكان يشق عليهم أن يكفوا عن القتال ثلاثة أشهر متوالية وكان الذي يتولى التحليل والتحريم رجل من بني كنانة يقال له أبو ثمامة ورثه عن آبائه وكان يقوم على ناقة ويقول أيها الناس أنا لا أعاب ولا أحاب ولا يرد قضاء قضيته أما إني قد أحللت المحرم وحرمت الصفر العام قال رجل منهم ألسنا الناسئين على معد شهور الحل يجعلها حراما فهذا هو معنى النسىء المذكور في الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:308
تفسير السمعاني ج 2/ص 309
يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين 37 يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم
وقوله تعالى زيادة في الكفر معناه زيادة كفر على كفرهم
قوله تعالى يضل به الذين كفروا أي يضل الله به الذين كفروا وقرىء يضل به الذين كفروا على ما لم يسم فاعله وقرىء يضل به الذين كفروا وهو الأشهر وهو ظاهر المعنى
قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما قد ذكرنا المعنى قوله ليواطئوا ليوافقوا والمواطأة الموافقة ومعناه ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني عدد ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله فيقولوا أربعة وأربعة قوله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ظاهر المعنى

وفي الآية قول آخر وهو أن النسىء تأخير الحج كل عام شهرا قالوا وحج أبو بكر سنة تسع في ذي القعدة وحج رسول الله سنة عشر في ذي الحجة وهو معنى قوله ألا إن الزمان قد استدار كهيئته الخبر الذي ذكرنا
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض نزلت الآية في غزوة تبوك وكانت الغزوة في حارة القيظ حين أينعت الثمار وطابت الظلال فشق على المسلمين مشقة شديدة وتخلف بعضهم بالعذر وتخلف بعضهم بلا عذر فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله اثاقلتم إلى الأرض أي تثاقلتم وحقيقة المعنى قعدتم عن الغزو وكرهتم الخروج

تفسير السمعاني ج:2 ص:309
تفسير السمعاني ج 2/ص 310
بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل 38 إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير 39 إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ
وقوله إلى الأرض أي إلى الدنيا وسمى الدنيا أرضا لأنها في الأرض
قوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي بنعيم الدنيا من نعيم الآخرة
قوله فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل روى عن سعيد بن جبير أنه قال جميع الدنيا جمعة من جمع الآخرة وقد صح عن النبي أنه قال ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع
قوله تعالى إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما هذا تهديد ووعيد لمن ترك النفر في سبيل الله والنفر ضد الهدوء والسكون
قوله ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا معناه إن ضره راجع إليكم لا إليه والله على كل شيء قدير ظاهر المعنى

قوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله معناه إن لم تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا قد بينا قصة إخراجهم في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية قوله ثاني اثنين معناه أحد اثنين تقول العرب خامس خمسة أي أحد الخمسة ورابع أربعة أي أحد الأربعة
قال المفسرون عاتب الله جميع الناس بترك نصرة الرسول سوى أبي بكر - رضي الله عنه - وقيل نصرته عن خلقي إلا عن أبي بكر - رضي الله عنه - فإنه قد نصره
قوله تعالى إذ هما في الغار الغار ثقب في الجبل وهذا الجبل هو جبل ثور جبل قريب من مكة

تفسير السمعاني ج:2 ص:310
تفسير السمعاني ج 2/ص 311
هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده
قوله إذ يقول لصاحبه أي لأبي بكر - رضي الله عنه - باتفاق أهل العلم وروي أن النبي قال أبو بكر صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض
وعن الحسين بن الفضل البجلي أنه قال من قال إن أبا بكر ليس بصاحب رسول الله فهو كافر لإنكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا

قوله لا تحزن إن الله معنا روي أن النبي لما خرج مع أبي بكر - رضي الله عنه - أمر عليا حتى اضطجع على فراشه وذكر له أنه لا يصيبه سوء وخرج مع أبي بكر قبل الغار وجاء المشركون يقصدون النبي فقام علي - رضي الله عنه - من مضجعه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري فخرجوا في طلبه يقتفون أثره حتى وصلوا إلى الغار فلما أحس أبو بكر - رضي الله عنه - بهم خاف خوفا شديدا وقال يا رسول الله إن أقتل يهلك واحد وإن تقتل تهلك هذه الأمة فقال له النبي لا تحزن إن الله معنا وقد ثبت أن النبي قال له يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي القصة أن الله تعالىأنبت ثمامة على فم الغار وهي شجرة صغيرة وألهم حمامة حتى فرخت وألهم عنكبوتا حتى نسجت
قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه فيه قولان أحدهما على النبي وهو اختيار الزجاج
والآخر أنه على أبي بكر وهو قول الأكثرين لأن السكينة هاهنا ما يسكن به

تفسير السمعاني ج:2 ص:311
تفسير السمعاني ج 2/ص 312
بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم 40 انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون 41 لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك القلب وأبو بكر - رضي الله عنه - كان هو الخائف والحزين دون رسول الله

وفي الآية قول ثالث أن السكينة نزلت عليهما ونقل في مصحف حفصة - رضي الله عنها - فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما بجنود لم تروها قوله وأيده بجنود لم تروها الجنود هاهنا الملائكة نزلوا فألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى كلمتهم الشرك وهي السفلى إلى يوم القيامة وكلمة الله هي العليا يعني لا إله إلا الله وهي العليا إلى يوم القيامة قوله والله عزيز حكيم قد بينا معنى العزيز الحكيم
قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يقال إن هذه الآية أول آية أنزلت من سورة التوبة
قوله خفافا وثقالا فيه أقوال روي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا نشاطا وغير نشاط قال الأزهري النشاط جمع النشيط
والقول الثاني قول الحسن البصري انفروا في اليسر والعسر وهذا قول حسن وعن الحكم بن عتيبة مشاغيل وغير مشاغيل وعن أبي طلحة صاحب النبي شيوخا وشبابا وفيه قول خامس رجالة وركبانا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله 000 إلى آخر الآية معناه ظاهر وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية والله أعلم
قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك أي لو كانت غنيمة قريبة

المتناول وسفرا قاصدا أي سفرا قصيرا سهلا قريبا لاتبعوك أي

تفسير السمعاني ج:2 ص:312
تفسير السمعاني ج 2/ص 313

ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون 42 عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين 43 لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين 44 إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت فهم في ريبهم يترددون 45 ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل لخرجوا معك
ولكن بعدت عليهم الشقة أي بعد عليهم السفر والشقة في اللغة هي الغاية التي يقصد إليها
قوله وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم هذا في المنافقين
قوله تعالى يهلكون أنفسهم يعني باليمين الكاذبة قوله والله يعلم إنهم لكاذبون ظاهر المعنى
قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم روي عن عمرو بن ميمون الأودي أنه قال فعل رسول الله شيئين بغير إذن من الله فداء أسارى بدر وأذن للمتخلفين في غزوة تبوك فعاتبه الله تعالى فيهما جميعا وفي تقديم قوله تعالى عفا الله عنك معنى لطيف في حفظ قلب النبي
قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ظاهر المعنى
قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر معناه لا يستأذنك في التخلف
قوله أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله الآية معلوم ثم قال إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم أي شكت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون
ثم قال ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة يعني لو قصدوا الخروج لأعدوا له

تفسير السمعاني ج:2 ص:313
تفسير السمعاني ج 2/ص 314

اقعدوا مع القاعدين 46 لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين 47 لقد عدة أي أهبة السفر من الزاد والراحلة وغيرهما ولكن كره الله انبعاثهم معناه خروجهم

فثبطهم معناه فكسلهم وكفهم عن الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين قال مقاتل بن سليمان وحيا إلى قلوبهم وقال غيره قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين
قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا هذه الآية نزلت في شأن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ومعنى قوله خبالا أي فسادا وشرا ومعنى الفساد هو إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين
وقوله ولأوضعوا خلالكم الإيضاع هو سرعة السير قال الراجز شعر
يا ليتني فيها جذعأخب فيها وأضع
قال الزجاج معنى الآية أسرعوا فيما يخل بكم وقال غيره أسرعوا بينكم بايقاع البغضاء والعداوة بالنميمة ونقل الحديث من بعض إلى بعض وعلى هذا قوله خلالكم وسطكم يبغونكم الفتنة يطلبون لكم الفتنة وفي الفتنة معنيان أحدهما أنها الشرك والآخر أنها تفريق الكلمة
وفيكم سماعون لهم فيه قولان
أحدهما أن فيكم جواسيس لهم ينقلون الحديث إليهم وسئل ابن عيينة هل في القرآن ذكر للجواسيس قال نعم وذكر هذه الآية
والقول الثاني وفيكم سماعون لهم قائلون لهم أي يقبل ما يقولون ومنه ما ورد في الصلاة سمع الله لمن حمده قبل الله لمن حمده وعن أبي عبيدة وفيكم سماعون لهم مطيعون لهم والمعنى قريب من القول الثاني

تفسير السمعاني ج:2 ص:314
تفسير السمعاني ج 2/ص 315
ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون 48 ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين 49 إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا

والله عليم بالظالمين معناه معلوم فإن قال قائل قد قال في أول الآية مازادوكم إلا خبالا وكان النبي وأصحابه في خبال حتى يزيدوا
الجواب إن معنى الآية مازادوكم قوة بل طلبوا لكم الخبال
قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية الابتغاء الطلب والفتنة إيقاع الاختلاف المؤدي إلى تفريق الكلمة وقوله وقلبوا لك الأمور ومعناه صرفوا لك الأمور وأرادوها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وحقيقة المعنى أنهم طلبوا بكل حيلة إفساد أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون معناه معلوم
قوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين يقال له الجد بن قيس قال له رسول الله هل لك في جلاد بني الأصفر - يعني الروم - لعلك تصيب منهم سرارى قال رسول الله حثا له على الخروج فقال يا رسول الله ائذن لي - يعني في التخلف - ولا تفتني - يعني بنساء الروم - قال قومي علموا أني بالنساء مغرم يعني معجب
وهذا أحد القولين في قوله ولا تفتني

والقول الثاني إن معناه لا تؤثمني قال قتادة ومعناه لا تسمنى للخروج والخروج عسير علي فأتخلف فأقع في الإثم

تفسير السمعاني ج:2 ص:315
تفسير السمعاني ج 2/ص 316
أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون 50 قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون 51 قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
قوله ألا في الفتنة سقطوا فيه معنيان
أحدهما ألا في جهنم سقطوا والآخر ألا في الشرك سقطوا
وإن جهنم لمحيطة بالكافرين محدقة بالكافرين
قوله تعالى إن تصبك حسنة تسؤهم الحسنة هاهنا هي النعمة التي تطيب بها نفس الإنسان وتلذ عيشه وفي غير هذا الموضع الحسنة بمعنى الطاعة

وإن تصبك مصيبة المصيبة هاهنا هي البلية في القتال بإصابة الكافرين من المسلمين يقال إن الحسنة المذكورة كانت يوم بدر والمصيبة المذكورة كانت يوم أحد
وقوله يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل يعني حذرنا من قبل ومعناه احترزنا من الوقوع في المصيبة ويتولوا وهم فرحون معناه معلوم
قوله تعالى قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا أمر الله تعالى المؤمنين بأن يجيبوهم بهذا
وقوله إلا ما كتب الله لنا أي علينا وقيل معناه ما أخبر الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وهو حافظنا وناصرنا وعليه يعتمد المؤمنون وفي الخبر المعروف برواية أبي الدرداء أن النبي قال لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه
قوله تعالى قل هل تربصون بنا هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين

تفسير السمعاني ج:2 ص:316
تفسير السمعاني ج 2/ص 317
ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون 52 قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين 53 وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون
تثنيه الحسنى الحسنيان أحدهما الظفر والأخرى الشهادة
وروى أبو هريرة عن النبي أنه قال ضمن الله لمن خرج في سبيله إيمانا واحتسابا أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة
وقوله ونحن نتربص بكم أي ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا العذاب من عنده هو القارعة تنزل من السماء والعذاب بأيدي المؤمنين هو العذاب بالسيف فتربصوا إنا معكم متربصون فانتظروا إنا معكم منتظرون

قوله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها هذا أمر بمعنى الشرط ومعناه إن أنفقتم طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين لأنكم كنتم قوما فاسقين والفسق هاهنا هو الكفر
قوله تعالى وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله معناه أن المانع من قبول نفقاتهم كفرهم بالله وبرسوله
وقوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى أي متثاقلين فإن قيل كيف ذكر الكسل في الصلاة ولا صلاة أصلا
قلنا الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل فإن الكفر مكسل والإيمان منشط ويقال أصل كل كفر الكسل وفي المثل الكسل أحلى من العسل ولا ينفقون إلا وهم كارهون معلوم المعنى وحقيقة المعنى في الكل أنهم لا يصلون ولا ينفقون إلا خوفا فأما تقربا إلى الله فلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:317
تفسير السمعاني ج 2/ص 318
الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون 54 فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون 55 ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون
قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الإعجاب بالشيء هو السرور به
وقوله إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فيه سؤال وهو أنه يقال كيف يكون التعذيب بالمال والولد وهم يتنعمون بالأموال والأولاد
الجواب من وجوه
أحدهما أن في الآية تقديما وتأخيرا كأنه تعالى قال فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة
والقول الثاني أن التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد
الثالث أن معنى التعذيب هو التعب في الجمع وشغل القلب بالحفظ وكراهة الإنفاق مع الإنفاق وتحليفه عند من لا يحمده وقدومه على من لا يعدله

وقوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون تخرج أنفسهم وهم كافرون
وفي الآية رد على القدرية وهو ظاهر
قوله تعالى ويحلفون بالله إنهم لمنكم يعني من جملتكم وما هم منكم يعني ليسوا من جملتكم ولكنهم قوم يفرقون أي يخافون
وفي الحكايات أن بعض الملحدين رئي يصلي صلاة حسنة فسئل عن ذلك فقال عادة أهل البلد وصيانة المال والولد
قوله تعالى لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال قتادة والملجأ الحصون والمغارات الغيران والمدخل الأسراب وهذا قول حسن فمعنى الآية لو يجدون

مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم وهذا معنى قوله تعالى لولوا إليه وهم يجمحون يعني يسرعون يقال فرس جموح إذا لم يكن رده عن وجهه بشيء

تفسير السمعاني ج:2 ص:318
تفسير السمعاني ج 2/ص 319
56 لو يجدون ملجئا أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون 57 ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون 58 ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون 59
قال الشاعر
لقد جمحت جماحا في دمائهمحتى رأيت ذوي الأشراف قد خمدوا
وروي عن أنس أنه قرأ وهم يجمرون والمعنى قريب في الأول
قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني يعيبك في إعطاء الصدقات ويقال الهمزة واللمزة بمعنى واحد ويقال اللمزة الذي يعيب الناس بقوله والهمزة الذي يشير بطرفه هزاء
سبب نزول الآية أن ذا الخويصرة التميمي - واسمه حرقوش بن زهير - أتى رسول الله وهو يقسم فقال يا رسول الله اعدل فقال فمن يعدل إن لم أعدل ثم قال يخرج من ضئضىء هذا أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية

قوله تعالى فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون هذا في ثعلبة بن حاطب وأصحابه كانوا يرضون إن أعطوا كثيرا وإن أعطوا القليل سخطوا وعابوا
قوله تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون يعني لو رضوا بما فعلت

تفسير السمعاني ج:2 ص:319
تفسير السمعاني ج 2/ص 320
إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ورغبوا في الزيادة كان خيرا لهم من سخطهم وعيبهم
قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية الفقير في اللغة هو المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين الذي ضعفت نفسه عن الحركة في طلب القوة فسكنت وأما الكلام ففي الفقير والمسكين نفى الآية أقوال كثيرة
أحدها روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري أنهم قالوا الفقير الذي لا يسأل وقال بعضهم على خلاف ذلك

والثاني قول قتادة وهو أن الفقير الذي به زمانة ولا شيء له والمسكين الذي لا شيء له وليس به زمانة وقال بعضهم على ما قاله قتادة
والثالث أن الفقراء هم المهاجرون والمساكين هم الأعراب وهذا قول إبراهيم النخعي
والرابع أن الفقراء هم المسلمون المحتاجون والمساكين هم أهل الحاجة من أهل الذمة
وفيه قول خامس أن الفقير والمسكين واحد واختلفوا أيهما أحوج فمذهب الشافعي - رحمه الله - أن الفقير أحوج من المسكين واستدل بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين فسماهم مساكين مع أن لهم سفينة وزعم الأصمعي وجماعة من أهل اللغة أن المسكين أحوج من الفقير وأنشدوا
أما الفقير الذي كانت حلوبتهوفق العيال فلم تترك له سبد
قال يونس النحوي قلت لأعرابي أفقير أنت قال بل مسكين - يعني أدون من الفقير

تفسير السمعاني ج:2 ص:320
تفسير السمعاني ج 2/ص 321
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم 60
قوله تعالى والعاملين عليها يعني السعادة ولهم سهم من الصدقات معلوم
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن لهم بقدر أجر المثل
وقوله والمؤلفة قلوبهم قال أهل العلم المؤلفة قلوبهم صنفان مسلمون ومشركون وكل صنف على صنفين أما المسلمون قوم كان إيمانهم ضعيفا مثل أبي سفيان بن حرب وعيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس وأمثالهم كان رسول الله يعطيهم ليتألفوا على الإيمان فيقوي إيمانهم وصنف كان إيمانهم قويا مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر وغيرهما كان يعطيهم ليتألف عشيرتهم
وأما المشركون فصنفان صنف كان يدفعهم ليدفع أذاهم عن المسلمين مثل عامر ابن الطفيل وغيره وصنف كان يعطيهم ليؤمنوا ويميلوا إليه مثل صفوان بن أمية بن خلف ومالك بن عوف النصري وغيرهما
واختلفوا أن سهم المؤلفة قلوبهم هل بقي بعد النبي
قال الشعبي وجماعة قد سقط وهو قول أكثر أهل العلم وقال الزهري هو باق وقد حكى عن الشافعي كلا القولين والصحيح هو الأول
وقوله وفي الرقاب فيه قولان
أحدهما أنهم المكاتبون وهذا قول الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما
وقال مالك يشترى بذلك السهم رقاب فيعتقون الصحيح هو الأول
قوله والغارمين قال مجاهد هؤلاء قوم أحرقت النار دورهم وأذهب السيل أموالهم فادانوا لنفقاتهم وقال غيره هو كل من لحقه غرم بسبب لا معصية فيه

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم 61 يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين
وقوله وفي سبيل الله هؤلاء الغزاة والحجاج وقوله في سبيل الله في طاعة الله وابن السبيل فيه قولان
أحدهما أنه الذي قطع عليه الطريق فبقي فقيرا لا مال له والذي عليه الفقهاء أنه الذي بعد عن ماله فيصرف إليه سهم من الصدقات وإن صار غنيا في بلده وحكى ابن الأنباري قولا ثالثا أن ابن السبيل هو الضيف
قوله تعالى فريضة من الله أي افترض الله ذلك فريضة والله عليم حكيم عليم بما يصلح خلقه حكيم فيما دبره
قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن الأذن هاهنا هو من يسمع كل ما قيل له قال الشاعر
أيها القلب تعلل بددنإن همي في سماع وأذن
وسبب نزول الآية أن المنافقين قالوا قولوا ما تريدون ثم أنكروا واحلفوا فإن محمدا أذن يسمع كل ما قيل له ويقبله
قل أذن خير لكم يعني هذه الخلة خير لكم فكأنه قال مستمع خير خير لكم ومستمع شر شر لكم يؤمن بالله يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين ويصدق المؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم
معناه ظاهر وقرئ أذن خير لكم أي أصلح لكم
قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين معناه ظاهر
وقوله إن كانوا مؤمنين قيل يعني ما كانوا مؤمنين
---

62 ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم 63 يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون 64 ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
قوله تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يحادد الله يعني من يكون في حد وجانب من الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم الفضيحة العظيمة والنكال العظيم

قوله تعالى يحذر المنافقون فيه قولان
أحدهما أنه خبر بمعنى الأمر ومعناه ليحذر المنافقون
والآخر أنه بمعنى الإخبار عنهم إذ كانوا يستهزئون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم
قوله تعالى أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقد بينا أن هذه السورة تسمى المبعثرة والفاضحة فهذه الآية تشير إلى ما قدمنا
وقد روي عن عبد الله بن عباس قال أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة ورأفة على المؤمنين لأن أولادهم كانوا مؤمنين فنسخ ذلك لئلا يعير بعضهم بعضا
قوله تعالى قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون معناه ظاهر
قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب
سبب نزول الآية أن النبي كان يسير في غزوة تبوك وقدامه ثلاثة من المنافقين اثنان يستهزئان والثالث يضحك وقيل إن استهزاءهم أنهم كانوا يقولون إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده عن ذلك
وقيل إنهم كانوا يقولون إن محمدا يزعم أنه نزل القرآن في شأن أصحابنا المقيمين

تفسير السمعاني ج:2 ص:323
تفسير السمعاني ج 2/ص 324

نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون 65 لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين 66 المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
بالمدينة وإنما هو قوله وكلامه فهذا معنى الآية فإنه روي أن النبي أرسل إليهم ماذا كنتم تقولون فقالوا إنا كنا نخوض فيما يخوض فيه الركب فقال الله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
وروي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال رأيت عبد الله بن أبي ابن سلول يشتد قدام النبي والحجارة تنكبه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فإن قال قائل قد كفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين
الجواب عنه أن معناه أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان
وقوله تعالى إن نعف عن طائفة منكم قرئ نعف ومعناهما واحد والطائفة هاهنا رجل واحد كان يسمى مخشى بن حمير وكان هو الذي يضحك ولا يخوض معهم وروى أنه جانبهم فقال إن نعف عن طائفة منكم يعني هذا الواحد نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين معناه معلوم
قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الآية قوله بعضهم من

بعض فيه قولان
أحدهما أن بعضهم على دين البعض

تفسير السمعاني ج:2 ص:324
تفسير السمعاني ج 2/ص 325
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون 67 والآخر أن أمرهم واحد وهذا كالرجل يقول لغيره أنا منك يعني أمري وأمرك واحد
يأمرون بالمنكر فيه قولان
أحدهما أن المنكر هو الشرك والمعروف هو الإيمان بالله
وعن أبي العالية الرياحي أنه قال كل ما ذكر من المنكر في القرآن فهو عبادة الأوثان والشرك بالله

والقول الثاني أن المنكر هو معصية الله تعالى والمعروف هو طاعة الله وقوله تعالى وينهون عن المعروف القول المعروف أن معنى قوله ويقبضون أيديهم يمسكون عن الإنفاق في سبيل الله
والقول الثاني يقبضون أيديهم أي عن الجهاد في سبيل الله
وقال بعض المتأخرين يعني لا يبسطونها للدعاء والرغبة إلى الله
قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا أمر الله فتركهم من رحمته وروي عن قتادة أنه قال نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر
قوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون عن طاعة الله وقد صح عن النبي أنه قال علامة المنافق ثلاثة إذا قال كذب وإذا ائتمن خان وإذا وعد خلف وفي بعض الروايات إذا عاهد غدر وفي بعض الأخبار لايأتون الصلاة إلا دبرا ولا يقرءون القرآن إلا هجرا وفي بعض الروايات عن ابن عباس أن عدد المنافقين من الرجال في زمان رسول الله كان ثلثمائة وعدد النساء مائة وسبعون

تفسير السمعاني ج:2 ص:325
تفسير السمعاني ج 2/ص 326
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم 68 كالذين من قبلكم كانوا أشد منكر قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون 69 ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها معلوم وقوله هي حسبهم أي كافيتهم ولعنهم الله أي أبعدهم الله من رحمته ولهم عذاب مقيم أي دائم

قوله تعالى كالذين من قبلكم معناه أنتم يا معشر المنافقين كالذين من قبلكم قوله كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب وقيل الحظ الوافر ومعنى الآية استمتعوا باتباعهم الشهوات كما استمتعتم بخلاقكم باتباعكم الشهوات وقيل معنى الآية رضوا بنصيبهم من الدنيا عن نصيبهم من الآخرة وقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا يعني لعبوا واستهزءوا كما فعلتم قوله تعالى أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون معناه كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم وقد روي عن النبي أنه قال لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخل أحدهم في جحر ضب ليدخلنه أحدكم وعن عمر - رضي الله عنه - قال ما أشبه الليلة بالبارحة في الدنيا والآخرة
قوله تعالى ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم أي خبر الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين ومدين اسم قرية شعيب قوله والمؤتفكات هي قريات لوط سميت مؤتفكة لأن الله تعالى قلبها بهم قوله

تفسير السمعاني ج:2 ص:326
تفسير السمعاني ج 2/ص 327
وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 70 والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم 71 وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في أتتهم رسلهم بالبينات بالحجج فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون معناه ما نقص الله حظهم ولكن نقصوا هم حظهم وضروا بأنفسهم

قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض هذه الولاية هي ولاية الدين واتفاق الكلمة ويقال في تفسير الآية المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض
قوله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة إلى آخر الآية معناه معلوم وقوله ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله قال عطاء بن أبي رباح هو اتباع الكتاب والسنة وقوله إن الله كان عزيزا حكيما أي عزيز في نصره حكيم في تدبيره
قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها الجنات البساتين تجري من تحتها الأنهار هذه الأنهار هي الأنهار التي ذكر الله تعالى في سورة محمد
قوله ومساكن طيبة روي عن عبد الله بن عباس أنه قال ومساكن طيبة هي

قصر من لؤلؤ فيها سبعون دارا من الزبرجد في كل دار سبعون بيتا من الياقوت في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي الآثار - أيضا - أن قوله في جنات عدن قال إن جنة عدن هي مأوى الأنبياء والصديقين والشهداء وسائر الجنان حواليها وقيل إن جنة عدن في السماء السابعة لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو إمام عدل أو رجل محكم في نفسه ومعنى قوله محكم في نفسه يعني خير بين الكفر والقتل فاختار

تفسير السمعاني ج:2 ص:327
تفسير السمعاني ج 2/ص 328
جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم 72 يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير 73 يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر القتل وأما جنة المأوى فهي في السماء الدنيا وقوله عدن أي موضع الإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به قال الشاعر

فإن تستضيفوا إلى حلمهتضيفوا إلى راجح قد عدن
وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر معناه رضا الله أكبر من هذه التحف وروى أبو سعيد الخدري أن النبي قال إن الله تعالى يقول يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم عني فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا أفضل ما تعطي أحدا من خلقك فيقول وأنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وما أفضل من ذلك فيقول أحل - أي أنزل - عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا خرجه البخاري ومسلم في كتابيهما
قوله ذلك هو الفوز العظيم معناه ظاهر
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أهل التفسير معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تلق المنافق إلا بوجه مكفهر وروي عنه أنه قال يجاهد بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقوله تعالى واغلظ عليهم الغلظة ها هنا هو الانتهار الشديد قوله ومأواهم جهنم وبئس المصير معناه ظاهر
قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية نزلت في المنافقين أيضا واختلف القول في كلمة الكفر
قال بعضهم كلمة الكفر هي سب محمد وقال بعضهم كلمة الكفر هي قول الجلاس بن سويد فإنه قال لئن كان ما يقول محمد حق فنحن شر من الحمير

تفسير السمعاني ج:2 ص:328
تفسير السمعاني ج 2/ص 329
وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا

وفيه قول ثالث أن كلمة الكفر هي قولهم لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وعنوا بالأعز عبد الله بن أبي بن سلول وقالوا نتوجه بالتاج خلافا على محمد
وقوله تعالى وكفروا بعد إسلامهم معناه وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإسلام

(2/314)

وقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا يعني قصدوا ما لم يدركوه فإنه روي أن اثني عشر نفرا من المنافقين اجتمعوا في غزوة تبوك ليغتالوا النبي وروي أنهم قصدوا أن يوقعوه من العقبة في الوادي فدفع الله شرهم عن النبي فهذا معنى قوله وهموا بما لم ينالوا وقوله تعالى وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله نقموا أي كرهوا قال الشاعر في مدح بني أمية شعرا
ما نقموا من بني أميةإلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك
ولا يصلح إلا عليهم العرب
وقوله تعالى إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله يعني بالغنائم وروي أن الجلاس بن سويد كان تحمل بحمالة فأداها عنه رسول الله وروي أن عبد الله بن أبي بن سلول كانت له دية على قوم فأمر النبي أن يوفر عليه فهذا كله معنى قوله تعالى إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله
قوله تعالى فإن يتوبوا يك خيرا لهم روي أنه لما نزلت هذه الآية قال الجلاس بن سويد إني أرى الله يعرض علي التوبة وإني قد تبت إلى الله مما كنت فيه فروي

تفسير السمعاني ج:2 ص:329
تفسير السمعاني ج 2/ص 330
والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير 74 ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين 75 فلما آتاهم من فضله بخلوا أنه صح إيمانه واستشهد يوم اليمامة
قوله تعالى وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير إلى آخر الآية معناه ظاهر
ويقال في قوله تعالى وما نقموا إلا أن أغناهم الله يعني ليست لهم كراهة ولا نقمة وهذا مثل قول الشاعر
ولا عيب فينا غير أن سيوفنابهن فلول من قراع الكتائب
يعني لا عيب فينا أصلا

(2/315)

قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين أي لنتصدقن وأدغمت التاء في الصاد وشددت أي لنصدقن في وجوه

الخير من الجهاد وغيره ولنكونن من الصالحين قيل مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما في البذل والعطاء
في الآية قولان أحدهما أنها نزلت في رجل من الأنصار كان له مال غائب فقال إن رد الله على مالي لأفعلن كذا وكذا فرد الله عليه ماله فلم يفعل شيئا فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية
والقول الثاني أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب روى أبو أمامة الباهلي أن ثعلبة ابن حاطب جاء إلى النبي وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال قليل يكفيك خير من كثير لا تقوم بحقه فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال أما ترضى أن تكون مثل رسول الله فوالله لو أردت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فوالله لاؤدين إلى كل ذي حق حقه فدعا رسول الله وقال اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها أزقة المدينة فخرج بها إلى الصحراء

تفسير السمعاني ج:2 ص:330
تفسير السمعاني ج 2/ص 331

به وتولوا وهم معرضون 76 فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون 77 ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم وجعل يحضر الصلوات الخمس ثم نمت حتى ضاقت بها مراعي المدينة فقال فبعد بها وجعل لا يحضر إلا الجمعة ثم ترك حضور الصلوات والجمعة جميعا قال فبعث رسول الله مصدقه ليأخذ الزكاة فمر عليه وطالبه بالزكاة فقال ما أرى هذا إلا أخت الجزية اذهب حتى تعود إلي فلما عاد إليه لم يعط شيئا وقال حتى ألقى رسول الله فرجع المصدق وأخبر النبي بأمره فأنزل الله تعالى هذه الآية فروي أنه ذكر له أنه نزلت فيه هذه الآية فحضر المدينة وقال يا رسول الله خذ مني الزكاة فأبى أن يأخذ فلما توفي رسول الله جاء إلى أبي بكر وطلب أن يأخذ منه الزكاة فقال ما أخذ رسول الله فلا آخذ أنا وهكذا في زمان عمر وزمان عثمان وتوفي في زمان عثمان
وقوله تعالى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم فيه معنيان
أحدهما فعاقبهم نفاقا في قلوبهم يقال أعقبه وعاقبه بمعنى واحد
والمعنى الثاني أخلفهم نفاقا في قلوبهم
إلى يوم يلقونه يوم القيامة
قوله تعالى بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
ثم قال ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم يعني ما أضمروا في قلوبهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:331

تفسير السمعاني ج 2/ص 332
ونجواهم وأن الله علام الغيوب 78 الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم 79 استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن وما تناجوا به بينهم وأن الله علام الغيوب معناه ظاهر
قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يلمزون يعيبون

(2/317)

وسبب نزول الآية أن النبي حث الناس على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار - وكان ذلك نصف ماله - وجاء عاصم بن عدي بثلثمائة وسق من تمر - والوسق حمل بعير - وجاء أبو عقيل - رجل من الأنصار - بصاع من تمر وقال كان لي صاعان من تمر فجئت بأحدهما فقال المنافقون أما عبد الرحمن ابن عوف وعاصم بن عدي فأعطيا ما أعطيا رياء وأما أبو عقيل فما كان أغنى الله من صاع أبي عقيل فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والمطوعين المتطوعين من المؤمنين هو عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي والذين لا يجدون إلا جهدهم هو أبو عقيل والجهد الطاقة فيسخرون منهم يستهزئون منهم سخر الله منهم جازاهم جزاء السخرية ولهم عذاب أليم
قوله سبحانه وتعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الآية أراد به إثبات اليأس عن طمع المغفرة لهم
وروي عن الحسن البصري أنه روى عن النبي مرسلا أنه قال والله لأزيدن على السبعين فأنزل الله عز وجل سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذكر عدد السبعين للمبالغة في إثبات اليأس إن الله لا يهدي القوم الفاسقين معناه معلوم

تفسير السمعاني ج:2 ص:332
تفسير السمعاني ج 2/ص 333
يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين 80 فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون 81 فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون 82 فإن

(2/318)

قوله تعالى فرح المخلفون الفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والغم ضيق في القلب بفوات المشتهى وأما المخلفون فهم الذين قعدوا عن الغزو وتركوا الخروج مع رسول الله والمخلف المتروك وقوله بمقعدهم يعني بقعودهم وقوله خلاف رسول الله فيه معنيان أحدهما مخالفة لرسول الله والثاني بمقعدهم خلاف رسول الله أي بعد رسول الله قاله أبو عبيدة وكرهوا أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله المجاهدة بالمال هي الإنفاق والمجاهدة بالنفس هي مباشرة القتال وقوله وكرهوا يعني لم يحبوا وقالوا لا تنفروا في الحر الحر هو وهج الشمس والبرد ضده قل نار جهنم أشد حرا يعني أشد وهجا لو كانوا يفقهون قرأ ابن مسعود لو كانوا يعلمون والمعنى واحد قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الضحك حالة تكون في الإنسان من التعجب والفرح والبكاء حالة تعتري الإنسان من الهم وضيق القلب مع جريان الدمع على الخد ويقال إن الضحك في بني آدم كالصهيل في الخيل
وفي الآية قولان أحدهما أن معنى قوله فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يعملون قاله أبو رزين والحسن وجماعة
والقول الثاني أن هذا أمر بمعنى الخبر فكأنه قال يضحكون قليلا ويبكون كثيرا يعني في الآخرة
فإن قال قائل كيف قال يضحكون قليلا وهم لا يضحكون أصلا في الآخرة
الجواب قلنا معنى قوله يضحكون قليلا يعني لا يضحكون أصلا وهذا مثل

تفسير السمعاني ج:2 ص:333
تفسير السمعاني ج 2/ص 334
رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين 83 ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون أي لا يؤمنون شيئا

وروي عن الحسن البصري أنه قال إن أهل النار ليبكون لا يرقأ لهم دمع حتى إن السفن لو أجريت في دموعهم جرت
قوله تعالى فإن رجعك الله إلى طائفة منهم يعني لو ردك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج ليخرجوا معك في القتال فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال أهل التفسير العدو ها هنا أهل الكتاب فإنه لم يكن بقي بجزيرة العرب مشرك في ذلك الوقت قوله إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين والخالفون هاهنا هم النساء والصبيان وقيل هم أهل الزمانة والضعف
قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية نزلت الآية في شأن عبد الله بن أبي بن سلول فإنه روي أنه لما حضره الموت جاء ابنه إلى رسول الله برسالته يطلب منه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه رسول الله قميصه وفي بعض الروايات أنه أعطاه قميصه الذي فوق قميصه وهو الأعلى فرد وطلب قميصه الذي يلي جلده فلما توفي قدم ليصلي عليه رسول الله بطلب ابنه ذلك ووصيته فلما تقدم رسول الله ليصلي عليه أخذ عمر بثوبه وقال يا رسول الله أتصلي على هذا المنافق فقال رسول الله إن ربي خيرني وقرأ قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقد اخترت أن أصلي عليه قال فصلي عليه فأنزل الله تعالى قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا

وفي رواية أنس أن النبي لما وقف ليصلي عليه أخذ جبريل - عليه السلام

تفسير السمعاني ج:2 ص:334
تفسير السمعاني ج 2/ص 335
وهم فاسقون 84 ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون 85 وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله بطرف ثوبه ومنعه من الصلاة فترك الصلاة
والرواية الأولى هي في الصحيحين

وقوله ولا تقم على قبره وفي رواية أن النبي كان إذا صلى على ميت وقف على قبره ودعا فمنعه الله تعالى عن ذلك في حق المنافقين
فإن قيل كيف يجوز أن يصلي النبي على المنافق وهو يعلم أنه كافر بالله
الجواب عنه أنه رأى ذلك مصلحة وقد قيل حين صلى عليه إن صلاتي عليه لا تغني عنه من عذاب الله شيئا
وفي بعض الروايات أن عبد الله بن أبي بن سلول لما طلب منه قميصه ليتبرك به ويكفن فيه أسلم ألف رجل من قومه لم يكونوا أسلموا من قبل لما رأوا من تبركه بالنبي إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وباقي الآية معلوم
قوله تعالى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قد بينا معناها فيما سبق فإن قيل أيش معنى التكرار
وفي هذه الآية الجواب من وجهين أحدهما أنه للتأكيد
والثاني أن الآيتين نزلتا في طائفتين من المنافقين دون طائفة واحدة

تفسير السمعاني ج:2 ص:335
تفسير السمعاني ج 2/ص 336
وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين 86 رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون 87 لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون 88 أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
قوله تعالى وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله معنى الآية ظاهر
وقوله استأذنك أولوا الطول منهم الطول هو السعة والغنا بإجماع المفسرين
وقيل إنه إنما سميت السعة طولا لأن الإنسان يتطاول بها الناس
وقوله وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين يعني مع القاعدين عن الجهاد

ثم قال رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال قتادة الخوالف هم النساء وقال غيره هم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفه قومه إذا كان دونهم قوله وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون طبع ختم ويقال الطبائع نكت سوداء تقع على القلب يعرف بها الملك المنافق من المؤمن
قوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم معناه معلوم
وقوله وأولئك لهم الخيرات فيه أقوال
أحدها أن الخيرات هي الغنائم والآخر أن الخيرات هي الحور في الجنة وواحدتها خيرة قال الله تعالى فيهن خيرات حسان يعني الحور
والقول الثالث أن الخيرات لا يعلم معناها إلا الله حكي هذا عن ابن عباس ومثل هذا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين
وأولئك هم المفلحون قد بينا المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:336
تفسير السمعاني ج 2/ص 337
فيها ذلك الفوز العظيم 89 وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم 90 ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا
ثم قال أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ومعناه ظاهر
قوله تعالى وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم قرىء بقراءتين المعذرون و المعذرون وفي المعذرين قولان أحدهما أن المعذرين هم المعتذرون أدغمت التاء في الذال
والقول الثاني أن المعذرين هم المقصرون والتعذير في اللغة هو التقصير وأما المعذرون فهم الذين بالغوا في العذر يقال في المثل لقد أعذر من أنذر يعني بالغ في إظهار العذر من قدم في النذارة قال لبيد شعرا
إلى الحول ثم اسم السلام عليكماومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
يعني بالغ في العذر

واعلم أن هذه الآية نزلت في المنافقين وقد اعتذروا ولم يكن لهم عذر وأما الأعراب هم الذين يسكنون البادية والعربي اسم لمن له نسب من العرب
وقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هذا في المنافقين ومعنى كذبوا الله ورسوله يعني لم يأتوا بعذر صادق ثم قال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ومعناه معلوم
قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى اختلفوا في الضعفاء قال بعضهم هم المجانين والضعف نقصان عقولهم وقال بعضهم هم الصبيان وقال بعضهم هم النسوان وأما المرضى فمعلوم وقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الذين لا يجدون هم الفقراء والحرج الضيق وقوله إذا نصحوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:337
تفسير السمعاني ج 2/ص 338
لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم 91 ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون 92 إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون 93 لله ورسوله يعني أخلصوا العمل لله ولرسوله وإخلاص العمل لله بالعبادة وللرسول بالمتابعة قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل معناه ليس على من أحسن بالإخلاص سبيل والسبيل هو العقوبة والله غفور رحيم وروي عن ابن عباس أنه قرأ والله لأهل الإساءة غفور رحيم
قوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم معناه لا سبيل علىالأولين ولا على هؤلاء قال محمد بن إسحاق نزلت الآية في سبعة نفر منهم عبد الله بن المغفل المزني والعرباض بن سارية وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب سموا البكائين وروي عن الحسن البصري أنه قال هذا في أبي موسى الأشعري وأصحابه

واختلف القول في قوله لتحملهم أحد القولين - وهو المعروف - أنهم طلبوا الإبل ليركبوها والقول الثاني أنهم طلبوا النعال هذا قول الحسن بن صالح وقوله قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون معناه ظاهر وفي بعض الأخبار أن النبي قال لا يزال أحدكم راكبا مادام متنعلا
ثم قال إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف الخوالف النساء والصبيان يقال خالف وخوالف كما يقال فارس وفوارس وهالك وهوالك طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:338
تفسير السمعاني ج 2/ص 339
يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون 94 سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون 95 يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
قوله تعالى يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم روي أن المنافقين الذين تخلفوا كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله من غزوة تبوك جاءوا يعتذرون فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من

أخباركم يعني فيما سلف وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستأنف ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

ثم قال في شأنهم سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم الانقلاب هو الرجوع إلى المكان الذي خرجوا منه فأعرضوا عنهم إنهم رجس الرجس هو النتن والقذر ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون فإن قيل كيف قال في الآية سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم إذا كان المؤمنون مقبلين عليهم حتى يقول لتعرضوا عنهم
والجواب عنه ذكر الأزهري في كتابه التقريب معنى الآية سيحلفون بالله لكم لإعراضكم عنهم لتقبلوا عليهم فأعرضوا عنهم
ثم قال يحلفون لكم لترضوا عنهم الرضا ضد الكراهة فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
وفي القصة أن أبا خيثمة رجل من أصحاب رسول الله كان قد تخلف وكانت له امرأتان فذهب إليهما وقد هيأت كل واحدة منهما طعاما وبردت شرابا وبسطت له في الظل فنظر إلى ذلك وقال رسول الله في الضح والذبح وأبو خيثمة في الظل ما هذا بنصف ثم ركب ناقته واتبع رسول الله فأدرك النبي وقد نزل

تفسير السمعاني ج:2 ص:339
تفسير السمعاني ج 2/ص 340
96 الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم 97 ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم بتبوك فقال الناس يا رسول الله هذا راكب قد أقبل فقال رسول الله كن أبا خيثمة فقال الناس هو أبو خيثمة

قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله معنى أجدر أخلق وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وهذا لبعدهم من سماع القرآن ومعرفة السنن وفي بعض الأخبار أهل الكفور هم أهل القبور وفي آثار التابعين عن إبراهيم النخعي أن أعرابيا جلس عند زيد بن صوحان - وكانت شماله أصيبت يوم نهاوند في حرب العجم - فجعل يكلمه ويذكر له العلم فقال له الأعرابي إنه ليؤنسني علمك وتريبني يدك فقال له زيد وما يريبك مني وإنها الشمال فقال الأعرابي إني ما أدري الشمال تقطع أم اليمين فقال زيد بن صوحان صدق الله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا
وزيد بن صوحان من كبار التابعين وهو الذي ذكر رسول الله في شأنه أن يده تسبقه إلى الجنة والله سميع عليم
قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما المغرم التزام ما لا يلزم قال

الشاعر
فمالك مسلوب العدا كأنما تربهجر ليلى مغرما أنت غارمه
قوله ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم الدوائر والدوائر جمع الدائرة

تفسير السمعاني ج:2 ص:340
تفسير السمعاني ج 2/ص 341
الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم 98 ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم 99 والسابقون الأولون من
والدائرة انتقال المحبوب إلى المكروه وقيل الدوائر صروف الدهر
ثم قال عليهم دائرة السوء وقرىء دائرة السوء ومعناه أن المكروه العظيم ما يلحقهم وقوله والله سميع عليم

قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر معناه معلوم ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول القربات جمع القربة والصلوات جمع الصلاة ومعنى القربات أنه يطلب القربة إلى الله تعالى ومعنى الصلوات أنه يطلب الدعاء من رسول الله
واعلم أن الصلاة من الله الرحمة ومن المؤمنين الدعاء ومن الملائكة الاستغفار قال الأعشى
تقول بنتي وقد قربت مرتحلايا رب جنب أبى الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي
عينا فإن لجنب المرء مضطجعا
ثم قال ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته أي في جنته إن الله غفور رحيم معلوم
قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هذه الآية في السابقين الأولين وفيهم أقوال
أحدها قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وجماعة أنهم قالوا هم الذين صلوا إلى القبلتين

تفسير السمعاني ج:2 ص:341
تفسير السمعاني ج 2/ص 342
المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد وقال عطاء هم أهل بدر
وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وبيعة الرضوان كانت بالحديبية
والقول الرابع السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين أسلموا قبل الهجرة والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين بايعوا مع رسول الله ليلة العقبة
وروي عن عمر - رضي الله عنه - أنه قرأ والأنصار بالرفع وفي هذه القراءة السابقون الأولون من المهاجرين خاصة والمعروف والأنصار ومعناه ومن

الأنصار والمهاجرين هم الذين هاجروا من أوطانهم وقدموا المدينة مع رسول الله والأنصار هم أهل المدينة الذين أنزلوا رسول الله والمهاجرين في دورهم
وأما قوله والذين اتبعوهم بإحسان فيه قولان أحدهما أنهم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين منهم
والقول الثاني أنهم المؤمنون إلى قيام الساعة

وعن أبي صخر حميد بن زياد قال أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له ما قولك في أصحاب رسول الله فقال جميع أصحاب رسول الله في الجنة مسيئهم ومحسنهم فقلت له من أين تقول هذا فقال اقرأ قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار إلى أن قال رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات ثم قال شرط للتابعين شريطة وهو قوله اتبعوهم بإحسان ومعناه أنهم اتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة قال أبو صخر وكأني لم أقرأ هذه الآية قط
وفي الخبر المعروف برواية أبي سعيد الخدري أن النبي قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا لم يدرك مد أحدهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:342
تفسير السمعاني ج 2/ص 343
لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم 100 وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم 101 وآخرون اعترفوا ولا نصيفه
قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه أي رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بثوابه وباقي الآية معلوم وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك هو الفوز العظيم
قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون قال أهل التفسير هم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم ومن أهل المدينة قوم من الأوس والخزرج مردوا على النفاق قال الفراء مرنوا على النفاق وقال ثعلب استنمروا على النفاق وفي الآية تقديم وتأخير كأنه قال وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة هكذا قاله أهل المعاني لا تعلمهم نحن نعلمهم هذا دليل على أن الرسول لم يعلم جميع المنافقين
وقوله تعالى سنعذبهم مرتين فيه أقوال
أحدها أنها الفضيحة في الدنيا والعذاب في الآخرة

وفي الخبر أن النبي قام خطيبا على المنبر وقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق هكذا حتى أخرجهم جميعا من المسجد

تفسير السمعاني ج:2 ص:343
تفسير السمعاني ج 2/ص 344
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور
والقول الثاني قو مجاهد وهو الخوف في الدنيا والعذاب في الآخرة
والقول الثالث أن العذاب الأول هو القتل والعذاب الثاني هو عذاب القبر
والرابع قال ابن قتيبة العذاب الأول هو السبي والعذاب الثاني هو القتل
ثم يردون إلى عذاب عظيم يعني إلى جهنم
قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية نزلت في قوم من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله بغير عذر فيهم أو لبابة بن عبد المنذر وغيره فلما قفل رسول الله من الغزو وقرب من المدينة جاءوا فربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يتوب الله علينا فدخل رسول الله المسجد وكان من عادته أنه كان إذا خرج إلى سفر صلى ركعتين في المسجد ثم يخرج وإذا رجع بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يدخل منزله فلما دخل المسجد ورأى هؤلاء النفر قد ربطوا أنفسهم بالسوارى سأل وقال ما شأنهم فقيل إنهم حلفوا ألا يحلوا أنفسهم حتى يتوب الله عليهم فقال رسول الله وإني أحلف أن لا أحلهم حتى يقضي الله فيهم بأمره فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا العمل السيء هو التخلف عن الغزو بلا إشكال وأما العمل الصالح ففيه معنيان
أحدهما ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسوارى
والثاني العمل الصالح هو غزواتهم مع رسول الله من قبل
وفي الأخبار عن سمرة بن جندب أن النبي قال أتاني الليلة آتيان فانطلقا بي إلى مدينة مبنية لبنة من الذهب ولبنة من الفضة فتلقاني رجال شطر خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر خلقهم كأقبح ما أنت راء فقيل لهم قعوا في ذلك

تفسير السمعاني ج:2 ص:344
تفسير السمعاني ج 2/ص 345
رحيم 102 خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم 103 النهر فوقعوا في النهر فخرجوا وقد ذهب عنهم السوء فسألت عن أولئك القوم فقيل لي أما المدينة فهي الجنة وهذاك منزلك وهؤلاء القوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم
وأما قوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم قال الحسن البصري وغيره عسى من الله واجب فلما نزلت هذه الآية أمر رسول الله أن يحل أولئك القوم من السوارى
وروي عن أبي عثمان النهدي أنه قال أرجي آية في القرآن هذه الآية

إن الله غفور رحيم
قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال أهل التفسير لما تاب الله على أولئك القوم جاءوا بأموالهم إلى النبي وقالوا خذها صدقة لله فأبى أن يأخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية خذ من أموالهم وقوله تطهرهم أي من الذنوب وقوله وتزكيهم بها أي وترفعهم بها من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين وصل عليهم وادع لهم إن صلاتك سكن لهم أي دعاؤك سكن لهم أي سكون لهم أي دعاؤك سكن لهم وطمأنينة وتثبيت
وقد قال بعض أهل العلم إنه يجب على الإمام أن يدعو للذي جاء بالصدقة وقال بعضهم يستحب ولا يجب وقال بعضهم يجب في الفرض ويستحب في النفل وقال بعضهم يجب على الإمام أن يدعو للمعطي ويستحب للفقير أن يدعو ومنهم من قال إن التمس المعطي أن يدعو له يجب وإلا فلا يجب

تفسير السمعاني ج:2 ص:345
تفسير السمعاني ج 2/ص 346
ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم 104

وقد ثبت الخبر برواية عبد الله بن أبي أوفى قال كان الرجل إذا جاء بصدقته إلى النبي دعا له فجاء أبي بصدقته فقال النبي أللهم صل على آل أبي أوفى والله سميع عليم معناه معلوم
قوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده هذا ظاهر وقوله ويأخذ الصدقات معناه يقبل الصدقات وقال بعض أهل المعاني قوله ألم يعلموا هو بمعنى الأمر كأنه قال اعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده
وفي الخبر المشهور المعروف عن أبي هريرة عن النبي قال والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى إن اللقمة تجيء يوم القيامة مثل أحد ثم قرأ قوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات والخبر صحيح
وروي عن ابن مسعود أنه قال إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير وروي في بعض الروايات مرفوعا إلى النبي
قوله وأن الله هو التواب الرحيم معلوم المعنى
قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون في الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:346
تفسير السمعاني ج 2/ص 347
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون 105 وآخرون مرجون لأمر الله إما

يعذبهم معنى التهديد فإن قال قائل ما معنى رؤية الرسول والمؤمنين
قلنا رؤية الرسول هي بإعلام الله إياه عملهم ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح وإيقاع البغضة في قلوبهم لأهل الفساد
وفي بعض الأخبار لو عمل المؤمن في صخرة ليس لها باب لأظهره الله إذا عمله
قوله تعالى وستردون إلى عالم الغيب والشهادة الآية معناه معلوم

قوله تعالى وآخرون مرجون لأمر الله الإرجاء التأخير ومعناه مؤخرون لأمر الله وأمر الله تعالى هنا حكم الله
والآية نزلت في كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وهؤلاء الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد
وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم معناه معلوم
قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت الآية في قوم من المنافقين منهم وديعة بن ثابت وثعلبة بن حاطب وجارية بن يزيد وابنه

تفسير السمعاني ج:2 ص:347
تفسير السمعاني ج 2/ص 348
وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم 106 والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون 107 لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على مجمع بن جارية وحزام بن مالك وأبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيث ورجل يقال له يخرج إلى تمام اثنى عشر نفرا بنوا هذا المسجد بقصد ما ذكره الله في كتابه وهو قوله ضرارا يعني مضارة بالرسول وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله والإرصاد الإعداد والذي حارب الله ورسوله هاهنا هو أبو عامر الراهب وكان ممن يطلب الدين في الابتداء ثم تنصر وتحزب الأحزاب على رسول الله ثم لحق بقيصر يستنجده على رسول الله وأصحابه فهؤلاء بنوا هذا المسجد وقالوا نبني هذا المسجد فنخلوا بأمرنا ونتحدث بما نريد وننتظر رجوع أبي عامر الراهب وكان هذا المسجد بني قريبا من مسجد قباء وقوله من قبل راجع إلى أبي عامر وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى معناه إلا الرفق بالمسلمين والله يشهد إنهم لكاذبون معناه معلوم

ثم قال لا تقم فيه ابدا روي أنهم طلبوا من النبي أن يأتي فيصلي فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية لا تقم فيه أبدا معناه لا تصل فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى اختلفوا في هذا المسجد قال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد النبي بالمدينة وروى أبو سعيد الخدري أن رجلين تماريا في المسجد

الذي أسس على التقوى فسألا رسول الله فقال - عليه السلام - هو مسجدي هذا وأورده أبو عيسى الترمذي في جامعه

تفسير السمعاني ج:2 ص:348
تفسير السمعاني ج 2/ص 349
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين 108 أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس
والقول الثاني أنه مسجد قباء هذا قول سعيد بن جبير وقتادة وجماعة من التابعين
والقول الثالث أنه جميع مساجد المدينة والأولى هو القول الأول
وقوله أسس على التقوى أي ليتقى فيه من الشرك وقوله من أول يوم معناه من ابتداء أيام الإسلام أحق أن تقوم فيه أي أولى أن تقوم فيه أي تصلي فيه قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين معناه معلوم وقد روي أن النبي قال لأهل قباء إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم فماذا تعملون فقالوا نتوضأ من الحدث ونغتسل من الجنابة فقال - عليه السلام - فهل شيء غير هذا فقالوا إن أحدنا إذا استنجى أحب أن يتبع أثر الاستنجاء بالماء فقال عليه السلام هو ذاك فعليكم به
ثم قال أفمن أسس وقرىء أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أي على طلب التقوى وطلب الرضا من الله خير أم من أسس بنيانه على

تفسير السمعاني ج:2 ص:349
تفسير السمعاني ج 2/ص 350

بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين 109 لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم شفا جرف الشفا هو الحرف والحد والجرف هو ما تجرف من السيل أي تقطع من السيل فصار لرخاوته لا يثبت عليه بناء قوله هار معناه هائر والهائر الساقط فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين معناه معلوم
واعلم أن المراد من الآية هو التمثيل والتشبيه في قلة الثبات والقرار وسوء العاقبة واختلفوا في الذي كانت عاقبة مسجد الضرار فالأكثرون على أن النبي دعا مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي وأمرهما أن يهدما ذلك المسجد ويحرقاه ففعلا ذلك
والقول الآخر أن ذلك المسجد انهار بنفسه من غير أن يمسه أحد وفي بعض التفاسير أنه خسف به وروي أنه لما خسف به سطع منه دخان في السماء والله أعلم
قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم يعني شكا واضطرابا في

قلوبهم وقال السدى حرازة في قلوبهم وقوله إلا أن تقطع قلوبهم فيه قولان
أحدهما حتى يموتوا وقرىء في الشاذ إلى أن تقطع قلوبهم
والقول الثاني حتى يتوبوا فجعل الندامة في القلب بمنزلة تقطع في القلب
والله عليم حكيم عليم بخلقه حكيم في تدبيره
قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
معنىالآية أن الله تعالى أمر المسلمين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله وجعل لهم الجنة ثوابا عليه فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع
قوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا معناه أن ثواب
الجنة وعد حق ثم قال في التوراة والإنجيل والقرآن وهذا دليل على أن أهل

تفسير السمعاني ج:2 ص:350
تفسير السمعاني ج 2/ص 351

حكيم 110 إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل
والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو
الفوز العظيم الملل كلهم أمروا بالجهاد وجعل ثوابهم الجنة وقد بينا معنى
التوراة والإنجيل والقرآن
وقوله ومن أوفى بعهده من الله معناه معلوم فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به معناه فافرحوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
روي في الأخبار أن هذه الآية لما نزلت قال أصحاب رسول الله ربح البيع لا
نقيل ولا نستقيل وعن عمر - رضي الله عنه - قال إن الله بايعك وجعل
الصفقتين لك وعن بعض التابعين أنه قال ثامن فأغلى في الثمن وبايع فأغلى
في العوض وعن الحسن البصري أنه قال إن الله تعالى أعطاك الدنيا فاشتر
الجنة ببعضها من الله
قوله تعالى التائبون العابدون الآية التائبون هم الذين تابوا من الشرك وقيل هم
الذين تابوا من جميع المعاصي والعابدون هم الذين عبدوا الله بالتوحيد وقيل
بسائر الطاعات و الحامدون فيه قولان
أحدهما أنهم هم الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء
والقول الثاني أنهم الذين يحمدون الله على الإسلام
وقوله السائحون فيه أقوال
أحدهما أنهم الصائمون هكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس وفي بعض
الأخبار أن النبي قال سياحة أمتي الصيام وقال سفيان بن عيينة سمى الصائم
سائحا لأنه ترك المطعم والمشرب والمنكح
والقول الثاني أن السائحين هم المجاهدون في سبيل الله وفي بعض الأخبار
أن

---

111 التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين 112 ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانون أولي قربى من بعد ما النبي قال سياحة أمتي الجهاد
والقول الثالث أن السائحين هم طلبة العلم روي عن بعض التابعين
وقوله الراكعون الساجدون يعني المصلين وقوله الآمرون بالمعروف أي الآمرون بالإيمان والناهون عن المنكر يعني عن الشرك وقوله والحافظون لحدود الله معناه القائمون بأوامر الله وبشر المؤمنين معناه معلوم
قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال
الأول ما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال له النبي أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فما زالا يكلمانه حتى كان آخر كلمة قالها على ملة عبد المطلب فقال النبي لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فأنزل الله تعالى هذه الآية ما كان للنبي إلى آخر الآية
والثاني روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أن النبي خرج إلى المقابر فاتبعناه فأتى قبرا وقعد عنده وناجاه طويلا ثم بكى وبكينا لبكائه فقلنا له يا رسول الله من صاحب هذا القبر فقال هذه أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي

تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم 113 وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه في زيارتها فأذن لي ثم استأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي قال فأخذني عليها الشفقة ما يأخذ الولد للوالدة فبكيت وأنزل الله تعالى هذه الآية ما كان للنبي إلى آخر الآية
والقول الثالث روي عن علي - رضي الله عنه - أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقال له علي أتستغفر للمشركين فقال ذلك الرجل قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فأتى النبي وأخبره بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية

إلى آخرها
قوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وفي هذه الآية قولان
أحدهما أن إبراهيم - عليه السلام - قال لأبيه لأستغفرن لك قال هذا رجاء أن ينقله الله تعالى من الكفر إلى الإسلام ببركة دعائه واستغفاره
والقول الثاني أن أبا إبراهيم وعد إبراهيم وقال لأسلمن فاستغفر لي فاستغفر له إبراهيم لهذا المعنى
فلما تبين له أنه عدو لله بموته على الكفر تبرأ منه فإن قال قائل كيف يجوز أن يستغفر إبراهيم للمشرك

تفسير السمعاني ج:2 ص:353
تفسير السمعاني ج 2/ص 354
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم 114
الجواب عنه قال بعض أهل المعاني يحتمل أن أبا إبراهيم كان أظهر الإسلام وهو يبطن الكفر فاستغفر له إبراهيم لإظهاره الإسلام فلما تبين له أنه عدو لله مصر على الكفر في الباطن تبرأ منه هكذا قاله بعض أهل المعاني
والذي عليه عامة المفسرين ما بينا من قبل

وقد قرأ الحسن البصري إلا عن موعدة وعدها إياه وهذا صريح في أن الوعد كان من إبراهيم والدليل على أن إبراهيم استغفر له وهو مشرك أن الله تعالى قال في سورة الممتحنة قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إلى أن قال إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فقد صرح أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم
وقوله إن إبراهيم لأواه حليم اختلفوا في الأواه على أقاويل
روي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أن الأواه هو الدعاء وعن ابن مسعود في رواية أخرى أنه الرحيم وعن ابن عباس في رواية أخرى أنه المؤمن التواب وعن مجاهد أنه الفقيه وعن كعب الأحبار أنه الذي يتأوه من الذنوب فيقول أوه أوه وروى أبو ذر أن رجلا كان يطوف ويقول أوه أوه فقلت للنبي إن هذا الرجل ليؤذينا فقال لا تقل هذا فإنه أواه قال الشاعر
إذا ما قمت أرحلها بليلتأوه آهة الرجل الحزين
وعن سعيد بن جبير قال الأواه المسبح وقيل إنه الموقف وقيل إنه الموقن
وأما الحليم فهو الصفوح عن الذنوب
قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم معناه ما كان الله ليحكم بالضلالة بترك الأوامر حتى يبين لهم ما يتقون فيتركوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:354
تفسير السمعاني ج 2/ص 355

وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم 115 إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير 116 لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين
وعن أبي عمرو بن العلاء قال معناه حتى يحتج عليهم بالأمر

سبب نزول الآية أن قوما كانوا أتوا النبي فأسلموا ولم تكن الخمر حرمت ولا القبلة صرفت فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر و صرفت القبلة ولم يكن لهم علم بذلك فلما قدموا بعد ذلك للمدينة وجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت فقالوا للنبي قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فأنزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون
وفي الآية قول آخر وهو أن الآية في الاستغفار للمشركين فإن جماعة من الصحابة كانوا استغفروا لآبائهم ولم يعلموا أن ذلك لا يجوز فلما أنزل النهي عنه خافوا على أنفسهم خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية
قوله تعالى إن الله بكل شيء عليم وكذا الآية التي تليها معلوم المعنى إلى آخرها
قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار معنى قوله لقد تاب الله لقد تجاوز الله وقيل لقد صفح الله وقوله الذين اتبعوه في ساعة العسرة معناه في وقت العسرة وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وكذلك ذلك الجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء فروي أن الاثنين والثلاثة فما زاد كانوا يعتقبون البعير الواحد وروي أنهم كانوا فني زادهم حتى كان الرجلان يقتسمان التمرة بينهما هكذا حكي عن

تفسير السمعاني ج:2 ص:355
تفسير السمعاني ج 2/ص 356
اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم 117 وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض ابن عباس وروي أنهم عطشوا عطشا شديدا حتى نحروا الإبل وعصروا كرشها وشربوا ما فيها ثم إن النبي استسقى الله تعالى فسقوا هكذا رواه عمر - رضي الله عنه - فهذا هو معنى العسرة

وقوله من بعد ما كاد يزيغ قرئ تزيغ ويزيغ فقوله تزيغ منصرف إلى القلوب وقوله يزيغ منصرف إلى الفعل كأنه قال يزيغ الفعل قلوب فريق منهم

وأما الزيغ في اللغة هو الميل وليس المراد من الميل هنا هو الميل عن الدين إنما المراد من الميل هو الميل عن متابعة رسول الله ونصرته في الغزو واختيار التخلف من شدة العسرة
ثم تاب عليهم فإن قال قائل ما هذا التكرار فقد قال في أول الآية لقد تاب الله على النبي
الجواب عنه أنه ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب - وهو محض تفضل من الله فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة والمراد منه القبول
إنه بهم رءوف رحيم معلوم المعنى
قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قرأ عكرمة بن عمار وعلى الثلاثة الذين خلفوا مخفف وفي بعض القراءات وعلى الثلاثة الذين خالفوا
واعلم أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أنزل الله في شأنهم قوله تعالى وآخرون مرجون لأمر الله وأما أسماؤهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن

تفسير السمعاني ج:2 ص:356
تفسير السمعاني ج 2/ص 357
بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الربيع وكانوا مؤمنين مخلصين تخلفوا بغير عذر فلما قدم النبي المدينة قافلا من غزوة تبوك حضروا وأقروا عنده بالذنب وأنه لم يكن لهم عذر فأخر أمرهم ولم يستغفر لهم ونهى المسلمين عن مخالطتهم ومكالمتهم

وفي الآية قصة طويلة مذكورة في الصحيحين فروي أنهم مكثوا على ذلك أربعين ليلة ثم إن رسول الله أمرهم أن يعتزلوا نساءهم إلى تتمة خمسين ليلة وكانوا يسلمون على أصحاب رسول الله فلا يردون عليهم السلام قال كعب بن مالك فكنت أدخل المسجد وأصلي وأنظر هل ينظر إلي رسول الله فكنت إذا نظرت إليه صرف عني بصره قال فاقتحمت يوما على أبي قتادة حائطه - وكان ابن عمي - فسلمت عليه فلم يرد علي الجواب فقلت له يا ابن عمي أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت عني فرددت الكلام ثلاثا فقال في الثالثة الله ورسوله أعلم قال فبكيت بكاء شديدا وخرجت قال فلما كان تتمة خمسين ليلة من يوم نهى رسول الله عن كلامنا كنت على ظهر بيتي وقد صليت الصبح وأنا كما ذكر الله تعالى حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها وسعتها وضاقت عليهم أنفسهم أي من جفوة القوم وغلظة رسول الله عليهم إذ سمعت مناديا ينادي على ذروة سلع - والسلع الجبل - أبشر يا كعب بن مالك قال فخررت لله ساجدا وجاء البشير فأعطيته ثوبي ولبست ثوبين غيرهما وأتيت رسول الله وجلست بين يديه ووجهه يستنير كاستنارة القمر فقال أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ أسلمت فقلت يا رسول الله أمن عندك أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وقرأ على الآية فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أخلع من جميع مالي صدقة لله ولرسوله فقال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك القصة إلى آخرها

تفسير السمعاني ج:2 ص:357
تفسير السمعاني ج 2/ص 358
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم 118 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين 119 ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم

وقوله تعالى وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه معناه وظنوا تيقنوا أن لا مفزع ولا منجا من الله إلا إليه وقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا يعني ليستقيموا على التوبة ويثبتوا عليها فإن توبتهم قد سبقت إن الله هو التواب الرحيم معلوم المعنى
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال الضحاك مع محمد وأصحابه
وروي عن بعضهم أنه قال مع الصادقين أي مع أبي بكر وعمر وعن بعضهم مع الخلفاء الأربعة وقال بعضهم إن الصادقين هاهنا الثلاثة الذين سبق ذكرهم فإنهم صدقوا النبي بالاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة مثل المنافقين فروي عن كعب بن مالك قال ما أبلاني الله ببلاء أعظم عندي من صدقي رسول الله فإنه من شكري عليها أن لا أكذب أبدا وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا يصلح الكذب في جد ولا هزل وقرأ هذه الآية ويقال إن في قراءته وكونوا من الصادقين
قوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الآية معناها هو النهي عن التخلف وقوله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه معناه ما كان لهم أن يختاروا الخفض والدعة ويتركوا رسول الله في شدة السفر ومقساة التعب ثم قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ الظمأ العطش ولا نصب النصب التعب ولا مخمصة وهي المجاعة في سبيل الله في الجهاد وقوله ولا يطئون موطئا يعني لا يضعن قدما يغيظ الكفار أي يغضبهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني لا يصيبون منهم شيئا في نفس أو مال إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين معلوم المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:358
تفسير السمعاني ج 2/ص 359

عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين 120 ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون 121 وما كان المؤمنون
ثم قال ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني قليلا ولا كثيرا قيل في التفسير حتى التمرة ولا يقطعون واديا أي لا يعبرون واديا مقبلين ومدبرين إلا كتب لهم أي أثيبوا على ذلك ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون معناه معلوم
قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وفيها قولان
أحدهما أن النبي كان يبعث بالسرايا بعد غزوة تبوك فكان الناس يخرجون جميعهم لعظم ما أصابهم من التعيير والملامة في التخلف فأنزل الله تعالى هذه الآية قال قتادة هذا في السرايا فأما إذا خرج الرسول بنفسه فعليهم أن يخرجوا جميعا معه
و القول الثاني أن النبي كما دعا على مضر وقال اللهم اجعل سنيهم كسني يوسف قال فأصابهم قحط شديد وجدب فجعلت القبيلة تقبل إلى المدينة بأجمعهم ويقولون أسلمنا فكانوا يضيقون على أهل المدينة منازلهم ويلوثون الطرقات فأنزل الله تعالى هذه الآية فردهم رسول الله إلى قبائلهم وقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة معناه هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة فعلى الأول معنى الآية هو النهي عن ترك رسول الله وحده وقوله ليتفقهوا في الدين يعني ليحضروا نزول القرآن وبيان السنن ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم معناه ليعلموا السرية إذا رجعوا إليهم ما نزل من القرآن والسنن
وعلى القول الثاني معنى الآية ما كان لأهل القبائل أن ينفروا جميعا إلى المدينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:359
تفسير السمعاني ج 2/ص 360

لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون 122 ويتركوا مواضعهم ولكن لينفر من كل فرقة طائفة أي من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم وليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
وأما الطائفة فهو اسم لثلاثة فما زاد وقد ورد في القرآن ذكر الطائفة والمراد منه الواحد وقد ذكرناه في قوله تعالى إن نعف عن طائفة منهم من قبل
واستدل أهل الأصول بهذه علىوجوب قبول خبر الواحد والمسألة في الأصول كبيرة
وأما الفقه فهو في اللغة عبارة عن الفهم وفي الشرع عبارة عن علم مخصوص وهو علم الأحكام
وقد ثبت عن النبي أنه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين

وروي عن النبي أنه قال الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وفي بعض الأخبار أفضل العبادة الفقه ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وعن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال طلب

تفسير السمعاني ج:2 ص:360
تفسير السمعاني ج 2/ص 361
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين 123 وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون 124 وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون 125 أولا يرون أنهم يفتنون في العلم أفضل من صلاة النافلة
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يعني يقربون منكم وعن عمر هم الديلم وعن غيره هم الروم وليجدوا فيكم غلظة قال ابن عباس شجاعة وقال الحسن صبرا على الحرب واعلموا أن الله مع المتقين ظاهر

قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا هذا في المنافقين الذين كانوا يقولون هذا القول استهزاء فقال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وهم يفرحون
ثم قال وأما الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أي كفر إلى كفرهم فإن قال قائل كيف يزيد إنزال السورة لهم كفرا
الجواب أنهم كانوا يكفرون بكل سورة أنزلها الله تعالى فلما كفروا عند إنزال السورة نسب كفرهم إليها وهذا كما تقول العرب كفى بالسلامة داء لأن الداء يكون عند طول السلامة قال الشاعر
أرى بصري قد رابني بعد صحةوحسبك داء أن تصح وتسلما
وقوله تعالى أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين معناه يبتلون في كل عام بالأمراض والشدائد وقيل بالجهاد مع الأعداء ثم لا يتوبون لا يرجعون إلى الله ولا هم يذكرون ولا هم يتعظون
قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض الآية كان المنافقون إذا نزلت السورة أو شيء من القرآن يومئ بعضهم إلى بعض ويخافون مع ذلك أن

تفسير السمعاني ج:2 ص:361
تفسير السمعاني ج 2/ص 362
كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون 126 وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم

قوم لا يفقهون 127 لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص يراهم المؤمنون فهذا معنى قوله هل يراكم من أحد ثم قال ثم انصرفوا فيه معنيان أحدهما انصرفوا عن مواضعهم والآخر انصرفوا عن الإيمان أي لم يؤمنوا ولم يقبلوا
وقوله صرف الله قلوبهم قال أبو إسحاق الزجاج أضلهم الله مجازاة على كفرهم بأنهم قوم يفقهون معلوم المعنى

قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قرىء في الشاذ من أنفسكم ويقال إن هذه القراءة قراءة فاطمه - رضي الله عنها - قال يعقوب الحضرمي طلبت هذا الحرف خمسين سنة فلم أجد له راويا ومعنى هذا أشرفكم وأفضلكم والقراءة المعروفة من أنفسكم قال قتاده ومعناه إن نسبه معروف بينكم والقول الثاني حكى عن جعفر بن محمد - رضي الله عنه - أنه قال من أنفسكم معناه أنه لم يولد إلا من نكاح صحيح إلى زمان آدم
والقول الثالث حكى عن ابن عباس أنه قال معناه أنه ليس بطن من بطون العرب إلا وقد ولدت النبي
والقول الرابع أن معنى هذا هو معنى قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم وإذا كان الرسول بشرا مثل القوم فيكون أقرب للألفة وأدنى لفهم الحجه
وقوله عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه عنتكم والعنت هو المكروه ولقاء الشده كانه قال شديد عليه ما يضركم ويهلككم وهو الكفر الذي أنتم عليه
وقوله تعالى حريص عليكم الحرص شدة طلب الشىء ومعناه حريص

تفسير السمعاني ج:2 ص:362
تفسير السمعاني ج 2/ص 363
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم 128 فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم 129 على إيمانكم بالمؤمنين رءوف رحيم عطوف رفيق
وقد أعطاه الله تعالى في هذه الآيه اسمين من أسمائه وهو في نهاية الكرامه

قوله تعالى فإن تولوا معناه فإن أعرضوا عن الإيمان أو عنك فقل حسبي الله كافي الله أي يكفيني الله لا إله إلا هو عليه توكلت عليه اعتمدت وبه وثقت وهو رب العرش العظيم قرأ ابن محيصن رب العرش العظيم بالرفع فرجع إلى الله تعالى والقراءة المعروفة بالكسر وهو يرجع إلى العرش وعن بعض التابعين لا يعرف أحد قدر العرش سوى الله تعالى وفى بعض الأخبار عن النبي أنه قال العرش من ياقوتة حمراء وعن وهب بن منبه أن الله تعالى خلق العرش من نوره وعن كعب الأخبار أن السموات في العرش كقنديل معلق من السماء

وعن مجاهد أن السموات في العرش كحلقة وحكى عن أبي بن كعب أنه قال في هاتين الآيتين هما أحدث الآيات بالله عهدا فعلى قوله هاتان الآيتان آخر ما أنزل من القرآن وهو رواية أيضا عن ابن عباس وقد ذكرنا غير هذا برواية البراء بن عازب والله أعلم بالصواب

تفسير السمعاني ج:2 ص:363
تفسير السمعاني ج 2/ص 364
بسم الله الرحمن الرحيم آلر تلك آيات الكتاب الحكيم 1 أكان للناس عجبا
تفسير سورة يونس
وهي مكية إلا ثلاث آيات وهو قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك إلى آخر الآيات الثلاث
وحكى عن محمد بن سيرين أنه قال هذه السورة كانت بعد السورة السابقة
قوله تعالى آلر روى أبو الضحى عن ابن عباس قال آلر أنا الله أرى وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ونون هو تمام اسم الرحمن
وفي الحروف المهجيات أقوال ذكرناها في أول سورة البقرة
وقوله تلك آيات الكتاب قال أبو عبيدة معناه هذه آيات الكتاب قال الشاعر
تلك خيلي منه وتلك ركابيهن صفر أولادها كالزبيب

وقال الزجاج معنى الآية وهو أن الآيات التي أنزلتها عليك من قبل تلك آيات الكتاب الحكيم والكتاب هو القرآن والحكيم هو المحكم على قول أكثر المفسرين فعيل بمعنى مفعل مثل قوله هذا ما لدى عتيد أي معتد وقال بعضهم الحكيم على وضعه وسمى القرآن حكيما لأنه كالناطق بالحكمة
قوله تعالى أكان للناس عجبا العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة
وسبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما بعث محمدا قال المشركون أما وجد

تفسير السمعاني ج:2 ص:364
تفسير السمعاني ج 2/ص 365
أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين 2 الله نبيا سوى يتيم أبى طالب فأنزل الله تعالى هذه الآية وهى قوله أكان للناس عجبا ومعناه أعجب الناس يعنى المشركين أن أوحينا إلى رجل منهم والرجل ها هنا النبي وقوله منهم قالوا معناه إنه رجل يعرفونه باسمه ونسبه لا يكتب ولا يشعر ولا يتكهن ولايكذب
وقوله أن أنذر الناس الإنذار هو الإعلام مع التخويف وقوله وبشر الذين آمنوا قد بينا معنى البشارة وقوله أن لهم قدم صدق عند ربهم فيه أربعة أقوال

القول الأول-وهذا قول الأكثرين-أن القدم الصدق هو الأعمال الصالحة يقال لفلان قدم في الشجاعة وقدم فى العلم ويقال فلان وضع قدمه فى كذا إذا شرع فيه بعمله
والقول الثاني أن القدم الصدق هو الثواب
والقول الثالث حكى عن ابن عباس أنه قال القدم الصدق هو السعادة في الذكر الأول
والقول الرابع أن المراد منه هو الرسول وقدم صدق شفيع صدق قاله مقاتل بن حيان
قوله تعالى قال الكافرون إن هذا لساحر مبين وقرىء بقراءتين لساحر مبين و إن هذا لسحر مبين فالساحر ينصرف إلى الرسول والسحر ينصرف إلى القرآن

تفسير السمعاني ج:2 ص:365
تفسير السمعاني ج 2/ص 366
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون 3 إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا
قوله تعالى إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام في الأيام قولان
أحدهما أنها كأيام الآخرة كل يوم ألف سنة والآخر أنها كأيام الدنيا
قوله ثم استوى على العرش قد بيينا مذهب أهل السنة في الاستواء وهو أنه نؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى من غير تأويل ولا تفسير
وأما المعتزلة فإنهم أولوا الاستواء بالاستيلاء وهو باطل عند أهل العربية
حكى عن أحمد بن أبي داود-وكان من رؤساء المعتزلة-أنه قال لابن الأعرابي أتعرف العرب الاستواء بمعنى الإستيلاء فقال لا ويحكى أن هذه المسألة جرت في مجلس المأمون فقال بشر المريسي الاستواء بمعنى الاستيلاء فقال له أبو السمراء - وهو رجل من أهل اللغة - اخطأت يا شيخ فإن العرب لا تعرف الاستيلاء إلا بعد عجز سابق
قوله تعالى يدبر الأمر قال مجاهد يقضي الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كان يقول إذا كان يوم القيامة يشفعني اللات والعزى قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعنى ذلك الذي فعله هذا ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون أفلا تتعظون

قوله تعالى إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا نصب وعد الله حقا يعنى وعد الله وعدا حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده معناه معلوم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط قال ابن عباس بالعدل والذين كفروا لهم شراب من حميم الحميم هو الماء الذي انتهى حره وفي القصص أن النار أوقدت عليه منذ يوم خلقها إلى أن يدخل الكفار في 1 النار قوله وعذاب أليم بما كانوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:366
تفسير السمعاني ج 2/ص 367
الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون 4 هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون 5 إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون 6 إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أي عذاب موجع بكفرهم
قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية الشمس والقمر جسمان نيران أحدهما أضوأ من الآخر وقوله جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء والقمر نورا أي ذا نور وقوله وقدره منازل منهم من قال هذا ينصرف إلى القمر خاصة ومنهم من قال ينصرف إليهما إلا أنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا أساميها معلومة عند العرب تكون أربعة عشر منها ظاهرة أبدا وأربعة عشر منها غائبة أبدا وكلما طلع واحد غاب واحد والقمر ينزل كل ليلة منزلا منها
وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب يعني قدره منازل لتعلموا عدد السنين وحساب الشهور والأيام وقوله ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي للحق قوله يفصل الآيات لقوم يعلمون معلوم المعنى

قوله تعالى إن في اختلاف الليل والنهار معناه معلوم إلى آخر الآية وقد ذكرنا من قبل
قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا قوله لا يرجون فيه قولان
أحدهما لا يخافون والآخر لا يطمعون
وقوله لقاءنا قد بينا من قبل وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا قال قتادة لها يطلبون وبها يفرحون وقوله تعالى واطمأنوا بها سكنوا إليها قوله تعالى والذين هم عن آياتنا غافلون الغفلة سهو يعتري القلب يصرفه عن وجد

تفسير السمعاني ج:2 ص:367
تفسير السمعاني ج 2/ص 368
7 أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون 8 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم 9 دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين 10 العلم
ثم قال أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون معناه معلوم
قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم قال مجاهد هذا هو معنى قوله تعالى نورا يمشي به وقال غيره يهديهم ربهم يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة تجري من تحتهم الأنهار أي من تحت الأشجار قوله في جنات النعيم
ثم قال دعواهم فيها معناه دعاؤهم فيها سبحانك اللهم هذا كلمة تنزيه وتبرئة الرب عن السوء وفي الأخبار أن قوله سبحانك اللهم علامة بين أهل الجنة والخدم وإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيدخل الخدم بالموائد كل مائدة ميل في ميل قوائمها من اللؤلؤ على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا ثم تجىء الطير كأمثال البخت قوائمها لون وأجنحتها لون وبطونها وظهورها لون فيقع بين أيدى أهل الجنة فيأكلون منها ما يشاءون ثم تطير كما كانت

وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعنى تحية بعضهم بعضا يكون بالسلام ويقال معناه إن تحية الملائكة لهم بالسلام ويقال إن تحية الله لهم بالسلام
قوله تعالى وآخر دعواهم معناه وآخر قولهم أن الحمد لله رب العالمين فيكون ابتداء أمرهم بالتسبيح وانتهاء أمرهم بالحمد والشكر

تفسير السمعاني ج:2 ص:368
تفسير السمعاني ج 2/ص 369
يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون 11 وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو
قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال ابن عباس هذا في قول الرجل يقول عند الغضب لأهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم ومعناه ولو يعجل الله للناس الشر- يعنى المكروه - استعجالهم بالخير أي كما يحبون استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فهلكوا جميعا وماتوا وقوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يخافون لقاءنا في طغيانهم أي في ضلالتهم قوله يعمهون يترددون وقيل يتمادون وقد ثبت الخبر عن النبي أنه قال اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل سببته أولعنته فاجعلها له طهرة ورحمة وفي الباب روايات كثيرة كلها صحيحة
قوله تعالى وإذا مس الإنسان الضر أي المكروه دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما قال أهل التفسير هذا يحتمل معنيين
أحدهما إذا مس الإنسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما دعانا
والآخر يحتمل إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما يعني على

هذه الأحوال كلها
قوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر فيه معنيان
أحدهما مر طاغيا كما كان من قبل والآخر استمر على ما كان من قبل قال بعضهم في هذا المعنى
كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسولم تك صعلوكا إذا ما تمولا

قوله تعالى كأن لم يدعنا إلى ضر مسه معناه كأن لم يطلب منا كشف ضرمسه قوله كذلك زين للمسرفين قال ابن جريج كذلك زين للمسرفين ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:369
تفسير السمعاني ج 2/ص 370
قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون 12 ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين 13 ثم جعلناكم خلائف في الأرض من كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء وفيه معنى آخر وهو أنه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم
قوله تعالى ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات معناه معلوم وقوله وما كانوا ليؤمنوا قال الزجاج هذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون وقال ابن الأنباري منعهم الله من الإيمان جزاء على كفرهم قوله كذلك نجزي القوم المجرمين وهذا دليل على أن قول ابن الأنباري أصح
قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم يعني خلفاء في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومعناه ليختبركم فينظر كيف تعملون
روي عن عمر-رضي الله عنه-أنه قال يا ابن أم عمر لقد استخلفت فانظر كيف تعمل
وروي أنه قال في موعظته أيها المؤمنون إن الله استخلفكم لينظر كيف تعملون فأروا الله أعمالكم الحسنة وكفوا عن الأعمال القبيحة

قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله روي في التفاسير أن المشركين قالوا للنبي يا محمد إن كنت تريد أن نؤمن لك فأت بقرآن ليس فيه سب آلهتنا وليس فيه ذكر البعث والنشور وإن لم ينزله الله هكذا فقله من عند نفسك فأنزل الله تعالى هذه الآية فإن قال قائل أيش الفرق بين قوله ائت بقرآن غير هذا وقوله أو بدله أليس معناهما واحد

تفسير السمعاني ج:2 ص:370
تفسير السمعاني ج 2/ص 371
بعدهم لننظر كيف تعملون 14 وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم 15 قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون 16 فمن أظلم ممن
الجواب أن معناهما مختلف وقوله ائت بقرآن غير هذا يجوز أن يأتي بغيره معه وقوله أو بدله لا يكون إلا أن يترك هذا ويأتي بغيره
قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم معلوم المعنى وكأنه قال لم أقل هذا من تلقاء نفسي حتى أقول غيره من تلقاء نفسي
ثم قال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني لو شاء الله ما أنزل القرآن علي ولا أدراكم به أي ولا أعلمكم الله به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله العمر والعمر بمعنى واحد قال الشاعر
بان الشباب وأخلف العمروتنكر الإخوان والدهر

وقدر العمر الذي لبث فيهم من قبله هو أربعون سنة باتفاق أهل العلم فإن النبي بعث إليهم وهو ابن أربعين سنة ولبث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية عن أنس أن النبي مكث بمكة عشرا وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة والرواية الأولى أظهر وأشهر
قوله أفلا تعقلون معناه أفلا تفقهون
قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون معلوم المعنى
قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فإن قال قائل

تفسير السمعاني ج:2 ص:371
تفسير السمعاني ج 2/ص 372
افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون 17 ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون 18 وما كان الناس كيف قال ولا يضرهم ولا شك أنه ضرهم
الجواب عنه معناه لا يضرهم إن تركوا عبادته ولا ينفعهم إن عبدوه وقوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فإن قال قائل كيف قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهم لا يؤمنون بالبعث

الجواب أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله في مصالح معايشنا في الدنيا
وقوله تعالى قل أتنبئون الله أي أتخبرون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون معلوم المعنى
وحقيقة الآية الرد أو الإنكار عليهم
قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فيه قولان
أحدهما قول مجاهد وهو أن الناس كانوا على الإسلام في زمان آدم إلى أن قتل أحد ابنيه الآخر فاختلفوا

والقول الثاني أن العرب كانوا على دين إبراهيم حتى اختلفوا ومن المعروف أن أول من غير دين إبراهيم من العرب هو عمرو بن لحي وثبت أن النبي قال رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار
ويقال في الآية إن المراد من الأمة أهل سفينة نوح عليه السلام
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك يعني في التأجيل والإمهال لقضى بينهم فيما فيه يختلفون أي لحكم بينهم فيما فيه يختلفون

تفسير السمعاني ج:2 ص:372
تفسير السمعاني ج 2/ص 373
إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون 19 ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين 20 وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل
قوله تعالى ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فإن قال قائل أليس الرسول قد أتى بالآيات على زعمكم
الجواب عنه بلى ومعنى الآية هلا أنزل عليه آية من ربه على ما نقترحه
فقل إنما الغيب لله يعني علم الغيب لله إن شاء أتى بالآية التي تسألونها وإن شاء لم يأت فانتظروا إني معكم من المنتظرين يعني انتظروا الغيب إني معكم من المنتظرين
قوله تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الذوق تناول ماله طعم بفمه ليجد طعمه فأما الرحمة هاهنا فيها قولان
أحدهما أنها العافية والآخر أنها الخصب والنعمة
والضراء فيها قولان
أحدهما أنها الشدة والآخر أنها الجدب والقحط
مستهم أي أصابتهم وقوله تعالى إذا لهم مكر في آياتنا المكر صرف الشيء عن وجهه بطريق الحيلة قال مجاهد إذا لهم مكر في آياتنا أي تكذيب واستهزاء
وقوله تعالى قل الله أسرع مكرا يعني أشد أخذا ويقال معناه إن ما يأتي من العذاب من قبله أسرع في إهلاككم مما يأتي منكم في دفع الحق وتكذيبه

وقوله إن رسلنا يكتبون ما تمكرون معناه معلوم
قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر قرئت بقراءتين يسيركم و ينشركم والمعروف يسيركم ومعناه تسهيل طريق السير عليكم في البر والبحر وأما من قرأ ينشركم معناه يبثكم وروي عن الضحاك أنه قال البحر هو الأمصار والبر هو البوادي وقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك قال أهل

تفسير السمعاني ج:2 ص:373
تفسير السمعاني ج 2/ص 374
الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون 21 هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف اللغة الفلك تؤنث وتذكر قال الله تعالى في الفلك المشحون وقال هاهنا وجرين بهم وقالوا أيضا إن الفلك يكون بمعنى الواحد وبمعنى الجمع
وقوله بريح طيبة أي هينة لينة
وقد روي عن النبي أنه قال الريح من روح الله فسألوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها
فإن قال قائل كيف قال حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم فهذا تغيير الكلام عن وجهه
والجواب عنه أن العرب تقيم المعاينة مقام المخاطبة والمخاطبة مقام المعاينة قال الشاعر
وشطت مزار العاشقين فأصبحتعسيرا على طلابك ابنة مخرم
ومنهم من قال معنى الآية حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة يا محمد وقوله وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وهي الشديدة المهلكة قال الشاعر في فيلق شهباء ملمومة
تعصف بالحاسر والدارع
وقوله وجاءهم الموج من كل مكان الموج ما يظهر على البحر من الريح

تفسير السمعاني ج:2 ص:374
تفسير السمعاني ج 2/ص 375
وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين

وقوله وظنوا وتيقنوا أنهم أحيط بهم يقال لمن كان في بلاء وشدة إنه قد أحيط به وقوله دعوا الله مخلصين له الدين معناه أنهم أخلصوا في الدعاء ولم يدعوا أحدا سوى الله وقوله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين معناه معلوم ثم قال تعالى فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق البغي هو قصد الاستعلاء على الغير بالظلم والبغي ها هنا بمعنى الفساد ويقال بغي الجرح إذا أدى إلى الفساد وبغت المرأة إذا فجرت
وقد روي عن النبي أنه قال لا يؤخر الله صاحب بغي أي لا يمهله وفي الأخبار- أيضا- البغي مصراعة
ثم قال يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم أي وبال بغيكم عليكم
قوله متاع الحياة الدنيا وقرىء متاع الحياة الدنيا فمن قرأ بالرفع معناه هو متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالنصب معناه يمتعون متاع الحياة الدنيا وعن الأعمش قال المتاع زاد الراكب وقال أهل المعاني حقيقة معنى الآية أن البغي متاع الحياة الدنيا

تفسير السمعاني ج:2 ص:375
تفسير السمعاني ج 2/ص 376
فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون 23 إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت بها وظن أهلها أنهم قادرون عليها
قوله تعالى ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون أي نخبركم بما كنتم تعملون

قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا معناه إنما صفة الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء أي من السحاب فاختلط به نبات الأرض يعني اختلط المطر بالنبات والنبات بالمطر مما يأكل الناس والأنعام ظاهر المعنى وقوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها الزخرف كمال الحسن والذهب زخرف لكماله في الحسن ومعنى الزخرف هاهنا البهجة والنضرة وقوله وازينت أي تزينت وقالوا معناه أنبتت وأثمرت وأينعت
وقوله وظن أهلها أنهم قادرون عليها معناه وظن أهلها أنهم قادرون على جذاذها وقطافها وحصادها وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا أي عذابنا ليلا أو نهارا وقوله فجعلناها حصيدا الحصيد المحصود والمعنى ها هنا هو الاستئصال بالعذاب وقوله كأن لم تغن بالأمس قال مجاهد معناه كأن لم تعمر بالأمس وقال غيره كأن لم يكن قائما بالأمس يقال غنى فلان بالمكان إذا قام فيه والمغاني هي المنازل قال لبيد
ولقد سئمت من الحياة وطولهاوسؤال هذا الناس كيف لبيد
وغنيت سبتا قبل مجرى داحس

لو كان للنفس اللجوج خلود
ومعنى غنيت أقمت والسبت الدهر هاهنا
قال قتادة معنى الآية هو أن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون وأعجب بها
وقوله كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:376
تفسير السمعاني ج 2/ص 377
أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس
قوله تعالى والله يدعو إلى دار السلام في الأخبار أن النبي قال ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبتيها ملكان يسمعان الخلائق إلا الثقلين ألا هلموا إلى ربكم ثم قرأ قوله تعالى والله يدعوا إلى دار السلام وفي الآثار - أيضا - أنه ما من يوم ولا ليل إلا وينادى مناد يا طالب الخير هلم ويا طالب الشر أقصر
وأما دار السلام فالدار هي الجنة وفي السلام قولان

أحدهما أنه هو الله والآخر أن السلام بمعنى السلامة كأنه قال يدعو إلى دار السلام من الآفات
وروى أبو جعفر محمد بن علي الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - أن النبي قال رأيت في منامي كأن على رأسي جبريل وكأن

تفسير السمعاني ج:2 ص:377
تفسير السمعاني ج 2/ص 378
كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون 24 والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم 25 على رجلي ميكائيل فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال الآخر مثلك يا محمد مثل ملك بنى دارا ثم بنى في دار بيتا ثم وضع في البيت مأدبة ثم دعا إليها الناس فمنهم التارك ومنهم المجيب فالملك هو الله تعالى والدار هو الإسلام والبيت الجنة والداعي أنت فمن أجاب دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها
وقوله ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم الصراط المستقيم هو الإسلام وفيه أقوال أخر ذكرناها من قبل
قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الإحسان هاهنا الإسلام والإحسان هو قول لا إله إلا الله واختلفوا في الحسنى وزيادة فروي عن أبي بكر الصديق وأبي موسى الأشعري وابن عباس وحذيفة وقتادة وجماعة من التابعين أنهم قالوا الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى الله عز وعلا وروى أبو القاسم بن بنت منيع عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب - رضي الله عنهم - أن النبي قال إذا دخل أهل الجنة

الجنة قال الله - تعالى - يا أهل الجنة إن لكم عندي موعدا وأنا منجزكموه فقالوا وما ذلك ألم تبيض وجوهنا ألم تثقل موازيننا ألم تدخلنا الجنة وتخلصنا من النار قال فيتجلى لهم فينظرون إلى وجهه فما أعطوا شيئا هو أحب إليهم من النظر إليه ثم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

تفسير السمعاني ج:2 ص:378
تفسير السمعاني ج 2/ص 379
للذين أحسنوا بالحسنى وزيادة
قال الإمام أبو المظفر أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور ـ بالتخفيف ـ ببغداد قال أخبرنا أبو القاسم بن حبابة قال أخبرنا أبو القاسم بن بنت منيع الخبر خرجه مسلم في الصحيح
وفي الآية أقوال آخر
وروى عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال الزيادة غرفة من اللؤلؤ لها أربعة آلاف باب وروى عن الحسن البصري أنه قال الحسنى هي المثل من الثواب والزيادة هي الزيادة على المثل إلى سبعمائة ضعف وقال مجاهد الحسنى هي المثل والزيادة رضوان الله تعالى
قوله ا تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة القتر سواد الوجه وأصل القتار هو الدخان
قوله ولا ذلة أي هوان
قوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون معناه ظاهر
قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها الآية هذا هو معنى قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها قوله و ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة أي ذل ما لهم من الله من عاصم أي مانع وقوله كأنما أغشيت وجوههم قطعا قرئت بقراءتين قطعا و قطعا فالقطع ـ

تفسير السمعاني ج:2 ص:379
تفسير السمعاني ج 2/ص 380
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون 26 والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 27 ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال بتحريك الطاء - جمع القطعة والقطع - بسكون الطاء - واحد فإن قيل كيف لم يقل قطعا من الليل مظلمة

قلنا تقدير الآية قطعا من الليل في حال ظلمته هكذا قاله أهل اللغة
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر
قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم الآية معنى الآية ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم
قوله فزيلنا بينهم معناه ميزنا بينهم يعني فرقنا بين المشركين والأصنام وهو من قوله زلت لا من قوله ذلت وقال شركاؤكم ما كنتم إيانا تعبدون الشركاء هي الأصنام التي جعلوها شركاء لله تعالى على زعمهم وقوله ما كنتم إيانا تعبدون معناه كنتم إيانا تعبدون بطلبنا ودعوتنا
قوله تعالى فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين معلوم المعنى
قوله تعالى هنالك تبلو الآية قرئت بقراءتين تتلو و تبلو فقوله تبلو قال مجاهد تختبر معناه تجده وتقف عليه وقوله تتلو قال الأخفش يقرأ فيكون في معنى قوله يخرج له يوم القيامة إلى قوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا

تفسير السمعاني ج:2 ص:380
تفسير السمعاني ج 2/ص 381
شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون 28 فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين 29 هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق
والقول الثاني أن معنى تتلو تتبع قال الشاعر
أرى المريب يتبع المريباكما رأيت الذيب يتلوا الذيبا
قوله تعالى كل نفس ما أسلفت أي ما قدمت قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق فإن قال قائل قد قال في موضع آخر وأن الكافرين لا مولى لهم وقال هاهنا وردوا إلى الله مولاهم الحق فكيف وجه الآيتين
الجواب عنه أن المولى هناك بمعنى الناصر والحافظ والمولى هاهنا بمعنى المالك فلم يكن بين الآيتين اختلاف
وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون أي فات عنهم ما كانوا يكذبون

قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض الرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وقوله أم من يملك السمع والأبصار معناه ومن أعطاكم الأسماع والأبصار وقوله ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي معناه ومن يخرج النطفة من الحي والحي من النطفة والسنبلة من الحب والحب من السنبلة والبيض من الطير والطير من البيض والشجر من النواة والنواة من الشجر والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقوله ومن يدبر الأمر ومن يقضي الأمر وقوله فسيقولون الله فقل أفلا تتقون معناه أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار

قوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق معناه فذلكم الذي صفته هذا هو ربكم الحق وقوله فماذا بعد الحق إلا الضلال معناه فماذا بعد الحق إلا الباطل

تفسير السمعاني ج:2 ص:381
تفسير السمعاني ج 2/ص 382
وضل عنهم ما كانوا يفترون 30 قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون 31 فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون 32
وروي عن حرملة أنه قال سألت مالك بن أنس عن الغناء فقرأ هذه الآية فماذا بعد الحق إلا الضلال
وروي عن القاسم بن محمد من التابعين نحوا من هذا في هذا المعنى وقوله فأنى تصرفون أي كيف يعدل بكم عن وجه الحق
قوله تعالى كذلك حقت أي وجبت كلمة ربك أي حكمة ربك على الذين فسقوا أي كفروا أنهم لا يؤمنون قال أهل التفسير هذا في أقوام بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون

قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده معناه ينشىء الخلق ثم يعيده وقوله قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده معناه ينشىء الخلق ثم يعيده ومعنى الإعادة هي الإحياء للبعث يوم القيامة وقوله فأنى تؤفكون معناه فكيف تصرفون
قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق معناه ظاهر وقوله أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى قرئت بقراءات كثيرة قال أهل العربية أصحها أمن لا يهدي أو يهدي على وجه الإدغام لأن معناه يهتدي ثم قال إلا أن يهدى فإن قيل كيف قال إلا أن يهدى والأصنام لا يتصور فيها أن تهدى ولا أن تهتدي الجواب من وجهين
أحدهما أن معنى الهداية هاهنا هي النقل يعنى لا ينتقل من مكان إلى مكان إلا أن ينقل

تفسير السمعاني ج:2 ص:382
تفسير السمعاني ج 2/ص 383
كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون 33 قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني تؤفكون 34 قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي أي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون 35 وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون

36 وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من
والوجه الثاني أن هذا مذكور على وجه المجاز فإن المشركين كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تسمع وتعقل وتهدي فذكر ذلك في الأصنام على وفق ما يعتقدون وجعلها بمنزلة من يعقل في هذا الخطاب وأثبت عجزها عن الهداية
قوله فما لكم كيف تحكمون معناه ظاهر

قوله سبحانه وتعالى وما يتبع أكثرهم إلا ظنا الآية الظن حالة بين الشك واليقين
وقوله وإن الظن لا يغني من الحق شيئا معناه إن الظن لا يقوم مقام الحق بحال وقوله إن الله عليم بما يفعلون معناه ظاهر
قوله تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله الآية وفيه وجهان من المعنى
أحدهما وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله
والوجه الثاني وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله لقوله تعالى وما كان لنبي أن يغل معناه وما ينبغي لمثل النبي أن يغل
وقوله ولكن تصديق الذي بين يديه فيه قولان
أحدهما تصديق الذي بين يديه من التوراة والإنجيل
والثاني تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث
وقوله وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين التفصيل التبيين

تفسير السمعاني ج:2 ص:383
تفسير السمعاني ج 2/ص 384
رب العالمين 37 أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين 38 بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين 39 ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين 40 وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ومعنى باقي الآية معلوم
قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله معنى الآية هو الاحتجاج على الكفار بمعجزة القرآن فإنهم كانوا يقولون إن محمدا قد افتراه فقال لهم إن كان افتراه وأتى به من عند نفسه فأتوا أنتم بمثله
فإن قيل قال فأتوا بسورة مثله فللقرآن مثل يؤتى بسورة منه
الجواب أن معناه فأتوا بسورة من مثله في البلاغة والنظم وصحة المعنى وقيل إن معناه فأتوا بسورة مثل سورة القرآن

وقوله وادعوا من استطعتم من دون الله معناه واستعينوا بمن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين
قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الإحاطة بعلم الشيء هي المعرفة به من جميع وجوهه ومعنى الآية بل كذبوا بالقرآن ولم يحيطوا بعلمه يعني لم يعلموه وقوله ولما يأتهم تأويله أي ولم يأتهم تأويله ومعناه ولم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم ثم قال تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ظاهر المعنى
قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين معناه ومنهم من يؤمن به - بالقرآن - كأصحاب النبي من المهاجرين والأنصار ومنهم من لا يؤمن به كأبي جهل ومن تابعه ومنهم من قال ومنهم من يؤمن

تفسير السمعاني ج:2 ص:384
تفسير السمعاني ج 2/ص 385
أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون 41 ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون 42 ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو به سرا وعلانية كالمؤمنين المخلصين ومنهم من لا يؤمن به سرا كالمنافقين
وربك أعلم بالمفسدين ظاهر المعنى
قوله تعالى وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الآية معناه لي عملي وجزاؤه ولكم عملكم وجزاؤه قوله أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون هذا مثل قوله لكم دينكم ولي دين ومثل قوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم

قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك الآية الاستماع طلب السمع وقد كانوا يطلبون سماع القرآن للرد والتكذيب به لا للتفهم والإيمان به وقوله أفأنت تسمع الصم الصمم آفة تمنع من السماع والمراد من الصمم هاهنا صمم القلب فإنهم لما لم يسمعوا القرآن للإيمان به وقبوله كأنهم لم يسمعوا وجعلهم بمنزلة الصم والصم جمع الأصم وقال الزجاج قد كانوا يسمعون حقيقة ولكن لشدة بغضهم وعداوتهم للنبي لم يستمعوا ليفهموا فجعلهم كأن لم يسمعوا قوله ولو كانوا لا يعقلون معناه ولو كانوا جهالا
قوله تعالى ومنهم من ينظر إليك النظر طلب الرؤية بتقليب البصر وأما نظر القلب هو طلب العلم بالفكرة وقوله أفأنت تهدي العمي جعلهم بمنزلة العمي لأنهم لم ينظروا لطلب الحق والمراد من العمى هاهنا عمى القلب ومنهم من قال جعلهم بمنزلة العمى كما جعلهم بمنزلة الصم حيث لم ينتفعوا لا بأسماعهم ولا بأبصارهم
وذكر ابن الأنباري حاكيا عن ابن قتيبة أنه استدل بهذه الآية على أن السمع أفضل

تفسير السمعاني ج:2 ص:385
تفسير السمعاني ج 2/ص 386
كانوا لا يبصرون 43 إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون 44 ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين من البصر فإن الله تعالى قال في الصمم لو كانوا لا يعقلون وقال في العمى ولو كانوا لا يبصرون
قال ابن الأنباري وهذا غلط لأن المراد من الآية عمى القلب لا عمى العين وكذلك صمم القلب لا صمم الأذن فعلى هذا لا يقع التفضيل
قال ابن الأنباري ولأن حاسة البصر أفضل من حاسة السمع ألا ترى أن الجمال فيها أكثر والنقصان بفوتها أعظم وسماها الرسول كريمتى الإنسان فإنه قال يقول الله تعالى من أخذت كريمتيه فصبر واحتسب لم يكن له جزاء إلا الجنة

وإذا كان الرجل أعمى فإنه لا يبصر إقباله من إدباره ولا طريق غيه من طريق رشده ويكون أسيرا في نفسه ويتعطل عليه منافع عامة جوارحه
قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار معنى الآية تقريب وقت مماتهم من وقت بعثهم وهذا كقوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقوله يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا وفي بعض

تفسير السمعاني ج:2 ص:386
تفسير السمعاني ج 2/ص 387
كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين 45 وإما نرنيك بعض الذين نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون 46 ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون 47 ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين 48 قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا الآثار أن الإنسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولا يكلمه هيبة وخشية وقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين الخسران هاهنا خسران النفس ولا شيء أعظم من خسران النفس وفي بعض الآثار يا بان آدم أنت في دار التجارة فاربح فيها نفسك
قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم قال مجاهد بعض الذي نعدهم هو القتل يوم بدر وقال غيره معنى الآية إما نعذبهم في حياتك أو نتوفينك قبل تعذيبهم فإلينا مرجعهم ومرجعهم إلينا وقوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ظاهر المعنى و ثم هاهنا بمعنى الواو

وقوله تعالى ولكل أمة رسول الأمة هي الجماعة إذا كانوا على منهج واحد ومقصد واحد والرسول كل من حمل رسالة ليؤديها على الحق وقوله تعالى فإذا جاء رسولهم قال مجاهد فإذا جاء رسولهم شاهدا عليهم يوم القيامة قضى بينهم بالقسط أي بالعدل وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من حقهم
وفي الآية معنى آخر وهو أن معنى قوله فإذا جاء رسولهم يعني إذا جاء رسولهم بالإعذار والإنذار قضى بينهم بالقسط أي بالحق ومعناه أنه قبل مجيء الرسل لا يتوجه ثواب ولا عقاب
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين يعني وعد الساعة
ثم قال تعالى قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله الآية الملك قوة يتصرف بها في الشيء وقوله ضرا ولا نفعا يعني دفع ضر ولا جلب نفع لم يقدره الله تعالى وقوله لكل أمة أجل الأجل مدة مضروبة لحلول أمر

تفسير السمعاني ج:2 ص:387
تفسير السمعاني ج 2/ص 388
يستئخرون ساعة ولا يستقدمون 49 قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون 50 أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون 51 ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون 52 ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين 53 ولو أن
وقوله إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ظاهر المعنى
قوله تعالى قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا والبيات ما يحصل ليلا

وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون معناه ماذا يستعجل من الله المجرمون
وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستعجلون العذاب مثل قول النضر بن الحارث فإنه قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله تعالى في هذه الآية ماذا يستعجل منه المجرمون يعني وأيش يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره ماذا جنيت على نفسك إذا فعل فعلا قبيحا
قوله تعالى ثم إذا ما وقع آمنتم به قيل في التفسير معنى قوله أثم هنالك إذا ما وقع-أي العذاب آمنتم به يعني آمنتم بالله من وقع العذاب أي نزل ثم قال الآن وفيه حذف ومعناه الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ظاهر المعنى
قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو معناه ويستخبرونك أحق هو والحق ضد الباطل ويقال الحق ما قام عليه الدليل وقوله قل إي وربي معناه قل نعم وربي إنه

لحق وما أنتم بمعجزين معناه وما أنتم بفائتين من العذاب لأن من عجز عن الشيء فقد فاته
قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به الافتداء

تفسير السمعاني ج:2 ص:388
تفسير السمعاني ج 2/ص 389
لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهو لا يظلمون 54 ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون 55 هو يحيي ويميت وإليه ترجعون 56 يا أيها هاهنا بذل ما ينجو به عن العذاب وقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب فيه قولان
أحدهما قول أبي عبيدة وهو أن معناه وأظهروا الندامة

والقول الثاني وأسروا الرؤساء منهم الندامة من الضعفاء خوفا من مذامتهم وتعييرهم
وقوله وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون قد بينا المعنى
قوله تعالى ألا إن لله ما في السموات والأرض فإن قال قائل أليس أن عندكم السموات سبع والأرضون سبع فكيف ذكر السموات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الوحدان
الجواب أن الواحد هاهنا بمعنى الجمع والعرب قد تذكر الواحد بلفظ الجمع والجمع بلفظ الواحد وقيل إن الأرضين وإن كانت سبعا ولكن لما لم تظهر سوى هذه الواحدة وكانت الباقون مخفية ذكر بلفظ الوحدان
وقوله ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى هو يحيي ويميت وإليه ترجعون معلوم المعنى
قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم الآية الموعظة قول على طريق العلم يؤدي إلى صلاح العباد وقوله وشفاء لما في الصدور الشفاء هاهنا هو الدواء لذي الجهل وقال أهل العلم لا داء أعظم من الجهل ولا دواء أعز من دواء الجهل ولا طبيب أقل من طبيب الجهل ولا شفاء أبعد من شفاء الجهل

تفسير السمعاني ج:2 ص:389
تفسير السمعاني ج 2/ص 390
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين 57 قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون 58 قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون
وأما قوله لما في الصدور الصدر موضع القلب وهو أعز موضع في الإنسان

لجوار القلب وقوله وهدى يعني وهدى من الضلالة وقوله ورحمة للمؤمنين الرحمة هي النعمة على المحتاج فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئا لا يقال قد رحمه وإن كان هذا نعمة على الحقيقة لأنه لم يضعها في محتاج

قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته قال الحسن البصري فضل الله القران ورحمته الإسلام وعن بعضهم فضل الله الإسلام ورحمته القرآن وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وهذا مروي أيضا عن عكرمة
وقوله فبذلك فليفرحوا وقرأ الحسن فبذلك فلتفرحوا معناه فبذلك فلتعجبوا وقوله هو خير مما يجمعون أي مما يجمع الكفار من الدراهم والدنانير
قوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قال أهل التفسير معنى هذا هي السوائب والحوامي التي جعلها أهل الشرك حراما عليهم وقد ذكرنا هذا في تفسير سورة الأنعام وما أحلوا من ذلك وما حرموا في تفسير قوله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فإن قيل كيف يستقيم هذا المعنى وقد قال في آخر الآية قل الله أذن لكم أم على الله تفترون
وليس المراد من الآية الاستفهام وإنما المراد منها الرد والإنكار عليهم
قوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة قالوا معناه

تفسير السمعاني ج:2 ص:390
تفسير السمعاني ج 2/ص 391
59 وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون 60 وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أيلقاهم الخير أم يلقاهم الشر وحقيقة المعنى أن الشر يلقاهم لأنه الذي يليق بافترائهم وقوله إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون في التفاسير من ألف واحد شاكر

قوله تعالى وما تكون في شأن الشأن اسم مبهم وهو مثل قول القائل لغيره ما حملك وما بالك وما شانك وقوله في شأن يعني في شأن من الشؤون
وقوله وما تتلو منه من قرآن فإن قيل أيش معنى قوبه وما تتلو منه ولم يسبق ذكر القرآن الجواب عنه من وجهين أحدهما أن معناه وما تتلو من الشأن من قرآن والآخر أنه راجع إلى القرآن أيضا فأبطن في قوله منه وأظهر في قوله من قرآن تفخيما له وقوله ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهودا الشهود

هاهنا جمع شاهد
وقوله إذ تفيضون فيه قال ابن الأنباري إذ تندفعون فيه والإفاضة هي الدفع بالكثرة وقوله وما يعزب عن ربك معناه وما يغيب عن ربك من مثقال ذرة من وزن ذرة والذرة هي النملة الصغيرة وقيل ما يظهر في شعاع الشمس والأول هو المعروف

تفسير السمعاني ج:2 ص:391
تفسير السمعاني ج 2/ص 392
الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين 61 ألا إن وقوله في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك يعني أصغر من الذرة ولا أكبر معناه ولا أكبر من الذرة إلى ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى قوله إلا في كتاب مبين معناه إلا هو مبين في الكتاب يعني اللوح المحفوظ
وفي الأخبار المشهورة أن الله تعالى لما خلق القلم قال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وقد ثبت برواية عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي قال إن الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة خرجه مسلم في صحيحه
قوله تعالى ألا إن أولياء الله اختلفوا في أولياء الله على أقوال
أحدهما أنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون والآخر أنهم الذين يرضون بالقضاء ويشكرون عند الرخاء ويصبرون على البلاء والثالث هم المتحابون في الله تعالى

وقد روى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي قال إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم عند الله فقال رجل يا رسول الله ومن هم فقال رسول قوم تحابوا بروح الله من غير أرحام يصلونها ولا أموال يتعاطونها وإن على وجوههم لنورا وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ذكره أبو داود في سننه قريبا من هذا

تفسير السمعاني ج:2 ص:392
تفسير السمعاني ج 2/ص 393
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون 62 الذين آمنوا وكانوا يتقون 63 لهم والرابع هو أن أولياء الله من إذا رؤوا ذكر الله
وفي بعض الأخبار المرفوعة إلى النبي سئل من أولياء الله فقال الذين إذا رؤوا ذكر الله وفي رواية الذين يذكر الله برؤيتهم
وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الخوف انزعاج في النفس من توقع مكروه والحزن هم يقع في القلب لنوع عارض

قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون ظاهر المعنى
ثم قال تعالى لهم البشرى اختلفوا في هذه البشرى على أقوال
الأول روى أبو الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي أنه قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أوترى له
ورواه - أيضا - عبادة بن الصامت أبو الوليد - رضي الله عنه -
وقد ثبت عن النبي أنه قال الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من

تفسير السمعاني ج:2 ص:393
تفسير السمعاني ج 2/ص 394
البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم 64 ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم 65 ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا النبوة

والقول الثاني روى أبو ذر - رضي الله عنه - عن النبي إن البشرى في الحياة الدنيا هو الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة
والثالث البشرى هي نزول نزول ملائكة الرحمة بالبشارة من الله تعالى عند الموت
والرابع البشرى هي علم المؤمن بمكانه من الجنة قبل أن يموت قاله قوم من التابعين
وقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله معناه لا خلف لوعد الله وقوله ذلك هو الفوز العظيم أي النجاة العظيمة
قوله تعالى ولا يحزنك قولهم وقف تام ثم قال إن العزة لله جميعا يعنى إن الغلبة لله جميعا هو السميع العليم معلوم المعنى
قوله تعالى ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض معناه معلوم
وقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء على الحقيقة لأنه ليس لله شريك وقيل معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء علما ويقينا بل يتبعون على الظن كما قال إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ومعنى قوله يخرصون يكذبون لقوله قتل الخراصون أي الكذابون

تفسير السمعاني ج:2 ص:394
تفسير السمعاني ج 2/ص 395
الظن وإن هم إلا يخرصون 66 هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون 67 قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون

على الله ما لا تعلمون 68 قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون 69 متاع في الدنيا ثم إلينا
قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه معناه معلوم قوله والنهار مبصرا أي مبصرا فيه وقيل معناه والنهار ذا إبصار وهذا مثل قوله تعالى في عيشة راضية يعني ذات رضا وقوله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ظاهر المعنى

قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه فإن قال قائل أيش الفرق بين اتخاذ الولد واتخاذ الخليل
الجواب عنه أن الحقيقة الخلة مقصورة على الله تعالى لأن الخلة تصفية الود وهذا يجوز على الله تعالى وأما حقيقة الولد لا يجوز على الله تعالى فاتخاذه لا يجوز ولأنه إنما يتخذ الولد ليرثه ملكه أو ليسر به أو ليعنه على أمر أو ليخلفه في أموره والله تعالى منزه عن هذا كله ولا يجوز عليه فلم يجز اتخاذ الولد له وقوله تعالى هو الغني إشارة إلى ما قلنا من عدم الحاجة وقوله له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أي من حجة بهذا وقوله أتقولون على الله ما لا تعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا ينجون وقوله متاع في الدنيا معناه إن الذين يفترون على الله حاصلهم متاع في الدنيا وقوله ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون معناه معلوم

تفسير السمعاني ج:2 ص:395
تفسير السمعاني ج 2/ص 396
مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون 70 واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون
قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح معناه واتل عليهم خبر نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري معناه إن كان ثقل عليكم مقامي أي طول مكثي فيكم وتذكيري بآيات الله وتحذيري إياكم بآيات الله فعلى الله توكلت قالوا هذا اعتراض في الكلام وفي المعنى قوله فأجمعوا أمركم هو متصل بما سبق كأنه قال إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فأجمعوا أمركم وفي الشاذ فاجمعوا أمركم قرأه عاصم الجحدري

قوله فاجمعوا قال الفراء فاعزموا على أمركم وادعوا شركاءكم وقال الزجاج فاجمعوا أمركم مع شركائكم إلا أنه لما ترك كلمة مع فانتصب قال الشاعر
يا ليت شعري والمنى لا تنفعحتي أرى أمري وأمري مجمع
أي معزم عليه وقوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ملتبسا ومنه الغمام والغم وقوله تعالى ثم اقضوا إلي قرىء في الشاذ ثم أفضوا إلي بالفاء والمعروف بالقاف قال مجاهد معناه ثم اعلموا ما في أنفسكم وقيل معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه وهذا على طريق التعجيز فإنه قال هذه المقالة وعجزوا عن إيصال مكروه إليه فهذا كان نوع معجزة له ومنهم من قال قوله اقضوا إلي أي ثم اقضوا ما أنتم قاضون واعملوا ما أنتم عاملون وهذا مثل قول السحرة فاقض ما أنت قاض معناه فاعمل ما أنت عامل وحقيقة

تفسير السمعاني ج:2 ص:396
تفسير السمعاني ج 2/ص 397
71 فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين 72 فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين 73 ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب القضاء هو إحكام الأمر والفراغ عنه ومنه يقال للرجل إذا مات قد قضى فلان أي فرغ من أمره
قوله تعالى ولا تنظرون أي لا تمهلون
قوله تعالى فإن توليتم فما سألتكم من أجر معناه فإن أعرضتم فما سألتكم من ثواب على تبليغ الرسالة قوله إن أجري إلا على الله أي إن ثوابي إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين أي من الموحدين ومنهم من قال معنى قوله من المسلمين أي من المستسلمين لأمر الله

قوله تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك قال أهل التفسير كان معه في الفلك ثمانون رجلا وكان أول من حمله الذرة وآخر من حمله الحمار وتعلق الشيطان بذنب الحمار وجعل يقول نوح للحمار ادخل فلا يدخل حتى قال ادخل يا شيطان فدخل وإبليس معه
وقوله تعالى وجعلناهم خلائف أي وجعلنا الذين معه في الفلك خلفاء القوم الذين أغرقناهم في دورهم ومساكنهم ومنازلهم وقوله تعالى وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الغرق هلاك بالماء والغامر ويقال إن مدة الإغراق كانت أربعين يوما وكان من وقت إرسال الماء من السماء إلى أن نضب الماء ستة أشهر وعدة أيام
وقوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات يعني من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءهم بالبينات أي بالدلالات الواضحات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل أي فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح من

تفسير السمعاني ج:2 ص:397
تفسير السمعاني ج 2/ص 398
المعتدين 74 ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين 75 فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين 76 قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون 77 قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين 78 وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم 79 فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون 80 فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن قبل كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين يعني يختم على قلوب المعتدين
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معناه ظاهر والآية التي تليها كذا معلوم المعنى

قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا معناه لتصرفنا وقال قتادة لتلفتنا لتلوينا وقاله ثعلب من المتأخرين وقوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض قال مجاهد الكبرياء الملك وإنما سمي الملك الكبرياء لأنه أكبر ما يطلب في الدنيا وقيل معنى الكبرياء هو العظمة وقيل معناه الغلبة
قوله وما نحن لكما بمؤمنين أي بمصدقين
قوله تعالى وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم في القصص أنه جمع سبعين ألف ساحر
وقوله فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي اطرحوا ما أنتم طارحون
وقوله فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر وقد بينا معنى السحر من قبل إن الله سيبطله أي سيذهبه إن الله لا يصلح عمل المفسدين معناه معلوم وفي القصص أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا فألقوا تلك الحبال والعصي فجعلت تخيل في أعين الناس كأنها ثعابين وحيات

تفسير السمعاني ج:2 ص:398
تفسير السمعاني ج 2/ص 399
الله لا يصلح عمل المفسدين 81 ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون 82 فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين 83 وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين 84 فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم

وقوله تعالى ويحق الله الحق بكلماته معناه يعلي الله الحق بآياته ولو كره المجرمون

قوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه معناه فما آمن لموسى إلا قليل في قومه واختلفوا في الذرية هاهنا قال بعضهم إنهم قوم كانت آباؤهم في القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل وقال بعضهم إنهم قوم نجوا من قتل فرعون فإن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولد لها ابن سلمته إلى امرأة قبطية وتقول وهبته لك خوفا عليه من القتل فنشأ أولئك الأولاد عند القبط وأسلموا في ذلك اليوم يعني يوم السحرة الذين غلبوا وقوله على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال بعض أهل المعاني في الآية حذف كأنه قال على خوف من آل فرعون وملئهم وهذا مثل قوله واسأل القرية أي أهل القرية
ومنهم من قال لما ذكر فرعون دخل قومه معه كالرجل يقول قدم الخليفة أو الأمير بكذا وكذا فضاقت المنازل على الناس معناه قدم الخليفة ومن معه ثم قال أن يفتنهم معناه أن يعذبهم وقوله وإن فرعون لعال في الأرض أي لطاغ في الأرض وإنه لمن المسرفين معلوم
قوله تعالى وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين التوكل هو الثقة بالله والاعتماد عليه في الأمور وقوله إن كنتم

تفسير السمعاني ج:2 ص:399
تفسير السمعاني ج 2/ص 400
الظالمين 85 ونجنا برحمتك من القوم الكافرين 86 وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين 87 وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن مسلمين أي إذا كنتم مسلمين
قوله تعالى فقالوا على الله توكلنا أي على الله اعتمدنا وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه قولان
أحدهما لا تهلكنا بأيدي الظالمين فيفتتنوا أو يظنوا أنا لم نكن على الحق قاله أبو مجلز

والثاني لا تعذبنا بعذاب من عندك فيظنوا أنهم خير منا فيصير ذلك فتنة لهم
وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ظاهر المعنى
قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا معنى قوله تبوءا اتخذا
قال الشاعر
نحن بنو عدنان ليس شك تبوأ المجد بنا والملك

وقوله لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ذكر أهل التفسير أن فرعون أمر بتخريب كنائس بني إسرائيل وبيعهم لما جاء موسى ودعاه إلى الله فأمرهم الله تعالى أن يأمرا بني إسرائيل أن يتخذوا في بيوتهم المساجد فهذا معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يعني مسجدا
وحكي عن ابن عباس أنه قال أمرهم الله تعالى أن يتوجهوا إلى الكعبة ومنهم من قال إنهم خافوا من إظهار الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يقيموا الصلاة في البيوت وقوله تعالى وبشر المؤمنين ظاهر المعنى
قوله تعالى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه الآية قوله زينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:400
تفسير السمعاني ج 2/ص 401
سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم 88 قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون 89 وأموالا في الحياة الدنيا قيل في التفسير إنه كان من فسطاط مصر إلى العريش إلى قريب من الحبشة معادن الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فهذا معنى قوله زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك قال أهل التفسير هذه اللام لام الصيرورة ويقال هي لام العاقبة وهذا كما قال الشاعر
وللموت ما تلد الوالدة

فلما كانت عاقبة أمرهم الضلال والكفر قال ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم الطمس تغيير صورة الشيء وقيل هو الإنمحاء ودروس الأثر قال قتادة صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم حجارة كلها وفي بعض الروايات إن عبيدهم وإماءهم صاروا حجارة
وقوله واشدد على قلوبهم قال مجاهد بالضلالة وقال السدي أمتهم على الكفر وقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قيل هذا بمعنى الدعاء كأنه قال فلا آمنوا حتى يروا العذاب الأليم وقيل معناه معنى الخبر
قوله تعالى قال قد أجيبت دعوتكما في القصص أنه كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة وكذلك كان بين دعاء يعقوب وإجابته أربعون سنة فإن قال قائل إن الداعي كان موسى وقال قد أجيبت دعوتكما
الجواب المروي أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن والتأمين دعاء فإن معنى التأمين اللهم استجب
قوله فاستقيما يعني على الطاعة والدين وقوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون معلوم المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:401

تفسير السمعاني ج 2/ص 402
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين 90 آلآن وقد
قوله تعالى وجاوزنا ببني إسرائيل البحر الآية معناه عبرنا ببني ببني إسرائيل البحر وقوله فأتبعهم فرعون وجنوده قال الأصمعي يقال اتبعه إذا سار في أثره وأتبعه إذا أدركه ولحقه وقوله بغيا وعدوا ظلما واعتداء قرىء عدوا و عدوا والمعنى واحد
وقوله حتى إذا أدركه الغرق يعني حتى إذا غمره الماء وقرب هلاكه قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت بن بنو إسرائيل ومعناه آمنت بالإله الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين

(2/382)

وقوله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في القصص أن جبريل كان واقفا حين قال هذا القول فقال له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال له هذا القول بأمر الله تعالى آلآن وقد عصيت
وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس-رضي الله عنه- عن النبي أن جبريل -عليه السلام- قال يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فم فرعون خشية أن تدركه الرحمة وفي رواية أخرى أن جبريل قال يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله مثل ما أبغضت فرعون لما قال لقومه ما علمت لكم من إله غيري فلما قال ما قال حين غرق فجعلت أدس الطين في فمه لئلا يقول

تفسير السمعاني ج:2 ص:402
تفسير السمعاني ج 2/ص 403
عصيت قبل وكنت من المفسدين 91 فاليوم تنجيك ببدنك لتكون لمن خلقك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون 92 ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق لا إله إلا الله وفي رواية لئلا يثنى مخافة أن يغفر الله له
قال أبو عيسى والحديث صحيح في الجملة
وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك في البر قرىء ننحيك ببدنك بالحاء من التنحية والمعروف بالجيم أي نلقيك على نجوة من الأرض والنجوة المكان المرتفع في القصص أن فرعون لما غرق قالت بنو إسرائيل هو أجل من أن يغرق فلم يصدقوا موسى أنه قد غرق فأمر الله تعالى الماء حتى ألقاه على وجهه وهذا معنى قوله ننجيك ببدنك وقوله ببدنك فيه قولان
أحدهما بدرعك وكان له درع مشهور من اللؤلؤ مرصع من الجواهر فرأوه في درعه فصدقوا
والقول الثاني ببدنك يعني بجسد لا روح فيه
قوله لتكون لمن خلفك آية أي عبرة وقوله وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ظاهر المعنى

وقوله تعالى ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق أي أنزلنا بني إسرائيل مبوأ صدق أي أنزلنا بني إسرائيل منازل صدق وقيل إن تلك المنازل هي مصر وقيل إنها الشام وقوله مبوأ صدق يعني بصدقهم وإيمانهم وقوله ورزقناهم من الطيبات معلوم وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني التوراة فإنهم اختلفوا بعد نزول التوراة وذهاب موسى اختلافا شديدا ثم قال إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:403
تفسير السمعاني ج 2/ص 404
ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون 93 فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين 94 ولا تكونن
قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك في الآية سؤال معروف وهو أنه قال فإن كنت في شك كيف يجوز أن يكون الرسول في الشك حتى يقول له فإن كنت في شك
الجواب من وجوه أحدها أن الخطاب معه والمراد منه قومه وهذا مثل قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وأمثالها كثيرة
وقال بعضهم تقديره فإن كنت في شك أيها الشاك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
والوجه الثاني أن معنى الآية ما كنت في شك
وقوله فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك زيادة تثبيت والذين يقرءون الكتاب هم الذين أسلموا من اليهود مثل عبد الله بن سلام وابن يامين وغيرهما
والوجه الثالث هذا على عادة كلام العربي فإن الرجل يقول لابنه افعل كذا إن كنت ابني ولا يكون هذا على الشك وكذا يقول لغلامه أطعمني إن كنت عبدي ولا يكون على الشك

وقوله فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فقال مرهم فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين من الشاكين ومعناه دم على اليقين الذي أنت عليه
الوجه الأول اختيار الزجاج وغيره من أهل المعاني
وقوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله إلى آخر الآية ظاهر

تفسير السمعاني ج:2 ص:404
تفسير السمعاني ج 2/ص 405
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين 95 إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون 96 ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم 97 فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة المعنى
قوله تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك معناه وجب عليهم عذاب ربك ويقال معنى الكلمة هو قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي كما روي في الأخبار
وقوله لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم يعني الإيمان عن البأس
قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس معناه فلم تكن قرية آمنت - أي أهل قرية آمنت - فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس وهذا الإيمان هو عند نزول العذاب والمنقول في القصص أن يونس - صلوات الله عليه - أنذر قومه بالعذاب وخرج من بينهم فلما رأوا العذاب شبه النيران في السماء خرجوا من بلدهم إلى الصحراء وفرقوا بين الأولاد والأمهات والبهائم والأجنة وضجوا إلى الله تعالى ضجة واحدة فكشف الله عنهم العذاب بعد أن رأوه عيانا ولم يفعل هذا بأحد غيرهم فهذا معنى قوله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين أي إلى أجل معلوم

وفي بعض التفاسير أن الدعاء الذي دعا به قوم يونس هو يا حي حين لا حي يا حي يا محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت

تفسير السمعاني ج:2 ص:405
تفسير السمعاني ج 2/ص 406
الدنيا ومتعناهم إلى حين 98 ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين 99 وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل
واختلف القول في أنهم هل رأوا العذاب عيانا أو رأوا دليل العذاب فالأكثرون على أنهم رأوا العذاب عيانا قال قتادة تدنى عليهم العذاب حتى صار بينهم وبين العذاب قدر ميل وقال بعضهم رأوا دليل العذاب ولم يروا عين العذاب
والقول الأول أصح بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والكشف إنما يكون بعد وقوع العذاب أو قرب العذاب فإن قال قائل كيف قبل إيمانهم عند المعاينة ولم يقبل إيمان غيرهم وقد قال في موضع آخر يؤمنون بالغيب دل أن الإيمان المقبول هو الإيمان بالغيب
الجواب أن قوم يونس استثنوا من هذا الأصل بنص القرآن والله تعالى يفعل ما

يشاء ولا سؤال عليه فيما يفعل وزعم الخليل وسيبويه أن الاستثناء هاهنا منقطع ومعنى الآية لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
وعن علي - رضي الله عنه - قال الحذر لا يرد القدر والدعاء يرد القدر فإن الله تعالى كشف العذاب عن قوم يونس بالدعاء وعن علي - أيضا - أنه قال كان كشف العذاب يوم عاشوراء
وقيل في تقدير ابتداء الآية فهلا كانت قرية آمنت حين ينفعها إيمانها لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ومعنى قرية أهل قرية وقيل اسم تلك القرية كان نينوى من بلاد الجزيرة

قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا في الآية رد على القدرية فإنه تعالى أخبر أنه لم يشأ إيمان جميع الناس وعندهم أنه شاء إيمان جميع الناس وقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين هذا تسلية للنبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:406
تفسير السمعاني ج 2/ص 407
الرجس على الذين لا يعقلون 100 قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون 101 فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين 102 ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا أنى لو أردت لأكرهتهم على الإيمان ولم أرد فلا ترد أنت - أيضا - أن تكرههم على الإيمان
قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله قال عطاء إلا بتوفيق الله وقال غيره إلا بعلم الله وقيل إلا بإطلاق الله ذلك بدفع الموانع وهذا مثل قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله منهم من قال بإذن الله أي بقضائه وتقديره وحكمه والمعاني كلها صحيحة وقوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قال الفراء الرجس بمعنى الرجز والرجز هو العذاب وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن الرجس هو السخط وقيل إنه الإثم وقيل إنه الهلاك وأما قوله على الذين لا يعقلون معناه لا يؤمنون وقيل معنى قوله لا يعقلون أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه
قوله قل انظروا ماذا في السموات والأرض معناه قل انظروا ماذا في السموات والأرض من الدلائل والعبر والحجج وقوله وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون هذا في قوم بأعيانهم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وإن نظروا في الآيات

قوله تعالى فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم الانتظار هو الثبات لتوقع أمر وقوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يعني مثل أيام الهلاك في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة قوله قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ظاهر المعنى
قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا قوله ننجي مستقبل بمعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:407
تفسير السمعاني ج 2/ص 408
علينا ننج المؤمنين 103 قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين 104 وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين 105 ولا تدع من دون الماضي ومعناه أنجينا رسلنا والذين آمنوا قوله كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين يعني محمدا وأصحابه
قوله تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فإن قال قائل كيف قال إن كنتم في شك من ديني وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به على بصيرة الجواب أنه قد كان فيهم قوم شاكوك فالمراد من الآية أولئك القوم والثاني أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي
قوله فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ظاهر المعنى فإن قال قائل ما معنى قوله إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله وهو لا يعبد الذين من دون الله شكوا أو لم يشكوا وما معنى قوله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ولأي شيء خص الوفاة بالذكر
الجواب أما الأول معناه إن كنتم في شك فلست في شك ولا أعبد إلا الله على يقين وبصيرة وأما ذكر الوفاة في قوله يتوفاكم بمعنى التهديد فإن العذاب يقع على الكافر حتى تدركه الوفاة
وأمرت أن أكون من المؤمنين أي من المخلصين

قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين حنيفا معناه وأمرت أن أستقيم لله على الدين مخلصا ويقال معناه واستقم على الدين الذي أمرت به بوجهك قوله تعالى حنيفا قد بينا من قبل ويقال إن الآية في التوجه إلى القبلة وهي الكعبة وهي في معنى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وقوله ولا تكونن من المشركين ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:408
تفسير السمعاني ج 2/ص 409
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين 106 وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به

من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم 107 قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل 108 واتبع ما يوحى
قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الدعاء يكون بمعنيين أحدهما بمعنى النداء كقولك يا زيد ويا عمرو والآخر بمعنى الطلب
وقوله ما لا ينفعك ولا يضرك معناه لا ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن تركت دعاءه وقوله فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين يعني ممن وضع الدعاء في غير موضعه
قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو معناه إن يصبك الله بضر والضر هو الخوف والمرض والجوع ونحوه
وقوله فلا كاشف له إلا هو أي لا كاشف لذلك الضر إلا الله
وقوله وإن يرك بخير أي يصبك بخير والخير هو الخصب والسعة والعافية ونحوه
وقوله فلا راد لفضله أي لا مانع لفضله
قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ظاهر المعنى

قوله تعالى قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم الحق هاهنا هو ما ينجو به الإنسان وضده الباطل وهو الذي يهلك به الإنسان وقيل معناه الإسلام وقيل معناه القرآن وقوله فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه يعني يحتاط لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها يعني من كفر وترك الإيمان فإنما وباله وضلاله عليه
قوله وما أنا عليكم بوكيل أي بمسلط ومعناه أنكم تسألون عن

تفسير السمعاني ج:2 ص:409
تفسير السمعاني ج 2/ص 410
إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين 109 أعمالكم ولا أسأل أنا عن أعمالكم كما يسأل من وكل بالشيء
قوله تعالى واتبع ما يوحي إليك الوحي إلقاء الشيء في قلب الإنسان على الخفية وقوله واصبر الصبر تجرع المرارة بالامتناع عن الشيء المشتهى لتوقع المحبوب في العاقبة ومما يعين الإنسان على الصبر علمه بحقيقة الأمر وما ينال من الثواب والثقة بموعود الله تعالى وقوله حتى يحكم الله أي حتى يقضي الله وهو خير الحاكمين أي خير القاضين

تفسير السمعاني ج:2 ص:410
تفسير السمعاني ج 2/ص 411
بسم الله الرحمن الرحيم
آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير 1 ألا تعبدوا إلا الله
تفسير سورة هود

سورة هود مكية إلا قوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إلى آخر الآية فإنها مدنية
قوله تعالى الر معناه أنا الله أرى وقوله كتاب أي هذا كتاب
وقوله أحكمت آياته فيه أقوال
قال قتادة معناه أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض
والثاني أن معنى قوله أحكمت آياته يعني هي محكمة غير منسوخة
والثالث أحكمت أياته يعني بالأمر والنهي والحلال والحرام

وقوله ثم فصلت فيه أقوال أحدها ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال مجاهد فصلت أي فسرت وبينت والثالث ثم فصلت أي أنزلها الله شيئا فشيئا
وقيل أحكمت آياته للمعتبرين ثم فصلت أحكامه للمتقين
وقيل أحكمت آياته للقلوب ثم فصلت أحكامه على الأبدان
وقرئ في الشاذ ثم فصلت ومعناه أنها جاءت
من لدن حكيم خبير أي من عند حكيم خبير
قوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله فيه قولان
أحدهما بأن لا تعبدوا إلا الله
والقول الثاني أمركم أن لا تعبدوا إلا الله
وقوله إنني لكم منه نذير وبشير معناه نذير للعاصين وبشير للمطيعين

تفسير السمعاني ج:2 ص:411
تفسير السمعاني ج 2/ص 412
إنني لكم منه نذير وبشير 2 وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا
قوله تعالى وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه قال أهل المعاني إنما قدم المغفرة على التوبة لأنها هي المطلوبة بالتوبة
وفي بعض الأخبار ما أصر من استغفر وإن عاد سبعين مرة وفي بعض الأخبار لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وفي الآية قول آخر أن معنى قوله وأن استغفروا ربكم يعني في الماضي ثم توبوا إليه يعني في المستأنف
قوله يمتعكم متاعا حسنا معناه يعيشكم عيشا حسنا وقيل يعمركم عمرا حسنا
وأما العيش الحسن قال بعضهم هو الرضا بالميسور والصبر على المقدر وقيل العيش الحسن هو طيب النفس وسعة الرزق ويقال العيش الحسن هو الكفاية بالحلال وقوله إلى أجل مسمى أي إلى حين الموت
وقوله ويؤت كل ذي فضل فضله فيه قولان

إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير 3 إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير 4 ألا إنهم يثنون صدورهم
أحدهما أن معناه يؤت كل ذي عمل حسن في الدنيا ثوابه في الآخرة
والقول الثاني أن قوله يؤت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله تعالى وفقه الله تعالى فيما يستقبل على طاعته ويهديه إليها
وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال كل ما يحتسب الإنسان فيه من قول أو عمل هو داخل فيها حتى الكلمة الواحدة يقولها
قوله وإن تولوا أي فإن أعرضوا قوله فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير أي يوم القيامة
ثم قال الله تعالى إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ظاهر المعنى
قوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الآية قال عبد الله بن شداد كان الرجل الكافر يمر بالنبي فيثني صدره ويستغشي بثوبه بغضا للنبي حتى لا يراه النبي ولا يرى هو النبي وعن بعضهم أن الرجل من الكفار كان يدخل بيته ويرخي ستره ويتغشى بثوبه ويحني ظهره ويقول هل يعلم الله ما في قلبي
وعن أبي رزين قريبا من القول الأول فأنزل الله تعالى هذه الآية
ومعنى قوله يثنون صدورهم أي يعطفون ويطوون ومنه ثني الثوب قال الشاعر في التغشي
أرعى النجوم ولم أؤمر برعيتهاوتارة أتغشى فضل أطمار
وقوله ليستخفوا منه أي ليستخفوا من الله تعالى وقيل ليستخفوا من النبي
وفي الشاذ أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قرأ ألا إنهم يثنوني صدورهم على وزن يفعوعل وكما يقال يحلولي
ألا حين يستغشون ثيابهم يعني يتغشون بثيابهم قوله تعالى يعلم ما

ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور 5 وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين 6 وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور قال الأزهري وغيره معنى الآية من أولها إلى آخرها إن الذين أضمروا عداوة النبي لا يخفى

علينا حالهم وفي بعض التفاسير أن رجلا كان يبطن عداوة النبي وكان يختلف إليه ويظهر المحبة له فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية
قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الآية الدابة كل ما يدب على الأرض من الحيوانات وقوله إلا على الله رزقها أي إن الله يسبب ويسهل رزقها
قال أهل المعاني هذا على المشيئة لأنه قد يرزق وقد لا يرزق وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها في الآية أقوال
روى مقسم عن ابن عباس أنه قال المستقر هو المكان الذي يأوي إليه والمستودع هو المكان الذي يدفن فيه
وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال المستقر هو أرحام الأمهات والمستودع هو الموضع الذي يدفن فيه
وقال بعضهم المستقر هو الذي يستقر عليه عمله والمستودع هو الذي يصير إليه أمره في العاقبة
ويقال المستقر أرحام الأمهات والمستودع هو أصلاب الآباء وهذا مروي عن ابن عباس أيضا
وقوله كل في كتاب مبين في اللوح المحفوظ
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام قد بينا من قبل

تفسير السمعاني ج:2 ص:414
تفسير السمعاني ج 2/ص 415
على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين 7 ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون

وقوله وكان عرشه على الماء قال ابن عباس كان العرش على الماء والماء على متن الريح أي صلب الريح وروى يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن وكيع ابن حدس عن أبي رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وكان عرشه على الماء قال يزيد بن هارون معنى قوله في عماء أي ليس معه غيره أورده ابو عيسى في كتابه على هذا الوجه
قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا معناه ليختبركم أيكم أعمل بطاعة الله تعالى وأسرع إلى طلب مرضات الله وأورع عن محارم الله ومعناه الابتلاء من الله وقد بينا من قبل
وقوله ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي إلا خدع ظاهر
قوله تعالى ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة معناه إلى أجل معدودة
قوله ليقولن ما يحبسه معناه ليقولن الذين كفروا أي شيء يحبسه يعني

العذاب وقوله ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم معناه ألا يوم يأتيهم العذاب لا يكون العذاب مصروفا عنهم
وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون معناه ونزل بهم جزاء استهزائهم
قوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة الرحمة هاهنا هي سعة الرزق

تفسير السمعاني ج:2 ص:415
تفسير السمعاني ج 2/ص 416
8 ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور 9 ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور 10 إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير 11 فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت
وقوله ثم نزعناها منه يعني أخذناها منه قوله إنه ليئوس كفور أي قنوط من رحمة الله تعالى كفور بنعمة الله

قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني يعني يقول الإنسان ذهب السيئات عني باستحقاقي لذلك ولا يراه من الله تعالى
وقوله إنه لفرح فخور الفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وهو منهي عنه في القرآن في مواضغ كثيرة
وقوله إلا الذين صبروا قال الفراء والزجاج هذا استثناء منقطع ومعناه ولكن الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير معناه ظاهر
قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك قال أهل التفسير سبب نزول الآية أن الكفار لما قالوا يا محمد أئت بقرآن غير هذا أو بدله يعنون ائت بقرآن ليس فيه سب آلهتنا - على ما ذكرنا في سورة يونس - هم النبي أن يدع سب آلهتهم ظاهرا فأنزل الله تعالى هذه الآية فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك يعني سب الآلهة ظاهرا وضائق به صدرك يعني ولعلك يضيق صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك أي هلا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك وقوله إنما أنت نذير معناه إن عليك الإنذار والإبلاغ وليس عليك أن تأتي بالآيات التي يقترحونها
وقوله والله على كل شيء وكيل أي حافظ
قوله تعالى أم يقولون افتراه معناه بل يقولون افتراه وافتراه اختلقه قل

تفسير السمعاني ج:2 ص:416
تفسير السمعاني ج 2/ص 417
نذير والله على كل شيء وكيل 12 أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين 13 فإن لم

يستجيبوا فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومعني مثله أي مثله في البلاغة
قال علي بن عيسى النحوي البلاغة على ثلاث مراتب المرتبة العليا معجزة والوسطى والأدنى ممكنه والقرآن في المرتبة العليا من البلاغة

فإن قيل قد قال في سورة يونس فأتوا بسورة مثله وقد عجزوا عن أن يأتوا بسورة فكيف يصح أن يقول لهم فأتوا بعشر سور مثله وما هذا إلا كرجل يقول لغيره أعطني درهما فيعجز عنه فيقول أعطني عشرة دراهم وأيضا فإنه قال مفتريات وهل يجوز أن يأمر الله تعالى أن يأتوا بالافتراء
الجواب عنه عنه منهم من قال إن سورة هود نزلت أولا وإن كانت في الترتيب آخرا وأنكر المبرد هذا وقال لا بل نزلت سورة يونس أولا وأجاب عن السؤال وقال معنى قوله فأتوا بسورة مثله في سورة يونس يعني مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثل القرآن في أخباره وأحكامه ووعده ووعيده فأتوا بعشر سور مثله مفتريات يعني مختلقات من غير خبر عن غيب ولا حكم ولا وعد ولا وعيد وإنما هي مجرد البلاغة وهذا جواب صحيح
وأما السؤال الثاني فالجواب قلنا الله سبحانه وتعالى لم يأمرهم بالإفتراء وإنما تحدى ومعناه أن إصراركم في تكذيب محمد وزعمكم أنه افترى القرآن يوجب عليكم أن تأتوا بمثله افتراء ليظهر كذب محمد كما زعمتموه فلما عجزتم دل أنه صادق
وقوله وادعوا من استطعتم من دون الله معناه واستعينوا بمن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين

تفسير السمعاني ج:2 ص:417
تفسير السمعاني ج 2/ص 418
لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون 14 من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون 15 أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون 16 أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك

قوله تعالى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله يجوز أن يكون قوله فاعلموا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للمشركين وقوله بعلم الله بمعنى أنزله وفيه علمه وهذا رد على المعتزلة حيث قالوا لا علم لله
وقوله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون يعني فاعلموا أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون أي مخلصون
قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها قال

الضحاك نزلت الآية في المشركين وقال مجاهد وجماعة نزلت الآية في كل من عمل عملا وأراد به غير الله وقوله نوف إليهم أعمالهم فيها يعني نجازيهم على أعمالهم في الدنيا وذلك بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبه ذلك وقوله وهم فيها لا يبخسون فيها أي في الدنيا لا يبخسون يعني لا ينقص حظهم ثم قال أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما صنعوا فيها وقوله وباطل ما كانوا يعملون أي وما حق ما كانوا يعملون
قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه في الآية حذف ومعناه أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وعامة أهل التفسير على أن المراد به النبي وقيل إن المراد منه النبي وكل مؤمن في العالم والأول هو الصحيح وقوله على بينة من ربه أي على بيان من ربه وقوله ويتلوه شاهد منه فيه أقوال
الأول عليه أكثر أهل التفسير أن المراد منه جبريل - عليه السلام - وهذا قول

تفسير السمعاني ج:2 ص:418
تفسير السمعاني ج 2/ص 419
ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر تلميذ النخعي والنخعي وغيرهم
والقول الثاني أن قوله ويتلوه شاهد منه يعني لسان محمد حكى هذا عن الحسن البصري ورواه بعضهم عن الحسين بن علي رضي الله عنهما

والثالث أن قوله ويتلوه شاهد منه هو علي - رضي الله عنه - روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال ما من قرشي إلا ونزلت فيه آية من القرآن فقيل له وهل نزل فيك شيء فقال وتيلوه شاهد منه
والرابع ويتلوه شاهد منه ملك من الملائكة نزل يحفظه ويسدده ويشهد له وقيل إن قوله شاهد منه هو الإنجيل ومعناه يتبعه مصدقا له يعني وهو مصدقه وقوله ومن قبله كتاب موسى إماما أراد به التوراة وقوله إماما ورحمة يعني كانت إماما ورحمة لمن اتبعها وهي مصدقة للقرآن شاهدة للنبي وقوله أولئك يؤمنون به قال بعضهم أراد به المهاجرين والأنصار وقال بعضهم أراد به الذين أسلموا من أهل الكتاب وقوله ومن يكفر به يعني بالرسول من الأحزاب وهم تحزبوا على النبي أي تفرقوا من قبائلهم واجتمعوا عليه من قريش وغيرهم وفي بعض التفاسير أنهم بنو أمية وبنو المغيرة وبنوأبي طلحة بن عبد العزى والمراد هو الكفار منهم دون المسلمين
والقول الثاني في الآية أن الأحزاب أهل الملل كلها روى أبو موس الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي قال ما من أحد يسمع بي فلا يؤمن إلا أدخله الله النار قال سعيد بن جبير طلبت مصداق هذا من القرآن فوجدته في قوله تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده

تفسير السمعاني ج:2 ص:419

تفسير السمعاني ج 2/ص 420
يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون 17 ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين 18 الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون

(2/398)

وقوله فلا تك في مرية منه يعني فلا تك في شك منه وقيل معناه فلا تك في شيء منه أيها الشاك قوله إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ظاهر المعنى
قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته معناه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا ثم قال أولئك يعرضون على ربهم العرض هو إظهار الشيء ليرى ويوقف على حاله ومنه قولهم عرض السلطان الجند
وقوله ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اختلف القول في الأشهاد روي عن ابن عباس أنه قال هم الأنبياء والمرسلون وقال مجاهد هم الملائكة وقال بعضهم الخلائق كلهم وقوله هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ظاهر المعنى
وروى ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي قال يدنى المؤمن ربه يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه ويقول هل تعرف كذا فيقول أعرف هل تعرف كذا فيقول أعرف فيسأله ما سأله ثم يقول سترته عليك في الدنيا وأنا أغفره لك اليوم ثم يعطى كتابه بيمينه وأما الكفار فينادى على رءوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين
وهذا الحديث هو حديث النجوى اتفقوا على صحته عن النبي
قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله معناه الذين يمنعون عن دين الله وقوله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون الأعوجاج في دين الله وقوله وهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:420
تفسير السمعاني ج 2/ص 421
19 أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون 20 أولئك بالآخرة هم كافرون قال ثعلب تكرير هم على طريق التأكيد لدخول الآخرة بينهما

(2/399)

قوله تعالى أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض معناه أولئك لم يكونوا فائتين وقيل أولئك لم يكونوا هاربين من عذابنا فإن من هرب عن الشيء وقع العجز

عنه وقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء يعني من ناصرين وحافظين عن عذابنا وقوله يضاعف لهم العذاب فإن قيل ما معنى تضعيف العذاب وقد قال في موضع آخر ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها
الجواب من وجهين
أحدهما أن مضاعفة العذاب بمضاعفة الجرم
والآخر أن الآية في رؤساء أهل الشرك وتضعيف العذاب عليهم بتضليل الإتباع ودعائهم إياهم إلى شركهم
وقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال ابن عباس حال الله بينهم وبين اإيمان وذكر الفراء عن بعض أهل المعاني أن معنى الآية يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يستمعون
وسائر النحاة أنكروا تقدير الباء هاهنا والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للعمل
وفي الآية قول ثالث وهو أنهم لما يسمعوا استماع التفهم والانتفاع به ولم يبصروا بصر الحقيقة جعلهم كمن لا يستطيع السمع والبصر
قوله تعالى أولئك الذين خسروا أنفسهم معناه غبنوا أنفسهم وقيل إن

تفسير السمعاني ج:2 ص:421
تفسير السمعاني ج 2/ص 422
الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون 21 لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون 22 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون 23 مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل أعظم الخسران خسران النفس وأعظم الربح ربح النفس وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني فات عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام
قوله تعالى لا جرم فيه قولان
أحدهما لاجرم يعني حقا أنهم في الآخرة هم الأخسرون

والقول الثاني أن قوله لا رد لما قالوا وقوله جرم ابتداء كلام وجرم بمعنى كسب قال الشاعر
ولقد طعنت أبا عيينة طعنةجرمت فزارة بعدها أن يغضبوا
يعني كسبتهم الغضب وقال آخر
نصبنا رأسه في رأس جذع
بما جرمت يداه وما اعتدينا
فمعنى الآية جرم أي كسب لهم كفرهم التباب والخسران
قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم قال مجاهد يعني خشعوا وقال بعضهم اطمأنوا وروي عن ابن عباس خافوا وقوله إلى ربهم أي لربهم مثل قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي إليها فكذلك هاهنا إلى ربهم
وقوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر المعنى

قوله تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع الآية الفريقان هاهنا فريق الكفار وفريق المؤمنين وقوله كالأعمى والأصم فيه قولان
أحدهما أن الواو صلة ومعناه كالأعمى الأصم كما يقول القائل رأيت العاقل والظريف أي رأيت العاقل الظريف

تفسير السمعاني ج:2 ص:422
تفسير السمعاني ج 2/ص 423
يستويان مثلا أفلا تذكرون 24 ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير جين 25 أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم 26 فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما
والقول الثاني أن الواو لتعميم التشبيه ومعناه حال الكافر كحال الأعمى وحاله كحال الأصم وحاله كحال الأعمى والأصم
وقوله والبصير والسميع الكلام فيه مثل هذا والمراد منه حالة المؤمن وقوله هل يستويان مثلا روي أن الكفار لما سمعوا هذا قالوا لا يستويان فأنزل الله تعالى أفلا تذكرون يعني أفلا تتعظون
قوله ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين قرئ بقراءتين بالنصب والخفض فمعنى النصب بأني لكم نذير مبين

قوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله معناه آمركم ألا تعبدوا إلا الله والعبادة التوحيد وإنما بدأ بالتوحيد لأنه من أهم الأمور
وقوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم أي مؤلم والمؤلم الموجع
قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ هم الأشراف والرؤساء
وقوله ما نراك إلا بشرا مثلنا ظاهر المعنى وقوله وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي والأراذل جمع الرذل والرذل الخسيس الدون وقيل الأراذل الأسافل والرذل السفلة وفي السفلة أقوال كثيرة لأهل العلم
قال مالك بن أنس السفلة هو الذي يسب أصحاب النبي وروى عن الحسن بن زياد اللؤلؤي أنه قال السفلة الذي لا دين له
وعن الأصمعي أنه قال السفلة الذي لا يبالي ما قال وما قيل له
وعن ابن المبارك قال هم الذين يتقلسون ويأتون أبواب القضاة يطلبون الشهادات
وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال السفلة هو الذي يأكل بدينه وسفلة السفلة هو

تفسير السمعاني ج:2 ص:423
تفسير السمعاني ج 2/ص 424

نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين 27 قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون 28 ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا
الذي يسوي دنيا غيره بدينه وفي بعض الآثار أشقى الأشقياء من باع دينه بدنيا غيره وقيل إن السفلة هم أصحاب الصناعات الدنية مثل الكناسين والدباغين والسماكين والحجامين والحاكة وغيرهم وروي أن بعض العلماء ببغداد سئل عن امرأة قالت لزوجها يا سفلة فقال إن كنت سفلة فأنت طالق فقال له ذلك العالم ما صناعتك فقال سماك فقال سفلة والله سفلة
وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا

وقوله بادي الرأي قرئ بقراءتين بالهمز وترك الهمز فأما بالهمز فمعناه أول الرأي كأنهم قالوا إنهم اتبعوك في أول الرأي ولم يتفكروا ولو تفكروا لم يتبعوك وأما بادي الرأي بترك الهمز فمعناه ظاهر الرأي قال الزجاج يعني اتبعوك ظاهرا لا باطنا
وقوله وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ظاهر المعنى
قوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي يعني على بيان من ربي وقوله وآتاني رحمة من عنده الرحمة هاهنا هي النبوة والهدى قوله فعميت عليكم أي فخفيت عليكم لأن من عمي عن الشيء فقد خفى ذلك الشيء عليه وقرئ فعميت عليكم معناه فأخفيت عليكم وقوله أنلزمكموها معناه أنلزمكم الدعوة وأنتم لها كارهون قال قتادة لو قدر الأنبياء أن يلزموا قومهم لألزموا قومهم ولكن لم يقدروا
قوله تعالى ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله معناه ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:424
تفسير السمعاني ج 2/ص 425
ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون 29 ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون 30 ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين 31 قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من ثوابي إلا على الله وقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا فيه دليل أنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين وقوله إنهم ملاقوا ربهم يعني إنهم صائرون إلى ربهم فيجزي من طردهم وقوله ولكني أراكم قوم تجهلون ظاهر المعنى
قوله تعالى ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم معناه من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم أفلا تذكرون أي أغلا تتعظون

قوله تعالى ولا أقول لكم عندي خزائن الله معناه ليس عندي خزائن الله فآتي ما تطلبون وقوله ولا أعلم الغيب يعني لا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون وقوله ولا أقول إني ملك هذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا وقوله ولا أقول للذين تزدري أعينكم تزدري أي تحتقر وتستخس هذا جواب لقولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي
وقوله لن يؤتيهم الله خيرا أي لن يؤتيهم أجرا الله أعلم بما في أنفسهم يعني في صدورهم في أن يأتيهم الله خيرا
وقوله إني إذا لمن الظالمين يعني إني إذا لمن الظالمين لو قلت هذا أو طردتهم
قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا روي عن ابن عباس أنه قرأ فأكثرت جدالنا بالفتح والمجادلة خصومة على وجه المبالغة وأصل الجدل هو الفتل والعرب تسمى الصقر الأجدل لشدته في الجوارح
والفرق بين الحجاج والمجادلة أن المطلوب من الحجاج ظهور الحق في المطلوب ومن المجادلة هو رجوع الخصم إلى قوله

تفسير السمعاني ج:2 ص:425
تفسير السمعاني ج 2/ص 426
الصادقين 32 قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين 33 ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون 34 أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون 35
والفرق بين المراء والمجادلة أن المرء مذموم لأنه خصومة بعد ظهور الحق والجدال غير مذموم اللهم إلا أن يبالغ فيه من غير قصد طلب الحق
وقوله تعالى فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين هذا دليل على أنه كان وعدهم العذاب إن لم يؤمنوا
قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله إن شاء يعني بالعذاب وقوله وما أنتم بمعجزين أي بفائتين ولا هاربين

قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي والنصح إخلاص العمل عن الفساد وقيل إنه بيان موضع الغي ليجتنب وبيان موضع الرشد ليطلب وقوله إن أردت أن أنصح لكم أراد موافقة لأمر الله وقوله إن كان الله يريد أن يغويكم أكثر المفسرين على أن معناه يضلكم وقيل يخلق الغي في قلوبكم والغي ضد الرشد وذكر محمد بن جرير الطبري أن معنى قوله يغويكم يهلككم ولم يرض ابن الأنباري هذا من حيث اللغة وقال لا يستقيم في اللغة أن يذكر الإغواء بمعنى الإهلاك وقال

بعضهم يخيبكم من رحمته
وقوله هو ربكم وإليه ترجعون ظاهر المعنى وفي الآية رد على القدرية
قوله تعالى أم يقولون افتراه بل يقولون افتراه أي اختلقه وقوله قل إن افتريته فعلي إجرامي قرئ في الشاذ قعلي أجرامي بالفتح والأجرام جمع الجرم والإجرام هو كسب الذنب ومعنى الآية فعلي وبال ذنبي وجرمي وقوله وأنا برئ مما تجرمون يعني أنا برئ مما تكتسبون من الذنب
قوله تعالى وأوحى إلى نوح روى الضحاك عن ابن عباس أن قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيته ويظنون أنه قد

تفسير السمعاني ج:2 ص:426
تفسير السمعاني ج 2/ص 427
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون 36 واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون 37

مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله فروي أن شيخا جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابة أمكني من العصا فدفع إليه العصا فضرب نوحا على رأسه وشجمة شجة منكرة حتى سالت الدماء منه وهو يدعوهم إلى الإيمان فأنزل الله تعالى أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فحينئذ استجار بالدعاء وقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قال مجاهد وقتادة فلا تحزن قال أهل اللغة الابتئاس حزن مع استكانة قال الشاعر
ما يقسم الله فاقبل غير مبتئسمنه واقعد كريما ناعم البالي
قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا عن ابن عباس قال بمرأى منا
وعن الضحاك بمنظر منا وقيل برؤيتنا وحفظنا وفي القصة أن جبريل - عليه السلام - أتى نوحا - عليه السلام - فقال إن ربك يأمرك أن تصنع الفلك قال كيف أصنع ولست بنجار فقال إن ربك يقول اصنع الفلك فأنت بعيني فأخذ القدوم وجعل يصنع الفلك فلا يخطيء موضعا
وقوله ووحينا أي وأمرنا وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فيه قولان
أحدهما ولا تخاطبني في إمهال الكفار فإني قد حكمت بإغراقهم
والثاني لا تخاطبني في ابنك فإنه هالك مع القوم
قوله تعالى ويصنع الفلك روي عن زيد بن أسلم أنه قال مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطع ومكث مائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الأحبار أنه قال إن نوحا عمل السفينة في ثلاثين سنة وروي عن سلمان الفارسي أن نوحا

تفسير السمعاني ج:2 ص:427
تفسير السمعاني ج 2/ص 428
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون 38 فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب عمل السفينة في أربعمائة سنة ذكر في بعض التفاسير والمعروف الأول

وقوله وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال أهل التفسير كانوا إذا مروا عليه قالوا إن هذا الذي كان يزعم أنه نبي قد صار نجارا
وروي أنهم كانوا يقولون له يا نوح ما تصنع فيقول أصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون ويتعجبون منه
وفي بعض التفاسير عن ابن عباس أنهم لم يكونوا رأوا بحرا قط ولا سفينة وإنما البحار الآن من بقايا الطوفان
وقوله قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فإن قيل كيف يجوز أن يسخر نبي من الأنبياء من قومه
الجواب إن هذا على وجه ازدواج الكلام ومعناه إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب وقيل معناه إن تسخروا مني فسترون عاقبة سخريتكم
قوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه هذا متصل بقوله فسوف تعلمون ومعناه فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وقيل فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه هذا ومعنى قوله يخزيه يهلكه وقيل يذله وقوله ويحل عليه عذاب مقيم معناه ينزل عليه عذاب دائم وهو الغرق
قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور اختلفوا في التنور على أقوال الأكثرون على أنه تنور الخابزة هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة
وعن عكرمة قال هو وجه الأرض وحكي هذا عن ابن عباس أيضا وقالوا كأن الله تعالى جعل بينه وبين نوح علامة وقال إذا رأيت الماء قد فار على وجه الأرض فاركب السفينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:428
تفسير السمعاني ج 2/ص 429
مقيم 39 حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك

والقول الثالث ما روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال وفار التنور يعني انفجر الصبح وهو من قولهم نور الصبح تنويرا وقال بعضهم التنور هاهنا تنور من حجارة كانت حواء تخبز فيه فورثه نوح وقال الله تعالى لنوح إذا فار الماء

من آخر موضع في دارك فهو العلامة واسم التنور اسم وافقت العربية فيه العجمية
واختلفوا في موضع التنور
روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال كان بالكوفة وأشار إلى باب كندة للمسجد ومثله عن الشعبي أن التنور فار من ناحية الجانب الأيمن من مسجد الكوفة وحكي أن رجلا جاء إلى علي - رضي الله عنه - وقال يا أمير المؤمنين إني اشتريت راحلة وأعددت زادا لأذهب وأصلي في مسجد بيت المقدس فقال بع راحلتك وكل زادك وصل في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فإنه صلى فيه سبعون نبيا ومنه فار التنور
وقال بعضهم كان التنور بالشام وقال بعضهم كان بأرض الهند
وقال بعضهم التنور عين بالجزيرة تسمى عين الوردة
وقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين فيها ينصرف إلى الفلك واختلفوا في قدر الفلك
روي عن الحسن البصري أنه قال كان طول السفينة ألفا ومائتين ذراع وعرضها ستمائة ذراع والمعروف أن طولها كان ثلثمائة ذراع وعرضها كان خمسين ذراعا وارتفاعها إلى السماء كان ثلاثين ذراعا وقد قيل غير هذا والله أعلم
قال قتادة وكان بابها في عرضها قالوا وكانت ثلاث طبقات الطبقة العليا للطير والطبقة السفلى للسباع والوحوش والوسطى للنساء والرجال والحاجز بين النساء والرجال جسد آدم فإنه كان حمله مع نفسه في السفينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:429
تفسير السمعاني ج 2/ص 430
إلا من سبق عليه القول ومن آمن معه إلا قليل 40 وقال اركبوا فيها بسم الله

وقوله من كل زوجين اثنين الزوج كل واحد لا يستغني عن مثله يقال زوج خف وزوج نعل والمراد من الزوجين هاهنا الذكر والأنثى ومعناه من كل ذكر وأنثى اثنين
وفي القصة أن نوحا - عليه السلام - قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى السباع والطير إليه فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى فيحملها في السفينة وذكر وهب بن منبه أن الناس شكوا الفأر إلى نوح في السفينة فأمره الله تعالى أن يمسح جبهة الأسد فخرج من منخريه سنوران فأكلا الفأر وشكوا إليه أيضا كثرة العذرة فأمره أن يمسح على مؤخر الفيل فخرج منه خنزيران فأكلا العذرة
وقوله تعالى وأهلك معناه واحمل أهلك إلا من سبق عليه القول يعني ابنه وامرأته وقوله ومن آمن معناه وأحمل من آمن
وقوله وما آمن معه إلا قليل اختلفوا في عددهم روي عن ابن عباس أنه قال كانوا ثمانين نفرا وعن بعضهم كانوا اثنين وسبعين نفرا وعن الأعمش قال كانوا

سبعة نفر ثلاثة بنين لنوح وهم سام وحام ويافث وثلاث كنائنهم - يعني نساؤهم - ونوح وقال قتادة كانوا ثمانية نفرا
قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها بفتح الميمين وقرأ أبو رجاء العطاردي مجريها ومرسيها بالرفع
أما معنى قوله مجريها ومرسيها يعني بسم الله إجراؤها وإرساؤها ومعنىمجريها ومرسيها بالنصب يعني بسم الله جريها ورسوها وقال بعضهم كان إذا قال نوح بسم الله وأراد الجري جرت وإذا قال بسم الله وأراد الرسو رست
وأما مدة لبث نوح في السفينة قالوا استقلت السفينة على وجه الماء لعشر خلون من رجب وجرت مائة وخمسين يوما وأرست لعشر خلون من ذي الحجة وهبطوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:430
تفسير السمعاني ج 2/ص 431

مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم 41 وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين 42 قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج يوم عاشوراء إلى الأرض فصام ذلك اليوم وأمر القوم بصومه
وفي القصص أن السفينة طافت جميع الدنيا وحين وصلت إلى الكعبة طافت بها أسبوعا وكانت الكعبة قد رفعت وبقي الموضع
وقوله إن ربي لغفور رحيم معناه ظاهر
قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال معنى الموج قطعة من البحر ترتفع عند شدة الريح
وقوله ونادى نوح ابنه وكان في معزل قيل في معزل من السفينة وقيل في معزل من قومه
وقوله يا بني اركب معنا قرىء بقراءتين يا بني و يابني ومعناهما واحد وقوله ولا تكن مع الكافرين أي من الكافرين معناه ظاهر
واختلفوا في أنه هل كان ابنه من صلبه أولا
فروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وجماعة أنهم قالوا كان ابنه من صلبه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وكان عكرمة يحلف أنه كان ابن نوح لصلبه وأما الحسن ومجاهد فإنهما قالا كان ابن امرأته ولم يكن ابنه واستدلا بقوله سبحانه وتعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم قالا كان يظن أنه ابنه ولم يكن ابنه والأول هو الأصح وقيل إن اسمه كان كنعان وقيل إن اسمه كان يام
قوله تعالى قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء يعني ألتجىء إلى الجبل يمنعني من الغرق فـ قال له نوح لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم

فكان من المغرقين 43 وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين 44 ونادى نوح ربه فقال رب ففيه قولان
أحدهما أن العاصم بمعنى المعصوم ومعناه لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحم
والقول الثاني لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الله
قوله تعالى إلا من رحم هو الله تعالى وقوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين أي صار من المغرقين
وفي القصة أن الماء علا على رءوس الجبال بقدر أربعين ذراعا وقيل دونه والله أعلم
قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك معناه اشربي ماءك ويقال ابلعي أي غيبي ماءك في جوفك وقوله ويا سماء أقلعي أي أمسكي وقوله وغيض الماء وقضى الأمر معناه ونقص الماء ونضب وقوله وقضي الأمر أي فرغ من الأمر وهو هلاك القوم وقوله واستوت على الجودى معناه واستقرت على الجودى قيل إنه جبل بناحية آمد وقال الفراء جبل بناحية نصيبين وقوله وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا للقوم الظالمين
وفي مصحف ابن مسعود - رضي الله عنه - وغيض الماء واستوت على الجودي وقضي الأمر
وروي أن نوحا - صلوات الله عليه - بعث بالغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة ولم يرجع فبعث بالحمامة فجاءت بورق زيتونة في منقارها ولطخت رجليها بالطين ليعلم نوح أن الماء قد نضب فأعطيت الطوق وخضاب الرجلين من ذلك الوقت
وهذه الآية تعد من فصيحات القرآن وحكي أنها قرئت عند أعرابي فقال هذا

إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين 45 قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من كلام قادر

قوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين يعني أنت وعدتني أن تنجي أهلي وأنت أحكم الحاكمين يعني وأنت أحكم الحاكمين بالعدل
قال الله تعالى يا نوح إنه ليس من أهلك معناه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم وعلى قول الحسن ومجاهد يعني ليس بابنك
وقوله إنه عمل غير صالح معناه إنه ذو عمل غير صالح
والقول الثاني أن سؤالك إياي إنجاءه عمل غير صالح
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه - إنه عمل غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم وهذا يؤيد المعنى الثاني وقرىء إنه عمل غير صالح ومعناه إن ابنك عمل غير صالح
وقوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم فيه قولان
أحدهما أن نوحا كان يظن أنه مسلم وهو يبطن الكفر من أبيه فهذا معنى قوله لا تسألن ما ليس لك به علم
والثاني معناه أنه ليس بابن لك على ما ذكرنا
وقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين معناه إني أحذرك أن تكون من الآثمين وذنب المؤمن جهل وذنب الكافر كفر
والقول الثاني إني أعظك أن تكون من الجاهلين - يعني أن تدعو بهلاك الكفار ثم تطلب نجاة كافر

تفسير السمعاني ج:2 ص:433
تفسير السمعاني ج 2/ص 434
الجاهلين 46 قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين 47 قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم 48 تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين 49 وإلى عاد أخاهم هودا
قوله تعالى قال أي قال نوح رب إني أعوذ بك أن أسألك
غير أني أمتنع بك أن أسألك ما ليس لي به علم ومعناه سؤال العصمة
وقوله وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ظاهر المعنى

قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا معناه انزل بسلامة لك من قبلنا
وقوله وبركات عليك البركة ثبوت الخير ومنه بروك البعير وقيل إن البركة هاهنا هو أن الله سبحانه وتعالى جعله آدم الأصغر فأهلك سائر من معه من غير نسل وجعل النسل من ذريته إلى قيام الساعة وقوله وعلى أمم ممن معك معناه على ذرية أمم ممن معك قال محمد بن كعب القرظي دخل فيه كل مؤمن إلى قيام الساعة كان في صلب نوح وقوله وأمم سنمتعهم ابتداء كلام ومعناه وأمم سنمتعهم وهم الكفار وقوله ثم يمسهم منا عذاب أليم ظاهر المعنى
قوله تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك أي نلقيها إليك قوله ما كنت تعلمها

أنت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل انزال القرآن قوله فاصبر إن العاقبة للمتقين ظاهر المعنى
قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا عاد قوم كانوا بالأحقاف وهي رمال بين اليمن والشام وقيل إنهم كانوا بنفس اليمن وكانوا أعطوا زيادة في الجسم والقوة على سائر الخلق وقوله أخاهم يعني أخاهم في النسب لا في الدين ومعنى الآية وأرسلنا إلى عاد أخاهم وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا

تفسير السمعاني ج:2 ص:434
تفسير السمعاني ج 2/ص 435
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون 50 يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون 51 ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين 52 قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين
قوله قال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوا الله قوله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون والافتراء الكذب وكان كذبهم على الله تعالى

قوله تعالى يا قوم لا أسألكم عليه أجرا أي ثوابا يعني لا أسألكم على الإبلاغ أجرا وقوله إن أجري إلا على الذي فطرني معناه إن ثوابي إلا على الذي فطرني أي خلقني أفلا تعقلون ظاهر المعنى
قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه قدم الاستغفارعلى التوبة لما بينا من المعنى وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا معناه يرسل السماء عليكم مدرارا بالمطر مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة والمدرار على طريق المبالغة يقال امرأة معطار مذكار وقوله ويزدكم قوة إلى قوتكم روي أن الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام الأمهات فلم يلدن فمعنى قوله يزدكم قوة إلى قوتكم يعني يرسل عليكم المطر فتزدادون مالا ونعيد أرحام الأمهات إلى ما كان فيلدن فتزدادون قوة بالأموال والأولاد وقيل ويزدكم قوة إلى قوتكم أي شدة إلى شدتكم وقيل يزدكم قوة في دينكم إلى قوتكم في أبدانكم وقوله ولا تتولوا مجرمين أي ولا تعرضوا
قوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة واضحة وقوله وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك أي بسبب قولك وما نحن لك بمؤمنين أي بمصدقين
قوله تعالى إن نقول إلا اعتراك معناه إلا أصابك قال الشاعر
أتيتك عاريا خلقا ثيابيعلى خوف تظن بي الظنونا

تفسير السمعاني ج:2 ص:435
تفسير السمعاني ج 2/ص 436
53 إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني

بريء مما تشركون 54 من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون 55 إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم 56 فإن
والعاري هاهنا هو السائل سمي عاريا لأنه يطلب الإصابة

وقوله بعض آلهتنا بسوء أي بلمم وخبل كأنهم قالوا إنك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل واللمم وقوله قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فإن قيل كيف قال للمشركين واشهدوا ولا شهادة لهم قلنا هذا مذكور على طريق المبالغة في الحجة لا على طريق إثبات الشهادة لهم وقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون الكيد احتيال بشر وهذا القول معجزة لهود ـ صلوات الله عليه ـ فإنه أمرهم أن يحتالوا بكل حيلة لإيصال مكروه إليه ومنعهم الله تعالى عن ذلك فلم يقدروا عليه وهذا مثل قول نوح في سورة يونس فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون وقد بينا تفسيره
قوله تعالى إني توكلت على الله ربي وربكم معناه اعتمدت على الله ربي وربكم وقوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها معناه ما من دابة إلا وهي في قبضته وتنالها قدرته وخص الناصية بالذكر لأن الإذلال والإقماء في أخذ الناصية وقوله إن ربي على صراط مستقيم فيه أقوال
أحدها أن معناه إن ربي يعمل بالعدل وإن كان قادرا على كل شيء فلا يعمل إلا بالإحسان والعدل
والثاني إن ربي على صراط مستقيم معناه إن دين ربي على صراط مستقيم
والثالث قوله إن ربي على صراط مستقيم هو في معنى قوله إن ربك لبالمرصاد يعني إنه على طريق الخلق أجمع

تفسير السمعاني ج:2 ص:436
تفسير السمعاني ج 2/ص 437
تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ 57 ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ 58 وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد 59 وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا

قوله تعالى فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم معناه فإن أعرضوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم وقوله ويستخلف ربي قوما غيركم معناه إن أعرضتم يهلككم ويستخلف قوما غيركم هم أطوع لله منكم وقوله ولا تضرونه

شيئا يعني ولا تنقصونه شيئا وقوله إن ربي على كل شيء حفيظ أي حافظ لأمور خلقه على ما دبر وقدر
قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الآية قوله أمرنا أي عذابنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا أي بما هديناهم وبيناهم طريق الهدى حتى آمنوا وقوله ونجيناهم من عذاب غليظ العذاب الغليظ هو العذاب الذي أهلك به عادا وقومه وهو الريح العقيم فكانت الريح تدخل في مناخرهم وأفواههم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم تقطيعا أي قطعة قطعة
وقوله تعالى وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم معناه أنكروا آيات ربهم وقوله وعصوا رسله أي بالتكذيب وقوله واتبعوا أمر كل جبار عنيد قيل الجبار هو الذي يقتل على الغضب والعنيد هم هو المعاند قال الشاعر
إني لشيخ لا أطيق العنداولا أطيق البكرات الشردا
قوله تعالى وأتبعوا في هذه الدنيا لعنه اللعنة هي الإبعاد عن الرحمة قال أهل العلم ولا يجوز لعن البهائم لأنها غير مستحقة للبعد من رحمة الله وقد ثبت أن رجلا لعن بعيره في سفره فأمره النبي أن ينزل عنه ويخليه وقال لا يصحبنا ملعون وهذا على طريق الزجر والردع للاعن وقوله ويوم القيامة ألا إن عادا

تفسير السمعاني ج:2 ص:437
تفسير السمعاني ج 2/ص 438
كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود 60 وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا كفروا ربهم أي كفروا بربهم وقوله ألا بعدا لعاد قوم هود معناه ألا سحقا وخزيا وهلاكا لعاد قوم هود

قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا معناه وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا
وقوله أخاهم على ما قدمنا وثمود قوم كانوا بحجر بين الحجاز والشام
وقوله قال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوا الله مالكم من إله غيره أي مالكم من معبود غيره
وقوله هو أنشأكم من الأرض فيه قولان
أحدهما أنشأكم في الأرض والآخر وهو أنه أنشأكم من الأرض لأنه خلقهم من آدم وخلق آدم من الأرض
وقوله واستعمركم فيها فيه قولان
أحدهما أطال عمركم فيها وكان الواحد منهم يعيش من ثلثمائة سنه إلى ألف سنة وهكذا قوم عاد
والقول الثاني جعلكم عمارا فيها ببناء المساكن وغرس الأشجار ذكره الفراء والزجاج
وقوله فاستغفروه ثم توبوا إليه قد بينا المعنى وقوله إن ربي قريب

تفسير السمعاني ج:2 ص:438
تفسير السمعاني ج 2/ص 439
إليه إن ربي قريب مجيب 61 قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب 62 قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير 63 ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا مجيب قريب من المؤمنين مجيب لدعائهم
قوله تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي قد كنا نرجوا فيك الخير والآن قد يئسنا من خيرك وفلاحك وقوله أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ظاهر المعنى وقوله وإننا لفي شك لفي ريب مما تدعونا إليه مريب أي مرتاب وهذا على طريق التأكيد
قوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أي على حجة من ربي وقوله تعالى وآتاني منه رحمة الرحمة هاهنا بمعنى النبوة
وقوله فمن ينصرني من الله إن عصيته أي فمن يمنع مني عذاب الله إن عصيته

وقوله فما تزيدونني غير تخسير فيه قولان
أحدهما إن اتبعتكم ما كنت إلا كمن يزداد خسارا وهلاكا
والقول الثاني فما تزيدونني غير تخسير لكم وحقيقته أني أطلب منكم الرشد وأنتم تعطونني الخسار والهلاك يعني لأنفسكم
هذا كله جواب عن سؤال من سأل في هذه الآية كيف قال فما تزيدونني غير تخسير ولم يك صالح في خسار
وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية روى أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة الصماء وأشاروا إلى صخرة أمامهم قال فدعا صالح ربه فتمخضت الصخرة وسمع لها أنين كأنين الناقة ثم خرجت منها ناقة كأعظم ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:439
تفسير السمعاني ج 2/ص 440
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب 64 فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب 65 فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز 66 وأخذ الذين ظلموا الصيحة يكون من النوق وولدت في الحال ولدا مثالها فهذا معنى قوله هذه ناقة الله لكم آية
وقوله فذروها تأكل في أرض الله أي فدعوها تأكل في أرض الله وقوله ولا تمسوها بسوء أي بإهلاك وقوله فيأخذكم عذاب قريب معناه قريب من إهلاك الناقة

قوله تعالى فعقروها العقر ها هنا جراحة تؤدي إلى الهلاك
وقوله فقال تمتعوا في داركم معناه عيشوا في داركم والدار بمعنى الديار
وقوله ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فروي أنه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون اليوم الثاني ووجوهكم محمرة ثم تصبحون اليوم الثالث ووجوهكم مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب اليوم الرابع

قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا في بعض التفاسير أنه آمن معه أربعة آلاف نفر وقوله ومن خزي يومئذ معناه ومن هلاك يومئذ وقوله إن ربك هو القوي العزيز قد بينا معنى القوي والعزيز من قبل
قوله تعالى وأخذ الذين ظلموا الصيحة المعروف انه صاح بهم جبريل صيحة واحدة فهلكوا عن آخرهم وقال بعضهم خلق الله تعالى صياحا في جوف بعض الحيوانات فأهلكهم فإن قيل الصيحة مؤنثة وقد قال وأخذ الذين ظلموا الصيحة والجواب عنه أن الصيحة ها هنا بمعنى الصياح وهو جائز في اللغة

تفسير السمعاني ج:2 ص:440
تفسير السمعاني ج 2/ص 441
فأصبحوا في ديارهم جاثمين 67 كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم إلا بعدا لثمود 68 ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن
وقوله فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ميتين ويقال إنهم سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم ومنه جثم الطائر ومنه الخبر المروي نهى عن المجثمة
وقوله تعالى كأن لم يغنوا فيها معناه كأن لم يقيموا فيها منعمين مسرورين
وقوله ألا إن ثمودا كفروا ربهم أي بربهم وقوله ألا بعدا لثمود معناه كما قدمنا من قبل
قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قال السدي كانوا اثنى عشر ملكا وقال غيره كانوا تسعة من الأملاك
ويقال إنهم ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل جاءوا على صورة البشر
وفي القصة أن إبراهيم - صلوات الله عليه - كان لا يأكل إلا مع الضيف ومكث خمس عشرة ليلة ولم يأته ضيف ثم جاءه هؤلاء الملائكة وقوله بالبشرى فيه قولان
أحدهما بالبشرى بإسحاق والآخر بالبشرى بإهلاك قوم لوط

وقوله قالوا سلاما معناه قالوا سلمنا سلاما قال سلام قرئ بقراءتين إحداهما سلام وهو المعروف والآخر سلم قراءة حمزة والكسائي أما قوله سلام معناه

جوابي سلام أو قولي سلام أما قوله سلم قيل إن السلم والسلام بمعنى واحد كالحل والحلال والحرم والحرام ويقال إن السلم بمعنى

تفسير السمعاني ج:2 ص:441
تفسير السمعاني ج 2/ص 442
جاء بعجل حنيذ 69 فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط 70 وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن الصلح فمعناه أنا أطلب السلامة منكم
وقوله فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فهذا دليل على ان الضيف ينبغي أن يعجل له بشيء يأكله وهو سنة إبراهيم - صلوات الله عليه - وقوله أن جاء بعجل حنيذ العجل ولد البقرة والحنيذ هو المحنوذ وهو المشوي على الحجارة المحماة يخد له في الأرض خدا فيشوى فيه وروي أنه كان سمينا يسيل دسما
قوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لما رآهم لا يأكلون فإن الملائكة لا تأكل قوله نكرهم أي أنكرهم قال الشاعر
فأنكرتني وما كان الذي نكرتمن الحوادث إلا الشيب والصلعا
وقوله وأوجس منهم خيفة كان إبراهيم - صلوات الله عليه - نازلا على طرف من الناس فلما دخل عليه هؤلاء القوم ولم يأكلوا خاف انهم جاءوا لبلية وقصد مكروه وعادة العرب أن القوم إذا أكلوا من الطعام أمنوا منهم وإذا لم يأكلوا استشعروا خوفا فهذا معنى قوله وأوجس منهم خيفة وقوله وأوجس أي فاضمر منهم خوفا وقوله قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط معناه إنا ملائكة أرسلنا ربنا إلى قوم لوط
وقوله وامرأته قائمة في مصحف ابن مسعود وامرأته قائمة وهو قاعد وهي سارة بنت هاران فيقال إن سارة كانت تخدمهم وإبراهيم يتحدث معهم ويقال إن سارة كانت قائمة وراء الستر

قوله فضحكت الأكثرون على أن الضحك هاهنا هو الضحك المعروف وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت يقال ضحكت الأرنب إذا حاضت

تفسير السمعاني ج:2 ص:442
تفسير السمعاني ج 2/ص 443
وراء إسحاق يعقوب 71 قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا وأما الضحك المعروف فاختلف القول في أنها لم ضحكت
فالأكثرون على أنها ضحكت سرورا بما زال من الخوف عنها وعن إبراهيم وقيل ببشارة إسحاق وعلى هذا القول الآية على التقديم والتأخير فكأنه قال وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت
والقول الثالث ضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط وقد نزلت الملائكة بعذابهم

وقوله فبشرناها بإسحاق ظاهر المعنى وقوله ومن وراء إسحاق يعقوب أي من بعد إسحاق يعقوب قال أبو عبيدة الوراء ولد الولد
وقوله يعقوب قرئ بقراءتين يعقوب و يعقوب بالرفع والنصب أما الرفع معناه ويحدث يعقوب من بعد إسحاق وأما النصب فمعناه بشرناها بإسحاق وبشرناها بيعقوب وأنشد الشاعر في الوراء
حلفت فلم أترك لنفسك ريبةوليس وراء الله للمرء مذهب
وهذا شعر الأعشى
قوله تعالى قالت يا ويلتي أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا قالوا أصل قوله يا ويلتي يا ويلتي إلا أن ها هنا أبدل الألف عن الياء ومعنى قوله يا ويلتي هاهنا ا عجبا وهذه كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه وليس على حقيقة الدعاء بالويل
وقوله تعالى أألد وأنا عجوز اختلفوا في سن إبراهيم وسارة في ذلك الوقت قال محمد بن إسحاق كان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة وسن سارة تسعين سنة وقال بعضهم كان سن إبراهيم مائة سنة وسن سارة تسعة وتسعين سنة وقيل غير هذا والله أعلم

تفسير السمعاني ج:2 ص:443
تفسير السمعاني ج 2/ص 444

لشيء عجيب 72 قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد 73 فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم
قوله تعالى وهذا بعلي يعني هذا زوجي شيخا نصب على القطع وقيل على الحال
وفي قراءة ابن مسعود وهذا بعلي شيخ على الخبر قوله تعالى إن هذا لشيء عجيب يعني إن هذا لشيء مستعجب بخلاف العادة
قوله قالوا أتعجبين من أمر الله معناه لا تعجبي من أمر الله فإن الله إذا أراد شيئا كان
وقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فيه معنيان
أحدهما أن هذا على معنى الدعاء من الملائكة
والآخر أنه على معنى الخبر و رحمة الله أي نعمة الله وبركاته والبركات جمع البركة والبركة ثبوت الخير وقيل وبركاته سعاداته
وقوله عليكم أهل البيت هذا دليل على أن الأزواج يجوز أن يسمين أهل البيت وزعمت الشيعة في قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت أن الأزواج لا يدخلن في هذا وهذه الآية دليل على أنهن يدخلن فيها
قوله إنه حميد مجيد الحميد هو المحمود في أفعاله والمجيد هو الكريم وأصل المجد هو الرفعة والشرف
قوله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع قال قتادة الروع الفزع وأما الروع

بالرفع هو النفس ومنه قوله ألقى روح القدس في روعي أن لن تموت

تفسير السمعاني ج:2 ص:444
تفسير السمعاني ج 2/ص 445

لوط 74 إن إبراهيم لحليم أواه منيب 75 يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقوله وجاءته البشرى قيل إن البشرى بإسحاق ويعقوب وقيل إنها بإهلاك قوم لوط وقوله يجادلنا معناه جعل إبراهيم يجادلنا والمجادلة هاهنا كما قال في سور الذاريات والحجر قال فما خطبكم أيها المرسلون فإن قيل كيف يجوز أن يجادل إبراهيم ربه في شيء قضاه وأمر به
الجواب أن هذه المجادلة كانت مع اللائكة لا مع الرب وإنما قال يجادلنا على توسع الكلام وفي التفسير أن مجادلته كانت أنه قال للملائكة أرأيتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال أفرأيتم إن كان فيهم أربعون أتهلكونهم قالوا لا فما زال ينقص عشرة عشرة حتى بلغ خمسة نفر وكان عند إبراهيم أن امرأة لوط مؤمنة وكانت هي الخامسة ولم يعلم أنها كافرة فما بلغ عدد المؤمنين خمسة في قوم لوط
وقوله تعالى إن إبراهيم لحليم أواه منيب قد بينا من قبل وروي عن بكر بن عبد الله المزني قال المنيب هو الذي يكون قلبه مع الله تعالى وحقيقة الإنابة هي الرجوع يقال ناب وآب وأناب إذا رجع
قوله تعالى يا إبراهيم أعرض عن هذا معنى الآية أن الملائكة قالوا يا إبراهيم أعرض عن المجادلة
قوله إنه قد جاء أمر ربك أي قضاء ربك وحكم ربك وقوله وإنهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:445
تفسير السمعاني ج 2/ص 446
أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود 76 ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب 77 وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا آتيهم عذاب غير مردود أي غير مصروف عنهم
قوله لما جاءت رسلنا لوطا هؤلاء الرسل هم الذين كانوا عند إبراهيم جاءوا لوطا على صورة غلمان مرد حسن وجوههم نظيف ثيابهم طيب روائحهم

وفي القصة أنهم لقوا لوطا وهو يحتطب واستضافوه فحمل الحطب وتبعه الملائكة فمر معهم على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط لهم إن قومي شر خلق الله ثم إنه مر معهم على قوم آخرين منهم فغمزوا - أيضا - فيما بينهم فقال لوط - ثانيا - إن قومي شر خلق الله تعالى ثم إنه مر معهم على قوم آخرين فتغامزوا فيما بينهم - أيضا - فقال لوط - ثالثا - إن قومي شر خلق الله وكان الله تعالى قال لجبريل لا تهلكهم حتى يشهد لوط عليهم ثلاث مرات فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة الذين معه اشهدوا وقوله سيء بهم معناه ساءه مجيئهم وقوله وضاق بهم ذرعا يقال ضاق ذرعا فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخلاص عنه
ومعنى الآية هاهنا أنه ضاق ذرعا في حفظهم ومنع القول منهم
قوله تعالى وقال هذا يوم عصيب أي شديد قال الشاعر
فإنك إن لم ترض بكر بن وائليكن لك يوم بالعراق عصيب
أي شديد وقال آخر
يوم عصيب يعصب الأبطالا
عصب القوى السلم الطوالا
قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون إليه الآية يهرعون إليه معناه يسرعون ويهرولون وقد بينا أن لوطا قد مر معهم بهم وفي رواية أخرى أن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط - عليه السلام - وكان لوط في داره فذهبت امرأته السوء الكافرة إلى قومه وأخبرتهم مجيء هؤلاء فلما سمعوا جاءوا لقصد الفاحشة

تفسير السمعاني ج:2 ص:446
تفسير السمعاني ج 2/ص 447
يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد 78 قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما
وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات يعني الفواحش وهي إتيان الرجال
وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فيه قولان

أحدهما أنه عرض عليهم بنات نفسه تزويجا ونكاحا فإن قال قائل كيف يجوز للمشرك أن يتزوج بمسلمة
والجواب أن ذلك كان جائزا في شريعتهم ومنهم من قال عرض عليهم بشرط الإسلام
والقول الثاني - وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما - أنه عرض عليهم نساءهم وسماهن بنات نفسه لأن النبي للأمة بمنزلة الأب وفي قراءة أبي بن كعب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ومنهم من قال إنما قال هذا على طريق الدفع لا على طريق التحقيق ولم يرضوا هذا القول لأنه كان معصوما من الكذب وقوله هن أطهر لكم معناه أحل لكم
قوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي معناه خافوا الله ولا تفضحوني في

أضيافي أليس منكم رجل رشيد معناه أليس منكم رجل يأمر بالمعروف ويدفع القوم عن أضيافي وروي عن عكرمة أنه قال معنى قوله أليس منكم رجل رشيد معناه أليس فيكم رجل يقول لا إله إلا الله
قوله قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فيه معنيان أحدهما ما لنا في بناتم من حق أي حاجة وشهوة
والثاني ما لنا في بناتك من حق أي من نكاح وقوله وإنك لتعلم ما نريد معناه إنا نريد أدبار الرجال

تفسير السمعاني ج:2 ص:447
تفسير السمعاني ج 2/ص 448
نريد 79 قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد 80 قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه
قوله تعالى قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد القوة هاهنا هي القوة في البدن أو القوة بالأتباع والركن الشديد المنعة بالعشيرة
وقد ثبت عن النبي أنه قال رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد أي إلى الله رواه أبو هريرة
وعن أبي هريرة أنه قال ما بعث الله بعد ذلك نبيا إلا في منعة من قومه

قوله تعالى قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك روى أنهم جاءوا وكسروا باب لوط وقصدوا الدخول وفي رواية أخرى أنهم كانوا ينازعون مع لوط على الباب فقال جبريل يا لوط افتح الباب ودعهم يدخلوا فلما دخلوا ضرب بجناحه وجوههم فعموا كلهم وهذا معنى قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فقالوا يا لوط لقد جئتنا بقوم سحرة سترى ما تلقى منا غدا وكانوا جاءوا مساء وقوله لن يصلوا إليك معناه معلوم وقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل قرئ فسر من السرى و فأسر من الإسراء والسرى هو السير بالليل وقال الشاعر
عند الصباح يحمد القوم السرىوتنجلي عني غيابات الكرى
وقوله أسر من الإسراء والمعنيان واحد وقوله بقطع من الليل أي بآخر الليل وقيل إنه السحر الأول قال الشاعر
ونائحة تنوح بقطع ليل
على ميت بقارعة الصعيد

تفسير السمعاني ج:2 ص:448
تفسير السمعاني ج 2/ص 449
مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب 81 فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود

وقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك بالرفع وقرئ إلا امرأتك بالنصب فقوله بالنصب معناه فأسر بأهلك إلا امرأتك ومن قرأ بالرفع معناه ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فروي أنها لما سمعت الهدة في هلاك القوم التفتت وراءها فأصابها حجر فماتت وقد كان الله أمر لوطا وأهله أن لا يلتفتوا وقوله إنه مصيبها ما أصابهم ظاهر المعنى قوله إن موعدهم الصبح روي أن لوطا - عليه السلام - لما سمع هذا من جبريل قال يا جبريل أريد أن تهلكهم الآن فقال له مجيبا أليس الصبح بقريب

قوله تعالى فلما جاء أمرنا أي عذابنا وقوله جعلنا عاليها سافلها روي أن جبريل جعل جناحه تحت مدائ لوط وهي خمس مدائن وفيها أربعمائة ألف وقيل فيها أربعة آلاف ألف - ثم رفع المدائن حتى قربت من السماء وسمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب وروي أنه لم يكفأ لهم إناء ولا انتبه لهم نائم ثم قلبها وأتبعهم الله تعالى بالحجارة هذا معنى قوله تعالى جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل
وقوله من سجيل قال ابن عباس سنك وكل وكلمة سجيل فارسية معربة
وقيل إنه كان طينا مطبوخا كالآجر
والقول الثاني أن السجيل هو السماء الدنيا
والقول الثالث أن السجيل هو السجين أبدلت النون باللام وقيل إن السجيل مأخوذ من السجل وهو سجل الدلو قال الشاعر
وأنا الأخضر من يعرفنيأخضر الجلدة من بيت العرب

تفسير السمعاني ج:2 ص:449
تفسير السمعاني ج 2/ص 450
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد 83 وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم
من يساجلني يساجل ماجدايملأ الدلو إلى عقد الكرب
ومعنى السجيل في الآية هو الإرسال يعني إرسال الحجارة
وقوله منضود معناه يتبع بعضها بعضا
وقوله مسومة أي معلمة وفي القصة أنه كان عليها خطوط حمر في سواد
والقول الثاني مسومة أي عليها أسماء القوم وعن الحسن البصري أنه كان عليها شبه الخواتيم
قوله عند ربك ظاهر المعنى
وقوله وما هي من الظالمين ببعيد يعني من ظالمي أهل مكة ببعيد
وقد روي في بعض الآثار أن على رأس كل ظالم حجرا معلقا في السماء ينتظر أمر الله تعالى وهذا من الغرائب والله أعلم
وفي بعض القصص أنه كان منهم رجل في الحرم فبقي الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج الرجل وأصابه الحجر وروي أن الحجر اتبع شرادهم ومسافريهم أين كانوا في البلاد حتى هلكوا

وأورد بعضهم أن الله تعالى أهلك مدائن لوط سوى زعر فإنه أبقاها للوط وأهله
قوله تعالى وإلى مدين أخاهم شعيبا قد بينا أن الأخوة هاهنا هي الأخوة في النسب لا في الدين وقال بعضهم إنه لم يكن بين شعيب وأهل مدين أخوة في النسب - أيضا - وكان غريبا فيهم وإنما أراد بالأخوة المجانسة في البشرية والصحيح هو الأول

تفسير السمعاني ج:2 ص:450
تفسير السمعاني ج 2/ص 451
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط 84 ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين 85 بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ 86 قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما
وقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ظاهر المعنى قول ولا تنقصوا المكيال والميزان معناه ولا تبخسوا المكيال والميزان وكانوا مع شركهم يطففون في المكيال والميزان وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا مر بالسوق قال أيها الباعة أوفوا الكيل وأوفوا الوزن وقد سمعتم ما فعل الله بقوم شعيب
وعن ابن عباس قريب من هذا
وقوله إني أراكم بخير قال مجاهد أي بخصب وسعة
وقوله وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط أي محيط بكم فيهلككم
قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي بالعدل
وقيل تقويم لسان الميزان وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوا الناس أشياءهم وقوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين
قوله تعالى بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين معناه ما أبقى الله لكم من الحلال خير مما تأخذون بالبخس في المكيال والميزان وقيل بقية الله طاعة الله وقوله إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم مؤمنين أن ما عندكم من رزق الله تعالى وعطائه

قوله وما أنا عليكم بحفيظ قيل معناه لم أؤمر بقتالكم وقيل ما أنا عليكم بحفيظ أي بوكيل
قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك فيه قولان
أحدهما أدينك يأمرك والثاني أقرآنك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن

تفسير السمعاني ج:2 ص:451
تفسير السمعاني ج 2/ص 452
يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد 87 قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب 88 ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم نفعل في أموالنا ما نشاء يعني من النقصان والزيادة وقيل من قرض الدراهم والدنانير وكان قد نهاهم عن ذلك وزعم أنه محرم عليهم
وقوله إنك لأنت الحليم الرشيد فيه قولان
أحدهما إنك لأنت الحليم الرشيد في زعمك قالوا ذلك استهزاء
والثاني معناه إنك لأنت السفيه الأحمق
وقوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي معناه على بيان من ربي
وقوله ورزقني منه رزقا حسنا معناه رزقا حلالا وفي القصة أن شعيبا كان كثير المال وقيل الرزق الحسن هاهنا هو النبوة
وقوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه معناه ما أريد أن آمركم بشيء وأعمل خلافه
وقوله إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ظاهر المعنى
وقوله وما توفيقي إلا بالله دليل على أن الطاعة لا يؤتى بها إلا بتوفيق الله والتوفيق من الله هو التسهيل والتيسير والمعونة
قوله تعالى عليه توكلت أي عليه اعتمدت
وقوله وإليه أنيب معناه إليه أرجع
قوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي معناه لا يكسبنكم ولا يحملنكم شقاقي أي خلافي على فعل أن يصيبكم فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من

تفسير السمعاني ج:2 ص:452
تفسير السمعاني ج 2/ص 453
هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد 89 واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود 90 قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة الصعقة وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد قيل إنهم كانوا جيران قوم لوط في الديار وكانت مدائنهم قريبا بعضها من بعض
قوله تعالى واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه قد بينا المعنى وقوله إن ربي رحيم ودود في الودود معنيان

أحدهما أن الودود هو المحب لعباده
والثاني أو الودود بمعنى المودود أي يحبه العباد لفضله وإحسانه
وفي الخبر المعروف أن النبي قال أحبوا الله بما يغذوكم به منه نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي
وفي بعض الأخبار عن النبي قال كان شعيب خطيب الأنبياء
قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول معناه ما نفهم كثيرا مما تقول وقوله وإنا لنراك فينا ضعيفا في الضعيف أقوال أكثر المفسرين أن الضعيف هاهنا هو ضرير بالبصر ويقال إنه لغة حمير
والقول الثاني أن الضعيف هو الضعيف في البدن
والثالث أنه قليل الأتباع

تفسير السمعاني ج:2 ص:453
تفسير السمعاني ج 2/ص 454
ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز 91 قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط 92 ويا قوم اعملوا على
وقوله ولولا رهطك لرجمناك أي ولولا عشيرتك لرجمناك والرجم أقبح القتلات
وقوله وما أنت علينا بعزيز يعني ما أنت عندنا بعزيز وإنما نتركك لمكان رهطك

قوله تعالى قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله معناه أمكان رهطي عندكم أهيب وأمنع من الله تعالى وحقيقة المعنى أنكم تركتم قتلي بمكان رهطي فأولى أن تحفظوني في الله تعالى
وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا معناه وألقيتم أمر الله تعالى وراء ظهوركم يقال فلان جعل كذا منه ظهريا أي ألقاه وراء ظهره
وقوله إن ربي بما تعملون محيط ظاهر المعنى
وذكر الأزهري في تقدير الآية ومعناها قال إنكم تزعمون أنكم تتركون قتلي لكرامة رهطي فأولى أن تكرموا أمر الله وتتبعوه وحقيقة المعنى هو الإنكار على من اتقى الناس ولم يتق الله قال وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا تقول العرب فلان جعل كذا بظهر إذا تركه ولم يلتفت إليه قال الشاعر
تميم بن قيس لا تكونن حاجتيبظهر فلا يعيا على جوابها
قوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم قيل المكانة هي الحالة التي يتمكن فيها المرء من الفعل
ومعنى الآية اعملوا على تمكنكم ومنزلتكم إني عامل على تمكني ومنزلتي سوف تعلمون من ينجو ومن يهلك
والآية فيها تهديد ووعيد شديد وليس في القرآن سوف تعلمون إلا في هذه الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:454
تفسير السمعاني ج 2/ص 455
مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب 93 ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين 94 كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود 95 ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين 96 إلى
وقوله تعالى من يأتيه عذاب يخزيه يذله ويفضحه ومن هو كاذب فيه حذف وتقدير الآية سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يخزى أيضا وقوله وارتقبوا إني معكم رقيب يعني انتظروا إني معكم منتظر

قوله تعالى ولما جاء أمرنا معناه لما جاء وقت عذابنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة والصيحة الهلاك تقول العرب صاح فلان في مال فلان أي أهلكه قال امرؤ القيس
فدع عنك نهبا صيح في حجراتهولكن حديثا ما حديث الرواحل
روي أن عليا - رضي الله عنه - تمثل بهذا البيت في بعض أموره
ويقال إن الصيحة هاهنا صيحة جبريل - عليه السلام - صاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فهذا معنى قوله فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ميتين خامدين لا يتحركون
قوله كأن لم يغنوا فيها معناه كأن لم يكونوا يقيمون فيها منعمين مسرورين
وقوله ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود معناه ألا خيبة وهلاكا لمدين كما خابت وهلكت ثمود
قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين معناه بآياتنا التسع وسلطان مبين أي حجة بينة وكل سلطان ذكر في القرآن فهو بمعنى الحجة وقيل

تفسير السمعاني ج:2 ص:455
تفسير السمعاني ج 2/ص 456
فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد 97 يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود 98 وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود 99 ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد 100 وما
السلطان مأخوذ من السليط وهو الزيت الذي يستضاء به
قوله إلى فرعون وملئه وملأه معلوم قوله فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد معناه اتبعوا أمر فرعون في اتخاذه إلها وترك الإيمان بموسى وما أمر فرعون برشيد أي بمرشد إلى خير وصلاح
قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة معناه يتقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار فأدخلهم النار وبئس الورد المورود معناه بئس الداخل وبئس المدخل

وفي بعض المسانيد عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم يرفع لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فيوردونهم النار ويبقى المؤمنون فيقول الله عز وعلا لهم ماذا تنتظرون فيقولون ننتظر ربا كنا نعبده بالغيب فيقول لهم هل تعرفونه فيقولون إن شاء عرفنا نفسه قال فيتجلى لهم فيخرون له سجدا فيقول الله سبحانه وتعالى يا أهل التوحيد ارفعوا رءوسكم فقد أوجبت لكم الجنة وجعلت مكان كل واحد منكم يهوديا أو نصرانيا
وقوله تعالى وأتبعوا في هذه لعنة معناه في الدنيا لعنة بعذاب التفريق ويوم القيامة لعنة بعذاب النار وقوله بئس الرفد المرفود يعني بئست اللعنة بعد اللعنة وقال أبو عبيدة أي بئس العون المعان ومعناه هاهنا أن اللعنة جعلت لهم في موضع المعونة وقيل بئس العطاء المعطي
قوله تعالى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك معناه من أخبار القرى نقصه

تفسير السمعاني ج:2 ص:456
تفسير السمعاني ج 2/ص 457
ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب 101 وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد 102 إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود 103 وما نؤخره إلا لأجل معدود 104 يوم عليك منها قائم وحصيد أي منها معمور وخراب وقيل معناه منها قائم أي بقيت الحيطان وسقطت السقوف ومنها حصيد أي انمحى أثره
قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم قد بيناه من قبل وقوله فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر بك يعني بالعذاب وقوله وما زادوهم غير تتبيب أي غي تخسير وقيل غير تدمير

قوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة وجه التشبيه أن أخذه هؤلاء في حال الظلم والشرك كأخذه أهل القرى حين كانوا في مثل حالهم من الظلم والشرك وقوله إن أخذه أليم شديد ظاهر المعنى
وقد ثبت عن النبي أنه قال إن الله بمهل الظالم - أو يملي الظالم - حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ قوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة والخبر في الصحيحين برواية أبي موسى الأشعري
قوله تعالى إن في ذلك لآية معناه لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة ظاهر المعنى ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين

وذلك يوم مشهود يعني يشهده جميع الخلق وقيل أهل السماء وأهل الأرض
قوله تعالى وما نؤخره إلا لأجل معدود يعني إلا لوقت معلوم عند الله لا

تفسير السمعاني ج:2 ص:457
تفسير السمعاني ج 2/ص 458
يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد 105 عند الناس
وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما ـ أنه قال مدة الدنيا سبعة آلاف سنة لا يدري أحدكم ما مضى منها وكم بقي
وقوله يوم يأت وقرئ يوم يأتي بالياء وحكى الخليل وسيبويه أن العرب تقول لا أدر أي لا أدري وذكر الفراء أن العرب تجتزيء بالكسرة عن الياء بعدها وقوله لا تكلم نفس إلا بإذنه في الآية سؤال معروف وهو أن الله تعالى قد قال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال هاهنا لا تكلم نفس إلا بإذنه فكيف وجه التوفيق بينهما
الجواب قد ذكرنا أن في القيامة مواقف ففي موقف يتكلمون ويتساءلون وفي موضع يسكتون ولا يتكلمون وفي موقف يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وقيل غير هذا وقد بينا

وقوله فمنهم شقي وسعيد الشقاوة قوة أسباب البلاء والسعادة قوة أسباب النعمة ومعنى الآية هاهنا عند أهل السنة فمنهم شقي سبقت له الشقاوة ومنهم سعيد سبقت له السعادة
وفي الأخبار المسندة أن عبد الرحمن بن عوف لما حضرته الوفاة أغمي عليه فلما أفاق قال أتاني ملكان فظان غليظان وجراني وقالا تعال نحاكمك إلى العزيز الأمين قال فلقيهما ملك وقال أين تريدان به قالا نحاكمه إلى العزيز الأمين فقال لهما خليا عنه فإنه ممن سبقت له السعادة في الذكر الأول

تفسير السمعاني ج:2 ص:458
تفسير السمعاني ج 2/ص 459
فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق 106
وقد صح عن النبي أنه قال في خبر ملك الأرحام إنه إذا كتب أجله وعمله ورزقه يقول يا رب أشقي أم سعيد فيقول الله تعالى ويكتب الملك خرجه مسلم
وروى ابن عمر عن عمر - رضي الله عنهما - أنه لما نزل قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد قال عمر يا رسول الله فيم العمل أنعمل في أمر قد فرغ منه وجرت به الأقلام أو في أمر لم يفرغ منه فقال بل في أمر قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له أورده أبو عيسى في جامعه
وقال بعضهم إن السعادة والشقاوة هاهنا في الرزق والحرمان وقال بعضهم الشقاوة بالعمل السيء والسعادة بالعمل الحسن والمأثور الصحيح هو الأول

قوله تعالى فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق هذه الآية تعد من مشكلات القرآن وقد أكثر العلماء فيها الأقوال ونذكر ما يعتمد عليه
أما الزفير قيل إنه صوت في الحلق والشهيق صوت في الجوف ويقال إن الزفير أول نهاق الحمير والشهيق آخر نهاق الحمير

وقوله خالدين فيها ما دامت السموات والأرض أما بالمعنى المأثور روى الضحاك عن ابن عباس أن الآية نزلت في قوم من المؤمنين يدخلهم الله تعالى النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة ويسمون الجهنميين وقد ثبت برواية جابر أن النبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:459
تفسير السمعاني ج 2/ص 460
خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد 107 وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا قال يخرج الله قوما من النار قد صاروا حمما فيدخلهم الجنة
وفي الباب أخبار كثيرة
فعلى هذا القول معنى الآية فأما الذين شقوا هؤلاء الذين أدخلهم النار لهم فيها زفير وشهيق ظاهر المعنى خالدين فيها مقيمين فيها ما دامت السموات والأرض عبر بهذا عن طول المكث
وقوله إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد الاستثناء وقع على ما بعد الإخراج من النار بشفاعة الأنبياء والمؤمنين
وأما قوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة أراد به المؤمنين الذين أدخلهم الجنة من غير أن يدخلوا في النار وقوله خالدين فيها ما دامت السموات والأرض أي مقيمين فيها ما دامت السموات والأرض كنى بهذا عن طول المكث والعرب تقول مثل هذا وتريد به الأبد فإنهم يقولون لا آتيك ما دامت السموات والأرض يعني لا آتيك أبدا ولا آتيك ما كان لله في البحر قطرة يعني لا آتيك أبدا فخرج هذا الكلام على مخرج كلام العرب وقوله إلا ما شاء ربك الاستثناء وقع على المدة التي كانوا في النار قبل إدخالهم الجنة
وفي الآية قولان آخران معروفان سوى هذا عند أهل المعاني

أحدهما أن معنى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والأرض هو على ظاهره أي مدة بقاء السموات والأرض وقوله إلا ما شاء ربك معناه سوى ما شاء ربك من الزيادة على مدة بقائهما وحكى الفراء عن العرب أنهم يقولون لك علي ألف إلا الألفين يعني سوى الألفين الذين تقدما

تفسير السمعاني ج:2 ص:460
تفسير السمعاني ج 2/ص 461
ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ 108 فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص 109 ولقد آتينا
والقول الثاني أن معنى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والأرض أي ما دام سموات الجنة وأرضها وقوله إلا ما شاء ربك الاستثناء واقف على زمان الوقوف في القيامة ومدة المكث في القبر
وقيل في الاستثناء قول ثالث وهو أنه قال إلا ما شاء ربك معناه ولو شاء لقطع التخليد عليهم ولكن لا يشاء وهو مثل قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها إلا أن يشاء الله رب العالمين ولكن لا يشاء الله وقوله إن ربك فعال لما يرد يعني لا يمتنع عليه شيء وقال في الآية الثانية عطاء غير مجذوذ غير مقطوع
وفي بعض التفاسير عن أبي هريرة أنه قال يأتي على جهنم زمان لا يبقى فيها أحد وعن الحسن البصري قريبا من هذا
ومعنى هذا عند أهل السنة - إن ثبت - أن المراد منه الموضع الذي فيه المؤمنون من النار ثم يخرجون عنه فلا يبقى فيها أحد وأما مواضع الكفار فهي ممتلئة بهم أبد الأبد على ما نطق به الكتاب والسنة نعوذ بالله من النار
قوله تعالى فلا تك في مرية في شك مما يعبد هؤلاء يقال إن الخطاب معه والمراد منه الأمة وقوله ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ظاهر المعنى
وقوله وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ابن عباس معناه لموفوهم نصيبهم من الخير والشر بلا نقصان

تفسير السمعاني ج:2 ص:461
تفسير السمعاني ج 2/ص 462
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب 110 وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعلمون خبير 111 فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير 112
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه المراد من الآية تسلية النبي كأنه قال إن اختلفوا عليك ولم يؤمنوا بك فقد اختلفوا على موسى ولم يؤمنوا به وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك يعني لولا ما سبق من حكم الله بتأخير العذاب إلى يوم القيامة وقوله لقضي بينهم أي لعذبوا في الحال وأهلكوا وقوله وإنهم لفي شك منه مريب ظاهر المعنى
قوله تعالى وإن كلا قرئ وإن و إن - بالتخفيف والتشديد - أما إن و إن قالوا هما بمعنى واحد قال الشاعر
ووجه حسن النحركأن ثدييه حقان
معناه كأن ثدييه حقان
وقوله لما بالتخفيف قيل لما بمعنى لمن ويقال إن اللام للقسم كأن الله تعالى

قال وإن كلا لمن الله ليوفينهم ربك أعمالهم وأما قوله لما بالتشديد قيل معنى لما بالتشديد هو معناها بالتخفيف ذكره المازني
وقال الأزهري أصح المعاني أن لما بمعنى إلا أي وإلا ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير ظاهر المعنى
وقوله تعالى فاستقم كما أمرت معنى الاستقامة هو المداومة على موجب الأمر والنهي وقد روي عن النبي برواية أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب - والصحيح عن أبي ذر - أنه قال لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالحنائر - ومعناه كالأوتاد - ثم كان الاثنان أحب إليكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:462
تفسير السمعاني ج 2/ص 463

تفسير السمعاني ج 2/ص 464

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون 113
أحدهما ولا تطغوا في الاستقامة يعني لا تزيدوا على ما أمرت ونهيت فتحرموا ما أحل الله وتكلفوا أنفسكم ما لم يشرعه الله ولم يفعله الرسول وأصحابه
والمعنى الثاني الطغيان هو البطر لزيادة النعمة وقيل الطغيان والبغي بمعنى واحد
إنه بما تعملون بصير ظاهر المعنى
قوله تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فمسكم النار الركون هو المحبة والمودة والميل بالقلب وعن أبي العالية الرياحي قال هو الرضا بأعمالهم وعن السدي قال هو المداهنة معهم وعن عكرمة قال هو طاعتهم وقوله فتمسكم النار أي فتصيبكم النار
وقوله وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ظاهر المعنى
قوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار قال الحسن البصري طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء
وقال مجاهد طرفي النهار الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء
وعلى هذا القول الآية جامعة للصلوات الخمس وعن بعضهم طرفا النهار الصبح والمغرب وزلفا من الليل العتمة
ومعنى قوله زلفا من الليل ساعات الليل وقيل ساعة من الليل وقرأ مجاهد وزلفى من الليل وقرأ ابن محيصن وزلفا من الليل والمعروف زلفا من الليل قال الشاعر
طي الليالي زلفا فزلفاسماوة الهلال حتى احقوقفا

تفسير السمعاني ج:2 ص:464
تفسير السمعاني ج 2/ص 465
وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين 114

وسبب نزول الآية ما روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي فقال يا رسول الله إني دخلت بستانا فأصبت امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من امرأته إلا أني لم أجامعها وها أنا ذا بين يديك فاصنع ما شئت فأنزل الله تعالى هذه الآية وأقم الصلاة إلى ان قال إن الحسنات يذهبن السيئات قال معاذ بن جبل يا رسول الله - وفي رواية قال جاء رجل من القوم فقال يا رسول الله - هذا له خاصة أو للمسلمين عامة فقال رسول الله بل للمسلمين عامة
وروى أبو أمامة الباهلي أن رجلا أتى رسول الله وقال يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه علي فقال هل شهدت معنا هذه الصلاة وقد تطهرت فقال نعم قال عليه السلام اذهب فقد غفر الله لك ما أصبت وروت عائشة - رضي الله عنها - أن النبي قال لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات في اليوم هل يبقى من درنه شيئا قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا وهذا خبر صحيح
وفي تكفير الخطايا بالصلوات الخمس خبر عثمان - رضي الله عنه - وذكر فيه أن كل صلاة تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى وعن سلمان - رضي الله عنه

تفسير السمعاني ج:2 ص:465
تفسير السمعاني ج 2/ص 466

واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين 115 - أنه كان قاعدا في ظل شجرة فأخذ منها غصنا يابسا وهزه فتحات عنه الورق ثم قال هل تدرون لم فعلت هذا قالوا لا فقال من تطهر وصلى الصلوات الخمس تحاتت عنه الذنوب كما تحات هذا الورق من هذا الغصن وعن أبي اليسر - رجل من الأنصار - أن امرأة أتت إليه تطلب تمرا تشتريه فقال في الدكان تمر أجود مما ترينه قال فدخلت الدكان فقبلها والتزمها وأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته إلا أنه لم يجامعها ثم جاء إلى النبي - عليه السلام - وذكر له ذلك وقال افعل بي ما شئت فسكت النبي ساعة فأنزل الله تعالى هذه الآية وأقم الصلاة طرفي النهار إلى أن قال إن الحسنات يذهبن السيئات
وروي عن معاذ أنه قال يا رسول الله أوصني فقال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن

فهذه الأخبار كلها دالة على معنى الآية
وفي بعض التفاسير أن رجلا جلس إلى سعيد بن المسيب فسمعه ابن المسيب يقول اللهم وفقني للباقيات الصالحات فقال له سعيد وما الباقيات الصالحات قال الصلوات الخمس فقال سعيد لا إنما الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنما الصلوات الخمس هي الحسنات
وقوله ذلك ذكرى للذاكرين يعني ذلك عظة للمتعظين

تفسير السمعاني ج:2 ص:466
تفسير السمعاني ج 2/ص 467
فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين 116 وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون 117 ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين 118

قوله تعالى واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ظاهر المعنى حث على الصبر على هذه الصلوات فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
قوله فلولا كان من القرون من قبلكم الآية قوله فلولا معناه فهلا وقيل فلم لا والآية للتوبيخ والتعجيب وقوله أولوا بقية قيل أولوا طاعة وقيل أولوا تمييز وقيل أولو بقية من خير ويقال فلان على بقية من الخير إذا كان على طاعة أو مسكة من عقل أو على خصلة محمودة وقوله ينهون عن الفساد في الأرض يعني يقومون بالنهي عن الفساد وقوله إلا قليلا هذا استثناء منقطع ومعناه لكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد
وقوله ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه المترف هو المتنعم وقيل هو المعود بالسعة واللذة وقيل المترف هو الذي أبطره الغنى والنعمة فمعنى الآية واتبع الذين ظلموا ما عودوا من ركوب الشهوات واللذات وكانوا مجرمين ظاهر
قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون في الآية قولان أحدهما أنه لا يهلكهم بمجرد الشرك إذا تعاطوا الإنصاف فيما بينهم ولم يظلم بعضهم بعضا
والثاني هو أن الله لا يظلم أهل قرية فيهلكهم بلا جناية والأول أشهر
قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة أي ولو شاء ربك لجعل

تفسير السمعاني ج:2 ص:467
تفسير السمعاني ج 2/ص 468
إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس

أجمعين 119 وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في الناس على دين واحد
وقوله ولا يزالون مختلفين المراد منه أهل الباطل كاليهود والنصارى والمجوس وأهل الشرك وكذلك من خالف السنة من أهل القبلة
وقوله إلا من رحم ربك أي لكن من رحم ربك وهم أهل الحق لا يختلفون وقوله ولذلك خلقهم فيه أقوال

أحدها ما روي عن مجاهد أنه قال وللرحمة خلقهم وهو مروي عن ابن عباس
وقال الحسن البصري وللاختلاف خلقهم وهو أيضا مروي عن ابن عباس وعن الحسن البصري في رواية أخرى خلق أهل الجنة للجنة وخلق أهل النار للنار وخلق أهل الشقاء للشقاء وخلق أهل السعادة للسعادة
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام إن الذي أختاره في معنى الآية أنه خلق فريقا للرحمة وفريقا للعذاب قال وعليه أهل السنة
وذكر بعضهم أن مقصود الآية هو أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون وخلق أهل الباطل للاختلاف وخلق أهل الحق للاتفاق
قال النحاس وهذا أبين الأقوال وأسرحها
واستدل أبو عبيد على ما زعم من المعنى بقوله تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قال ومعناه وتم حكم ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
وقد ثبت عن النبي أنه قال - حاكيا عن الله محاجة الجنة والنار فقال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من شئت من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من شئت ولكل واحدة منكما ملؤها

تفسير السمعاني ج:2 ص:468
تفسير السمعاني ج 2/ص 469
هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين 120 وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون 121 وانتظروا إنا منتظرون 122 ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون 123
وقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصها عليك لثبت بها فؤادك فإن قيل قد كان فؤاده ثابتا فأيش معنى قوله لنثبت به فؤادك
قلنا معناه لتزداد ثباتا وهذا مثل قوله تعالى في قصة إبراهيم ولكن ليطمئن قلبي
وقوله وجاءك في هذه الحق الأكثرون أن معناه وجاءك في هذه السورة الحق
وقال بعضهم وجاءك في هذه الدنيا الحق

فإن قيل أي فائدة في تخصيص هذه السورة وقد جاءه الحق في كل سورة
قلنا فائدته تشريف السورة وتشريفها بالتخصيص لا يدل على انه لم يأته الحق في غيرها ألا ترى أن الإنسان يقول فلان في الحق إذا حضره الموت وإن كان في الحق قبله وبعده
قوله وموعظة معناه وجاءتك موعظة وذكرى للمؤمنين أي وتذكير للمؤمنين
قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون معنى الآية هو التهديد والوعيد على ما بينا من قبل
وقوله وانتظروا إنا منتظرون في معنى الآية
قوله تعالى ولله غيب السموات والأرض أي ولله علم ما غاب في السموات والأرض
وقوله وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه معناه إليه يرجع أمر العباد فيجازيهم على الخير والشر وما ربك بغافل عما تعملون يعني أنه لا يغيب عنه شيء من أعمال العباد وإن صغر والله أعلم

تفسير السمعاني ج:2 ص:469

تفسير السمعاني ج 3/ص 5
بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة يوسف
وهي مكية باتفاق القراء وفي الأخبار أن الله تعالى أنزل ما أنزل من القرآن فقرأه المسلمون مدة ثم قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى هذه السورة وفيها نحن نقص عليك أحسن القصص ثم قالوا بعد ذلك لو حدثتنا يا رسول الله فأنزل الله نزل أحسن الحديث ثم قالوا لو ذكرتنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله كل ذلك يحيلهم على القرآن
وعن خالد بن معدان أنه قال سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة
وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي قال إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام- ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم دعيت إلى ما دعى إليه لأجبت - وعنى حين دعاه الملك من السجن والخبر صحيح

تفسير السمعاني ج:3 ص:5
تفسير السمعاني ج 3/ص 6
الر تلك آيات الكتاب المبين 1 إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون 2 نحن نقص

عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين
قوله تعالى الر معناه أنا الله أرى وقد بينا من قبل سوى هذا من المعنى في معنى الحروف المقطعة فلا نعيد
وقوله تلك آيات الكتاب المبين يعني هذه الآيات التي أنزلتها عليك هي تلك الآيات التي وعدت إنزالها في التوراة والإنجيل وقوله المبين معناه البين حلاله وحرامه وقيل البين رشده وغيه
قوله تعالى إنا أنزلناه قرآنا عربيا أكثر المفسرين على أن المراد منه إنا أنزلنا القرآن عربيا وفي مسانيد ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي أنه قال أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة بالعربية وقوله لعلكم تعقلون أي تفهمون

قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قال أهل التفسير معناه نحن نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وقيل إن المراد من الآية قصة يوسف خاصة سماها أحسن القصص لزيادة التشريف وقيل أعجب القصص وقيل أحكم القصص والأول هو القول المشهور وحكي عن ابن عطاء أنه قال لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها

تفسير السمعاني ج:3 ص:6
تفسير السمعاني ج 3/ص 7
3 إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين 4 قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن
وقوله بما أوحينا إليك هذا القرآن معناه بوحينا إليك هذا القرآن وقوله وإن كنت من قبله لمن الغافلين أي لمن الساهين عن هذه القصة وغيرها
قوله تعالى إذ قال يوسف لأبيه معناه اذكر إذ قال يوسف لأبيه يا أبت قرىء بقراءتين يا أبت و يا أبت بالكسر والفتح أما بالكسر فالأصل يا أبتي ثم حذف الياء واجتزىء بالكسرة وأما بالفتح فالأصل يا أبتا ثم أسقط الألف واكتفى بالنصب قال الأعشى
فيا أبتا لا تزل عندنا فإنا نخاف بأن نخترم

وقوله إني رأيت أحد عشر كوكبا في القصة أن يوسف كان له اثنتا عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا وقد قيل غير ذلك والله أعلم وروى أنه رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة ليلة القدر وقوله أحد عشر كوكبا يعني أحد عشر نجما من نجوم

السماء وكان المراد منها إخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالكواكب وقوله والشمس والقمر تأويل الشمس أبوه وتأويل القمر أمه هكذا قال قتادة وغيره وقال بعضهم كانت أمه في الموتى وهذه خالته راحيل وقال ابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقوله رأيتهم لي ساجدين قال بعضهم عندي ساجدين لله والأصح أنهم سجدوا له تحية وكرامة فإن قال قائل قد قال ساجدين ولم يقل ساجدات وحق العربية في النجوم أن يقال ساجدات
الجواب أن الله تعالى لما أخبر عنهم بفعل من يعقل وهو السجود ألحقهم بمن يعقل في إعراب الكلام فقال ساجدين ولم يقل ساجدات بهذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:7
تفسير السمعاني ج 3/ص 8
الشيطان للإنسان عدو مبين 5 وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم 6 لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين 7 إذ قالوا
وقوله تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك قال أهل التفسير إن رؤيا الأنبياء وحي فعلم يعقوب أن الإخوة لو سمعوا بهذه الرؤيا عرفوا أنها حق فيحسدونه فأمره بالكتمان لهذا المعنى وقوله فيكيدوا لك كيدا معناه فيحتالوا لك حيلة إن الشيطان للإنسان عدو مبين ومعناه إن الشيطان يزين لهم ذلك ويحملهم عليه لعداوته للعداوة القديمة

(3/3)

قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك معناه وكما رفع منزلتك وأراك هذه الرؤيا فكذلك يجتبيك أي يصطفيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث تأويل ما تؤول إليه عاقبة أمره وأكثر المفسرين على أن المراد من هذا علم التعبير وما تؤول إليه الرؤيا قالوا وكان يوسف أعلم الناس بالرؤيا وأعبرهم لها وقوله ويتم نعمته عليك يعني يجعلك نبيا وذلك تمام النعمة على الأنبياء وعلى آل يعقوب وعلى أولاد يعقوب فإن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء وقوله كما أتمها على أبوك من قبل إبراهيم وإسحاق يعني كما جعلهما نبيين من قبل كذلك يجعلك نبيا وقوله إن ربك عليم حكيم ظاهر المعنى
وقد قيل إن المراد من تمام النعمة على إبراهيم هو إنجاؤه من النار والمراد من تمام النعمة على إسحاق هو إنجاؤه من الذبح وهذا قول مشهور وذكر الحسن البصري أنه كان بين هذه الرؤيا وبين هذا القول وبين تحقيقها ثمانون سنة وذكر عبد الله بن شداد أنه كان بينهما أربعون سنة وهذا أشهر القولين

تفسير السمعاني ج:3 ص:8

تفسير السمعاني ج 3/ص 9
ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين 8 اقتلوا
قوله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين وفي بعض المصاحف
عبرة للسائلين والآيات جمع الآية والآية هي الدلالة على أمر عظيم وفي معنى
الآية قولان
أحدهما أن اليهود سألوا رسول الله عن قصة يوسف -عليه الصلاة السلام-
وفي بعض الروايات أنهم سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى
مصر فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما في التوراة فهذا معنى قوله
آيات للسائلين أي دلالة على نبوة الرسول

والقول الثاني أن نعنى قوله آيات للسائلين يعني أنها غبر للمعتبرين فإنها
تشتمل على ذكر حسد إخوة يوسف له وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل
على ذكر رؤياه وما حقق الله منها وتشتمل على ما صبر يوسف عن قضاء
الشهوة وعلى العبودية في السجن وما آل إليه أمره من الملك وتشتمل أيضا
على ذكر حزن يعقوب وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد وذهاب الحزن
عنه وغير هذا مما يذكر في السورة فهذه عبر للمعتبرين
قوله إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا الآية كان يوسف وأخوه بنيامين
من أم واحدة وكان يعقوب شديد الحب ليوسف وكان إخوة يوسف يرون منه
من الميل إليه ما لا يرونه لأنفسهم فقالوا هذه المقالة وقوله ونحن عصبة قال
الفراء العصبة هي العشرة فما زادت قال القتيبي ومن العشرة إلى الأربعين
وقال غيرهما ونحن عصبة أي جماعة يتعصب بعضنا لبعض وقوله إن أبانا لفي
ضلال مبين معناه إن أبانا لفي خطأ ظاهر فإن قال قائل كيف وصفوا رسولا
من رسل الله مثل يعقوب بالضلالة
الجواب عنه ليس المعنى من الضلال هاهنا هو الضلال في الدين ولو

تفسير السمعاني ج:3 ص:9
تفسير السمعاني ج 3/ص 10
يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين 9
أرادوه صاروا كفارا وإنما المراد من الضلال هاهنا هو الخطأ في تدبير أمر الدنيا
وعنوا بذلك أنا أولى بالمحبة في تدبير أمر الدنيا لأنا أنفع له وأكبر من يوسف
ونصلح له أمر معايشه ونرعى له مواشيه فهو مخطىء من هذا الوجه
قوله تعالى اقتلوا يوسف القتل تخريب البنية على وجه لا يصح معها وجود
الحياة

وقوله أو اطرحوه أرضا أي اطرحوه في أرض تأكله السباع وقيل اطرحوه إلى أرض يبعد عن أبيه ويبعد أبوه عنه وقوله يخل لكم وجه أبيكم يعني يخلص لكم وجه أبيكم وقوله وتكونوا من بعده قوما صالحين يعني توبوا بعد أن فعلتم هذا ودوموا على الصلاح يعف الله عنكم
واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن توبة القاتل عمدا مقبولة فإن الله تعالى ذكر عزم القتل منهم وذكر التوبة ولم ينكر عليهم التوبة بعد القتل دل أنها مقبولة
قال ابن إسحاق -يعني محمد بن إسحاق- وقد اشتمل فعلهم على جرائم منها قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الطريح الذي لا ذنب له والغدر بالأمانة وترك العهد بالحفظ والكذب الذي عزموا عليه مع أبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام ثم عفا الله عنهم مع هذا كله لئلا ييأس أحد من رحمته
وقال بعض أهل العلم إنهم عزموا على قتله ولكن الله تعالى حبسهم عن قتله رأفة ورحمة بهم ولو مضوا على قتله لهلكوا أجمعين
قوله تعالى قال قائل منهم الأكثرون على أن هذا كان يهوذا وكان أكبرهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:10
تفسير السمعاني ج 3/ص 11
قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم
في العقل لا أكبرهم في السن هذا قول ابن عباس قال وكان ابن خالة يوسف وقال قتادة هو روبيل
وقال سفيان بن عيينة هو شمعون وأصح الأقوال هو الأول
وقوله لا تقتلوا يوسف أشار عليهم أن لا ترتكبوا هذه الكبيرة العظيمة وقوله وألقوه في غيابة الجب يعني أسفل الجب والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه قال الشاعر
بني إذا ما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل
وعنى بالغيابة القبر لأنه يغيب الميت ويستره والجب هو البئر التي لم تطو لأنه قطع قطعا ولم تطو بعد والجب هو القطع

قوله يلتقطه بعض السيارة أي يجده بعض السيارة والالتقاط هو أخذ الشيء من حيث لا يحتسبه والسيارة هم المسافرون قوله إن كنتم فاعلين يعني إن عزمتم على فعلكم
واختلف أهل العلم أنهم كانوا بالغين أو لم يكونوا بالغين حين عزموا على هذا وفعلوا
فالأكثرون أنهم كانوا رجالا بالغين إلا أنهم لم يكونوا أنبياء بعد والدليل عليه أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وهذا إنما يستقيم بعد البلوغ ويدل عليه أنهم قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له دل أنهم كانوا رجالا

ومنهم من قال كانوا صغارا وهذا القول غير مرضي واستدل من قال بهذا القول

تفسير السمعاني ج:3 ص:11
تفسير السمعاني ج 3/ص 12
فاعلين 10 قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون 11 أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون 12 قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف بأنهم قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب واللعب فعل الصغار لا فعل الكبار
وأجابوا عن هذا أنهم لم يذكروا لعبا حراما وإنما عنوا لعبا مباحا
وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سئل عن قوله نلعب فقيل له كيف قالوا نلعب وقد كانوا أنبياء فقال هذا قبل أن نبأهم الله تعالى
قوله تعالى قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف بدءوا أولا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم وحفظه مع نفسه من بينهم كأنهم قالوا له إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه
قوله وإنا له لناصحون النصح هاهنا هو القيام بمصلحه وقيل إنه البر والعطف ومعناه إنا عاطفون عليه بارون به قائمون بمصلحته

قوله تعالى أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإنا له لحافظون قوله نرتع الرتع هو الاتساع في الملاذ في طلب وجوهها يمينا وشمالا وقيل معنى الآية نأكل ونشرب وننشط ونلهو وقرىء يرتع ويلعب بالياء وهو في معنى الأول إلا أنه ينصرف إلى يوسف خاصة وقرىء يرتعي وهو يفتعل من الرعي ومعناه إنه يرعى الماشية كما نرعى وقوله وإنا له لحافظون
قوله تعالى قال إني ليحزنني أن تذهبوا به معناه إني ليغمني أن تذهبوا به والحزن هاهنا ألم القلب بفراق المحبوب وقوله وأخاف أن يأكله الذئب في القصة أن يعقوب صلوات الله عليه كان رأى في المنام كأن ذئبا شد على يوسف -وكان يخاف من ذلك- فقال ما قال بذلك الخوف وقد قال بعضهم إنه أراد بالذئب إياهم وليس هذا بشيء لأنه لو خافهم عليه لم يدفعه إليهم وما كان يجوز له ذلك ولأنه معنى متكلف مستكره فلا يجوز أن يصار إليه وقوله وأنتم عنه غافلون

تفسير السمعاني ج:3 ص:12
تفسير السمعاني ج 3/ص 13
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون 13 قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون 14 فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوا في غيابت الجب وأوحينا إليه أي ساهون
قوله تعالى قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي جماعة يتقوى بعضنا ببعض

وقوله إنا ذا لخاسرون يعني إنا إذا لعاجزون
قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب الإجماع هو العزم على الشيء والواو هاهنا مقحمة والمعنى فلما ذهبوا به أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب قال الشاعر
أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحوا علي لصوصا

وقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب معناه بأن يلقوه في غيابة الجب وذكر وهب بن منبه وغيره أنهم لما أخذوا يوسف أخذوه بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه إلى أن أصحروا به فلما أصحروا به ألقوه وجعلوا يضربونه وهو يستغيث حتى كادوا يقتلونه ثم إن يهوذا منعهم منه وذكروا أنه كان من أبناء اثنتى عشرة سنة هذا هو المعروف
وفي بعض الروايات أنه كان ابن ست سنين وفي بعض الروايات أنه كان ابن سبع عشرة سنة وهذا معروف أيضا
ثم أنهم أجمعوا على أن يطرحوه في البئر فجاءوا إلى بئر على غير الطريق واسع الأسفل ضيق الرأس فطرحوه فيها فروي أنه كان يتعلق بجوانب البئر فشدوا

تفسير السمعاني ج:3 ص:13
تفسير السمعاني ج 3/ص 14
لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون 15 وجاءوا أباهم عشاء يبكون 16 قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا يديه ثم ألقوه وفي بعض الروايات أنهم جعلوه في دلو وأرسلوه في البئر فلما بلغ الماء فإذا صخرة فقام عليها وروي أنهم قالوا له اقعد في ذلك الطاق من البئر فإذا جاء من يستقي فتعلق بالدلو حتى تخرج
قال محمد بن مسلم الطائفي لما صار يوسف في البئر دعا الله تعالى فقال يا شاهدا غير غائب ويا غالبا غير مغلوب ويا قريبا غير بعيد اجعل لي مما أنا فيه فرجا ومخرجا
ثم اختلفت الرواية أنه كم بات في البئر فالأكثرون أنه بات فيها ثلاث ليالي والقول الآخر أنه بات فيها ليلة
وقوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا قول أكثر أهل التفسير على أن هذا الوحي إلى يوسف وبعث الله جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه وهم لا يعرفون أنه يوسف وسيأتي بعد هذه القصة وقيل وهم لا يشعرون أنه أوحى إليه

وفي الآية قول آخر وهو أن الوحي هاهنا هو الإلهام وهو مثل قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه وأما إتيان جبريل كان بعد هذا
قوله تعالى وجاءوا أباهم عشاء يبكون قال أهل المعاني جاءوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب فروي أن يعقوب سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال ما لكم هل أصاب الذئب من غنمكم شيئا قالوا لا وإنما الذئب أكل يوسف وقرأ الحسن غشاء يبكون ومعناه قد غشيت أبصارهم من البكاء
وقوله قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي ننتضل وننظر لمن السبق وقيل

تفسير السمعاني ج:3 ص:14
تفسير السمعاني ج 3/ص 15
صادقين 17 وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر نستبق على أقدامنا وقد ثبت أن النبي سابق عائشة رضي الله عنها مرتين فسبقته عائشة في المرة الأولى وسبقها النبي في المرة الثانية فقال لها هذه بتلك
وقوله وتركنا يوسف عند متاعنا يعني عند ثيابنا وأقمشتنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا يعني بمصدق لنا ولو كنا صادقين يعني وإن كنا صادقين
فإن قال قائل كيف يجوز أن يقولوا لنبي الله أنت لا تصدق الصادق
الجواب معناه أنا لو كنا صادقين عندك كنت تتهمنا في هذا الأمر بشدة حبك له وميلك إليه فكيف وقد خفتنا في الابتداء واتهمتنا في حقه
وفيه معنى آخر وهو أن معنى قوله وما أنت بمؤمن لنا أنك لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله
قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب هذا دليل على أنهم نزعوا قميصه عنه حين ألقوه في البئر فروى أنه قال لهم دعوا لي قميصي أتستر به فقالوا له ادع الشمس والقمر والكواكب تسترك - يعنون ما رأى من الرؤيا
وقوله بدم كذب وقيل بدم يعني بدم ذي كذب وقيل مكذوب فيه وعن الحسن البصري أنه قرأ بدم كدب بالدال غير المعجمة وهو الدم المتغير

وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب صلوات الله عليه كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه ما عهدت الذئب حليما حكى عن الحسن البصري

تفسير السمعاني ج:3 ص:15
تفسير السمعاني ج 3/ص 16
جميل والله المستعان على ما تصفون 18 وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون 19

وشروه بثمن
وروي أن بعضهم قالوا قتله اللصوص فاختلفوا علي يعقوب فاتهمهم به و قال بل سولت لكم أنفسكم يعني كذبتم بل زينت لكم أنفسكم أمرا والتسويل التزيين وقوله فصبر جميل معناه فأمري صبر جميل وقيل فصبر جميل أختاره والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقوله والله المستعان على ما تصفون معناه والله المستعان على الصبر على ما تكذبون
وفي القصة أنهم ذهبوا وجاءوا بذئب وقالوا هذا الذي أكل ولدك فقال له يعقوب يا ذئب أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله تعالى وقال بالله ما رأيت وجه ابنك قط فقال فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة قرابة أورده النقاش في تفسيره والله أعلم
واختلفوا في موضع البئر الذي أدلي فيها يوسف قال قتادة هي بئر بيت المقدس وقيل إنها بئر بأرض الأردن وقال مقاتل بئر معروفة كانت بين منزل يعقوب وبينها ثلاثة فراسخ والله أعلم
قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه السيارة هم القوم المسافرون سموا سيارة لأنهم يسيرون في الأرض وقوله فأرسلوا واردهم والوارد هو الذي يقدم القوم ليستقي الماء من البئر قال الأصمعي تقول العرب أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر ودليتها إذا نزعتها من البئر وقوله قال يا بشراي هذا غلام فيه قولان أحدهما - وهو أظهر القولين - أن معنى قوله يا بشراي أي أبشروا هذا غلام ذكره الفراء والزجاج

والقول الثاني أنه نادى صاحبه - وكان اسمه بشرى - فقال يا بشراي هذا غلام أي يا فلان هذا غلام ذكره الأعمش والسدي

تفسير السمعاني ج:3 ص:16
تفسير السمعاني ج 3/ص 17
وفي القصة أن البئر كانت على غير الطريق ولكن القوم ضلوا الطريق حتى وقعوا عليها فلما جاء الوارد وأرسل الدلو لطلب الماء تعلق به يوسف نزعوا على ظن أنه الماء وروى ابن مجاهد عن أبيه أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حتى أخرج منها وفي القصة أيضا أن صاحب السيارة كان مالك بن دعر رجل من خزاعة وقوله وأسروه بضاعة معناه أن الوارد ومن كان معه أسروه بضاعة عن أهل الرفقة مخافة أن يطلبوا المشاركة فيه
وقوله بضاعة معناه أنهم قالوا نقول للقوم إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام والبضاعة هي القطعة من المال والبضع هو القطع ومنه قوله في فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني أي قطعة مني وهذا خبر ثابت
وقوله والله عليم بما يعملون ظاهر
قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أكثر أهل التفسير على أن الذين باعوه إخوته وهو قول ابن عباس وعامة المتقدمين وقوله شروه هو بمعنى باعوه

قال الشاعر
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة
وفي القصة أن القوم لما استخرجوا يوسف من البئر جاء إخوته وقالوا هذا غلام أبق منا وهددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وأقر ما قالوه ثم إنهم باعوه منهم
والقول الثاني في الآية أن الذين باعوا يوسف هم الذين استخرجوه من البئر والصحيح هو الأول
وقوله بثمن بخس البخس في اللغة هو النقص ومعنى البخس هاهنا هو الحرام سمي الحرام بخسا لأنه مبخوس البركة هذا قول الشعبي وغيره وقال بعضهم بثمن بخس أي ذي ظلم وعن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا

تفسير السمعاني ج:3 ص:17

(3/12)

تفسير السمعاني ج 3/ص 18
بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين 20 وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه بثمن بخس زيوف وقيل بثمن بخس أي قليلا
اختلفوا كم كان الثمن قال مجاهد كان اثنين وعشرين درهما والإخوة أحد عشر رجلا فاقتسموا وأخذ كل واحد درهمين سوى يهوذا فإنه لم يأخذ شيئا وعن ابن عباس قال باعوه بعشرين درهما وقيل باعوه بأربعين
قوله دراهم معدودة يعني أنهم عدوها عدا ولم يزنوها وزنا لقلتها وقال إنهم كانوا لا يزنون ما دون الأوقية وهو أربعون درهما
وقوله وكانوا فيه من الزاهدين يعني أنهم لم يكن لهم رغبة في يوسف لأنهم لم يعرفوا كرامته على الله وقيل إنهم كانوا في الثمن من الزاهدين على معنى أنه لم يكن قصدهم الثمن إنما قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه
وقوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه في القصص أن مالك بن دعر قدم به مصر وعرضه على البيع فاشتراه قطيفير صاحب أمر الملك وخازنه وقيل قنطور وكان يسمى العزيز ولم يك أحد بمصر يسمى باسمه كرامة وتشريفا فروى أنه اشتراه بعشرين دينارا ونعلين وحلة وذكر وهب بن منبه أنه لما عرض على البيع تزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ومائتا من قال وهب وكان ابن ثلاث عشرة سنة في ذلك الوقت وقد بينا أن على قول بعضهم كان ابن سبع عشرة سنة قال كعب وغيره كان من أحسن الناس وجها كان على صورة آدم حين خلقه

تفسير السمعاني ج:3 ص:18
تفسير السمعاني ج 3/ص 19

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من الله تعالى قبل أن يواقع المعصية وفي بعض الآثار أن يوسف أعطي شطر الحسن وهو غريب وقيل إنه انتزع إلى جدته سارة وكانت سارة أعطيت سدس الحسن

وقوله لامرأته قيل كان اسمها راغيل وقيل كان اسمها زليخة
وقوله أكرمي مثواه معناه أكرميه في المطعم والملبس والمقام والمثوى في اللغة موضع الإقامة ويقال ثوى بالمكان إذا أقام
وقوله عسى أن ينفعنا يعني نبيع بالربح إن أردنا البيع أو ينفعنا بالخدمة إن لم نبعه وقوله أو نتخذه ولدا يعني أو نعتقه ونتبناه وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه برواية أبي إسحاق عن أبي الأحوص عنه أنه قال أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حين قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب في موسى - عليه السلام - حيث قالت يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الأرض معناه كما خلصناه من الهلاك ونجيناه من ظلمة البئر كذلك مكناه في الأرض والأرض هاهنا أرض مصر وقوله مكناه أي بالتهليل وبسط اليد ورفع المنزلة إلى أن بلغ ما بلغ
وقوله ولنعلمه من تأويل الأحاديث قد بينا من قبل وقوله والله غالب على أمره فيه قولان أحدهما أن الله غالب على أمره لا يمنعه منه مانع ولا يرده عما يريد راد

تفسير السمعاني ج:3 ص:19
تفسير السمعاني ج 3/ص 20
تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون 21 ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين 22 وراودته التي هو في بيتها عن
والقول الثاني والله غالب على أمر يوسف بالتدبير والحياطة حتى يبلغه منتهى علمه فيه وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ظاهر
قوله تعالى ولما بلغ أشده الأكثرون على أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة وإليها تنتهي يعني قوة الشباب وقيل ثلاثون سنة وقيل من تمام ثماني عشرة سنة إلى أربعين وسئل مالك عن الأشد فقال هو الحلم

وقوله آتيناه حكما وعلما أي فقها وعقلا وقيل الحكم النبوة والعلم هو الفقه في الدين والفرق بين الحكيم والعالم أن العالم هو الذي يعلم الأشياء والحكيم هو الذي يعلم بما يوجبه العلم وقيل هو الذي يمنع نفسه عما يجهله ويسفهه ومنه حكمة الدابة لأنها تمنع الدابة عن الفساد قال الشاعر

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
يعني امنعوا سفهاءكم
وقوله وكذلك نجزي المحسنين ظاهر المعنى
قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه معنى المراودة طلب الفعل والمراد هاهنا هو الدعاء إلى الفاحشة وقوله وغلقت الأبواب يعني أطبقت الأبواب واستوثقت منها ويقال إنها غلقت سبعة أبواب وقوله وقالت هيت لك معناه هلم وعلى هذا أكثر المفسرين وقيل معناه تعال أنا لك وقريء هيت لك أي تهيأت لك وأنكر الكسائي هذه القراءة قال الشاعر في قوله هيت
أبلغ أمير المؤمنين
أخا العراق إذا أتينا
أن العراق وأهله
عنق إليك فهيت هيتا

تفسير السمعاني ج:3 ص:20
تفسير السمعاني ج 3/ص 21
نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون 23 ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
وقوله قال معاذ الله معناه قال أعوذ بالله أي أعتصم به إنه ربي
و الأكثرون أنه أراد به العزيز ومعناه إنه سيدي وقوله إنه ربي أحسن مثواي أي أكرم مثواي وقوله إنه لا يفلح الظالمون أنه لا يسعد الزناة ولا العصاة

قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقوله ولقد همت به همها هو عزمها على المعصية والزنا وأما هم يوسف فاعلم أنه قد ثبت عن عبد الله بن عباس أنه سئل عن قوله وهم بها قال جلس منها مجلس الخاتن وحل هميانه رواه ابن أبي مليكة وعطاء وغيرهما وعن مجاهد أنه قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المتقدمين منهم سعيد بن جبير والحسن البصري والضحاك وغيرهم
و قال أبو عبيد القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول والقول ما قاله متقدمو هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء من غير علم وكذلك قال ابن الأنباري وزعم بعض المتأخرين أن الهم كان منها هو العزيمة على المعصية وأما الهم منه كان خاطر القلب وشدة المحبة بالشهوة
وفي القصة أن المرأة قالت له ما أحسن عينيك فقال هي أول ما تسيل من وجهي في قبري فقالت ما أحسن شعرك فقال هو أول ما ينشر في قبري فقالت إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي فقال إذا يذهب نصيبي من الجنة فقالت إن الجنينة عطشة فقم فاسقها فقال إن المفتاح بيد غيري قال فجاء

تفسير السمعاني ج:3 ص:21
تفسير السمعاني ج 3/ص 22
الشيطان ودخل بينهما وأخذ يحنكه وحنكها حتى همت به وهم بها ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره وقال قطرب معنى قوله وهم بها أي وهم بها لولا أن رأى برهان ربه

وأنكر سائر النحاة عليه هذا القول وقالوا إن العرب لا تؤخر لولا عن الفعل وإنما كلام العرب هو التقديم فحسب فإنهم يقولون لولا كذا لفعلت كذا ولا يقولون فعلت كذا لولا كذا وقال بعضهم وهم بها أي بضربها ودفعها عن نفسه وهو تأويل بعيد وقال بعض أهل التفسير يحتمل أن ذلك القدر الذي فعله يوسف من الهم كان في تلك الشريعة من الصغائر يجوز على الأنبياء قال الحسن البصري إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء في القرآن ليعيرهم بها ولكن ذكرها ليبين موقع النعمة عليهم بالعفو ولئلا ييأس أحد من رحمته وقيل إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية وقوله لولا أن رأى برهان ربه أكثر أهل التفسير أنه رأى يعقوب صلوات الله عليه صكه في صدره وهو يقول له أتعمل عمل السفهاء وأنت في ديوان الأنبياء
وروى ليث عن ابن عباس أنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فرأى كفا بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين ففزع وهرب ثم إنه عاد فظهر ذلك الكف مكتوبا عليها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ففزع وهرب ثم إنه عاد فرأى ذلك الكف أيضا مكتوبا عليها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ففزع وهرب ثم إنه عاد فقال الله لجبريل أدرك عبدي قبل أن يواقع الخطيئة فجاء ومسحه بجناحه حتى خرجت شهوته من أنامله

تفسير السمعاني ج:3 ص:22
تفسير السمعاني ج 3/ص 23
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين 24 واستبقا الباب
وقال جعفر بن محمد الصادق معنى البرهان أنه كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يراني وأنا أواقع المعصية فقال يوسف أنا أحق أن أستحي من ربي وهرب

وقال محمد بن كعب القرظي البرهان هو أن الله تعالى أخطر بقلب يوسف حرمة الزنا وشدة العقوبة عليه فهرب وترك وأورد النقاش أنه لما قرب منها رأى شعرة بيضاء في أنفها فعافها وتركها وهذا قول بعيد والأصح من هذه

الأقوال الأول
وقد روي أن يعقوب صلوات الله عليه لما تمثل له صك في صدره وقال يا يوسف أنت قبل أن تزني كالطير في جو السماء ولا تطاق فإذا زنيت فأنت كالطير يسقط ويموت وأنت قبل أن تزني كالثور لا يطاق فإذا زنيت صرت كالثور يهلك فيدخل النمل في أصول قرنه
وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء السوء هو الثناء القبيح والفحشاء هو مواقعة الزنا فإن قيل هذا دليل على أنه لم يهم بالزنا ولم يقصده قلنا لا هذا بعد الهم فإن قيل أليس قد قال في أثناء السورة ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قلنا قد ثبت عن النبي أن يوسف لما قال هذا قال له جبريل ولا حين هممت فقال وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء
قوله إنه من عبادنا المخلصين قرئ المخلصين و المخلصين ومعنى المخلص هو الذي يخلص الطاعة لله ومعنى المخلص هو الذي أخلصه الله واختاره

تفسير السمعاني ج:3 ص:23
تفسير السمعاني ج 3/ص 24
وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم 25 قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين 26 وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين 27 فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن

قوله تعالى واستبقا الباب روي أن يوسف بادر الباب ليفتح ويخرج والمرأة بادرت الباب لتمسك الباب فلا يخرج يوسف فسبق يوسف وأدركته المرأة وأخذت بثوبه وشقته من دبر وهذا معنى قوله وقدت قميصه من دبر أي شقت وقوله وألفيا سيدها لدا الباب يعني وجدا زوج المرأة عند الباب فبادرت المرأة قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ثم خافت عليه أن يقتل فقالت إلا أن يسجن أو عذاب أليم ضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها قال هي راودتني عن نفسي يعني هي طلبت مني الفاحشة وقوله وشهد شاهد من أهلها فيه قولان أحدهما أن الشاهد كان صبيا في المهد قال هذا القول وهذا قول أبي هريرة وسعيد بن جبير والضحاك وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس قال أبو هريرة تكلم ثلاثة من الصبيان في المهد عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وصاحب جريج وشاهد يوسف والقول الثاني أن الشاهد كان رجلا حكيما من قرابات المرأة وكان قائما مع زوجها فسمع الجلبة من وراء الباب ورأى شق القميص فقال القول وهو قوله تعالى إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين الآية
وقوله فلما رأى قميصه قد من دبر عرف أن الذنب لها قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم وفي القصة أنه كان قليل الحمية والغيرة ثم قال ليوسف يوسف أعرض عن هذا يعني لا تذكر هذا حتى يشيع ثم قال للمرأة واستغفري لذنبك

توبي إلى الله تعالى إنك كنت من الخاطئين ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:24
تفسير السمعاني ج 3/ص 25
كيدكن عظيم 28 يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين 29 وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا
قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه المدينة هاهنا مدينة مصر وقيل إنها مدينة عين شمس

وأما النسوة قالوا هن خمس نسوة امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب الطعام وامرأة صاحب الشراب وامرأة صاحب السجن وقال بعضهم هن نسوة من أشراف نسوة مصر
وقوله امرأة العزيز قيل العزيز هو الممتنع بقدرته عن أن يضام في أمره وقوله تراود فتاها عن نفسه فتاها هاهنا بمعنى عبدها والمعنى أنها تطلب من عبدها أن يرتكب الفاحشة وقوله قد شغفها حبا روي عن ابن عباس - رضي الله عنها - أنه قال شغفها حبا أي غلبها وروي عنه أيضا أنه قال شغفها حبا أي دخل الحب في شغاف قلبها وشغاف القلب داخل القلب وقيل شغاف القلب جلدة القلب كأن الحب خرق الجلدة وأصاب القلب وغلب عليه وقيل شغاف القلب سويداء القلب وقيل حبة القلب قال الشاعر
ولا وجد إلا دون وجد وجدته أصاب شغاف القلب فالقلب مشغف
قرئ في الشاذ شعفها حبا ومعناه ذهب الحب بها كل مذهب ومنه شعف الجبال أي رءوسها
وقوله إنا لنراها في ضلال مبين أي في خطأ ظاهر ويقال في ضلال مبين يعني أنها تركت ما يكون عليه أمثالها من الستر والعفاف

تفسير السمعاني ج:3 ص:25
تفسير السمعاني ج 3/ص 26
لنراها في ضلال مبين 30 فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن
قوله فلما سمعت بمكرهن أي بتدبيرهن وقد روي أنها أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك فلهذا سماه مكرا وقوله وأرسلت إليهن أي دعتهن وقوله وأعتدت لهن متكئا قال ابن عباس ومجاهد المتكأ يتكئون على الوسائد وقد روي عن النبي أنه قال أما أنا فلا آكل متكئا وهذا مما اختاره الله تعالى له

من التواضع وأما الجبارون والعظماء فقد اعتادوا الأكل متكئين وقيل وأعتدت لهن متكئا أي طعاما وشرابا واتكاء

وقرىء في الشاذ وأعتدت لهن متكا والمتك هو الأترج ذكره ابن عباس ومجاهد وقيل إنه البزماورد أورده الضحاك وقيل هو كل ما يحز بالسكين وفي القصة أنها دعت أربعين امرأة من أشراف نساء مصر وزينت بيتا بألوان الفواكه والوسائد وفرشت البسط وقوله وآتت كل واحدة منهن سكينا أي وأعطت كل واحدة منهن سكينا وقد كانوا يأكلون اللحم جزا بالسكين والسنة هو النهش وقوله وقالت اخرج عليهن أمرت يوسف بأن يخرج عليهن فخرج وقد أخذن السكاكين ليقطعن المأكول وقوله فلما رأينه أكبرنه فيه قولان أحدهما أعظمنه والآخر حضن قال الشاعر
نأتي النساء لدى أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا
يعني إذا حضن والأولى هو الأول وأنكر أبو عبيدة أن يكون أكبرن بمعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:26
تفسير السمعاني ج 3/ص 27
وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم 31 قالت فذلكن الذي لمتنني فيه حضن
وقوله وقطعن أيديهن الأكثرون على أن هذا خدش وجرح بلا إبانة وقال بعضهم إنهن قطعن أيديهن على تحقيق قطع اليد جملة والأول أصح يقال قطع فلان يده إذا خدشها وجرحها
وفي القصة أنهن بهتن وذهبت عقولهن و قطعن أيديهن ولم يعلمن بذلك حتى سالت الدماء منهن وقوله وقلن حاش الله وقرىء حاشا لله ومعناه معاذ الله أن يكون ما هذا بشرا ومعناه بشرا مثل سائر البشر وقرىء ما هذا مشتريا أي بعبد مشترى وقوله إن هذا إلا ملك كريم يعني ملك كريم على ربه وقد روى أنس عن النبي أنه قال أعطي يوسف شطر الحسن وعن ابن إسحاق -صاحب المعاني- قال ذهب يوسف وأمه بثلثي الحسن

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي في قصة المعراج أنه رأى يوسف في السماء الثالثة قال فرأيت وجهه كالقمر ليلة البدر وروي أنه كان إذا مشى في سكك مصر رئي لوجهه ضوء على الجدران وروي أنه لما ملك وكان إذا دخلت عليه امرأة غطى وجهه لئلا تفتتن به
قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه الملامة هو الوصف بالقبيح على وجه التحقير ومعنى قولها فذلكن الذي لمتنني فيه أن هذا هو الذي لمتنني فيه

تفسير السمعاني ج:3 ص:27
تفسير السمعاني ج 3/ص 28
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين 32 قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب ثم صرحت بما فعلت وقالت ولقد راودته عن نفسه وإنما صرحت بذلك لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن بعد ذلك وقد أصابهن ما أصابهن من رؤيته وقوله تعالى فاستعصم أي امتنع وقوله ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن يعني ليعاقبن بالحبس وقوله وليكونا من الصاغرين أي ليكونن من المستحقرين والمستذلين وعن وهب بن منبه أن أولئك النسوة عشقنه وماتت جماعة منهن من عشقه
قوله تعالى قال رب السجن أحب إلي وقرىء في الشاذ رب السجن وهو الحبس والسجن موضع الحبس مما يدعونني إليه يقال لو لم يقل هذا لم يبتل بالسجن وفي بعض الأخبار البلاء موكل بالمنطق والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية
وقوله مما يدعونني إليه فيه قولان أحدهما أن الدعاء كان منها خاصة لكنه أضاف إلى جميع النسوة خروجا من التصريح إلى التعريض
والقول الثاني أنهن جميعا دعينه إلى أنفسهن
وقوله وإلا تصرف عني كيدهن معناه وإلا تصرف عنى شرهن أصب إليهن أي أمل إليهن قال الشاعر
حتى متى تصبو ورأسك أشمط أظننت أن الموت باسمك يغلط

وقوله وأكن من الجاهلين هذا دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنبا يرتكب عن جهالة وقيل معناه وأكن من المذمومين كما يذم الإنسان بفعل ما يقدم عليه جاهلا

تفسير السمعاني ج:3 ص:28
تفسير السمعاني ج 3/ص 29
إليهن وأكن من الجاهلين 33 فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم 34 ثم بدا لهن من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين 35 ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق
قوله تعالى فاستجاب له ربه أي أجاب له ربه وقوله فصرف عنه كيدهن أي شرهن إنه هو السميع العليم ظاهر المعنى
قوله ثم بدا لهم أي ظهر لهم وقوله من بعد ما رأوا الآيات هاهنا شق القميص وكلام الطفل وجز النساء أيديهن بالسكاكين وذهاب عقولهن بما رأين من جماله وقوله ليسجننه حتى حين أي ليحبسنه إلى مدة قال عطاء إلى حين إلى

أن تنقطع مقالة الناس
قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان في القصة أن المرأة قالت لزوجها قد فضحني هذا الغلام العبراني في الناس فإما أن تأذن لي أخرج وأعتذر من الناس وإما أن تحبسه فحبسه ولما حبس حبس الملك بعد ذلك رجلين من خاصته أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه ويقال كان يسمى أحدهما سرهم والآخر شرهم وكان سبب حبسهما أن الملك اتهم صاحب الطعام أنه قصد سمه وظن أيضا أن صاحب الشراب مالأه على ذلك وكان الملك هو الوليد بن مروان العمليقي وقيل غير هذا الاسم

وقوله قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وروي أن يوسف -عليه السلام- لما دخل السجن جعل يدعو إلى الله وينشر علمه فرأى هذين الرجلين وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما صاحبا الملك وأن الملك حبسهما وقد رأيا رؤيا وقد غمهما ذلك فقال لهما قصا علي ما رأيتما فقصا عليه رؤياهما وهذا معنى قوله قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وفي القصة أنه قال رأيت حبلة عليها ثلاثة عناقيد فجنيتهن وعصرتهن خمرا وسقيت منه الملك

تفسير السمعاني ج:3 ص:29
تفسير السمعاني ج 3/ص 30
رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين 36 قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة
وقوله أعصر خمرا العصر هو الاعتماد باليد على ما فيه مائية ليحلب عنه الماء وقوله خمرا قيل عنبا قيل هذا بلغة عمان قال المعتمر لقيت أعرابيا معه سلة فيها عنب فقلت ما معك قال الخمر وقال الشاعر
ينازعني به ندمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا
وأراد بالعنب الخمر ويقال معنى قوله أعصر خمرا أي عنب خمر ويقال معنى قوله أعصر خمرا أي عنبا سماه خمرا باسم ما يؤول إليه تقول العرب فلان يعصر الدبس ويطبخ الآجر يعني يعصر العنب للدبس ويطبخ اللبن للآجر قال الشاعر
الحمد لله الجليل المنان
صار الثريد في رءوس العيدان
وقوله وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه روي أن الآخر قال إني أراني كأني أحمل ثلاث سلال من الخبز على رأسي وسباع الطير ينهش منه
وقوله نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين قال كان يوسف عليه السلام إذا مرض في السجن مريض عاده وقام عليه وإذا افتقر إنسان جمع له شيئا وإذا رأى مظلوما نصره وإذا رأى حزينا سلاه وكان مع هذا يقوم الليل كله بالصلاة

والقول الثاني إنا نراك من المحسنين يعني من المحسنين لعبارة الرؤيا والإحسان بمعنى العلم يقال فلان يحسن كذا أي يعلمه
قوله تعالى قال لا يأتيكما طعام الآية بدأ يوسف -صلوات الله عليه- قبل تعبير الرؤيا بإظهار المعجزة والدعاء إلى توحيد الله فقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه

تفسير السمعاني ج:3 ص:30
تفسير السمعاني ج 3/ص 31
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون 37 واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تدعوان بطعام من منازلكما إلا نبأتكما بقدره ولونه وطعمه والوقت الذي يصل إليكما فيه قبل أن يصل إليكما وهذه المعجزة مثل معجزة عيسى - عليه السلام - وقوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
والقول الثاني أنه كان من رسم الملك إذا أراد أن يقتل إنسانا يبعث إليه بطعام معروف عندهم وإذا أراد أن يكرم إنسانا بعث إليه بطعام معروف عندهم فهذا معنى قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه
والقول الثالث لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة فقالوا من أين لك ذلك أتتكهن أم تتنجم فقال لا ولكن مما علمني ربي فهذا معنى قوله ذلكما مما علمني ربي وقوله إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ظاهر
ثم قال واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أظهر أنه نبي وأنه من ولد الأنبياء وقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء معناه أن الله قد عصمنا من الإشراك به وقوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس يعني به ما أقام من الدليل وبين من الهدى وقوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون ظاهر المعنى

ثم زاد في الدلالة على التوحيد فقال يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون وسماهما صاحبي السجن لأنهما كانا في السجن وقوله أأرباب متفرقون أي أملاك متباينون هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من نحاس وهذا من خشب وقيل هذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى وقوله خير أم الله الواحد القهار الواحد الغالب على كل شيء والمراد نفي الخيرية منهم أصلا وقد ذكرنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:31

الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون 38 يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار 39 ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون 40 يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر من قبل ثم زاد وقال ما تعبدون من دونه أي من دون الله إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم يعني هذه الأصنام أسماء مجردة خالية عن المعنى وقوله ما أنزل الله بها من سلطان أي حجة إن الحكم إلا لله ما الحكم إلا الله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ظاهر المعنى قوله ذلك الدين القيم أي الطريق المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ظاهر المعنى
وفي القصة أن صاحب السجن لما سمع منه ما سمع ورأى منه ما رأى أحبه حبا شديدا وجعله على أهل السجن وكذلك أهل السجن أحبوه حتى كان الرجل يخلى من السجن فيعود إليه فروي أن صاحب السجن قال له أنا أحبك فقال أنشدك الله أن تحبني - يعني أن لا تحبني - فإن من أحبني يوقعني في البلاء أحبتني عمتي فوقعت في بلاء وأحبني والدي فألقيت في الجب وأحبتني امرأة العزيز فحبست وروي أن صاحبي الملك قالا له هذه المقالة فأجابهما بهذا

قوله يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا روي أنه قال لصاحب الشراب أما تأويل رؤياك فإنك تدعى بعد ثلاثة أيام وترد إلى منزلتك من الملك وقوله وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قال وأما أنت يا صاحب الطعام فتدعى بعد ثلاثة أيام وتصلب وتأكل الطير من رأسك فروي أنهما جميعا قالا كذبنا ما رأينا شيئا فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من الأمر وما قلت كائن رأيتما أو لم ترياه وقال أبو مجلز الذي قال له أنا لم أر شيئا هو صاحب الطعام خاصة وقد روي أنهما قد رأيا ما قالا حقيقة قوله قضي الأمر تتميم الكلام

فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان 41 وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قوله تعالى وقال للذي ظن أنه ناج منهما معناه أنه أيقن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك أي عند سيدك فروي أنه قال له قل للملك إن في السجن رجلا مظلوما قد طال حبسه وقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه الأكثرون معناه فأنسى يوسف الشيطان ذكر ربه حتى استغاث بمخلوق مثله وهذا قول ابن عباس وغيره
والقول الثاني أن الشيطان أنسى الرجل الذي خلي من السجن ذكر يوسف لسيده

وقوله فلبث في السجن بضع سنين الأكثرون على أن بضع سنين هاهنا سبع سنين وقد كان لبث من قبل خمس سنين فمكث فيه اثنتي عشرة سنة وقال الأخفش البضع من الواحد إلى العشرة وقيل من ثلاث إلى التسع فروي أن الله تعالى بعث جبريل إليه فقال له قل يا يوسف من حببك إلى أبيك فقال أنت يا رب فقال من خلصك من الجب قال أنت يا رب قال من صرف عنك السوء والفحشاء قال أنت يا رب قال فما استحييت مني أن استعنت بمخلوق وعزتي لأطيلن مكثك في السجن وروي أنه قال يا رب بحق آبائي اغفر لي ذنبي فجاء جبريل وقال له وأي حق لآبائك علي أما جدك إبراهيم فقد جعلت النار عليه بردا وسلاما وأما إسماعيل ففديته بكبش عظيم وأما أبوك يعقوب فأعطيته اثني عشر ابنا وأخذت منهم واحدا فما زال يبكي حتى ابيضت عيناه وجعل يشكوني فقال يوسف إلهي بمنك القديم وفضلك العظيم وأياديك الكثيرة اغفر لي ذنبي فغفر له وروي عن الحسن البصري أنه قال دخل جبريل على

تفسير السمعاني ج:3 ص:33
تفسير السمعاني ج 3/ص 34
42 وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رءياي إن كنتم للرءيا تعبرون 43 قالوا يوسف عليهما السلام في السجن فقال له يوسف يا أخ المنذرين ما تعمل بين المذنبين فقال له جبريل يا طيب ابن الطيبين يقول لك ربك أما استحييت مني أن استعنت بمخلوق مثلك وعزتي لأطيلن حبسك فقال له يوسف عليه السلام أهو راض عني فقال نعم فقال إذا لا أبالي وروي أنه قال لجبريل ما بلغ حزن أبي يعقوب فقال حزن سبعين ثكلى فقال وكيف أجره فقال أجر مائة شهيد

قوله تعالى وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الملك هاهنا ملك مصر والملك هو القادر الواسع المقدور فيما يرجع إلى السياسة والتدبير وقوله إني أرى معناه إني أرى في المنام وقوله بقرات البقر حيوان معروف يصلح للكراب ومنه المثل الكراب على البقر لأنه أقوم به
وقوله سمان معلوم المعنى
وروي أن الملك رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر كأسمن ما يكون من البقر ثم خرج عقيبه سبع بقرات عجاف في غاية الهزال والعجف ثم إن العجاف ابتلعت السمان وأكلتها حتى لم يتبين على العجاف منها شيء ثم رأى وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي سبع سنبلات يابسة التوت على الخضر حتى غلبت عليها فلم يبق من خضرتها شيء وقوله يا أيها الملأ أفتوني في

رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون الرؤيا هو ما يتخيله الإنسان في المنام وقد بينا أن النبي قال في الرؤيا الصادقة تلك عاجل بشرى المؤمن وروي عن النبي أنه قال

تفسير السمعاني ج:3 ص:34
تفسير السمعاني ج 3/ص 35
أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين 44 وقال الذي نجا منهما وادكر إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وله معنيان أحدهما أن تقارب الزمان هو استواء الليل والنهار والطباع عند استواء الليل والنهار أصح فالرؤيا أصدق والمعنى الثاني أن تقارب الزمان هو تقارب الساعة وقد روي في بدء وحي النبي أنه كان إذا رأى الرؤيا جاءت مثل فلق الصبح
وقوله إن كنتم للرؤيا تعبرون يقال عبرت الرؤيا إذا فسرتها والتعبير هو التفسير هاهنا

قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام الضغث كل ما قبض عليه من الأخلاط من الحشيش وغيره ومعنى الآية روي عن قتادة أنه قال أضغاث أحلام أي أخلاط أحلام وعن مجاهد قال أهاويل أحلام وقيل أباطيل أحلام وقوله وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ومعناه وما نحن بتأويل الأحلام التي وصفتها هذه بعالمين
قوله وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي مدة و في القصة أن الملك جمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه فلما عجزوا عن تعبيرها اهتم هما شديدا فتذكر الغلام الساقي حال يوسف عليه السلام وقد كان فجىء بقوله فجثى بين يدي الملك وقال إن في السجن رجلا محبوسا وهو يعبر الرؤيا وذكر قصته فهذا معنى قوله وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة والأمة هاهنا بمعنى الحين وقد بينا أنه حبس سبع سنين بعد ما عبر رؤيا صاحب الملك وعن وهب

تفسير السمعاني ج:3 ص:35
تفسير السمعاني ج 3/ص 36
بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون 45 يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون 46 قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا بن منبه قال مكث يوسف في السجن سبع سنين ومكث أيوب في البلاء سبع سنين وقرىء في الشاذ وادكر بعد أمة بالهاء ومعناه بعد نسيان وقوله أنا أنبئكم بتأويله معناه أنا آتيكم بتأويله فأرسلون يعني أرسلني أيها الملك إليه
وقوله يوسف أيها الصديق في الآية اختصار ومعناه أن الملك أرسله إلى

يوسف وهو قال يوسف أيها الصديق والصديق الكثير للصدق وقوله أفتنا معناه أجبنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات هذا ذكر تقصيص الرجل رؤيا الملك على يوسف

وقوله لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون فيه قولان أحدهما لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا والثاني معناه لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون منزلتك ودرجتك في العلم
قوله تعالى قال تزرعون سبع سنين دأبا هذا خبر بمعنى الأمر ومعناه ازرعوا سبع سنين يعني على عادتكم والدأب العادة وقوله فما حصدتم الحصاد معلوم وقوله فذروه في سنبله أمرهم أن يتركوا الحنطة في السنابل ليكون أبقى على الزمان وقوله إلا قليلا مما تأكلون يعني مما تدرسون وتأكلون فكأنه أمرهم أن يحفظوا الأكثر ويأكلوا بقدر الحاجة
وقوله ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن سمى السنين المجدبة شدادا لشدتها على الناس وقوله يأكلن ما قدمتم لهن معناه يفنين ويهلكن

تفسير السمعاني ج:3 ص:36
تفسير السمعاني ج 3/ص 37
مما تأكلون 47 ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون 48 ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون 49 وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي ما قدمتم لهن وهذا على طريق التوسع والمجاز فإن السنين لا تأكل شيئا وإن القوم في السنين يأكلون وقوله إلا قليلا مما تحصنون يعني تحرزون ومعناه تحرزون للبذر
وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس الغياث هاهنا هو الخصب والسعة وقوله وفيه يعصرون قرىء بقراءتين يعصرون و تعصرون ومعناه يعصرون الزيت من الزيتون ومن العنب العصير ومن السمسم الدهن هذا قول ابن عباس ومجاهد
وقيل يعصرون ينجون قال الشاعر
وصاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود
ولقد كان عصرة المنجود يعني المنجاة وقيل يعصرون ينزل عليهم المطر من السحاب قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا

قوله تعالى وقال الملك ائتوني به في الآية اختصار أيضا فإن الرجل رجع إلى الملك وقص عليه تأويل الرؤيا ثم قال الملك ائتوني به وقوله فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك إلى سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي أي ما حال

النسوة اللاتي قطعن أيديهن على ما بينا من قبل ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما وقوله إن ربي بكيدهن عليم أي بحيلهن ومكرهن عليم
واعلم أنه قد صح عن النبي أنه قال لو لبثت في السجن مثل ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبت وفي بعض الروايات أن النبي قال رحم الله أخي يوسف لقد كان ذا حلم وأناة ولو كنت مكانه ثم دعيت لبادرت

تفسير السمعاني ج:3 ص:37
تفسير السمعاني ج 3/ص 38
قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم 50 قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين 51 ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي فإن قيل أيش قصد يوسف عليه السلام من رد الرسول وذكر النسوة وقد مضى على ذلك الزمان الطويل
الجواب المراد أنه أن لا ينظر إليه الملك بعين التهمة ويصير إليه وقد زال الشكوك عن أمره فقال ما قال هذا

قوله تعالى قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف روي أن الملك بعث إلى النسوة وفيهن امرأة العزيز فدعا بهن وقال لهن هذه المقالة وقوله ما خطبكن أي ما حالكن وقيل ما أمركن وقوله إذ راودتن يوسف عن نفسه خاطبهن بهذه المقالة والمراد امرأة العزيز خاصة وقيل إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بالطاعة لها فلهذا قال إذ راودتن يوسف عن نفسه وقوله قلن حاش لله معاذ الله ما علمنا عليه من سوء يعني ما علمنا عليه من تهمة ولا خيانة وقوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وفي القصة أن النسوة لما أخبرن ببراءة يوسف عما قرن به أقبلن على امرأة العزيز يقرونها وروي أنها خافت أن يقبلن عليها ويشهدن عليها فأقرت وقالت الآن حصحص الحق معناه تبين الحق وقيل معناه الآن ظهر الأمر بعد الانكتام قال الشاعر
ألا مبلغ عني خداشا بأنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم
أنا راودته عن نفسه ظاهر المعنى
قوله وإنه لمن الصادقين قوله تعالى ذلك ليعلم اختلفوا على أن هذا قول من الأكثرون أنه قول يوسف ومعناه ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب

تفسير السمعاني ج:3 ص:38
تفسير السمعاني ج 3/ص 39
كيد الخائنين 52 وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم 53 وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال

إنك اليوم وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ومعناه إنه لا يوضح ولا يرشد كيد الخائنين فإن قال قائل كيف دخل قول يوسف في وسط هذا الكلام وإنما المذكور كلام جرى بين الملك والنسوة

قلنا اعتراض كلام آخر بين كلام جائز على لغة العرب قال الله تعالى في قصة سليمان حكاية عن بلقيس قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون كلام الله تعالى اعتراض في الوسط ومنهم من قال وفي الآية تقدير من التقديم والتأخير معناه ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ثم يرتب على هذا في المعنى قوله ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه
قوله تعالى وما أبرىء نفسي الآية روي أن جبريل عليه السلام قال ليوسف حين قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب فقال له ولا حين هممت وروي أنه قال حين حللت التكة فقال يوسف وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء يعني إن النفس كثيرة الأمر بالسوء السوء هاهنا هو المعصية وقوله إلا ما رحم ربي قيل إلا من رحم ربي وفيه معنيان أحدهما أنه أشار إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان والقول الثاني إلا من رحم ربي هم الملائكة فإن الله تعالى لم يركب فيهم الشهوة وخلقهم على العصمة من الهم وغيره

تفسير السمعاني ج:3 ص:39
تفسير السمعاني ج 3/ص 40
لدينا مكين أمين 54 قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم 55 وكذلك
وقوله إن ربي غفور رحيم ظاهر

قوله تعالى وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي معناه أجعله خاصا لنفسي لا يشركني فيه أحد فلما كلمه في الآية اختصار أيضا فروي أنه ذهب الرسول ودعاه فقام واغتسل ولبس ثيابا نضافا وجاء إلى الملك وقوله فلما كلمه في القصة أن الملك طلب منه أن يعيد تعبير الرؤيا ليسمع منه شفاها فقص عليه فهذا معنى قوله فلما كلمه وقيل إن الملك كان يعلم سبعين لغة من لغات الناس فكلم يوسف بتلك اللغات فأجابه يوسف بها كلها وزاد لسان العبرية والعربية ولم يكن الملك يعلم ذلك فقال إنك اليوم لدينا مكين أمين والمكانة هي الجاه والحشمة والدرجة الرفيعة وقوله أمين أي صادق
قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الأرض اختلفوا أن يوسف عليه السلام لم طلب هذا قال بعضهم إنما طلب ذلك لأنه عرف أن ذلك وصله إلى وصول أهله

إليه من أبيه وإخوته وغيرهم ومنهم من قال إنما طلب ذلك لأنه عرف أنه أقوم الناس بالقيام بمصالح الناس في السنين الشداد فطلب لهذا المعنى
وقوله اجعلني على خزائن الأرض الأرض هاهنا أرض مصر والخزائن هي خزائن الطعام والأموال وقال ربيع بن أنس اجعلني على خزائن الأرض أي على خراج مصر ودخلها
إني حفيظ عليم أي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وفي بعض التفاسير إني حفيظ عليم أي كاتب حاسب فإن قيل هل يجوز أن يتولى المسلم من يد كافر عملا
قلنا قد قالوا إنه إذا علم أن الكافر يخليه والعمل بالحق يجوز أن يتولى وقد

تفسير السمعاني ج:3 ص:40
تفسير السمعاني ج 3/ص 41

مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر روي أن ملك مصر لم يكن طاغيا ظالما وإنما كان رجلا عفيفا في دينه وإنما الطاغي الظالم كان فرعون موسى وفي القصة أن الملك مكث سنة لا يوليه ثم ولاه وفي بعض الغرائب من الأخبار برواية أنس عن النبي أن يوسف لو لم يطلب يوليه في الحال ولكنه لما طلب أخر الملك سنة فإن قال قائل أيجوز للإنسان أن يزكي نفسه وقد قال يوسف عليه السلام إني حفيظ عليم قلنا يجوز إذا كان في ذلك مصلحة عامة وقيل إنه يجوز إذا عرف أنه لا يلحقه بذلك آفة وأمن العجب على نفسه وعن بعض الأئمة لا يضر المدح من عرف نفسه وقد قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر والخبر بطوله
قوله تعالى وكذلك مكنا روي أن الملك ولاه ما طلب بعد سنة وتوجه بتاج مرصع بجواهر وأجلسه على سرير الذهب واعتزل الأمر كله وفوض إليه ودانت له الملوك وسمي بالعزيز وفي القصة أيضا أن امرأة العزيز مات زوجها فزوجها الملك من يوسف - عليه السلام - وولدت له ولدين وفي بعض الروايات أنها وقفت على طريق يوسف عليه السلام ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم
قوله تعالى مكنا ومعناه ملكنا وبسطنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء أي ينزل منها حيث يشاء نصيب

تفسير السمعاني ج:3 ص:41
تفسير السمعاني ج 3/ص 42
المحسنين 56 ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون 57 وجاء إخوة يوسف برحمتنا معناه نصيب بنعمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ظاهر المعنى

قوله ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا معناه ثواب الآخرة خير للذين آمنوا وقوله وكانوا يتقون ظاهر المعنى

قوله تعالى وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه قال أصحاب الأخبار لما نصب الملك يوسف -عليه السلام- للقيام بالأمر وتدبير مال مصر دبر في جمع الطعام أحسن التدبير بنى الحصون والبيوت الكبيرة وجمع فيها طعاما للسنين المجدبة وأنفق منها بالمعروف حتى مضت السنون المخصبة ودخلت سنون القحط فروي أنه كان دبر في طعام الملك وحاشيته مرة واحدة وهو نصف النهار فكلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذ الجوع هو الملك فنادى بنصف الليل يا يوسف الجوع الجوع وفي بعض الأخبار أنه كان يقدر لكل اثنين طعام اثنين وكان يقدم جميعه بين يدي الواحد فلا يأكل إلا نصفه فلما دخلت سنة القحط قدم طعام اثنين بين يدي واحد فقدم فأكل جميعه وطلب زيادة فعرف يوسف عليه السلام أنه دخلت سنة القحط والله أعلم قالوا ودخلت السنة الأولى بهول وشدة لم يعهد الناس مثله وكان كلما جاءت سنة أخرى كانت أهول وأشد فلما كانت السنة الثانية وصل القحط إلى كنعان -وهو منزل يعقوب وأولاده- فاحتاجوا إلى الطعام حاجة شديدة فدعا بنيه وقال لهم بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا إليه لتشتروا منه الطعام قال فأرسلهم وهم عشرة نفر وحبس ابنه بنيامين عنده فقدموا مصر فهذا معنى قوله وجاء إخوة يوسف وقوله فعرفهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:42
تفسير السمعاني ج 3/ص 43
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون 58 ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين 59 فإن لم
قال ابن عباس ومجاهد عرفهم بأول ما نظر إليهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه ومعنى الآية فعرفهم بالتعريف والمعرفة تبين الشيء بما لو شوهد لميز بينه وبين غيره وقوله وهم له منكرون يعني أنهم لم يعرفوه والإنكار إبطال المعرفة بالقول فإن قال قائل كيف عرفهم ولم يعرفوه وهم إخوة

والجواب من وجوه قال عطاء بن أبي رباح كان عليه تاج الملك وكان قاعدا على سرير الملك فلم يعرفوه وذكر الكلبي أنه كان على زي ملوك مصر والأعاجم
والقول الثاني أنه كلمهم من وراء ستر فلم يعرفوه لهذا وعرفهم لأنه أبصرهم ولم يعرفوه لأنهم لم يبصروه وهذا أضعف الأقوال
والقول الثالث أنهم كانوا تركوه صغيرا وكان بين أن باعوه وبين أن دخلوا عليه

أربعون سنة فلم يعرفوه لهذا وهذا قول حسن وأما هو فكان تركهم رجالا والقول الرابع أن يوسف كان يتوقع قدومهم عليه فلما جاءوا عرفهم وأما الإخوة ما ظنوا أنه يصل إلى ما وصل إليه فأنكروه لهذا
قوله ولما جهزهم بجهازهم الآية الجهاز هو فاخر المتاع الذي ينقل من بلد إلى بلد ومعنى التجهيز هاهنا هو أنه باع منهم الطعام وسلمه إليهم وسهل لهم الرجوع إلى بلدهم
وقوله قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم في القصة أنهم لما دخلوا عليه خلا بهم في البيت وقال إني استربت بحالكم فأخبروني من أنتم فقالوا نحن بنو رجل صديق فقال ومن هو قالوا يعقوب فاستخبرهم عن حاله فذكروا أنه كان له اثنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:43
تفسير السمعاني ج 3/ص 44
تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون 60 قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون 61 وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا عشر ابنا وأنه هلك واحد منهم في البرية وحبس واحدا وهو أخوه لأمه ليستأنس به فقال أنا مستريب بكم فإن كنتم صادقين فاحملوا ذلك الأخ معكم لتزول الريبة عن حالكم وقيل إنه قال لهم لما قصت القصة عليه قصتي مثل قصتكم أيها القوم وقد فقدت أخا لي من أمي وأنا شديد الحزن عليه وقد نغص فراقه علي ملكي فأحب أن تحملوه إلي لأشكو إليه حزني ويشكو إلي حزنه فبهذا الطريق قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم

وفي بعض التفاسير أنهم ذكروا إيثار يعقوب بنيامين و أخاه في المحبة فأحب أن يرى بنيامين لينظر هل هو موضع الإيثار
وقوله ألا ترون أني أوفي الكيل يعني أتم الكيل ولا أبخسه وقوله وأنا خير المنزلين قال مجاهد أنا خير المضيفين وكان قد أحسن ضيافتهم
قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي قال الحسن إن لم تأتوني به فلا طعام لكم عندي إن جئتم وقوله ولا تقربون أي لا تقربوا بلادي ولا داري
قوله تعالى قالوا سنراود عنه أباه معناه سنطلب إلى أبيه أن يرسله معنا وقوله وإنا لفاعلون أي مجتهدون
قوله وقال لفتيته قرىء بقراءتين لفتيانه و لفتيته والفتى هو الشباب الكامل في القوة والفتية والفتيان هاهنا الغلمان وقوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يقال إن بضاعتهم كانت دارهم حملوها لشراء الطعام وعن بعضهم أن بضاعتهم كانت ثمانية جرب من سويق المقل والأصح هو الأول وقوله في رحالهم الرحل هاهنا وعاء المتاع وقيل في جواليقهم وقوله لعلهم يعرفونها

تفسير السمعاني ج:3 ص:44

تفسير السمعاني ج 3/ص 45
انقلوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون 62 فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون 63 قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين 64 إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فيه قولان أحدهما لعلهم يعرفون كرامتهم علينا وإحساننا إليهم فيحملهم ذلك على الرجوع
والقول الثاني لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم -يعني البضاعة- فيرجعون لرد البضاعة نفيا للغلط واختلف القول في أنه لم رد بضاعتهم عليهم

فأحد الأقوال ما بينا وهو أن يكون ذلك حثا لهم على الرجوع والثاني أنه عرف أن الدراهم كانت قليلة عندهم فرد الدراهم عليهم ليكون عونا لهم على شراء الطعام والثالث أنه استحيا أن يعطي أباه وإخوته بالثمن مع شدة حاجتهم وسعة الأمر عليه
قوله تعالى فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل إن لم نحمل أخانا معنا والثاني أنه كان أعطى باسم كل واحد منهم وقرا ولم يعط باسم بنيامين شيئا وقال احملوه لأعطي باسمه فهذا معنى قوله منع منا الكيل أي منع منا الكيل لبنيامين والمعنى بالكيل هو الطعام لأنه يكال وقوله فأرسل معنا أخانا نكتل أي نكيل الطعام وقيل نكتل له وقوله وإنا له لحافظون ظاهر
قوله تعالى قال هل ءآمنكم عليه الآية معنى هذا كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم وقوله فالله خير حافظا قرىء حفظا و حافظا ومعناه حفظ الله خير من حفظكم وحافظ الله خير من حافظكم
قوله وهو أرحم الراحمين ظاهر
قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم يعني ما حملوا من الدراهم قالوا يا أبانا ما نبغي فيه قولان أحدهما أي شيء نطلب على طريق الاستفهام قاله قتادة وحقيقته أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك

تفسير السمعاني ج:3 ص:45
تفسير السمعاني ج 3/ص 46
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير 65 قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط إليهم وإكرامه إياهم وحثوه بذلك على إرسال بنيامين فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا أي شيء نطلب بالكلام هذا هو العيان في الإحسان والإكرام

والقول الثاني أن ما هاهنا للنفي ومعناه لا نطلب منك مالا لنشري به الطعام هذه بضاعتنا ردت إلينا هذا المال قد رد إلينا فنحمله ونشتري به الطعام والقول الأول أصح
وقوله ونمير أهلنا يقال مار أهله إذا حمل لهم الطعام من بلد إلى بلد والميرة هو الطعام المحمول وقوله ونحفظ أخانا يعني مما تخاف عليه وقوله ونزداد كيل بعير قال مجاهد البعير هاهنا هو الحمار قال هو لغة وكانوا أصحاب حمر ولم يكن لهم إبل والأصح أنه البعير المعروف وقوله ونزداد إنما قالوا هذا لأنه كان يعطى حمل بعير باسم كل رجل ولا يزيد فهذا معنى قوله ونزداد كيل بعير قوله ذلك كيل يسير فيه معنيان أحدهما ذلك كيل قليل يعني ما حملناه قليل لا يكفينا وأهلنا فأرسل معنا أخانا نكتل ليكثر ما نحمله من الطعام والمعنى الثاني ذلك كيل يسير أي هين على من يكتاله
قوله تعالى قال لن أرسله معكم في القصة أن الإخوة جهدوا أشد الجهد وضاق الأمر على يعقوب وقومه في الطعام فلم يجد بدا من إرسال بنيامين معهم فقال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله الموثق هو العهد المؤكد بالقسم وقيل المؤكد بإشهاد الله على نفسه وقوله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فيه قولان أحدهما إلا أن تهلكوا جميعا والآخر إلا أن يأتيكم أمر من السماء ليس لكم به قوة

تفسير السمعاني ج:3 ص:46
تفسير السمعاني ج 3/ص 47
بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل 66 وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من
وقوله فلما آتوه موثقهم يعني أعطوه قال الله تعالى على ما نقول وكيل قال يعقوب الله على ما نقول وكيل والوكيل هو القائم بالتدبير وقيل وكيل أي شاهد وقيل شهيد أي شاهد وقيل حفيظ

قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد أكثر المفسرين على أنه خاف العين لأنه كانوا أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة هذا قول ابن عباس وغيره من المفسرين والعين حق وقد روي عن النبي أنه كان يعوذ الحسن والحسين
فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة ومن كل عين لامة 3 وفي الباب أخبار كثيرة وفي بعض الآثار العين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر
وفي الآية قول آخر وهو أنه خاف عليهم ملك مصر إذا رأى قوتهم واجتماعهم أن يحبسهم أو يقتلهم وحكي عن إبراهيم النخعي أنه قال كان يرجو يعقوب أن يروا يوسف ويجدوه فقال وادخلوا من أبواب متفرقة لعلكم تجدون يوسف أو تلقونه والصحيح هو الأول
وقوله وما أغنى عنكم من الله من شيء معناه إن كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم قضاؤه مجتمعين كنتم أو متفرقين ومعنى أغنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:47
تفسير السمعاني ج 3/ص 48
شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون 67 ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون 68 ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما أي أدفع وفي الخبر الحذر لا يرد القدر وقوله إن الحكم إلا لله هذا تفويض يعقوب عليه السلام أموره إلى الله والحكم هو الفصل بين الخصوم بموجب العلم من البشر ومن الله صنع بموجب الحكمة عليه توكلت يعني به وثقت وعليه اعتمدت
وعليه فليتوكل المتوكلون معناه وبه يثق الواثقون

قوله تعالى ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم يعني من الأبواب المتفرقة قيل إن المدينة مدينة الفرما و كانت لها أربعة أبواب كانت مدينة العريش وقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء معناه ما كان يدفع عنهم من الله من شيء وهذا الحق تحقيق لما ذكره يعقوب من قوله وما أغنى عنكم من الله من شيء وقوله إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها يعني إلا مرادا ليعقوب عليه السلام ذكره وجرى الأمر على ذلك وقوله وإنه لذو علم لما علمناه قال أهل التفسير معناه وأنه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل ومنهم من قال وإنه لذو علم بسبب تعليمنا إياه ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لم يسلكوا طريق العلم قوله ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه آوى إليه ضم إليه ومعناه أنزله مع نفسه وفي القصة أنه أنزل كل أخوين من أم بيتا فبقي بنيامين وحده فقال انزل معي وكان كل أخوين من أم على حدة وقوله قال إني أنا أخوك

تفسير السمعاني ج:3 ص:48
تفسير السمعاني ج 3/ص 49
كانوا يعملون 69 فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون 70 قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون فيه قولان أحدهما أنه أسر إليه أنه أخوه والآخر أنه قال أنا لك مكان أخيك الهالك ذكره وهب وغيره وقوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون معناه فلا تحزن بما عملوا مع أخيك فإني لك بدل أخيك فروي أنه قال له بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكنك لست من يعقوب فحينئذ ذكر أنه أخوه حقيقة

قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم قد ذكرنا وقوله وجعل السقاية السقاية هي الإناء الذي يشرب به واختلفوا أنها من أيش كانت قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال مجاهد كانت من فضة مرصعة بالجوهر وقيل كان من ذهب وعن بعضهم أنه كان إناء مستطيلا شبه المكوك وله رأسان وفي وسطه مقبض فكان يكال من أحد الرأسين ويشرب من الرأس الآخر وكان لا يكال إلا به لعزة الطعام وكان يسمع لها صوت قد كيل في كذا
وقوله في رحل أخيه أي في وعاء أخيه بين طعامه وقوله ثم أذن مؤذن روي أنه تركهم حتى ذهبوا منزلا وقيل حتى أصحروا وخرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وقال أيتها العير إنكم لسارقون والعير هم أصحاب الحمير وقيل قد يذكر ويراد به الإبل فإن قال قائل كيف استجاز يوسف أن ينسبهم إلى السرقة ولم يسرقوا
الجواب عنه من وجوه أحدها معناه إنكم لسارقو يوسف من أبيه وعملتم كما يعمل السراق والثاني أن الرجل قال من غير أمر يوسف فإنه حين فقد الصاع ظن أنهم سرقوا والثالث أن هذه هفوة من يوسف عليه السلام وقد قالوا إنه عير ثلاث عيرات الأولى حين هم بامرأة العزيز إلى أن رأى البرهان والثاني حين قال للساقي اذكرني عند ربك والثالث هذا وهو أنه نسب إخوته إلى السرقة
والقول الأول أجود الأقاويل ويقال إنه كان واضع مع بنيامين وقال ما قال بالمواضعة والله أعلم

تفسير السمعاني ج:3 ص:49
تفسير السمعاني ج 3/ص 50
71 قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم 72 قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين 73 قالوا فما
قوله قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون روي أنهم وقفوا وقالوا للقوم ماذا تطلبون

قوله قالوا نفقد صواع الملك قرأ يحيى بن يعمر صوغ الملك بالغين المعجمة و الصوغ من الذهب أو الفضة والصواع يذكر ويؤنث و الصواع هو السقاية التي ذكرها في الآية الأولى وقيل إنه كان يكون بين يدي الملك فإذا احتيج إليه أخذ
وقوله ولمن جاء به حمل بعير يعني ولمن رده حمل بعير من الطعام
وقوله وأنا به زعيم أي كفيل والزعيم والكفيل والضمين بمعنى واحد ويسمى الرئيس زعيما لأنه كفل أمور القوم زعيم يقوم بمصالحهم ويتكلم عنهم فإن قيل أتجوز الكفالة بالمجهول عندكم وهذه كفالة بالمجهول قلنا لا تجوز ويحتمل أن حمل البعير كان معلوما قدره عندهم والثاني أن هذه جعالة ولم تكن كفالة وعندنا تجوز مثل هذه الجعالة
قوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض يعني والله ما جئنا لنفسد في الأرض أي لنسرق في ملك مصر وما كنا سارقين في بلادنا فنسرق

في بلادكم فإن قال قائل كيف قالوا لقد علمتم وكان من جوابهم أن يقولوا نحن لا نعلم قلنا إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا جماعة لهم قوة وشدة ولم يكونوا يظلمون أحدا من الطريق ولا يتركون دوابهم تدخل في حرث أحد وروي أنهم دخلوا مصر حين دخلوا وقد جعلوا الأكمة على رءوس دوابهم لئلا تفسد شيئا وجواب آخر أنهم إنما قالوا هذا لأنهم ردوا البضاعة المحمولة في رحالهم قالوا فلو

تفسير السمعاني ج:3 ص:50
تفسير السمعاني ج 3/ص 51
جزاؤه إن كنتم كاذبين 74 قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين 75 فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من كنا سارقين ما رددنا البضاعة لأن من يطلب شيئا ليسرقه لا يخلي شيئا وقع في يده

فإن قيل كيف جاز في العربية أن يقول القائل تالله ولا يجوز أن يقول تالرحمن وتالرحيم قلنا لأن التاء بدل الباء فإن الأصل في القسم حرف الباء ثم أبدلت الواو بالتاء فلما كانت بدل البدل ضعفت عن التصرف واقتصرت على الاسم الذي هو الأصل في القسم عادة ولسانا وهو الله
قوله تعالى قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين معناه فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين بقولكم إنا لم نسرق
قوله قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه استعباد السارق من وجد في رحله فهذا الجزاء جزاؤه فيكون الثاني تأكيدا للأول وفي الأول حذف على عادة كلام العرب والقول الثاني قالوا جزاؤه من وجد في رحله فالسارق جزاؤه فهو كناية عن السارق ومعنى جعله جزاء أنه يسترق ويستعبد واعلم أنه كان من سنة يعقوب أن من سرق شيئا استرق سنة وكان حكم ملك مصر أن يضرب ويغرم ضعفي قيمته فمراد يوسف أن يحبس أخاه عنده فرد الحكم في السرقة إليهم فذكروا من حكم السرقة بما عرفوه في شريعة يعقوب عليه السلام فأخذ يوسف عليه السلام بذلك وحصل مراده من حبس أخيه
وقوله كذلك نجزي الظالمين يعني أن إخوة يوسف قالوا كذلك نجزي السراق عندنا
قوله تعالى فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه روي أن المؤذن فتش عن أوعيتهم وروي أنه رد جماعتهم إلى يوسف -عليه السلام-

---

تفسير السمعاني ج:3 ص:51
تفسير السمعاني ج 3/ص 52

وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم 76 قالوا إن يسرق فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه وفي القصة أن ذلك الرجل كان كلما فتش وعاء ولم يجد الصاع استغفر الله وأظهر التوبة فلما بقي رحل بنيامين قال ما أظن أن هذا أخذ شيئا قالوا والله لا نتركك حتى تفتش وعاءه فتطيب أنفسنا ونفسك ففتش وعاءه واستخرج الصاع فبقوا منكسرين مستحيين ونكسوا رءوسهم خجلا وقالوا لبنيامين ما هذا يا ابن راحيل فقال والله ما سرقت فقالوا كيف وقد وجد الصاع في رحلك فقال وضع الصاع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم قال وأخذوا بنيامين رقيقا عبدا وفي القصة أن ذلك الرجل أخذ برقبته ورده إلى يوسف كما يرد السراق وقوله كذلك كدنا ليوسف معناه دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الأنباري أردنا ليوسف وأنشد قول الشاعر

كادت وكدت وذاك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

فإن قيل ما معنى قوله كذلك وأيش هذه الكاف والكاف للتشبيه الجواب عنه أن هذا منصرف إلى قول يعقوب في أول السورة فيكيدوا لك كيدا وكان كيدهم أنهم أخذوه من أبيه بحيلة وألقوه في الجب فقال الله تعالى كما كادوا في أمر يوسف كدنا ليوسف في أمرهم والكيد من الخلق هو الحيلة ومن الله التدبير بالحق وقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك معناه ما كان يوسف ليجازي أخاه في حكم الملك وقيل في عادة الملك قال الشاعر

أقول وقد درأت لها وضيني

أهذا دينه أبدا ودِيني

و ما هاهنا للنفي وقوله إلا أن يشاء الله معناه إلا بمشيئة الله يعني فعل ما فعل بمشيئة الله تعالى وقوله نرفع درجات من نشاء قال هذا في هذا الموضع لأنه رفع درجة يوسف على درجتهم في العلم والملك والعقل وغيره وقيل

تفسير السمعاني ج:3 ص:52

تفسير السمعاني ج 3/ص 53

فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون 77 قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا نرفع درجات من نشاء بالتوفيق والعصمة وقوله وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس وفوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله وقرأ ابن مسعود وفوق كل عالم عليم

قوله تعالى قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أرادوا بأخيه من قبل

يوسف -عليه السلام- واختلف القول في أنه أيش سرق
قال سعيد بن جبير وقتادة كان عند جده إلى أمه صورة تعبد فأخذها سرا وألقاها لئلا تعبد والقول الثاني أنه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرا فيعطيه المساكين
والقول الثالث أنه كان عند عمته تربيه فأراد يعقوب أن ينتزعه منها فشدت عمته تحت ثيابه منطقة وادعت أنه سرقها لتحبسه عند نفسها ويترك عندها فإنها كرهت أن يؤخذ منها وكانت أحبته حبا شديدا ذكره ابن إسحاق
وقوله فأسرها يوسف في نفسه فإن قال قائل إلى أين يرجع قوله فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قلنا ليس لهذا مذكور سابق ومعناه أسر الكلمة في نفسه وتلك الكلمة أنه قال أنتم شر مكانا ولم يصرح بهذا القول وقوله شر مكانا يعني شر صنيعا وحقيقة معناه أنه لم يكن من يوسف سرقة صحيحة وقد كانت منكم سرقة صحيحة وهو سرقتكم يوسف من أبيه
وقوله والله أعلم بما تصفون يعني والله أعلم أن أخاه قد سرق أو لم يسرق
قوله تعالى قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في القصة أنهم غضبوا غضبا شديدا لهذه الحالة وكان يهوذا إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وإذا صاح فكل امرأة حامل سمعت صياحه ألقت ولدها وكان مع هذا إذا مسه أحد من

تفسير السمعاني ج:3 ص:53
تفسير السمعاني ج 3/ص 54

فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين 78 قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون 79 فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال ولد يعقوب سكن غضبه وقيل إن هذا كان صفة شمعون من أولاد يعقوب فروي أنه قال لإخوته كم يكون من عدد الأسواق بمصر فقالوا عشرة أسواق فقال اكفوني أنتم الأسواق وأنا أكفكم الملك أو قال اكفوني أنتم الملك وأنا أكفكم الأسواق قال فدخلوا على يوسف فقال له يهوذا أتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة تلقي كل حامل ولدها في هذه البلدة وكان عند يوسف ابن له صغير قائم عنده فقال اذهب وخذ بيد ذلك الرجل وائتني به فذهب وأخذ بيده فسكن غضبه فقال لإخوته والله إن هاهنا بذرا من بذر يعقوب فقال له الابن الصغير ومن يعقوب وأنا لا أدري يعقوب ولا ولده وروي أنه غضب ثانيا فقام إليه يوسف وركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم ذكر هذا كله السدي وغيره فلما صار أمرهم إلى هذا خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا
والعز منع الضيم أو الضير بسعة السلطان والقدرة والعزيز هو المنيع بما حصل له من واسع المقدور
قوله إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه معناه خذ أحدنا بدله ونصب شيخا على نعت قوله أبا
وقوله إنا نراك من المحسنين يعني إنا نراك من المحسنين إلينا وإحسانه إليهم

بتوفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة وغيره
قوله تعالى قال معاذ الله أعتصم بالله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون معلوم المعنى ومعناه أن نأخذ البرىء بدل الجاني فإن أخذنا فإنا ظالمون
قوله تعالى فلما استيأسوا منه في القصة أنه لما استخرج الصاع وعاد الإخوة إليه دعا بالصاع ونقره بقضيب في يده فطن الصاع

تفسير السمعاني ج:3 ص:54

تفسير السمعاني ج 3/ص 55
كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير
فقال يا قوم إن هذا الصاع ليخبرني بخبر قالوا وما يخبرك أيها الملك فقال إنه يخبرني أنكم كنتم اثنى عشر إخوة وأنكم أخذتم أخا لكم من أبيكم وألقيتموه في الجب وبعتموه من بعد قال فجعل ينظر بعضهم إلى بعض فقام بنيامين وسجد له وقال صدق صاعك أيها الملك سله أحي أخي أو لا فنقر الصاع ثانيا وطن فقال إنه يقول هو حي وستراه فقال سله من سرق الصاع فقال هو غضبان -يعني الصاع- ويقول كيف تسألني وقد رأيت في يد من كنت أورده
النقاش وأبو الحسن بن فارس وغيرهما والله أعلم
ومعنى قوله فلما استيأسوا منه أي تيأسوا منه وقال أبو عبيدة استيأسوا استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم وأنشد
أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم
يعني ألم تعلموا وقوله خلصوا نجيا يعني انفردوا يتناجون ويتشاورون في أمر أخيهم ومعنى خلصوا أنه لم يكن معهم غيرهم تقول العرب قوم نجى قال الشاعر
حتى إذا ما القوم كانوا أنجية
واختلطت أحوالهم كالأرشية
وقوله قال كبيرهم قال ابن عباس هو يهوذا ولم يكن أكبرهم في السن ولكن كان في العقل أكبرهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على إخوته وقال قتادة هو الروبيل وكان أكبرهم في السن
وقوله ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله قد بينا معنى الموثق وقوله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم وتركتم عهد أبيكم

تفسير السمعاني ج:3 ص:55
تفسير السمعاني ج 3/ص 56

الحاكمين 80 ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين 81 واسأل القربة التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون 82 قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر وقوله فلن أبرح الأرض يعني لن أبرح أرض مصر حتى يأذن لي أبي يعني يدعوني أبي أو يحكم الله لي أي يرد أخي إلي وقيل يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي وهو خير الحاكمين يعني وهو خير الفاصلين

قوله تعالى ارجعوا إلى أبيكم الآية امضوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وحكي عن ابن عباس أنه قرأ أنه إن ابنك سرق وفيه معنيان أحدهما اتهم بالسرقة والآخر علم منه السرقة وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني إلا بما رأينا فإنا رأينا إخراج الصاع من متاعه وقوله وما كنا للغيب حافظين فيه قولان أحدهما ما كنا لليله ونهاره وذهابه ومجيئه حافظين وإنما كنا نعلم من حاله مادام عندنا والقول الثاني يعني أنا لو علمنا أنه سيسرق ما حملناه مع أنفسنا فنحن لم نعلم هذا الغيب

قوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها يعني أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني وأهل العير التي أقبلنا فيها أي كنا فيها

وقوله وإنا لصادقون ظاهر فإن قال قائل كيف استجاز يوسف -عليه السلام- أن يعمل كل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه ولم يرسل إليه أحدا ثم حبس أخاه عنده وقد عرف شدة وجده عليه وهذا أعظم من كل عقوق وفيه قطع الرحم وقلة الشفقة الجواب عنه قد أكثر الناس في هذا والصحيح أنه عمل ما عمل بأمر الله تعالى وأمره الله تعالى بذلك ليزيد في بلاء يعقوب ويضاعف له الأجر ويرفع درجته فيلحقه في الدرجة بآبائه الماضين وقيل إنه لم يظهر نفسه للإخوة لأنه لم يأمن عليهم أن يدبروا في ذلك تدبيرا ويكتموا عن أبيهم والصحيح هو الأول

قوله تعالى قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا في الآية اختصار لأنهم رجعوا

تفسير السمعاني ج:3 ص:56

تفسير السمعاني ج 3/ص 57

جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العلم الحكيم 83 وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم 84 وذكروا لأبيهم بما علمهم كبيرهم ثم إن يعقوب قال ما قال ومعنى التسويل هاهنا أن زينت لكم أنفسكم حمل أخيكم إلى مصر لتطلبوا نفعا عاجلا

قوله تعالى فصبر جميل أي فصبري صبر جميل والصبر حبس النفس عما تنازع إليه النفس وقد بينا معنى الجميل وقوله عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وأخاه بنيامين ويهوذا وفي القصة أن ملك الموت -عليه السلام- زار

يعقوب فقال له أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدي في الأرواح فقال لا فسكن يعقوب على ذلك وعلم أنه حي وطمع في رؤيته وقوله إنه هو العليم الحكيم معناه العليم بمكانهم الحكيم في تدبيرهم
قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف الآية روي أن بنيامين لما حبسه يوسف اشتد الأمر على يعقوب غاية الشدة وبلغ الحزن به نهايته ولم يملك بعد ذلك الصبر فجزع فهذا معنى قوله وتولى عنهم أي أعرض عنهم وقال يا أسفى وروى أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي أن بعض إخوان يعقوب زاره فقال له يا يعقوب ما الذي أعمى عينيك وقوس ظهرك فقال أعمى عيني كثرة البكاء على يوسف وقوس ظهري شدة الحزن على بنيامين فبعث الله تعالى إليه جبريل -عليه السلام- وقال يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فبعد ذلك دخل بيته ورد بابه و قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ومعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:57
تفسير السمعاني ج 3/ص 58

قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين 85 قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون 86 يا بني قوله يا أسفى يا حزن على يوسف والأسف شدة الحزن وقوله وابيضت عيناه من الحزن يعني غلب البياض على الحدقة وذهبت الرؤية ونسبه إلى الحزن لأنه كان يبكي لشدة الحزن وعمي لشدة البكاء وقوله فهو كظيم أي ممسك على حزنه لا يبثه ولا يذكره للناس فهذا بعد أن نهاه الله عن ذلك على ما بينا
قوله تعالى قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف يعني لا تزال تذكر يوسف و لا محذوفة وقوله حتى تكون حرضا قال ثعلب -أحمد بن يحيى- الحرض كل شيء لا ينتفع به قال مجاهد الحرض ما دون الموت وقال الفراء الحرض هو الذي فسد جسمه وعقله وقال أبو عبيدة الحرض هو الذي أذابه الحزن وقيل هو المدنف البال والأقوال متقاربة
وعن أنس بن مالك أنه قرأ حتى تكون حرضا والحرض الأشنان ومعناه حتى تصير كعود الأشنان وقوله أو تكون من الهالكين أي من الميتين
قوله تعالى قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون قد بينا الخبر الوارد في هذا برواية أنس والبث الهم وحزني إلى الله وروى أنه قال يا رب أما ترحمني قد أخذت مني كذا وكذا -وجعل يعدد- رد إلي ريحانتي فأشمها شمة ثم افعل بي ما أردت ولا أبالي فأوحى الله -تعالى- إليه أن اسكن وفرغ روعك فسأردهما إليك وفي الآثار المسندة عن الحسن البصري أنه قال بكى يعقوب ثمانين سنة وما جف له دمع ولم يكن على وجه الأرض أحد أكرم على الله منه قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون يعني أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون وقيل أعلم من تحقيق رؤيا يوسف ما لا تعلمون فإن قال قائل

كيف يكى يعقوب كل هذا البكاء وحزن هذا الحزن وهل أصيب إلا بفقد ولد واحد أفما كان عليه أن يسلم الأمر إلى الله تعالى ويصبر الجواب عنه أنه امتحن في هذا بما لم يمتحن به غيره ولم يسأل عن يوسف مع طول الزمان وكان ابتلاؤه فيه أنه لم يعلم حياته فيرجو رؤيته ولم يعلم موته فيسأل عنه وكان يوسف من بين سائر الإخوة خص بالجمال الكامل والعقل وحسن الخلق وسائر ما يميل القلب إليه وروي عن الحسن البصري أنه مات أخوه فبكى عليه بكاء شديدا فسئل عن ذلك فقال سبحان من لم يجعل الحزن عارا على أهله وقرأ قوله تعالى إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروى حبيب بن أبي ثابت قال لما كبر يعقوب وطال عليه الحزن سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخرقة فدخل عليه بعض جيرانه وقال ما الذي بلغ بك ما بلغ ولم تبلغ سن أبيك بعد قال طول الزمان وكثرة الأحزان فبعث الله إليه جبريل -عليه السلام- وقال يا يعقوب شكوتني إلى خلقي فقال خطيئة فاغفرها لي يا رب فغفرها الله له وكان بعد ذلك إذا سئل عن حاله قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب -عليه السلام- فقال أتدري لم عاقبتك وفرقت بينك وبين ولدك قال يا رب لا فقال لأنك ذبحت شاة وشويتها وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقد روى أنس عن النبي قريبا من هذا أورده الحاكم أبو عبد الله وفي خبر أنس أن الله تعالى قال ليعقوب اتخذ طعاما وادع إليه المساكين ففعل وكان بعد ذلك إذا تغد أمر من ينادي من أراد الغداء فليأت يعقوب وإذا أفطر أمر من ينادي من أراد أن يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى معه القوم الكثير ويتعشى معه القوم الكثير من المساكين وفي القصة أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدي أمها وهي تخور وعن عبد الله بن يزيد وابن أبي فروة أن يعقوب -عليه السلام- كتب كتابا إلى

اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون 87 فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا يوسف حين حبس بنيامين بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فإنا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلهما الله عليه بردا وسلاما وأما أبي إسحاق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على

حلقه ففداه الله بكبش وأما أنا فابتليت بفراق أحب أولادي إلي وكنت أتسلى بأخيه من أمه وقد حبسته وزعمت أنه سرق والله ما أنا بسارق ولم ألد سارقا فإن رددته إلي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما بلغ إليه الكتاب بكى بكاء شديدا وأظهر نفسه على ما يرد
قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف التحسس طلب الشيء بالحاسة ومعناه اطلبوا وابحثوا عن خبر يوسف وأخيه
وقوله ولا تيأسوا من روح الله في الشاذ قرىء من روح الله وعن أبي بن كعب أنه قرأ من رحمة الله والروح مأخوذ من الريح وهو في الحقيقة ما يستراح به وقيل من روح الله أي من فرج الله قاله أبو عمرو بن العلاء وقيل من رحمة الله وقيل من فضل الله
وقوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ظاهر المعنى
قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر يعني الجوع والحاجة وقوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال ابن عباس كانت دراهمهم زيوفا في هذه الكرة ولم تك تنفق في الطعام فهذا معنى المزجاة وعن مجاهد وقتادة مزجاة قليلة يسيرة وقال مقاتل كانت بضاعتهم حبة الخضراء وعن الكلبي قال كانت بضاعتهم الحبال وخلق الغرائر وقيل كانت سويق المقل

تفسير السمعاني ج:3 ص:60

تفسير السمعاني ج 3/ص 61
وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين 88 قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون 89 قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه
وقال كعب كانت عشرة دنانير وقيل كان متاع الأعراب من الصوف والأقط وغيره وقوله فأوف لنا الكيل معناه أتم كما كنت تتم كل مرة وقوله وتصدق علينا أي بما بين النافق والكاسد وقيل تصدق علينا بالتجوز قال الشاعر
تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري لياليا
يعنون أبا موسى الأشعري وقيل وتصدق علينا بإطلاق أخينا وعن مجاهد قال يكره أن يقول الرجل اللهم تصدق علي لأن الصدقة إنما تكون ممن يبتغي الثواب فإن قال قائل كيف قالوا وتصدق علينا والصدقة لا تحل للأنبياء الجواب أن سفيان ابن عيينة قال قد كانت حلالا لهم ولأنا بينا أن المراد منه التجوز والمحاباة وهذا جائز بالاتفاق وقوله إن الله يجزي المتصدقين لم يقولوا يجزيك لأنهم لم يثقوا بإيمانه فقالوا إن الله يجزي المتصدقين على الإطلاق لهذا
قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه روي أنهم لما قالوا هذا وسمعه يوسف أدركته الرقة فقال لهم هذا القول هل علمتم ما فعلتم أي ما صنعتم بيوسف وأخيه والذي فعلوا بأخيه هو التفريق بينهما ولم يذكر ما فعلوا بيعقوب دفعا لحشمته وتعظيما له وقوله إذ أنتم جاهلون معناه إذ أنتم آثمون عاصون وعن ابن عباس قال إذ أنتم صبيان وعن الحسن قال إذ أنتم شبان

ومعكم جهل الشبان وفي القصة أنه لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه منظوما كاللؤلؤ فعرفوه وقالوا أئنك لأنت يوسف وقال بعضهم قالوا هذا على التوهم ولم يكونوا تيقنوا بعد حتى قال لهم أنا يوسف وقوله أنا يوسف وهذا أخي

تفسير السمعاني ج:3 ص:61

تفسير السمعاني ج 3/ص 62
من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين 90 قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين 91 قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين 92 اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم
حكى الضحاك أن في قراءة ابن مسعود وهذا أخي بيني وبينه قربى وقوله قد من الله علينا أي أنعم الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين معناه من يتق عن المعاصي ويصبر على الطاعات والمصائب وعن إبراهيم النخعي قال من يتق الزنا ويصبر على العزوبة
قوله تعالى قالوا تالله لقد آثرك الله علينا يعني فضلك الله علينا وإن كنا لخاطئين وما كنا إلا خاطئين وقيل وقد كنا خاطئين والفرق بين خطأ وأخطأ أن خطأ خطأ إذا تعمد وأخطأ خطأ إذا كان غير متعمد
قوله تعالى قال لا تثريب عليكم اليوم التثريب هو التعيير ذكره ثعلب وغيره وقيل لا تثريب عليكم اليوم أي لا عقوبة عليكم اليوم بعد اعترافكم بالذنب قال الشاعر

فعفوت عنكم عفو غير مثرب وتركتكم لعقاب يوم سرمد

وقوله اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ظاهر المعنى
قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا روي أن الله تعالى لما جعل النار على إبراهيم بردا وسلاما أنزل عليه قميصا من حرير الجنة فأعطاه إبراهيم إسحاق وأعطاه إسحاق يعقوب فجعله يعقوب في قصبة وشد رأسها وعلقها في عنق يوسف - عليه السلام - وكان يكون في عنقه فلما كان هذا الوقت بعث الله جبريل - عليه السلام - أن افتح القصبة وابعث إليه بالقميص فإنه لا يمسه مبتلى إلا عوفي ولا سقيم إلا صح وبرأ فبعث بذلك القميص إلى يعقوب فهذا معنى قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا وفي القصة أن يهوذا قال أنا أذهب بالقميص إليه فإني

تفسير السمعاني ج:3 ص:62
تفسير السمعاني ج 3/ص 63

أجمعين 93 ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إليه فأعطاه وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفها حتى بلغ كنعان وقيل إنه بعث على يد غيره وقال فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا قال الفراء يرجع بصيرا وقال غيره يعد بصيرا قال الحسن لم يعلم أنه يعود بصيرا إلا بعد أن أعلمه الله ذلك
وقوله وأتوني بأهلكم أجمعين أي جيئوني بأهلكم أجمعين
قوله تعالى ولما فصلت العير يعني انفصلت من مصر وخرجت قوله قال أبوهم إني لأجد في القصة أن ريح الصبا استأذنت من ربها أن تأتي بريح يوسف إلى يعقوب - عليهما السلام - فهي التي جاءت بريح يوسف والصبا ريح تأتي من قبل المشرق إذا هبت على الأبدان لينتها ونعمتها وطيبتها وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان قال الشاعر
أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت
على قلب محزون تجلت همومها
وقد ثبت عن النبي أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وروي أن القميص لما نشر هاجت منه ريح الجنة فشمها يعقوب - عليه السلام - فعلم أنها جاءت من قبل قميص يوسف لأنه لم يكن في الأرض شيء من الجنة سواه
وقوله لولا أن تفندون معناه لولا أن تضعفوا رأي وقيل لولا أن تسفهوني وقيل لولا أن تنسبوني إلى الخوف والجهل
قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:3 ص:63
تفسير السمعاني ج 3/ص 64
قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم 95 فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون 96 قالوا يا أبانا استغفر
يا صاحبي دعا الملامة واقصرا طال الهوى وأطلتما التفنيدا

قوله تعالى قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم هذا قول بني بنيه فإن بنيه كانوا بمصر ومعناه تالله إنك لفي خطئك القديم والخطأ هو الذهاب عن طريق الصواب فإنه كان عندهم أن يوسف قد مات وكانوا يرون يعقوب قد لهج بذكره فإنه كان يخرج من بيته فيلقاه الرجل ومعه شيء يحمله فيقول ضعه واسمع مني حديثي وكان يلقاه الخادم والجارية فيقول معه مثل هذا القول وكانوا يظنون به خرفا وخطأ عظيما فهذا معني قولهم إنك لفي ضلالك القديم وقيل إنك لفي شقائك القديم والشقاء هاهنا بمعنى التعب وقيل في غفلتك القديمة وقيل في محبتك القديمة قال الحسن البصري فكان هذا عقوقا عظيما منهم

قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه ومعناه ألقى القميص على وجهه وقوله فارتد بصيرا أي عاد بصيرا ورجع بصيرا فروي أنه عادت قوته في الحال وذهبت الغشاوة وزال البياض الذي كان بعينه وفتح عينيه كأحسن ما يكون و قال لبنيه وبني بنيه ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون وهذا دليل على أنه قد كان قال لهم إن يوسف حي وإني أرجو رؤيته وقيل إني أعلم من الله ما لا تعلمون يعني من تحقيق رؤيا يوسف ما لا تعلمون وفي بعض الأخبار أنه قال للبشير ليس عندي شيء أعطيك ولكن هون الله عليك سكرات الموت وروي أنه لما جاءه خبر يوسف قال للبشير على أي دين تركت يوسف قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة
قوله تعالى قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين هذا دليل على أنهم عملوا ما عملوا وكانوا بالغين

تفسير السمعاني ج:3 ص:64
تفسير السمعاني ج 3/ص 65
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين 97 قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم 98 فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين

قوله تعالى قال سوف أستغفر لكم ربي روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وجماعة من التابعين أنهم قالوا أخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى سؤله الخبر هل من مستغفر فيغفر له والقول الثاني أنه أخر إلى ليلة الجمعة حكى هذا عن ابن عباس وقد روي في بعض الأخبار مرفوعا إلى النبي وعن عطاء بن ميسرة الخراساني قال الحاجة إلى الشباب أسرع إجابة من الحاجة إلى الشيوخ فإن يوسف - عليه السلام - قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولم يؤخر وحين طلبوا من يعقوب سوف وأخر وفي القصة أن يعقوب كان يصلي من الليل ويقوم يوسف خلفه ويقوم بنوه خلف يوسف ويستغفرون لهم هكذا عشرين سنة إلى أن نزل الوحي بمغفرتهم وقوله إنه هو الغفور الرحيم ظاهر المعنى
قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه روي أن يوسف بعث بمائتي راحلة وجهاز كثير ليأتوا بيعقوب وقومه قال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين من بين رجل وامرأة وروي اثنان وسبعين وهو الأشهر قال أهل الأخبار ولما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر كان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل وسبعين ألفا والذرية ألف ألف وسبعمائة ألف وكذا في القصة أنهم جاءوا فلما قربوا من مصر

ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رءياي من قبل خرج يوسف ليلقاهم مع الجند وروي أنه حمل الملك الأكبر مع نفسه فلما وصلوا إلى يعقوب قالوا ليعقوب هذا ابنك قد جاء قال فأراد يوسف أن يبدأه بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وقد روي أنهما نزلا وتعانقا وفي بعض القصص أنهما مشيا فتقدمه يوسف بخطوة فجاء جبريل وقال له أتتقدم على أبيك لا أخرج من ذريتك نبيا أبدا وفي بعض القصص أن يوسف كان في أربعة آلاف من الجند وقد قيل غيره وقوله آوى إليه أبويه أي ضم إليه أبويه والأكثرون أن أبويه أي أباه وخالته وقال الحسن البصري هو أبوه وأمه وقد كانت حية وفي بعض التفاسير أن الله تعالى بعث أمه وأحياها حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر والله أعلم
وقوله وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين اختلفوا في معنى المشيئة هاهنا قال بعضهم ادخلوا آمنين من الجواز إن شاء الله وقد كانوا لا يدخلون قبل ذلك لمصر إلا بجواز وقيل في الآية تقديم وتأخير ومعناه سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله وقال ادخلوا مصر آمنين
قوله تعالى ورفع أبويه على العرش الرفع هو النقل إلى العلو وضده الوضع والعرش سرير الملك وقد روي عن النبي أنه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ قيل أراد به سريره الذي حمل عليه وليس بشيء لأن الكلام خرج على وصف التكريم ولا كرامة في اهتزاز سريره الذي حمل عليه وفي بعض الروايات اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ فالعرش في هذا الخبر هو العرش المعروف واهتزازه استبشاره لإقبال روح سعد بن معاذ ويجوز أن يكون المراد

قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد بذكر العرش أهل العرش من الملائكة والله أعلم
وقوله وخروا له سجدا معناه وقعوا له ساجدين واختلفوا في هذه السجدة فالأكثرون أنهم سجدوا له و كانت السجدة سجدة المحبة لا سجدة العبادة وهو مثل سجود الملائكة لآدم - عليه السلام - قال أهل العلم وكان ذلك جائز في الأمم السالفة ثم إن الله تعالى نسخ ذلك في هذه الشريعة وأبدل بالسلام وقال بعضهم أنهم سجدوا لله لا ليوسف وإنما خروا له سجدا لأنه كان قدامهم

فحصل سجودهم إليه كما يسجد إلى المحراب والجدار والصحيح هو الأول هكذا قاله أهل العلم والدليل عليه أنه كان في رؤياه إني رأت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فالشمس والقمر أبواه وأحد عشر كوكبا هم إخوته
فإن قال قائل كيف جاز السجود لغير الله وإذا جاز السجود لغير الله فلم لا تجوز العبادة لغير الله والجواب أن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تجوز إلا لله وأما السجود نوع تذلل وخضوع بوضع الخد على الأرض وهو دون العبادة فلم يمتنع جوازه للبشر كالانحناء
وقال بعضهم وخروا له سجدا السجود هاهنا هو الانحناء وعبر عنه بالسجود وأما حقيقة السجود فلم تكن وأولى الأقاويل هو الأول والله أعلم
قوله وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل تفسير رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا أي صدقا وقد أحسن بي أي أنعم علي إذ أخرجني من السجن فإن قال قائل كيف لم يقل إذ أخرجني من الجب وكانت المحنة عليه والبلية في الجب أكثر منها في السجن الجواب عنه أنه أعرض عن ذكر

تفسير السمعاني ج:3 ص:67
تفسير السمعاني ج 3/ص 68

أن نزغ الشيطان يبني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم 100 رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين 101 ذلك من أنباء الغيب الجب تكرما لأن لا يخجل الإخوة عنه وكان قد قال لا تثريب عليكم اليوم وفي إعادته تثريب وملامة ولأن النعمة عليه في الإخراج من السجن كانت أكثر لأنه أخرج من الجب وجعل عبدا وأخرج من السجن وجعل ملكا قوله وجاء بكم من البدو البدو بسيط من الأرض يسكنه أهل الماشية بماشيتهم وقد كان يعقوب وأولاده أهل مواشي وعمد والعمد الخيام فلهذا قال وجاء بكم من البدو وقوله من بعد أن نزغ الشيطان معناه من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي بالحسد وقوله إن ربي لطيف لما يشاء اللطيف هو الرفيق ويقال معنى الآية إن ربي لطيف بمن يشاء وحقيقة اللطيف هو الذي يوصل الإحسان إلى غيره برفق وقوله إنه هو العليم الحكيم ظاهر المعنى
قوله تعالى رب قد آتيتني من الملك الملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير وأدخل كلمة من وهي للتبعيض لأنه كان من يد ملك مصر وقيل من للتجنيس هاهنا قال محمد بن علي الباقر ملك يوسف اثنتين وسبعين سنة وقال غيره ثمانين سنة وقوله وعلمتني من تأويل الأحاديث يعني علم الرؤيا وقوله فاطر السموات والأرض معناه يا فاطر السماوات والأرض وقوله أنت ولي في الدنيا والآخرة يعني أنت تلي أمري في الدنيا والآخرة وقوله توفني مسلما معناه ثبتني على الإسلام عند الوفاة

قال قتادة ولم يسأل نبي من الأنبياء الموت سوى يوسف عليه السلام وقد ثبت عن النبي أنه قال لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:68
تفسير السمعاني ج 3/ص 69

أحيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي وفي القصة أن يوسف لما جمع له شمله وأوصل الله إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه فقال هذا القول وقد قال الحسن البصري عاش بعد هذا سنين كثيرة وقال غيره لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي وأما خبر وفاة يعقوب - صلوات الله عليه - فقد قال أصحاب الأخبار إن يعقوب عاش عند يوسف أربعا وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش ثم أدركته الوفاة فدعا بنيه وقال يا بني ما تعبدون من بعدي الآية وقد ذكرنا في سورة البقرة وأوصى يوسف - عليه السلام - أن يحمله إلى الأرض المقدسة ويدفنه بجنب أبيه إسحاق ففعل ذلك وقالوا عاش يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة وأما يوسف فإنه عاش بعد أبيه سنتين وقيل أكثر من ذلك والله أعلم وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في نيل مصر لأن أهل مصر تشاحنوا عليه وطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته ثم اتفقوا أن يدفن في نيل مصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إليهم كلهم وعن عكرمة أنه دفن في الجانب الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فاتفقوا على أن جعلوه في تابوت من حديد - وقيل من رخام - ودفنوه في وسط النيل وقدروا ذلك بسلسلة عندهم فأخصب الجانبان وكان يوسف أوصى إخوته أنهم إذا خرجوا من مصر أخرجوه مع أنفسهم فلما كان زمن موسى أخرجه موسى مع نفسه إلى الأرض المقدسة ودفته بقرب آبائه وفي القصص أن عجوزا دلتهم على قبر يوسف وأن تلك العجوز سألت موسى مرافقته في الجنة به حتى دلت فنزل الوحي على موسى بأن يعطيها ذلك
وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الله تعالى لما جمع بين يعقوب ويوسف قال له يوسف يا أبتاه حزنت علي حتى انحنى ظهرك وبكيت علي حتى

تفسير السمعاني ج:3 ص:69
تفسير السمعاني ج 3/ص 70

نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون 102 وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين 103 وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين 104 عمى بصرك أما علمت أنا كنا نلتقي يوم القيامة فقال يا بني خشيت أن يسلب دينك فلا نلتقي يوم القيامة وقوله وألحقني بالصالحين يعني من آبائي وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
قوله تعالى ذلك من أنباء الغيب يعني من أخبار الغيب
قوله نوحيه إليك أي نلقيه إليك بالوحي وقوله وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون هذا منصرف إلى إخوة يوسف ومكرهم حين أخذوه من أبيه وفائدة الآية أنك إذا علمت هذا بتعليمنا إياك ووحينا إليك
وقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين روي أن قريشا واليهود سألوا النبي عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على ما كان يوافق التوراة ولم يكن في نفسه قارئا طمع أن يسلموا فلم يسلموا فحزن لذلك فقال الله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين معناه وما أكثر الناس بمؤمنين وإن حرصت على إيمانهم
قوله تعالى وما تسألهم عليه أي على التبليغ من أجر أي من جعل وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين أي عظة للعالمين
قوله تعالى ـ وكأين من آية معناه وكم من آية وقوله في السموات السموات سقوف الأرض بعضها على بعض طبقا طبقا والأرض هي موضع سكنى الآدميين وأما الآيات في السموات كما بينا من قبل وذلك من شمسها وقمرها ونجومها ودوران الفلك بها واستوائها من غير عمد وغير ذلك وقد زعم بعض أهل العلم أنه يجوز للإنسان أن يتعلم علم النجوم بقدر ما يعرف به

تفسير السمعاني ج:3 ص:70
تفسير السمعاني ج 3/ص 71

وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون 105 وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون 106 أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون 107 قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن من آيات السماء وأما آيات الأرض معلومة أيضا وهي شجرها ونباتها وجميع ما فيها وما يخرج منها وقوله يمرون عليها وهم عنها معرضون معناه أنهم يعرضون عنها مع مشاهدتها ولا يستدلون بها على وحدانية الله
قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فإن قيل كيف يجوز اجتماع الإيمان مع الشرك في الواحد الجواب من وجوه أحدها أن معناه وما يؤمن أكثرهم بالله أي وما يقر أكثرهم بالله إلا وهم مشركون بقلوبهم وضمائرهم
والثاني أن مشركي مكة كانوا إذا قيل لهم من خلقكم قالوا الله وإذا قيل لهم من يرزقكم قالوا الله وإذا قيل لهم من خلق السموات والأرض قالوا الله ثم

مع ذلك يعبدون الأصنام وبعضهم يقولون إن الملائكة بنات الله وبعضهم يقول الأصنام شفعاؤنا عند الله فالقول الأول هو الإيمان وليس المراد من الإيمان هو حقيقة الإيمان الذي يصير به الإنسان مؤمنا وإنما المراد ما بينا
والقول الثالث أن معنى شركهم هو شركهم في التلبية فإنهم كانوا يقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك
قوله تعالى أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله قيل قطعة من عذاب الله وقيل عقوبة محللة من عذاب الله وقوله أو تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة والبغتة وقوع الشيء من غير توقع سابق قال الشاعر
ولكنهم باتوا ولم أدر بغتة وأفظع شيء حين يفجؤك البغت
وقوله وهم لا يشعرون أي لا يعلمون

تفسير السمعاني ج:3 ص:71
تفسير السمعاني ج 3/ص 72

(3/66)

اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين 108 وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون 109 حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم
قوله تعالى قل هذه سبيلي أدعو إلى الله أي طريقي والسبيل يذكر ويؤنث قال الشاعر
تمنى رجال أن أموت وإن مت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقوله على بصيرة أي على يقين والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل وقوله أنا ومن اتبعني معناه أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني يدعون أيضا إلى الله وقال بعضهم تم الكلام عند قوله أدعو إلى الله ثم استأنف وقال على بصيرة أنا ومن اتبعني وقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين يعني أقول سبحان الله وما أنا من المشركين
قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى قال الحسن البصري لم يبعث الله نبيا من بدو وإنما بعث الله الأنبياء من الأمصار والقرى وقال أيضا لم يبعث الله نبيا من الجن ولا من النساء وقيل لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم وأما أهل الأمصار فهم أحن قلوبا وأذكى وأفطن في الأمور فلهذا بعث الله الأنبياء منهم وقوله أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ظاهر المعنى
وقوله ولدار الآخرة معناه والحال في الدار الآخرة وللإنسان حالان الحال الأولى والحال الآخرة وقيل ولدار الآخرة هذا إضافة الشيء إلى نفسه كقولهم خير للذين اتقوا يوم الخميس ويوم الجمعة قال الشاعر
أتمدح فقعسا وتذم عبسا
ألا لله أمك من هجين
ولو فزت عليك ديار عبس

تفسير السمعاني ج:3 ص:72
تفسير السمعاني ج 3/ص 73

قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين 110 لقد
أضاف العرفان إلى اليقين وقوله أفلا تعقلون أفلا تفقهون
قوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قرىء بقراءتين بالتشديد والتخفيف قرأ أهل الكوفة بالتخفيف والآية مشكلة إذا قرئت بالتخفيف لأن القائل يقول كيف ظن الرسل أنهم قد كذبوا ولا يجوز هذا على الأنبياء وكانت عائشة تنكر هذه القراءة وتقول إنما هو كذبوا بالتشديد يعني أن الرسل ظنوا أن من آمن بهم كذبوهم لشدة المحنة والبلاء عليهم وتطاول المدة بهم هذا رواه الزهري عن عروة عن عائشة وعن قتادة أن الظن هاهنا بمعنى اليقين ومعناه وأيقن الرسل أن القوم كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده إيمانهم وهو تأكيد لقوله حتى إذا استيأس الرسل لأن معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم أي أيسوا وأما القراءة بالتخفيف هذه قراءة صحيحة وهي منقولة عن علي وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وكثير من الصحابة وفي معناه قولان أحدهما ما روي عن ابن عباس أنه قال ضعفت قلوب الرسل -وقد كانوا بشرا- بتطاول الزمان وكثرة الإمهال وقد قال الله تعالى في موضع آخر وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وقوله متى نصر الله استبطاء أو قالوا هذا من ضعف البشرية
والقول الثاني -وهو الصحيح- وهو منقول أيضا عن ابن عباس أن معنى الآية وظن من آمن بالرسل أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف أو ظن القوم الذين بعث إليهم أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف وقرأ مجاهد وظنوا أنهم قد كذبوا ومعناه كما ذكرنا في القول الثاني أن ظن القوم أن الرسل قد كذبوا
وقوله جاءهم نصرنا ظاهر المعنى وقوله فنجي من نشاء المشيئة واقعة على المؤمنين وقوله ولا يرد بأسنا أي عذابنا عن القوم المجرمين أي

تفسير السمعاني ج:3 ص:73

تفسير السمعاني ج 3/ص 74
كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون 111 عن القوم الكفار

قوله -تعالى- لقد كان في قصصهم عبرة أي دلالة وآية
قوله لأولي الألباب أي لأولي العقول
وقوله ما كان حديثا يفترى أي يختلق يعني قصة يوسف
وقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من التوراة والإنجيل
وقوله وتفصيل كل شيء يعني من الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معناه بيان ونعمة لقوم يؤمنون
والله أعلم بالصواب

تفسير السمعاني ج:3 ص:74
تفسير السمعاني ج 3/ص 75
سورة الرعد
بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون 1 الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر سورة الرعد
تفسير سورة الرعد وهي مكية إلا آيتين قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية فإنهما مدنيتان
قوله تعالى المر قالوا معناه أنا الله أعلم وأرى وقيل إن الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد والراء من إرسال الله إياه -يعني محمدا - وقد بينا من قبل غير هذا
وقوله تلك آيات الكتاب قد بينا في سورة يوسف وقوله والذي أنزل إليك من ربك الحق الإنزال هو النقل من العلو إلى الأسفل ومعنى الآية أن ما أهبط الله به جبريل عليك هو الحق والحق ضد الباطل وقيل وضع الشيء في موضعه على ما توجبه الحكمة وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يعني من اليهود والنصارى والمشركين

قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد
العمد جسم مستطيل يمنع المرتفع من الميلان وفي معنى قوله بغير عمد قولان أحدهما وهو الأصح أن معناه رفع السموات بغير عمد ترونها كذلك وقد قال أهل المعاني لو كان للسموات عمد لرأيناها لأن عمد الجسم الغليظ يكون بالجسم الغليظ فلا بد أن ترى وهذا قول مجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وروي عن ابن عباس أنه قال معنى الآية رفع السموات بغير عمد ترونها

تفسير السمعاني ج:3 ص:75
تفسير السمعاني ج 3/ص 76
الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء

ربكم توقنون 2 وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون 3 وفي
وقوله ترونها راجع إلى العمد كأنه قال لها عمد لا ترونها وزعم أن لها عمدا على جبل قاف وأن السماء عليها مثل القبة وجبل قاف محيط بالدنيا وهو من زبرجدة خضراء والصحيح ما بينا
وقوله ثم استوى على العرش قد بينا المعنى وقوله وسخر الشمس والقمر معناه ذلل الشمس والقمر فهما مذللان مقهوران يجريان على ما يريد الله وقوله كل يجري لأجل مسمى أي لمدة مضروبة وقوله يدبر الأمر التدبير من الله تعالى فعل الأشياء على ما يوجب الحكمة وقوله يفصل الآيات معناه يبين الدلالات وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون تؤمنون
قوله تعالى وهو الذي مد الأرض الآية قد كانت الأرض مدرة مدورة فبسطها الله تعالى ومدها وقوله وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت
وقوله وأنهارا الأنهار مجاري الماء الواسعة وقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين أي صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامض وقيل إن قوله اثنين تأكيد لقوله زوجين

وقوله يغشي الليل النهار معناه يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس ظلمة الليل بضوء النهار وقوله إن في ذلك لآيات لدلالات لقوم يتفكرون التفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء
قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات فيه قولان أحدهما أن فيه حذفا فكأنه قال وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات وهذا مثل قوله تعالى وسرابيل تقيكم الحر يعني وسرابيل تقيكم الحر والبرد

تفسير السمعاني ج:3 ص:76
تفسير السمعاني ج 3/ص 77
الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون 4
والقول الثاني أنه ليس في الآية حذف وهو صحيح المعنى وفي المتجاورات قولان أحدهما أن معناه أنها متجاورة في الظاهر مختلفة في المعنى هذه سبخة وهذه عذبة وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وهذه مزرعة وهذه مغرسة وهذه لا مزرعة ولا مغرسة
والقول الثاني أن معناه هذه عامرة وهذه غامرة وهذه صحاري وبراري وهذه جبال وأودية فعلى هذا إذا قدرنا في الآية متجاورات وغير متجاورات فالمتجاورات هي الأرض العامرة المتصل بعضها ببعض وغير المتجاورات هي الأرض الخربة التي فيها الأودية والدكادك
وقوله وجنات من أعناب يعني بساتين من أعناب وقوله وزرع ونخيل معلوم

المعنى وقوله صنوان وغير صنوان قرىء صنوان بالضم والمعروف صنوان بالكسر وفي الآثار المسندة عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أنه قال الصنوان هو النخل المجتمع وغير الصنوان هو المتفرق والمعروف في اللغة أن الصنوان هي النخلات أصلها واحد وغير صنوان هي النخلة الواحدة بأصلها

وقوله يسقى بماء واحد الماء جسم رقيق مائع يشرب به حياة كل نام قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وفي الآية رد على أصحاب الطبيعة فإن الماء واحد والهواء واحد والتراب واحد والحرارة واحدة والثمار مختلفة في اللون والطعم وقلة الريع وكثرة الريع والطبيعة واحدة يستحيل أن توجب شيئين مختلفين فدل هذا أن الجميع من الله تعالى
في جامع أبي عيسى الترمذي برواية أبي هريرة عن النبي في قوله ونفضل

تفسير السمعاني ج:3 ص:77
تفسير السمعاني ج 3/ص 78
وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 5 بعضها على بعض في الأكل قال هذا حلو وهذا حامض وهذا دقل وهذا فارسي وقوله إن في ذلك لآيات يعني الدلالات لقوم يعقلون يفهمون وأنشدوا في الصنوان
العلم والحلم خلتا كرم للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما
إلا بجمع ذا وذاك معا
وقد روي عن النبي أنه قال عم الرجل صنو أبيه معناه أنه وأبوه من أصل واحد قوله تعالى وإن تعجب فعجب قولهم العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادات والخطاب للرسول ومعناه أنك تعجب فعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وفي الأمثال لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وأرذل منه من يتعجب من غير عجب
وقوله أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد هذا هو المعنى في إنكارهم البعث وقوله أولئك الذين كفروا بربهم جحدوا بربهم
وقوله وأولئك الأغلال في أعناقهم الغل طوق تجمع به اليد إلى العنق وهذه الأغلال من نار وقوله وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المعنى

قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته وقد كان الله تعالى أخر عقوبة

تفسير السمعاني ج:3 ص:78
تفسير السمعاني ج 3/ص 79
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب 6 ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد 7 الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض كرامة للنبي والسيئة هاهنا هي العقوبة والحسنة العافية ومعناه أنهم يطلبون العقوبة بدلا من العافية وقد دل على هذا قوله تعالى وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع
وقوله وقد خلت من قبلهم المثلات روي عن مجاهد أنه قال المثلات الأمثال والأكثرون أن المثلات العقوبات وقرأ الأعمش المثلات بفتح الميم وكسر التاء وحكي عنه أنه قرأ المثلات بضم الميم وتسكين الثاء والمعاني متقاربة
وقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم معناه لذو تجاوز عن الناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب وفي بعض المسانيد عن سعيد بن المسيب أن النبي قال لما نزلت هذه الآية لولا فضل الله وتجاوزه ما هنىء أحد العيش ولولا وعيده وعقوبته لا تكل كل أحد
قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه معناه لولا أنزل عليه آية مما نقترحها وإلا فالآيات قد كانت نازلة عليه
وقوله إنما أنت منذر مخوف أو مبلغ للوحي بالإنذار
وقوله ولكل قوم هاد فيه أقوال الأكثرون أن معناه ولكل قوم نبي يدعوهم إلى الله والقول الثاني ولكل قوم هاد يعني محمدا وقيل الهادي هو الله
قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى معناه الله يعلم ما تحمل كل أنثى

تفسير السمعاني ج:3 ص:79
تفسير السمعاني ج 3/ص 80
الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار 8 عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال 9 سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار من ذكر أو أنثى أو سوى الخلق أو غير سويه أو واحد أو اثنين أو أكثر
قوله وما تغيض الأرحام وما تزداد الغيض هو النقصان هكذا قال مجاهد وغيره وفي بعض الأخبار أن النبي قال إذا كان المطر قيظا والولد غيضا وغاض الكرام غيضا وفاض اللئام فيضا الخبر
وفي غيض الأرحام وزيادتها ثلاثة أقوال الأول أنه النقصان عن سبعة أشهر والزيادة على تسعة أشهر والثاني أنه النقصان بإسقاط السقط والزيادة بتمام

الخلق والثالث أنه النقصان بالحيض على الحمل والزيادة بعدم الحيض على الحمل فإن الولد ينتقص إذا أهراقت المرأة الدم على الحمل وتتم إذا لم تهرق وعن مكحول أنه قال دم الحيض غذاء الولد في الرحم
وقوله وكل شيء عنده بمقدار أي بتقدير
وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال يعني المتعال عما يقوله المشركون
قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الآية معناه يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به
وقوله ومن هو مستخف بالليل أي مستتر بظلمة الليل وقوله وسارب بالنهار أي ظاهر ذاهب بالنهار والسرب الطريق تقول العرب خل له سربه أي

تفسير السمعاني ج:3 ص:80
تفسير السمعاني ج 3/ص 81
10 له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم طريقه وزعم بعض أهل المعاني أن قوله ومن هو مستخف بالليل أي ظاهر بالليل يقال خفيت إذا ظهرت وأخفيت إذا كتمت قال الشاعر
خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

وقوله وسارب بالنهار أي مستكن بالنهار يقال أسرب الوحش إذا استكن
والقول الأول هو الأصح
قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه الآية في الآية أقوال أظهرها أن المعقبات الملائكة والمعقبات المتداينات يعني يذهب بعضها ويأتي البعض في عقبها وقد صح برواية أبي هريرة عن النبي أنه قال إن لله ملائكة يتعاقبون بينكم ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيقول الله لهم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون
القول الثاني هو ما روي عن عكرمة قال الآية في الأمراء وحرسهم
والقول الثالث ما روي عن ابن جريج أنه قال الآية في الذي يقعد عن اليمين والشمال يكتب وذلك في قوله تعالى إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
وقوله يحفظونه من أمر الله الأكثرون على أن قوله من أمر الله ومعناه أنهم يحفظونه بإذن الله فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه وفي بعض الآثار أن الله تعالى يوكل ملائكة بالنائم يحفظونه من الحي والهوام فإذا قصده شيء قالوا وراءك وراءك إلا شيئا قدر أن يصيبه

تفسير السمعاني ج:3 ص:81
تفسير السمعاني ج 3/ص 82

حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال 11 هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال 12 ويسبح الرعد
وروي عمرو بن أبي جندب كنا عند سعيد بن قيس الهمداني فجاء علي يتوكأ على عنزة له فقلنا له يا أمير المؤمنين أما تخاف أن يغتالك أحد فقال إن الله تعالى قد وكل بابن آدم ملائكة يحفظونه فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه

وفي قوله من أمر الله قول آخر وهو أنه على المعنى التقديم والتأخير وكأن الله تعالى قال له معقبات من أمره يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقيل من أمر الله مما أمر الله به من الحفظ عنه وعن ابن عباس أنه قرأ له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه وقرى في الشاذ له معاقيب من بين يديه ومن خلفه
وقوله إن الله لا يغير ما بقوم معناه لا يغير شيئا بقوم من النعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم بالمعصية
وقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا في الآية رد على القدرية صريحا ومعناه بلاء وعذابا فلا مرد له أي لا راد له وما لهم من دونه من وال أي من ولي يمنعهم وينصرهم قال الشاعر
ما في السماء سوى الرحمن من وال
قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا البرق نور مضىء شبه عمود من نار من اتقاد السحاب والتفسير المعروف عن السلف أن البرق مخاريق بأيدي الملائكة من نار يسوقون بها السحاب إلى حيث شاء الله تعالى
وقوله خوفا وطمعا فيه أقوال أحدها أن الخوف من الصاعقة والطمع في نفع المطر
والثاني أن الخوف للمسافر فإن عادة المسافر أن يتأذى بالمطر والطمع للمقيم لأن المقيم يرجو الخصب بالمطر

تفسير السمعاني ج:3 ص:82
تفسير السمعاني ج 3/ص 83
بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في
والثالث أن الخوف من المطر في غير إبانة وفي غير مكانه والطمع إذا كان في إبانه ومكانه من البلدان فمنهم إذا مطروا قحطوا مثل مصر وغيره وإذا لم يمطروا أخصبوا
وفي بعض الأخبار عن النبي أن الله تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني أسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد

وقوله وينشىء السحاب الثقال يعني الثقال بالماء وعن علي رضي الله عنه أنه قال السحاب غربال السماء وعن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى خلق السحاب كل سبع سنين مرة
وقوله ويسبح الرعد بحمده أكثر المفسرين أن الرعد ملك والمسموع من الصوت تسبيحه وهذا مروي عن النبي حين سأله اليهود عن الرعد وذكر فيه أن الصوت هو زجره للسحاب وقد حكي هذا عن ابن عباس وعلي ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وعن قتادة قال هذا عبد لله تعالى سامع مطيع

تفسير السمعاني ج:3 ص:83
تفسير السمعاني ج 3/ص 84
وفي الآثار أن الإنسان إذا سمع الرعد ينبغي أن يقول سبحان من سبحت له روي هذا عن ابن الزبير وغيره وعن عبد الله بن عباس قال من قال إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى ديته
وعن محمد بن علي الباقر قال الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر
وفي الرعد قول آخر وهو أنه صوت اصطكاك الأجرام العلوية والصحيح هو الأول وقيل أيضا إن الرعد نطق السحاب والبرق ضحكه
وقوله والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفته وعن ابن عباس أن لله تعالى ملائكة يبكون من خشيته من يوم خلقهم وملائكة في الركوع وملائكة في السجود وملائكة في التسبيح لا يشغلهم عن ذلك شيء
وقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصاعقة هي العذاب المهلك وهي تنزل من البرق في بعض الأحوال فتحرق ما تصيبه والآية نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين جاء إلى النبي فقال مم ربك أمن در أو ياقوت أو من ذهب أو من فضة فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته ورثاه أخوه لبيد بن ربيعة فقال
أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد
فجعني البرق والصواعق بالفارس
يوم الكريهة النجد

ويقال إنه جاء مع عامر بن طفيل وقصد الفتك بالنبي فجفت يده على قائمة السيف فلما خرج من عند رسول الله أصابته صاعقة في يوم صحو قائظ فأما عامر فأصابته غدة ومات في بيت سلولية وجعل يقول أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
وروي أن يهوديا أتى النبي وسأله مم ربك فنزلت صاعقة وأحرقته

تفسير السمعاني ج:3 ص:84
تفسير السمعاني ج 3/ص 85
الله وهو شديد المحال 13 له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في
وقوله وهم يجادلون في الله يعني يخاصمون ويقولون في الله ما لا يعلمون
وقيل وهم يجادلون في الله يكذبون بعظمة الله
وقوله وهو شديد المحال قال ابن عباس شديد الحول ومنه قوله لا حول ولا قوة إلا بالله وقيل شديد المحال شديد الانتقام وعن علي -رضي الله عنه- شديد الأخذ وقيل شديد الإهلاك وقيل شديد المكر وقال الشاعر
فرع نبع يهتز في غصن المجد عزيز الندى شديد المحال
وقرىء في الشاذ شديد المحال بنصب الميم
قوله تعالى له دعوة الحق هي شهادة أن لا إله إلا الله هذا روي عن ابن عباس وغيره وقيل دعوة الحق هو الدعاء بالإخلاص والدعاء بالإخلاص لا يكون إلا لله ألا ترى أن الله تعالى قال فادعوا الله مخلصين له الدين
قوله والذين يدعون من دونه يعني الأصنام لا يستجيبون لهم بشيء يعني لا يجيبون لهم شيئا وقوله إلا كباسط كفيه إلى الماء فيه قولان أحدهما أنه كالقابض على الماء ومن قبض على الماء لم يبق في يده شيء قال الشاعر
فأصبحت فيما كان بيني وبينها
من الود مثل القابض الماء باليد

والقول الثاني -وهو المعروف- أن قوله كباسط كفيه إلى الماء يعني كالعطشان المشير بكفه إلى الماء وبينه وبين الماء مسافة لا يصل إليه فهو يشير بكفه ويدعو بلسانه ولا يصل إليه فكذلك من يدع الأصنام بدفع أو نفع لا يصل إلى شيء بدعائه وقوله ليبلغ فاه يعني لينال فاه وما هو ببالغه وما هو بنائله

تفسير السمعاني ج:3 ص:85
تفسير السمعاني ج 3/ص 86
ضلال 14 ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال 15 قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات
وقوله وما دعاء الكافرين إلا في ضلال يعني إلا في خطأ وبطلان
قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها يعني يسجد من في السموات طوعا ويسجد من في الأرض بعضهم طوعا وبعضهم كرها والسجود هو الخضوع بالتذلل وقيل إن سجود الأشياء هو تذللها وتسخيرها لما

أريد له وسخر له وقوله وظلالهم قالوا ظل الكافر يسجد طوعا والكافر يسجد كرها وظل المؤمن يسجد طوعا وكذا المؤمن يسجد طوعا هذا هو القول المنقول عن السلف وقيل إن سجود الظل هو تسخيره وتذليله لما أريد له وقيل إن معنى قوله وظلالهم أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكر والعشايا
قوله تعالى قل من رب السموات والأرض معناه قل يا محمد من رب السموات والأرض ثم أمره بالإجابة وقال قل الله وروي أنه إنما قال هذا للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله وقال قل الله وإنما صحت هذه الإجابة معهم لأنهم كانوا يقرون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض

وقوله قل أفاتخذتم من دونه أولياء معناه أنكم مع إقراركم أن الله خالقكم وخالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء يعني الأصنام لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا يعني أنهم عجزة فإذا لم يملكوا لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لكم
وقوله قل هل يستوي الأعمى والبصير ضرب مثلا للمؤمن والكافر والإيمان والكفر فقال قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات

تفسير السمعاني ج:3 ص:86
تفسير السمعاني ج 3/ص 87
والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار 16 أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله والنور أي كما لا يستوي الأعمى والبصير والظالمات والنور فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر والإيمان والكفر
وقوله أم جعلوا لله شركاء يعني أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم أي اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله ومعنى الآية أنهم كما عرفوا أن الأصنام لا تخلق كخلق الله فلا ينبغي أن تعبد كعبادة الله
وقوله قل الله خالق كل شيء ظاهر المعنى وقوله وهو الواحد القهار الواحد هو الشيء الذي لا ينقسم وقد يكون شيئين لا ينقسم في معنى ويسمى واحد مثل قولهم دينار واحد لأنه لا ينقسم في الدينارية والقهار الغالب الذي لا يغلبه شيء وفي بعض الأخبار سبحان من تعزز بقدرته وقهر عباده بالموت
قوله تعالى أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله في القرآن وضرب الأودية مثلا للقلوب فقوله أنزل من السماء ماء أي مطرا فسالت أودية بقدرها قرئ بقدرها قرأها أبو الأشهب العقيلي والمعنى بقدرها من الصغر والكبر وكذلك القلوب تحمل القرآن بقدرها من الضيق والسعة

وقوله فاحتمل السيل زبدا رابيا الزبد هو الخبث الذي يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر وكذلك على فم البعير وقوله رابيا أي طافيا عاليا تم المثل الأول هاهنا ثم ذكر مثلا ثانيا وهو قوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار ومن الذي توقدون عليه الإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب
وقوله ابتغاء حلية معناه لطلب الحلية والذي أوقد عليه هاهنا هو الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما وقوله أو متاع معناه أو طلب متاع وذلك من الصفر والنحاس وغيره يوقد عليها والمتاع هو الأواني المتخذة من هذه الأشياء

تفسير السمعاني ج:3 ص:87
تفسير السمعاني ج 3/ص 88
الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال 17 للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم
وقوله زبد مثله أي زبد مثل زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل أي كذلك يبين الله الحق والباطل بضرب المثل ثم قال فأما الزبد فيذهب جفاء يعني ضائعا باطلا يقال أجفأت القدر إذا زبدت من جوانبها وذهب الزبد وذكر أبو زيد اللغوي أن رؤبة بن العجاج قرأ فأما الزبد فيذهب جفالا والمعنى قريب من الأول
وقوله وأما ما ينفع الناس فيمكث يعني الماء والذهب والفضة والحديد والرصاص والصفر والنحاس قوله فيمكث في الأرض أي يبقى ولا يذهب

وقوله كذلك يضرب الله الأمثال جعل هذا مثلا للحق والباطل في القلوب يعني أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع ويهلك والحق كالماء وكهذه الأشياء يمكث ويبقى في القلوب وقال بعضهم هذا تسلية للمؤمنين يعني أن أمر المشركين كذلك الزبد يرى في الصورة شيئا ثابتا وليس له حقيقة وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه فله الثبات والبقاء يقال للباطل جولة وللحق دولة
قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى الآية قد بينا أن الاستجابة والإجابة بمعنى واحد وقوله الحسنى الأكثرون أنها الجنة وقيل هو الرزق والعافية في الدنيا والنعيم في الآخرة والحسنى فعلى من الحسن
وقوله والذين لم يستجيبوا له أي لم يجيبوا له وقوله لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك افتداء من النار
وقوله أولئك لهم سوء الحساب روي عن إبراهيم النخعي أنه قال لفرقد يا فريقد أتدري ما سوء الحساب هو أن يحاسب على جميع الذنوب ولا يغفر منها شيئا وقد صح عن النبي برواية عائشة - رضي الله عنها - من نوقش الحساب

تفسير السمعاني ج:3 ص:88
تفسير السمعاني ج 3/ص 89
جهنم وبئس المهاد 18 أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى
إنما يتذكر أولوا الألباب 19 الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق 20
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب
21 والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية عذب وفي رواية هلك وقيل إن سوء الحساب هو أن لا يقبل حسنة ولا
يعفو عن سيئة وقوله ومأواهم جهنم أي مستقرهم جهنم
وقوله وبئس المهاد أي بئس ما مهدوا لأنفسهم أي بئس ما مهد لهم

قوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى نزلت الآية
في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام فالأول حمزة والثاني أبو جهل
وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل
وقوله إنما يتذكر أولو الألباب أي يتعظ أولو الألباب ومعنى الآية أن من يبصر
الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه لا يستويان أبدا
قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ظاهر المعنى وقيل عهد الله تعالى ما أخذه
الله تعالى من العهد على ذرية آدم حين أخذهم من صلبه
وقوله ولا ينقضون الميثاق هو تحقيق الوفاء السابق
وقوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل يعني يؤمنون بجميع الأنبياء وقيل
يصلون الرحم ولا يقطعونه
وقوله ويخشون ربهم أي يخافون ربهم ويخافون سوء الحساب أي يرهبون
سوء الحساب وسوء الحساب قد بينا
وقوله والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على أمر الله طلبا لرضا
ربهم وقيل صبروا على الفقر وعلى المصائب والبلايا وقيل صبروا عن

تفسير السمعاني ج:3 ص:89
تفسير السمعاني ج 3/ص 90
ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار 22 جنات عدن يدخلونها ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب 23
المعاصي وقيل صبروا عن شهوات الدنيا ولذاتها
وقوله يدرءون بالحسنة السيئة يعني يدفعون السيئة بالحسنة وهو معنى قوله
إن الحسنات يذهبن السيئات ومعنى قوله عليه السلام إذا عملت سيئة فاعمل
بجنبها حسنة تمحها وفي الآية قول آخر وهو أن السيئة الذنب والحسنة التوبة
ومعناه يدفعون الذنب بالتوبة وفي الخبر ما من شيء أدرك لشيء من توبة
حديثة لذنب قديم
قوله أولئك لهم عقبى الدار أي الجنة ومعناه لهم عاقبة دار الثواب قوله جنات
عدن يدخلونها أي بساتين للإقامة

وقوله يدخلونها معناه معلوم وقوله ومن صلح من آبائهم أي ويدخلها من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وفي الخبر أن المؤمن يدخل الجنة فيرى ذريته فيها فيقول متى دخلتم فيها فيقولون نحن منذ قديم ننتظرك والله أعلم
وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقوله سلام عليكم يعني يسلمون عليهم سلاما وقيل يقولون قد سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونه منها وفي الآثار أنهم - يعني الملائكة - يأتون بالتحف والهدايا من الله تعالى بقدر كل يوم من أيام الدنيا ثلاث عشرة مرة وقوله بما صبرتم قد بينا وقوله فنعم عقبى الدار أي نعم عاقبة الدار

تفسير السمعاني ج:3 ص:90
تفسير السمعاني ج 3/ص 91
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار 24 والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أو يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار 25 الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع 26 ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن
قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ظاهر وهذا وارد في الكفار وقوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون بالبعض وقيل يقطعون الرحم
وقوله ويفسدون في الأرض يعني يعملون فيها بالمعاصي وقوله أولئك لهم اللعنة أي البعد من رحمة الله وقوله ولهم سوء الدار أي سوء المنقلب لأن المنقلب منقلب الناس إلى الدار
قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وقوله وفرحوا بالحياة الدنيا الفرح لذة في القلب بنيل المشتهى وهذا دليل على أن الفرح بالدنيا حرام منهي عنه

قوله وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع يعني إلا قليل ويقال كمتاع الراكب وقد صح عن النبي أنه قال ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه يعنون الآية المقترحة فإن قال قائل لم لا يجوز أن يجيبهم إلى الآية المقترحة ولعلها تكون سببا لإيمانهم والجواب أن الآية المقترحة لا نهاية لها وإن وجب في المصلحة أن يجيب واحدا وجب أن يجيب آخر إلى ما يتناهى
وقوله قل إن الله يضل من يشاء ظاهر المعنى وقوله ويهدي إليه من أناب

معناه ويهدي إليه من يشاء بالإنابة وفي الآية رد على القدرية والله الهادي إلى الصواب بمنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:91
تفسير السمعاني ج 3/ص 92
الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب 27 الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب 28 الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
وقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي تسكن قلوبهم بذكر الله وقيل تستأنس قلوبهم بذكر الله والسكون باليقين والاضطراب بالشك قال الله تعالى في شأن المشركين إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة أي اضطربت وقال في المؤمنين الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله ألا بذكر الله تطمئن القلوب معناه ألا بذكر الله تسكن القلوب وطمأنينة القلب بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه فإن قال قائل أليس الله تعالى قال وجلت قلوبهم فكيف توجل وتطمئن في حالة واحدة والجواب أن الوجل بذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة بذكر الوعد والثواب فكأنها توجل إذا ذكر عدل الله وشدة حسابه وتطمئن إذا ذكر فضل الله وكرمه

قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات معناه وعملوا الطاعات وقوله طوبى لهم فيه أقوال روي عن أبي هريرة وأبي أمامة وأبي الدرداء وعن ابن عباس برواية الكلبي أنهم قالوا طوبى شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها
وفي بعض الأخبار أن أصلها في منزل النبي وقصره وفي كل قصر من قصور الجنة غصن منها وعليها من جميع أنواع الثمر وتقع عليها طيور كالبخت إذا رآها المؤمن واشتهى منها سقطت بين يديه فيأكل منها ما شاء ثم تطير وفي بعض الأخبار أن رجلا لو ركب حقا أو جذعا وجعل يطوف بأصلها لقتله الهرم ولم يبلغ إلى الموضع الذي ابتدأ منه
والقول الثاني أن طوبى اسم الجنة قال مجاهد هي اسم الجنة بالحبشية وعن عكرمة طوبى لهم أي نعماء لهم وعن إبراهيم النخعي أي خير وكرامة لهم وعن

تفسير السمعاني ج:3 ص:92
تفسير السمعاني ج 3/ص 93
مئاب 29 كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب 30 الضحاك طوبى لهم أي غبطة لهم والأقوال متقاربة في المعنى قال الزجاج طوبى فعلى من الطيب ومعناها العيش الطيب لهم
وقوله وحسن مآب أي حسن منقلب

قوله تعالى كذلك أرسلناك في أمة الآية معنى كاف التشبيه هاهنا إنا كما أرسلنا الأنبياء إلى سائر الأمم كذلك أرسلناك إلى هذه الأمة
قوله قد خلت من قبلها أمم أي قد مضت من قبلها أمم قوله لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك أي لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك

(3/86)

وقوله وهم يكفرون بالرحمن فيه قولان أحدهما قال ابن جريج الآية مدنية في قصة الحديبية فإن سهيل بن عمرو لما جاء واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح كتب علي رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن اكتب كما نكتب نحن باسمك اللهم القصة فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن
والقول الثاني - وهو المعروف - أن الآية مكية وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي وهو في الحجر يدعو ويقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين وقال إن محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل أيضا قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
وقوله قل هو ربي يعني قل الرحمن ربي لا إله إلا هو عليه توكلت عليه اعتمدت وبه وثقت وإليه متاب يعني وإليه التوبة والتوبة هي الندم على ما سلف من الجرائم مع الإقلاع عنها في المستقبل

تفسير السمعاني ج:3 ص:93
تفسير السمعاني ج 3/ص 94
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا

(3/87)

قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال روي أن المشركين قالوا لرسول الله سل ربك أن يسير هذه الجبال التي بمكة فتتسع أرضنا ونتخذ فيها المزارع وسل ربك أن يقرب إلينا الشام فإن إليه متاجرنا وقد أبعد عنا وقالوا أيضا سل ربك أن يخرج لنا الأنهار ويشق العيون في الأرض لنغرس الأشجار ونتخذ البساتين وسل ربك أن يبعث لنا جماعة من الموتى فنسألهم عن أمرك وأحى لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى نسأله عن أمرك وفي بعض الروايات أنهم قالوا سل ربك بالقرآن الذي أنزل عليك أن يفعل هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال معناه ولو قضيت أن أسير الجبال بكتاب أو أقطع الأرض به أو أحيي به الموتى لفعلت بهذا القرآن
فإن قيل هذا الجواب الذي تقولون غير مذكور في القرآن وهذا زيادة

الجواب عنه أن الجواب محذوف والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر
فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا
ومعناه ولو أنها نفس واحدة لتسليت بها ولكنها أنفس كثيرة وذكر الفراء أن الجواب هو ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لم يؤمنوا لما سبق في علمنا من تركهم الإيمان
معناه أنا لو فعلنا بالقرآن الذي أنزل إليك ما سألوا لم يؤمنوا أيضا وقوله بل لله الأمر جميعا معناه بل لله الأمر جميعا في هذه الأشياء إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها
وقوله أفلم ييئس الذين آمنوا أكثر أهل المعاني على أن معناه أفلم يعلم الذين آمنوا وفي قراءة ابن عباس هكذا أفلم يتبين للذين آمنوا وقد ورد هذا اللفظ بمعنى العلم في لغة العرب قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:3 ص:94
تفسير السمعاني ج 3/ص 95

(3/88)

تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد 31 ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف
أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيئسوا أني ابن فارس زهدم
وقال آخر
ألم ييئس الأبطال أني أنا ابنه
وإن كنت عن أرض العشيرة تائيا
وأنكر الكسائي أن يكون هذا بمعنى العلم وقال إن العرب لا تعرف اليأس بمعنى العلم قال وإنما معنى الآية أن أصحاب رسول الله لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوا ويؤمنوا فأنزل الله هذه الآية أفلم ييئس الذين آمنوا يعني من الصحابة من إيمان هؤلاء القوم وكل من علم شيئا فقد يئس عن خلافه وضده وبعضهم قال معناه أفلم يعلم الذين آمنوا من حال هؤلاء الكفار علما يوجب يأسهم عن إيمانهم وقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ظاهر المعنى
وقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أي نازلة وبلية وقيل إن القارعة هاهنا سرايا رسول الله أو تحل قريبا من دارهم يعني أو تحل السرية قريبا من دارهم وقيل أو تنزل أنت قريبا من دارهم
حتى يأتي وعد الله فيه قولان أحدهما أنه يوم القيامة والقول الثاني أنه يوم بدر وقوله إن الله لا يخلف الميعاد ظاهر المعنى
قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاستهزاء طلب الهزء وقد كان الكفار يسألون هذه الأشياء عن طريق الاستهزاء فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية للنبي معناه ولقد استهزئ برسل من قبلك يعني كما استهزءوا بك فقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا معناه فأمهلت وأطلت المدة لهم ومنه

الملوان وهو الليل والنهار وقوله ثم أخذتهم فكيف كان عقاب معناه ثم أخذتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار فكيف كان عقابي لهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:95
تفسير السمعاني ج 3/ص 96

كان عقاب 32 أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد 33 لهم عذاب في الحياة
قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أكثر المفسرين أن قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت هو الله والله تعالى لا يجوز أن يسمى قائما على الإطلاق لأن الشرع لم يرد به ولأن القائم هو المنتصب ويجوز أن يوصف بالقيام على التقييد وهو أنه قائم على كل نفس بما كسبت ومعنى قوله قائم على كل نفس أنه المتولي لأحوالها وأعمالها وأرزاقها وغير ذلك وكذلك هو المتولي للمجازاة بكسب الخير والشر
وقال بعضهم معنى قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي عالم بكسب كل نفس قال الشاعر
فلولا رجال من قريش أعزة سرقتم ثياب البيت والله قائم
أي عالم وقوله أفمن معناه أفمن كان هكذا كمن ليس بهذا الوصف وقوله وجعلوا لله شركاء أي وصفوا لله شركاء وقوله قل سموهم معناه قل صفوهم بالصفات التي هي مستحقة لها ثم انظروا هل هي أهل أن تعبد أو لا
قوله أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض معناه أم أنتم تنبئون الله بما لا يعلم يعني تذكرون له شريكا وإلها آخر وهو لا يعلمه
وقوله أم بظاهر من القول يعني أم تتعلقون بظاهر من القول لا معنى له شبه المتجاهل الذي لا يطلب حقيقة الأمر وقيل بظاهر من القول بباطل من القول قال الشاعر
وعيرني الواشون أني أحبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
أي زائل وحكي أن عبد الله بن الزبير أنشد هذا حين قيل له يا ابن ذات النطاقين وقصد القائل تعييره وذمه فقال عبد الله بن الزبير
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
قوله بل زين للذين كفروا مكرهم أي كفرهم وقوله وصدوا عن السبيل وقرئ وصدوا برفع الصاد أي فعل بهم ذلك وقوله وصدوا

تفسير السمعاني ج:3 ص:96
تفسير السمعاني ج 3/ص 97
الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق 34 مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار 35 والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من معناه فعلوا هم ذلك وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد ظاهر المعنى
وقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا قد بينا العذاب في الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق يعني أشد وقوله وما لهم من الله من واق أي من يقي
وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون قرئ في الشاذ أمثال الجنة التي وعد المتقون و المعروف مثل الجنة وفيه قولان أحدهما صفة الجنة التي وعد المتقون والقول الثاني مثل الجنة التي وعد المتقون جنة تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم أي لا ينقطع ثمرها ونعيمها
فإن قال قائل قد قال هاهنا أكلها دائم وقال في موضع آخر ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فكيف التوفيق بين الآيتين
الجواب أن الدوام بمعنى عدم الانقطاع فإذا لم ينقطع ورزقوا بكرة وعشيا فهو دائم وقوله وظلها هذا في معنى قوله تعالى وظل ممدود
وفي الأخبار أن ظل شجرة واحدة في الجنة يسير الراكب فيها مائة عام لا يقطعه وقوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا معناه تلك عاقبة الذين اتقوا وقوله وعقبى الكافرين النار أي عاقبة الكافرين النار

تفسير السمعاني ج:3 ص:97
تفسير السمعاني ج 3/ص 98

ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مئاب 36 وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق 37 ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان
قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك الآية روي أن اليهود الذين أسلموا كانوا يستقلون ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله ذكر الرحمن في القرآن فرحوا فأنزل الله تعالى هذه الآية والذين آتيناهم الكتاب يفرحون الآية
وقوله ومن الأحزاب من ينكر بعضه الأحزاب هم الذين تحزبوا على النبي وقوله من ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وقوله قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب ظاهر المعنى
قوله تعالى وكذلك أنزلناه حكما عربيا فيه قولان أحدهما قرآنا عربيا لأن فيه الأحكام والآخر نبيا عربيا لأن النبي كان منهم والقرآن نزل بلغتهم

وقوله ولئن اتبعت أهواءهم الهوى ميل الطبع لشهوة النفس وأكثره مذموم
قوله بعد ما جاءك من العلم يعني من القرآن مالك من الله من ولي ولا واق يعني من ناصر ولا حافظ
قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية روي أن اليهود ذموا النبي باستكثاره من النساء وقالوا هذا الرجل ليس له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن المشركين قالوا هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ويقال إنه كان لداود مائة امرأة وقد صح الخبر فيه عن النبي ودل عليه الكتاب وكان لسليمان ألف امرأة

تفسير السمعاني ج:3 ص:98
تفسير السمعاني ج 3/ص 99

لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب 38 يمحو الله ما يشاء ويثبت في الصحيح ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فهذا معنى قوله وجعلنا لهم أزواجا وذرية وكذلك عامة الأنبياء تزوجوا وولد لهم
وقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أي إلا بأمر الله لكل أجل كتاب معناه لكل أجل أجله الشرع كتاب أثبت فيه وقيل هذا على التقديم والتأخير ومعناه لكل كتاب أجل ومدة ومعناه الكتب المنزلة وقيل لكل أجل كتاب أي لكل قضاء قضاه الله تعالى وقت يقع فيه وكتاب أثبت فيه
قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت فيه أقوال روي عن ابن عباس أنه يمحو الله ما يشاء من الشريعة أي ينسخ ويثبت ما يشاء فلا ينسخ وحكي عنه أيضا برواية سعيد بن جبير قال يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت وعن عمر وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم - أنهما قالا يمحو الشقاوة والسعادة أيضا ويمحو الأجل والرزق ويثبت ما يشاء وكان عمر يقول اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحه واكتبني ما تشاء سعيدا فإنك قلت يمحو الله ما يشاء ويثبت وفي بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقي له من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقي له من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة وقد ورد خبر يؤيد قول ابن عباس في أنه لا يمحى الشقاوة والسعادة والأجل والرزق روى حذيفة بن أسيد عن النبي أنه قال إذا وقعت النطفة في الرحم ومضى عليها خمس وأربعون ليلة قال الملك يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله ويكتب الملك فيقول يا رب أشقي أم سعيد فيقضي الله تعالى ويكتب الملك فيقول يا رب ما الأجل وما الرزق فيقضي الله تعالى ويكتب الملك ثم لا يزاد فيه ولا ينقص ذكره مسلم في الصحيح

وعنده أم الكتاب 39 وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب 40 أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله وفي الآية قول آخر وهو قول الحسن يمحو الله ما يشاء أي يمحو من حضر أجله ويثبت ما يشاء من لم يحضر أجله وفي الآية قول رابع أن المراد منه أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم فيمحو الله منها ما يشاء وهو ما لا ثواب عليه ولا عقاب ويثبت ما يشاء وهو الذي يستحق عليه الثواب والعقاب وقيل يمحو الله ما يشاء أي يمحو ما يشاء لمن عصاه فختم أمره بالطاعة ويثبت بالمعصية لمن أطاع وختم أمره بالمعصية والمنقول عن السلف هي الأقوال التي ذكرناها قبل هذا القول
وقوله وعنده أم الكتاب معناه وعنده أصل الكتاب وأصل الكتاب هو اللوح المحفوظ وفي بعض الأخبار أن الله تعالى ينظر في الكتاب الذي عنده لثلاث ساعات يبقين من الليل فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ويبدل ما يشاء ويقرر ما يشاء
وقوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم الآية بعض الذين نعدهم أي قبل وفاتك أو نتوفينك وقبل أن نريك ذلك فإنما عليك البلاغ أي التبليغ وعلينا الحساب يوم القيامة
قوله تعالى أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أكثر المفسرين على أن المراد من هذا هو فتح ديار الشرك وسمي ذلك نقصانا لأنه إذا زاد في دار الإسلام فقد نقص من دار الشرك وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وعن ابن عباس - في رواية أخرى - قال هو موت الأخيار والعلماء وحكي ذلك عن مجاهد وقيل ننقصها من أطرافها بخرابها والساعة تقوم وكل الأرض خربة ويقال في منثور

يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب 41 وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار 42 ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب 43 الكلام الأشراف على الأطراف ليقرب منهم الأضياف وقوله والله يحكم لا معقب لحكمه أي لا راد ولا ناقض لحكمه وهو سريع الحساب معلوم

قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم المكر إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر قوله فلله المكر جميعا أي عند الله جزاء مكرهم جميعا وقيل إن الله خالق مكرهم جميعا وقوله يعلم ما تكسب كل نفس ظاهر المعنى وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لمن عاقبة الدار والآية تهديد ووعيد وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا ظاهر المعنى وقوله قل كفى بالله شهيدا أي شاهدا بيني وبينكم
وقوله ومن عنده علم الكتاب قال قتادة هو عبد الله بن سلام وقيل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وعلى هذا جماعة من التابعين وأنكر الشعبي وعكرمة وجماعة هذا القول وقالوا السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة وأيضا فإن الله تعالى كيف يستشهد بمخلوق وإنما المراد منه هو الله تعالى وقد قرأ ابن عباس ومن عنده علم الكتاب وهذا يبين أن المراد منه هو الله تعالى
وعنى عبد الله بن سلام نفسه قال أنا المراد بالآية
وعن الحسن ومجاهد أن المراد هو الله
وسعيد بن جبير قال هو جبريل - عليه السلام - والصحيح أحد القولين الأولين والله أعلم

تفسير السمعاني ج:3 ص:101
تفسير السمعاني ج 3/ص 102
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد 1 الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية إلا قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى قوله فإن مصيركم إلى النار والله أعلم
قوله تعالى الر معناه أنا الله أرى وقيل معناه أنا الله الرحمن
وقوله كتاب أنزلناه إليك معناه هذا كتاب أنزلناه إليك
وقوله لتخرج الناس من الظلمات إلى النور معناه من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان ومن الغواية إلى الرشد وقيل من البدعة إلى السنة والظلمة اسوداد الجو بما يمنع من البصر والنور بياض شعاعي يحصل به الإبصار قوله بإذن ربهم أي بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم
وقوله إلى صراط العزيز الحميد الصراط هو الدين والعزيز الحميد هو الله تعالى ومعنى العزيز الغالب ومعنى الحميد هو المستحق للحمد في أفعاله لأنه إنما متفضل أو عادل
وقوله الله الذي قرئ بالرفع والخفض فمن قرأ بالخفض فهو مسبوق على قوله العزيز الحميد ومن رفع فعلى تقدير هو الله
وقوله له ما في السموات وما في الأرض يعني له ملك السموات والأرض
وقوله وويل للكافرين الويل واد في جهنم وقيل إنه دعاء الهلاك من

تفسير السمعاني ج:3 ص:102
تفسير السمعاني ج 3/ص 103
عذاب شديد 2 الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد 3 وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين عذاب شديد أي عذاب عظيم
قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة معناه الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ومعنى الإيثار هو طلب الدنيا من غير نظر للآخرة وذلك بأن يأخذ من حيث يجد ولا يبالي أنه حرام أو حلال وقد روي عن النبي أنه قال يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء أخذ الدنيا بحلال أو بحرام

وقوله ويصدون عن سبيل الله يعني يمتنعون عن قبول دين الله ويمنعون الناس عن قبوله ويبغونها عوجا العوج في الدين والعوج في الرمح والحائط ومعنى الآية ويطلبون دين الله زيغا وقيل ويطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل يطلبون لمحمد الهلاك ويقال إن الكناية راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق وذلك هو بجهة الحرام على ما قلناه وقوله أولئك في ضلال بعيد أي في خطأ طويل
قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه والحكمة في هذا هو أنه إذا أرسله بلسان قومه عقلوا قوله وفهموا عنه فإن قال قائل إن الله تعالى بعث النبي إلى كل الخلق على ما قال بعثت إلى الأحمر والأسود ولم يبعث بلسان كل الخلق
والجواب عنه أن سائر الخلق تبع العرب في الدعوة وقد بعث بلسانهم ثم إنه بعث بالرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله وترجم لهم قوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:103
تفسير السمعاني ج 3/ص 104
لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم 4 لقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور 5 وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي
وقوله ليبين لهم معناه ما بينا وقوله فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ظاهر المعنى
وقوله وهو العزيز الحكيم قد بينا
قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور يعني من الكفر إلى الإيمان

وقوله وذكرهم بأيام الله روي عن أبي بن كعب أنه قال معناه بنعم الله وفي بعض المسانيد نقل هذا مرفوعا إلى النبي والقول الثاني بأيام الله أي بنقم الله وقال بعضهم بوقائع الله يعني بما أوقع بالأمم الماضية يقال فلان عارف بأيام العرب أي بوقائعهم
وقوله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور الصبار كثير الصبر والصبر حبس النفس عما تنازع إليه النفس وقد روي عن الشعبي أنه قال الصبر نصف الإيمان والشكر نصفه واليقين هو الإيمان كله والشكور هو الكثير الشكر
وقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم الآية أي منة الله عليكم
قوله إذ نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب قد بينا في سورة البقرة وقوله تعالى ويذبحون أبناءكم قال في موضع بغير الواو وقال هاهنا بالواو وذكر الواو يقتضي أنه سبق الذبح عذاب آخر وترك ذكر الواو يقتضي أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:104
تفسير السمعاني ج 3/ص 105
ذلكم بلاء من ربكم عظيم 6 وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد 7 وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد 8 ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من العذاب هو الذبح
وقوله ويستحيون نساءكم يعني يتركون قتل النساء وفي الخبر اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل إن البلاء هو المحنة وقيل إن البلاء هو النعمة وموضع النعمة في الإنجاء من البلاء وقيل معناه اختبار من الله عظيم
وقوله تعالى وإذ تأذن ربكم أي أعلم ربكم والتأذين الإعلام والأذين والمؤذن هو المعلم قال الشاعر
ولم تشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مساجدنا الأذينا

وقوله لئن شكرتم لأزيدنكم الشكر هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع للمنعم وقد حكي عن داود صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رب كيف أشكرك ولم أؤد شكرك إلا بنعمة جديدة علي فقال يا داود الآن شكرتني
وروي أن النبي قال له رجل أوصني يا رسول الله فقال عليك بالشكر فإنه زيادة ومعنى الآية لئن شكرتموني بالتوحيد لأزيدنكم نعمة الآخرة على نعمة الدنيا وقيل لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب
وقوله ولئن كفرتم جحدتم إن عذابي لشديد لعظيم

قوله تعالى وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد أي غني عن خلقه حميد في فعله
قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم أي خبر الذين من قبلكم

تفسير السمعاني ج:3 ص:105
تفسير السمعاني ج 3/ص 106
بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قرأ هذه الآية ثم قال كذب النسابون ونقل بعضهم هذا مرفوعا إلى النبي وعن عبد الله بن عباس أنه قال بين إبراهيم وبين عدنان جد الرسول ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وعن عروة بن الزبير قال وما وراء عدنان إلى إبراهيم - عليه السلام - لا يعلمهم إلا الله وعن مالك بن أنس أنه كره أن ينسب الإنسان نفسه أبا أبا إلى آدم وكذلك في حق الرسول كان يكره لأنه لا يعلم أولئك الآباء أحد إلا الله
وقوله جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالدلالات الواضحات وقوله فردوا أيديهم في أفواههم روي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال عضوا أيدهم غيظا قال الشاعر
لو أن سلمى أبصرت التخددي ورقة في عظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفاء عودي
عضت من الوجد أطراف اليد
وقال آخر
قد أفنى أنامله غيظه

فأمسى يعض على الوظيفا
والقول الثاني في الآية أن الأنبياء لما قالوا نحن رسل الله وضع الكفار أيديهم على أفواههم أن اسكتوا نقله الكلبي وغيره
والقول الثالث أن معنى الآية أنهم كذبوا الرسل في أقوالهم يقال رددت قول فلان في فيه إذا كذبته
والقول الرابع أن الأيدي هاهنا هي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوا كانت آيادي ونعما

تفسير السمعاني ج:3 ص:106
تفسير السمعاني ج 3/ص 107
كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب 9 قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا

فأتونا بسلطان مبين 10 قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وقوله في أفواههم يعني بأفواههم ومعناه بألسنتهم تكذيبا وأشرق الأقاويل هو القول الأول والقول الثالث محكي عن ابن عباس
وقوله وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به أي جحدنا بما أرسلتم به
وقوله وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب أي مرتاب والشك هو التردد بين طرفي نقيض
قوله تعالى قالت رسلهم أفي الله شك معناه ليس في الله شك وهذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه وقوله فاطر السموات والأرض خالق السموات والأرض وقوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم قال أبو عبيدة من صلة ومعناه ليغفر لكم ذنوبكم
وقوله ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى حين استيفاء آجالكم وقوله قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا أي تمنعونا عما كان يعبد آباؤنا ظاهر المعنى
وقوله فأتونا بسلطان مبين أي بحجة ومعجزة بينة والسلطان هاهنا هو البرهان الذي يرد المخالف إلى الحق

قوله تعالى قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم أي ما نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعني ينعم على من يشاء من عباده بالنبوة وقيل بالتوفيق والهداية
وقوله وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان أي بحجة ومعجزة إلا بإذن الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:107
تفسير السمعاني ج 3/ص 108
11 وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون 12 وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين 13 ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد 14 واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد 15 من أي بأمر الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ظاهر المعنى
قوله تعالى وما لنا ألا نتوكل على الله معناه وأي شيء لنا في ألا نتوكل على الله وقد عرفنا أنه لا ينال شيء بجهد إلا بعد أن يقضيه الله تعالى ويقدره وقوله وقد هدانا سبلنا أي أرشدنا إلى سبل الحق
وقوله ولنصبرن على ما آذيتمونا والآية تعليم المؤمنين وإرشادهم إلى الصبر على أذى مخالفي الحق قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون ظاهر المعنى
وقوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا قد بينا هذا في سورة الأعراف وهو في قوله تعالى أو لتعودن في ملتنا
وقوله فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين أي المشركين
وقوله ولنسكننكم الأرض من بعدهم يعني نجعل ديارهم موضع سكناكم وهذا في معنى قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

وقوله ذلك لمن خاف مقامي الفرق بين المقام والمقام أن المقام موضع الإقامة والمقام فعل الإقامة فإن قيل كيف يكون لله مقام وقد قال ذلك لمن خاف مقامي قلنا أجمع أهل التفسير أن معناه ذلك لمن خاف مقامه بين يدي وهو مثل قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقوله وخاف وعيد أي عقابي
قوله تعالى واستفتحوا معناه واستنصروا وفي الخبر أن النبي يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر من الله بحقهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:108
تفسير السمعاني ج 3/ص 109
ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد 16 يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من
وقوله وخاب كل جبار عنيد وخاب أي خسر وقيل وهلك كل جبار والجبار هو الذي لا يرى فوقه أحد والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهو وصف لا يصح إلا لله وأما في وصف الخلق فهو مذموم وقيل الجبار هو الذي يجبر الخلق على مراده وأما العنيد هو المعاند للحق
قوله تعالى من ورائه جهنم الأكثرون معناه من أمامه جهنم قال الشاعر
ومن ورائك يوم أنت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا باد
يعني من أمامك وقال أبو عبيدة قوله ومن ورائه جهنم يعني من بعده جهنم
وقوله ويسقى من ماء صديد معناه من ماء هو صديد والصديد ما يسيل من الكفار من القيح والدم والأصل في الصديد هو الماء الذي يخرج من الجرح مختلطا بالدم والقيح وقيل من ماء صديد أي من ماء كالصديد
وقوله يتجرعه أي يشربه جرعة جرعة من مرارته وشدته وفي الحديث أن النبي قال إذا أدناه من وجهه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه وإذا شربه تقطعت أمعاؤه وخرجت الأمعاء من دبره

وقوله ولا يكاد يسيغه يعني لا يسيغه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه وقوله ويأتيه الموت من كل مكان قال إبراهيم التيمي من كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله
وقوله وما هو بميت يعني عليه شدة الموت ولا يموت وهو في معنى قوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:109

تفسير السمعاني ج 3/ص 110
كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ 17 مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصم لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد 18 ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقوله ومن ورائه عذاب غليظ أي شديد والعذاب الغليظ هو الخلود في النار
قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم وموضع المثل في قوله كرماد اشتدت به الريح يعني ذهبت الريح المشتدة به
وقوله في يوم عاصف فيه معنيان
أحدهما أنه وصف اليوم بالعاصف لأن فيه العصوف كما يقال يوم حار ويوم بارد أي فيه الحر والبرد قال الشاعر
يومين غيمين ويوما شمسا
والمعنى الثاني في يوم عاصف أي في يوم عاصف الريح قال الشاعر
ويضحك عرفان الدروع جلودنا
إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف
أي كاسف الشمس
وقوله لا يقدرون مما كسبوا على شيء لأن أعمالهم قد ذهبت وبطلت كالرماد الذي ذهبت به الريح العاصف
وقوله ذلك هو الضلال البعيد الخطأ الطويل
قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق معنى خلق السموات والأرض بالحق ما نصب فيها من الدلائل على وحدانيته وسائر صفاته
وقوله إن يشأ يذهبكم يعني إن يشأ يهلككم ويأت بخلق جديد أي بقوم آخرين وهو في معنى قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم

تفسير السمعاني ج:3 ص:110
تفسير السمعاني ج 3/ص 111
ويأت بخلق جديد 19 وما ذلك على الله بعزيز 20 وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص 21 وقال
قيل في التفسير قوما أطوع لله منكم وقوله وما ذلك على الله بعزيز أي شديد وذلك لأن الأشياء كلها سهلة هينة في القدرة ولا يصعب على الله شيء من الأشياء وإن جل وعظم
قوله تعالى وبرزوا لله جميعا أي خرجوا من قبورهم إلى الله جميعا
وقوله فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا معنى الذين استكبروا يعني تكبروا على الناس وتكبروا عن الإيمان وهم القادة والرؤساء
وقوله إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون كنا لكم تبعا أي أتباعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي دافعون عنا من عذاب الله من شيء وقوله

قالوا لو هدانا الله لهديناكم معناه لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة
وقوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا في الآثار أنهم يقولون قد جزع أقوام في الدنيا فنجوا فنحن نجزع لننجوا فيجزعون مدة مديدة فلا يرون نجاة فيقولون قد صبر أقوام في الدنيا فنحن نصبر للنجوا فيصبرون مدة مديدة فلا يرون نجاة فيقولون بعد ذلك سواء علينا أجزعنا أم صبرنا
قوله ما لنا من محيص أي منجي ومخلص ويقال يجزعون مائة سنة ويصبرون مائة سنة ويقال فلان وقع في حيص بيص وحاص وباص إذا وقع في أمر لا مخلص عنه
قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الأمر قوله لما قضى الأمر دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وفي بعض الآثار أنه يوضع لإبليس منبر من نار فيصعد عليه ويخطبهم وذلك حين يتعلقون به ويقولون أنت فعلت بنا هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:111
تفسير السمعاني ج 3/ص 112
الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم 22 وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
وقوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ووعد الحق هو الذي يقع الوفاء به وقوله ووعدتكم فأخلفتكم هو ما لا يقع به الوفاء وقيل إنه يقول لهم قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وغير ذلك
وقوله وما كان لي عليكم من سلطان معناه أني لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه وقوله إلا أن دعوتكم هذا استثناء منقطع ومعناه ولكن دعوتكم أي زينت لكم قوله فاستجبتم لي أي أجبتم لي وقوله فلا تلوموني ولوموا أنفسكم يعني لا تعودوا باللائمة علي وعودوا باللائمة على أنفسكم
وقوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي معناه ما أنا بمعينكم وما أنتم بمعيني وقيل معناه ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجي وقرأ حمزة وما أنتم بمصرخي بكسر الياء وأهل النحو لا يرضون هذه القراءة وذكر الفراء شعرا يدل على قراءة حمزة قيل إنه لغة بني يربوع والشعر
قال لها هل أنت يا باغي قالت له ما أنت بالمرضي
وقوله إني كفرت بما أشركتمون من قبل فيه قولان أحدهما إني كفرت بجعلكم إياي شريكا في عبادة الله وطاعته والقول الثاني إني كفرت قبل أن أشركتموني في عبادته يعني كفرت قبل كفركم
وقوله إن الظالمين لهم عذاب أليم أي وجيع

تفسير السمعاني ج:3 ص:112
تفسير السمعاني ج 3/ص 113

(3/105)

الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام 23 ألم تر كيف ضرب الله مثلا قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار قد بينا خالدين فيها مقيمين فيها أبدا بإذن ربهم بأمر ربهم
قوله تحيتهم فيها سلام وفي المحيي بالسلام ثلاثة أقوال
أحدها أن المحيي بالسلام هو الله تعالى والآخر هم الملائكة والثالث أن المحيي بالسلام بعضهم على بعض
قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة المثل قول سائر لتشبه شيء بشيء في المعنى وقوله كلمة طيبة أجمع المفسرون على أن الكلمة الطيبة هاهنا لا إله إلا الله
وقوله كشجرة طيبة أكثر أهل التفسير على أن الشجرة الطيبة هاهنا هي النخلة وقد بينت برواية ابن عمر عن النبي أنه قال لأصحابه أخبروني عن شجرة هي مثل المؤمن فوقعت الصحابة في شجر البوادي قال ابن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة ثم إن النبي قال هي النخلة قال ابن عمر فذكرت لأبي أنه كان وقع في نفسي كذا فقال لو كنت قلته كان أحب إلي من حمر النعم
وفي بعض الأخبار عن النبي أنه قال أكرموا النخلة فإنها عمتكم
ومعناه أنها خلقت من فضل طينة آدم

تفسير السمعاني ج:3 ص:113
تفسير السمعاني ج 3/ص 114
كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء 24 تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون 25 ومثل كلمة خبيثة كشجرة
والقول الثاني أن الشجرة الطيبة شجرة في الجنة وقد حكي هذا عن ابن عباس وقيل إن الشجرة الطيبة شجرة جوز الهندي
وقوله أصلها ثابت أي ثابت في الأرض وقوله وفرعها في السماء أي أعلاها في السماء

(3/106)

وقوله تؤتي أكلها كل حين الحين في اللغة هو الوقت وفي معنى الحين أقوال
قال ابن عباس ستة أشهر لأنها من حين ضرابها إلى حين إطلاعها وقال مجاهد الحين هاهنا هو سنة كاملة لأن النخلة تثمر كل سنة
وعن سعيد بن المسيب قال أربعة أشهر لأنها من حين ظهورها إلى حين

إدراكها وقال بعضهم شهران لأنه من حين يؤكل إلى حين يصرم
والقول الخامس أنه غدوة وعشية لأن ثمر النخلة يؤكل منها أبدا إما رطبا وإما تمرا وإما بسرا
وقوله بإذن ربها أي بأمر ربها وقوله ويضرب الله الأمثال للناس موضع المثل أن الإيمان ثابت في القلب والعمل صاعد إلى السماء كالنخلة ثابت أصلها في الأرض وفروعها مرتفعة إلى السماء موضع المثل في قوله تؤتي أكلها كل حين لأن فائدة الإيمان وبركته لا تنقطع أبدا بل تصل إلى المؤمن في كل وقت كما أن نفع النخلة وبركتها تصل إلى حاجتها في كل وقت
واستدل بعضهم على أن النخلة تشبه الآدمي لأنها محتاجة إلى اللقاح كالآدمي لا يولد له حتى يلقح قوله لعلهم يتذكرون أي يتعظون
قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة الكلمة الخبيثة هي الشرك وقوله كشجرة خبيثة اختلفوا فيها قال أنس بن مالك هي الحنظلة وعن ابن عباس قال هي الثوم وقيل إنها الكشوثا وهي العشقة

تفسير السمعاني ج:3 ص:114
تفسير السمعاني ج 3/ص 115
خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار 26 يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
وقوله اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار أي اقتلعت من فوق الأرض
وقوله ما لها من قرار أي ما لها من ثبات وحقيقة المعنى أنه ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع يصعد إلى السماء وموضع المثل معلوم
قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت القول الثابت كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وقال يثبت الله لأنه هو المثبت للإيمان في قلوب المؤمنين

وقوله في الحياة الدنيا يعني قبل الموت وقوله و في الآخرة أي في القبر
وعليه أكثر أهل التفسير وقد ثبت ذلك عن النبي برواية البراء بن عازب وهو قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة
واعلم أن سؤال القبر ثابت في السنة والإيمان به واجب وقد وردت فيه الأخبار الكثيرة روى أبو سعيد الخدري أن النبي كان في جنازة فذكر لأصحابه أنه يدخل على الرجل في قبره ملكان ويسألانه فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك قال فأما المؤمن فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد فيفتح له باب إلى النار فيقال له هذا كان مكانك لو قلت غير هذا ثم يفتح له باب إلى الجنة ويفسح له في قبره مد البصر وأما الكافر فيقول الملكان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقولان هذا مكانك لو أجبت ثم يفتح له باب إلى النار ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ويضربانه بمطرقة من نار فيصيح صيحة يسمعها كل الخلائق إلا الثقلين

تفسير السمعاني ج:3 ص:115
تفسير السمعاني ج 3/ص 116
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء 27 ألم تر إلى
وفي بعض الأخبار أن النبي قال لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمه القبر ضمة أو ضمتين وروي أن النبي قال لعمر كيف بك إذا أتاك ملكان الخبر فقال يا رسول الله ومعي عقلي قال نعم قال أكفيهما إذا
وقيل إن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من ترك الاستنزاه من البول وثلث من الغيبة وثلث من المشي بالنميمة والله أعلم
وفي الآية قول آخر أن الحياة الدنيا هي القبر وفي الآخرة هي القيامة والقول الأول أصح

وقوله ويضل الله الظالمين معناه أنه لا يهدي المشركين إلى هذا الجواب ولا يلقنهم إياه وقوله ويفعل الله ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت
قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية فيها ثلاثة

تفسير السمعاني ج:3 ص:116
تفسير السمعاني ج 3/ص 117
الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار 28 جهنم يصلونها وبئس القرار 29 وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أقوال أحدها أنهم كفار قريش والآخر أنهم قادة المشركين ببدر قاله ابن عباس والثالث روي عن علي -رضي الله عنه- أنه سئل عن هذه الآية فقال هم الأفجران بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فقتلوا يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين
وقوله وأحلوا قومهم دار البوار أي دار الهلاك وهي جهنم قال الشاعر
إن لقيما وإن قتلا وإن لقمان حيث باروا
يعني هلكوا وقوله جهنم يصلونها وبئس القرار ظاهر المعنى
قوله تعالى وجعلوا لله أندادا أي شركاء وأمثالا قال حسان بن ثابت شعرا
أتهجوه ولست له بند
فشركما لخير كما الفداء
واعلم أن الله ليس له ضد ولا ند أما الند الذي هو المثل فمعلوم وأما الضد فلأن فيه معنى من المثلية والله ليس له مثل بوجه ما
وقوله ليضلوا عن سبيله إنما نسب إليهم الضلالة لأنهم سبب في الضلال وهذا كما يقول القائل فتنتني الدنيا نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب في الفتنة
وقوله ليضلوا عن سبيله ظاهر المعنى
وقوله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار قال ابن عباس لو أن كافرا كان في

أشد بؤس وضر لا يهدأ ليلا ولا نهارا كان ذلك نعيما في جنب ما يصير إليه في الآخرة ولو أن مؤمنا كان في أنعم عيش كان ذلك بؤسا في جنب ما يصير إليه في الآخرة

وقوله فإن مصيركم إلى النار أي مرجعكم إلى النار

تفسير السمعاني ج:3 ص:117
تفسير السمعاني ج 3/ص 118
30 قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال 31 الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار 32 وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
وقوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة هذا خبر بمعنى الأمر أي أقيموا الصلاة وقوله وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني جهرا وغير جهر وقيل نفلا سرا وفرضا جهرا
وقوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه قال أبو عبيدة يعني لا فداء فيه ولا خلال أي لا مخالة ولا صداقة وهذا معنى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين
قوله تعالى الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ظاهر المعنى
وقوله وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره أي بعلمه وإذنه
وقوله وسخر لكم الأنهار أي ذلل لكم الأنهار تجرونها حيث شئتم
وقوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وذلك لكم وتسخير الشمس والقمر هو جريانهما على وتيرة واحدة فيما يعود إلى مصالح العباد
وقوله دائبين معناه أنهما لا يفتران ولا يقفان والدأب في الشيء هو الجري على عادة واحدة
وقوله وسخر لكم الليل والنهار ظاهر المعنى وقوله وآتاكم من كل ما سألتموه قرىء بقراءتين المعروف من كل ما سألتموه ويقرأ من كل ما سألتموه بالتشديد والتنوين فالقول المعروف معناه يعني من كل الذي سألتموه
فإن قال قائل نحن نسأله أشياء ولا يعطينا والجواب أن جنسه يعطي الآدميين

تفسير السمعاني ج:3 ص:118

تفسير السمعاني ج 3/ص 119
33 وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار 34 وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وإن لم يعطه على التعيين فاستقام الكلام على هذا وقيل معناه من كل ما سألتموه ولم تسألوه وأما القراءة الثانية فمعنى ما هو النفي ومعناه أعطاكم أشياء لم تسألوها فإن الله تعالى أعطانا الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح وما أشبه ذلك ولم نسأله شيئا منها
وقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال أبو العالية معناه لا تطيقوا عدها وقيل لا تطيقون شكرها
وقوله إن الإنسان لظلوم كفار يعني ظالم لنفسه كافر بربه ويقال إن هذه الآية نزلت في أبي جهل خاصة ويقال إنها نزلت في جنس الكفار ويجوز أن يذكر الإنسان ويراد به جنس الناس قال الله تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر وقيل الظالم هو الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر هو الذي يجحد منعمه
قوله وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا أجمعوا أن البلد هو مكة وقوله آمنا أي ذا أمن
وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام معناه بعدني وبني من عبادة الأصنام فإن قال قائل قد كان إبراهيم معصوما عن عبادة الأصنام فكيف يستقيم سؤاله لنفسه وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة
الجواب أما في حق إبراهيم فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت وأما في حق البنين فيقال إن الدعاء لبنيه من الصلب ولم يعبد أحد منهم الصنم وقيل إن دعاءه لمن كان مؤمنا من بنيه

تفسير السمعاني ج:3 ص:119
تفسير السمعاني ج 3/ص 120

---

35 رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم 36 ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
وقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس نسب الضلالة إليهن لما بينا من المعنى
وقوله فمن تبعني فإنه مني أي من أهل ديني
وقوله ومن عصاني فإنك غفور رحيم يحتمل وجهين
أحدهما أنه قال هذا قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك
والآخر أن المراد من العصيان هو ما دون الشرك
قوله تعالى ربنا إني أسكنت يعني أنزلت قوله تعالى من ذريتي الذرية هاهنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر
وفي القصة أنه حمل هاجر وإسماعيل وهو طفل يرضع وكانوا ثلاثتهم على البراق فجاء بهم إلى موضع البيت وهي مدرة حمراء فقال له جبريل هاهنا

أمرت فأنزل إسماعيل وأمه في موضع الحجر ومضى راجعا إلى الشام فنادته هاجر يا خليل الله إلى من تكلنا قال إلى الله تعالى قالت قد قبلنا ذلك والقصة في هذا معروفة
وقوله بواد غير ذي زرع قال هذا لأن مكة بين جبلين وهي واد
وقوله عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة سماه محرما لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره
وقوله فاجعل أفئدة من الناس الأفئدة جمع الفؤاد قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم وفي رواية الترك والديلم وفي رواية عن غيره لحجت اليهود والنصارى والمجوس
وقوله تهوي إليهم أي تحن إليهم قال السدي معناه أمل قلوبهم إلى هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:120
تفسير السمعاني ج 3/ص 121

يشكرون 37 ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء 38 الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء 39 رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء لموضع فإن الإنسان يميل مع قلبه حيث مال
وقوله وارزقهم من الثمرات في بعض الأخبار أن الله تعالى قلع قرية من الشام بأشجارها وأرضها فوضعها بمكان الطائف وقوله لعلهم يشكرون ظاهر المعنى
قوله تعالى ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ظاهر المعنى
وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق في القصة أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وإسحاق ولد له بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ويقال إن إسماعيل ولد له بعد أن بلغ سنة مائة وسبع عشرة سنة
وقوله إن ربي لسميع الدعاء ظاهر المعنى
قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي يعني ممن يقيم الصلاة بحدودها وأركانها ويحافظ عليها قوله ومن ذريتي معناه واجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة قوله ربنا وتقبل دعاء أي واستجب دعائي
قوله ربنا اغفر لي ولوالدي قرأ سعيد بن جبير ولوالدي وقرأ إبراهيم النخعي ويحيى بن يعمر ولوالدتي والمعروف ولوالدي
فإن قال قائل كيف استغفر لوالديه ولم يكونا آمنا
والجواب عنه قد قيل إن أمه قد أسلمت وأما الوالد فإنما استغفر له قبل أن يتبين له أنه مقيم على الشرك وقد بينا هذا من قبل وقيل ولوالدي آدم وحواء وقيل نوح وأم إبراهيم

تفسير السمعاني ج:3 ص:121
تفسير السمعاني ج 3/ص 122
40 ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب 41 ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار 42 مهطعين مقنعي

وفي تفسير الدمياطي أن قوله ولوالدي أي لولدي قال ابن فارس ويجوز هذا في اللغة وهو أن يذكر الوالد بمعنى المولود كما يقال ماء دافق أي مدفوق
وقوله وللمؤمنين ظاهر المعنى
وقوله يوم يقوم الحساب أي يوم يحاسب الله الخلق
قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الآية الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور وروي عن ابن عباس أنه قال هذه الآية تعزية للمظلوم وتسلية له وتهديد للظالم
وقوله إنما يؤخرهم معناه إنما يمهلهم وقوله ليوم تشخص فيه الأبصار يعني من الدهش والحيرة وشدة الأمر ومعنى تشخص أي ترتفع وتزول عن أماكنها
وقوله مهطعين الأكثرون أن معناه مسرعين وقال أبو العباس أحمد بن يحيى الثعلب الإهطاع هو النظر في الذل والخضوع وقيل مهطعين أي مديمي النظر لا يطرفون ومعنى الإسراع الذي ذكرنا هو أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم وليس لهم همة ولا نظر إلى ما يساقون إليه
وقوله مقنعي رءوسهم يقال أقنع رأسه أي رفعه وأقنع رأسه إذ خفضه فإن كان المراد هو الرفع فمعناه أن أبصارهم إلى السماء ينظرون ماذا يرد عليهم من الله تعالى وإن حمل الإقناع على خفض الرأس فمعناه مطرقون ناكسون قال الشاعر
نغض رأسي نحوه وأقنعا كأنما يطلب شيئا أطمعا
وقال المؤرج رفعوا رءوسهم حتى كادوا يضعونها على أكتافهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:122
تفسير السمعاني ج 3/ص 123
رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء 43 وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال 44 وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

وقوله لا يرتد إليهم طرفهم يعني لا يرجع إليهم طرفهم فكأنه ذهلهم ما بين أيديهم فلا ينظرون لشيء سواه
وقوله وأفئدتهم هواء قال أبو عبيدة متخرقة لا تعي شيئا وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم حتى بلغت الحناجر من شدة ذلك اليوم وهوله فهذا معنى قوله وبلغت القلوب الحناجر فعلى هذا قوله وأفئدتهم هواء أي خالية ومنه سمي الجو هواء لخلوه وقيل خالية عن العقول فكأنها ذهبت من الفزع والخوف
وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة لا تستقر في مكان وقيل هواء أي متخربة من الجبن والفزع قال حسان بن ثابت
ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء
حقيقة المعنى من الآية أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم
وقوله وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب يعني خوف الناس
قوله فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب معناه أمهلنا
وقوله إلى أجل قريب هذا سؤال الرجعة كأنهم سألوا ردهم إلى الدنيا
وقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل ظاهر المعنى وقوله أو لم تكونوا أقسمتم أي حلفتم في الدنيا وقوله من قبل ما لكم من زوال يعني ليس لكم بعث ولا جزاء ولا حساب
وقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أي ظلموا أنفسهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:123
تفسير السمعاني ج 3/ص 124
وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال 45 وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال 46 فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله فأهلكناهم وقوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني عرفتم عقوبتنا إياهم
وقوله وضربنا لكم الأمثال أي الأشباه ومعناه بينا أن مثلكم كمثلهم
قوله تعالى وقد مكروا مكرهم أي كادوا كيدهم
وقوله وعند الله مكرهم أي عند الله جزاء مكرهم

وقوله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال قرئ بقرائتين لتزول و لتزول قرأه الكسائي وحده بنصب اللام
أما قوله لتزول - بكسر اللام وعليه الأكثرون - معناه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني أن مكرهم لا يزيل أمر محمد الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقيل إن معنى الآية بيان ضعف كيدهم ومكرهم وأنه لا يبلغ هذا المبلغ وأما قوله وإن كان مكرهم لتزول بنصب اللام الأول ورفع الثاني معناه أن مكرهم لو بلغ في العظم بمحمد يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس وجماعة وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال وعن أبي بن كعب أنه قرأ ولولا كلمة الله لزال بمكرهم الجبال

وعن علي رضي الله عنه في معنى الآية وهو أنها نزلت في نمروذ حين قال لأصعدن السماء واتخذ النسور وجوعها ثم اتخذ تابوتا ونصب خشبات في أطرافها وجعل على رءوسها اللحم ثم ربط قوائم النسور على الخشبات وخلاها فاستعلت النسور وقد جلس نمروذ في التابوت مع حاجبه وقيل مع غلام له وللتابوت بابان باب من أعلى وباب من أسفل وقال فلما صعدت النسور في السماء ومضى على ذلك يوم قال لغلامه افتح الباب السفلى فإذا الأرض

تفسير السمعاني ج:3 ص:124
تفسير السمعاني ج 3/ص 125
إن الله عزيز ذو انتقام 47 يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله كاللجة فقال افتح الباب الأعلى فإذا السماء كما هي ثم مر يوم آخر فقال افتح الباب الأسفل ففتح فإذا الأرض كالدخان فقال افتح الباب الأعلى ففتح فإذا السماء كما هي فأمر غلامه حتى يصوب رءوس النسور والخشبات فجاء التابوت إلى جانب الأرض وله هدة عظيمة فخافت الجبال أنه جاء من السماء أمر وكادت تزول عن أماكنها فهذا معنى قوله وإن كان مكرهم لتزول - بنصب اللام الأولى ورفع الثاني - منه الجبال

وفي الآية قول آخر - وهو قول قتادة - أن معناها وإن كان شركهم لتزول منه الجبال وهو معنى قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا
قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قيل هذا من المقلوب ومعناه مخلف رسله وعده قوله إن الله عزيز ذو انتقام قد بينا المعنى
قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا قال ابن مسعود تبدل هذه الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل فيها بخطيئة وأما السماء تبدل بسماء من ذهب
والقول الثاني قاله أبو جعفر محمد بن علي الباقر ومحمد بن كعب أنه تبدل الأرض بأرض من خبزة يأكلون منها وقرأ أبو جعفر وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام والقول المعروف في الآية أن تبديل الأرض هو تغييرها من هيئة إلى هيئة كالرجل يقول لغيره تبدلت بعدي أي تغيرت هيئتك وحالك وتغيير الأرض بتسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا

تفسير السمعاني ج:3 ص:125
تفسير السمعاني ج 3/ص 126
الواحد القهار 48 وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد 49 سرابيلهم من صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وأما تبديل السموات بتغيير حالها وذلك بتكوير شمسها وقمرها وانتثار نجومها وكونها مرة كالدهان وهو الأديم الأحمر

ومرة كالمهل وقيل إن معنى التبديل هو أنه يجعل السموات جنانا والأرضين نيرانا وقد صح عن النبي برواية مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض أين يكون الناس حينئذ فقال عليه السلام على الصراط وإذا ثبت هذا فالأولى هو هذا القول

أخبرنا بهذا الحديث أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي قال أبو الحسين بن فارس قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقريء قال حدثنا جدي محمد بن عبد الله قال نا سفيان بن عيينة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي الخبر
وقوله وبرزوا لله الواحد القهار معناه وخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار يحكم فيهم بما أراد
قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد يقال صفده إذا قيده وأصفده إذا أعطاه قال الأعشى
تضيفته يوما فأكرم مقعدي وأصفدني على الزمانة قائدا
أصفدني أي أعطاني وقوله مقرنين أي مجعولين بعضهم مع بعض في السلاسل والأقياد وقيل إنه يقرن كل كافر مع شيطان في كل سلسلة وقيد ذكره الكلبي ويقال تجمع رجلاه إلى عنقه ويغل فهو معنى قوله مقرنين في الأصفاد

تفسير السمعاني ج:3 ص:126
تفسير السمعاني ج 3/ص 127
قطران وتغشى وجوههم النار 50 ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب 51 هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب 52
وقوله سرابيلهم من قطران أي قميصهم من قطران والقطران ما تهنأ به الإبل وقرأ ابن عباس وعكرمة من قطرآن أي من صفر مذاب قال انتهى حره وقيل من نحاس مذاب قد انتهى حره قال أهل المعاني وإنما ذكر أن قميصهم من قطران لأن النار إليه أسرع اشتعالا
وقوله وتغشى وجوههم النار معناه وتعلو وجوههم النار وقيل تصلى
وقوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت يعني ما كسبت من خير وشر
وقوله إن الله سريع الحساب معناه سريع المجازاة وحقيقة الحساب إحصاء ما عمله الإنسان من خير أو شر ليجازي عليه

قوله تعالى هذا بلاغ للناس يعني هذا القرآن وهذا الذي أنزلته عليك بلاغ للناس أي فيه تبليغ للناس قوله ولينذروا به أي و ليخوفوا به
وقوله وليعلموا أنما هو إله واحد أي ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله

تعالى
وقوله وليذكر أولو الألباب معناه وليتعظ أولو الألباب - أي أولو العقول - وفي بعض التفاسير أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم

تفسير السمعاني ج:3 ص:127
تفسير السمعاني ج 3/ص 128
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين 1 ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين تفسير سورة الحجر وهي مكية
قوله تعالى الر معناه أنا الله أرى وقيل الر و حم و ن هو الرحمن تلك آيات الكتاب معناه هذه آيات الكتاب
وقرآن مبين معناه أنه يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل فإن قال قائل القرآن هو الكتاب والكتاب هو القرآن فأيش فائدة الجمع بينهما
الجواب أن كل واحد منهما يفيد معنى لا يفيده الآخر فإن الكتاب هو ما يكتب والقرآن هو ما يجمع بعضه إلى بعض وقيل إن المراد من الكتاب هو التوراة والإنجيل والقرآن هو الذي أنزله الله تعالى على محمد
قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين اعلم أن كم للتكثير ورب للتقليل ويقال ربما للتشديد وربما بالتخفيف وربتما بالتاء بمعنى واحد قال الشاعر
ماوي يا ربتما غارة شعواء كاللذعة بالميسم
وقد فصل بعضهم بين رب وربما قال رب تدخل على الاسم وربما على الفعل فقال رب رجل جاءني ويقال ربما جاءني
واختلف القول في الحال الذي يتمنى الكفار هذا - والود هو التمني - فالقول الأول أنه في حال المعاينة وهذا قول الضحاك
والقول الثاني أنه يوم القيامة والقول الثالث - وهو الأشهر - أنه حين يخرج

تفسير السمعاني ج:3 ص:128
تفسير السمعاني ج 3/ص 129
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون 3 وما أهلكنا من قرية الله المؤمنين من النار وفي الأخبار المسندة برواية أبي موسى الأشعري عن النبي قال يدخل الله قوما - من أهل القبلة النار مع الكفار فيمكثون فيها ما شاء الله فيقول الكفار لهم أنتم مسلمون فيقولون نعم فيقول الكفار ما أغنى عنكم إسلامكم شيئا وأنتم معنا في النار فيقولون نحن أذنبنا ذنوبا فأخذنا بها فيسمع الله تعالى ذلك كله فيقول أخرجوا من النار من كان مسلما - وفي رواية من قال لا إله إلا الله - فيخرجون فحينئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين وفي بعض الروايات أن الكفار إذا قالوا للمسلمين هذه المقالة يغضب الله تعالى لقولهم

فيقول أخرجوا على ما بينا
فإن قال قائل إذا كانت ربما للتقليل فكيف يقل تمنيهم هذا ونحن نعلم حقيقة أن كلهم يتمنون هذا وأن هذا التمني منهم يكثر
والجواب أن العرب قد تذكر هذا اللفظ وتريد به التكثير يقول القائل لغيره ربما تندم على هذا الفعل وهو يعلم أنه يكثر منه الندم عليه ويكون المعنى إنك لو ندمت قليلا لكان القليل من الندامة يكفيك للاجتناب عنه فكيف الكثير
والجواب الثاني أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة وفي بعض الآحايين ربما يقع لهم هذا الندم ويخطر ببالهم
قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية هذا تهديد ووعيد والأكل معلوم وأما التمتع هو التلذذ بطلبه حالا بعد حال كالتعرب هو طلبه حالا بعد حال قوله ويلههم الأمل أي يشغلهم الأمل عن الآخرة

تفسير السمعاني ج:3 ص:129
تفسير السمعاني ج 3/ص 130

(3/120)

إلا ولها كتاب معلوم 4 ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون 5 وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون 6 لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين 7 ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين 8 إنا نحن نزلنا الذكر
قوله فسوف يعلمون تهديد آخر وقد قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وقوله فسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين
قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم أي أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه وقوله ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون معناه أن العذاب المضروب لا يتقدم على وقته ولا يتأخر عن وقته وقيل هذا في الموت أنه لا يتقدم ولا يتأخر عن وقته
قوله تعالى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون الذكر هو القرآن وقوله إنك لمجنون خطابهم مع النبي
وقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنما قالوه على طريق الاستهزاء لأنهم لو قالوا ذلك على طريق التحقيق لآمنوا به
قوله تعالى لو ما تأتينا بالملائكة أي هلا تأتينا بالملائكة قال الشاعر
تعدون قعر النيب أفضل مجدكم بنى طوطبري لولا الكمي المقنعا
أي هلا تعدون الكمي المقنعا
وقوله إن كنت من الصادقين معناه أنك نبي
قوله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق الحق الذي تنزل به الملائكة هو الوحي وقبض أرواح العباد وإهلاك الكفار وكتبة الأعمال وما أشبه ذلك
وقوله وما كانوا إذا منظرين أي مؤخرين وقد كان الكفار يطلبون إنزال

وإنا له لحافظون 9 ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين 10 وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون 11 كذلك نسلكه في قلوب المجرمين 12 لا الملائكة عيانا فأجابهم الله تعالى بهذا ومعناه أنهم لو نزلوا عيانا زال الإمهال عن الكفار وعذبوا في الحال
قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن وإنا له لحافظون فيه قولان أحدهما أنا نحفظ محمدا والآخر أنا نحفظ القرآن وهو الأليق بظاهر اللفظ ومعنى حفظ القرآن أنه يمنع من الزيادة فيه أو النقصان عنه قال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والباطل هو إبليس ومعناه أن إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص عنه ما هو منه
قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم ومعناه هاهنا في أمم الأولين
وقوله وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون هذا تسلية للنبي ومعناه أنهم كما استهزءوا بك فقد استهزىء بالأنبياء من قبلك
وقوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين قال الحسن كذلك نسلك الشرك في قلوب المجرمين ونسلك أي ندخل وقال مجاهد نسلك التكذيب ومعنى كاف التشبيه أي كما فعلنا بالكفار من قبل هؤلاء كذلك نفعل بهؤلاء الكفار وقد قال بعضهم إن معنى قوله كذلك نسلكه أي نسلك القرآن ومعناه أنه لما أعطاهم ما يفهمون به القرآن فكأنه سلك القرآن في قلوبهم والمنقول عن السلف هو القول الأول وهو رد على القدرية صريحا
وقوله لا يؤمنون به يعني بالنبي والقرآن وقد خلت سنة الأولين أي مضت سنة الأولين وسنة الأولين هو الإهلاك عند تكذيب الأنبياء

يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين 12 ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون 14 لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون 15 ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين 16 وحفظناها من كل شيطان رجيم 17 إلا من
قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ظاهر المعنى وقوله فظلوا فيه يعرجون يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا
وقوله يعرجون يصعدون يقال عرج يعرج إذا صعد وعرج يعرج إذا صار أعرج

واختلف القول في المعنى بقوله فظلوا الأكثرون على أنهم الملائكة والقول الآخر أنهم المشركون وقوله لقالوا إنما سكرت أبصارنا قرىء بقراءتين سكرت سكرت مخفف فمعنى التخفيف أي سحرت ومعنى التشديد أي سدت وأخذت وقيل عميت قال عمرو بن العلاء هو مأخوذ من السكر يعني كما أن السكر يغطي على عقولنا كذلك هذا غطي على أبصارنا وقوله بل نحن قوم مسحورون أي مخدوعون وقيل معناه عمل فينا السحر
قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا البروج هي النجوم الكبار وهو مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا ظهرت ويقال إنها المنازل ويقال إنها البروج الإثنا عشر ويقال إنها السبع السيارة وعن عطية العوفي أنها قصور في السماء عليها الحرس قوله وزيناها للناظرين ظاهر المعنى
قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم ذكر الكلبي أن السموات لم تكن محفوظة من الشياطين قبل عيسى فلما بعث عيسى -عليه السلام- حفظت ثلاثة من السموات فلما بعث محمد حفظت السموات كلها وقوله رجيم أي مرجوم وقيل أي ملعون وقيل شتيم
وقوله تعالى إلا من استرق السمع في الأخبار أن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فترجمهم الكواكب فتقتل

تفسير السمعاني ج:3 ص:132
تفسير السمعاني ج 3/ص 133

استرق السمع فأتبعه شهاب مبين 18 والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها البعض وتخبل البعض واختلف القول في أنهم متى يسترقون السمع فأحد القولين أنهم يسترقون السمع من الملائكة في السماء والقول الآخر أنهم يسترقون السمع من الملائكة في الهواء وأما معرفة ملائكة السماء بالأمر فباستخبارهم ملائكة أهل السماء الثانية هكذا يستخبر أهل كل سماء من أهل السماء التي فوقهم حتى يصلوا إلى حملة العرش فيخبرون بما قضاه الله تعالى من الأمر ويرجع الخبر من سماء إلى سماء حتى يصل إلى السماء الدنيا ثم الشياطين يسترقون على ما قلنا من قبل
وقوله فأتبعه شهاب مبين الشهاب هو الشعلة من النار فإن قال قائل نحن لا نرى نارا وإنما نرى نورا أو نجما ينقض
والجواب أنه يحتمل أنه ينقض نورا فإذا وصل إليه صار نارا أو يحتمل أنه يرى من بعد المكان أنه نجم وهو نار وقيل إن النجم ينقض فيرمي الشيطان ثم يعود إلى مكانه واعلم أن هذا لم يكن ظاهرا في زمن الأنبياء قبل الرسول ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي وإنما روي هذا في ابتداء أمر النبي وكان ذلك أساسا لنبوته وإنما ذكر الشعراء ذلك في زمانه قال الشاعر
كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب
قوله تعالى والأرض مددناها معناه بسطناها ويقال إنها مسيرة خمسمائة سنة

في مثلها دحيت من تحت الكعبة
وقوله وألقينا فيها رواسي أي جبالا ثوابت وقد كانت الأرض تميل إلى أن أرساها الله بالجبال

تفسير السمعاني ج:3 ص:133
تفسير السمعاني ج 3/ص 134
من كل شيء موزون 19 وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين 20 وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم 21 وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا

(3/124)

وقوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون أي معلوم ويقال من كل شيء موزون معناه من الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة وكل ما يوزن
وقوله وجعلنا لكم فيها معايش قيل إنها المطاعم والمشارب والملابس وقيل إنها ما يعش به المرء في الدنيا قال جرير شعرا
تطالبني معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب
الضباب من الآجار وغير ذلك من اللوامخ ومن لستم له برازقين معناه جعلنا فيها معايش لكم وجعلنا فيها من لستم فيها برازقين وهي الدواب والطيور والوحوش وفي الآية قول آخر وهو أنا جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم أيضا الدواب والطيور والأنعام وكفيناكم رزقها فإن قال قائل قد قال ومن لستم له برازقين و من إنما تقال فيمن يعقل لا فيمن لا يعقل
والجواب عنه أن العبيد والمماليك قد دخلوا في هؤلاء والعرب إذا جمعت بين من يعقل وبين من لا يعقل غلبت من يعقل
قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه يعني مفاتيح خزائنه وقيل إنها نفس الخزائن ومعنى الخزائن أنه إذا قال كن كان
قوله وما ننزله إلا بقدر معلوم أي إلا بقدر معلوم في وقت معلوم ويقال إنه لا تنزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله والله أعلم

تفسير السمعاني ج:3 ص:134
تفسير السمعاني ج 3/ص 135
من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين 22 وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن
قوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح قال أبو عبيدة ملاقح واحدتها ملقحة وقال غيره هي لواقح واحدها لاقح ومعنى اللاقح أنها تحمل الماء ومعنى الملقح أنها تمر على السحاب والأرض فتلقحه وإلقاح السحاب هو أن يلقي إلى السحاب ما يحمل به الماء وقيل إنها تلقح الأشجار أيضا

وقال ابن مسعود إن الريح تحمل الماء فتجريه السحاب فتدر السحاب كما تدر اللقحة وعن عبيد بن عمير أنه قال تجىء الريح المبشرة فتقم الأرض قما ثم تجىء الريح المنشأة فتنشىء السحاب نشئا ثم تجيء الريح المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض ثم تجيء الريح اللاقحة فتلقح السحاب وفى أن لقح الرياح الجنوب
وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب إلا وأنبعت عينا غرقة غدقة وأما الريح العقيم هي التي لا تلقح وتأتي بالعذاب
وقوله وأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه يعني أعطينا لكم بها سقيا يقال أسقى فلانا إذا جعل له سقيا وسقى فلانا إذا أعطاه ما يشرب
وقوله وما أنتم له بخازنين يعني أنه في خزائننا وليس في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين ولا دافعين أي أردتموه
قوله تعالى وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ظاهر المعنى وقوله والوارث في صفات الله أنه الباقي بعد هلاك الخلق أجمعين وقيل معناه أن مصير

تفسير السمعاني ج:3 ص:135
تفسير السمعاني ج 3/ص 136
الوارثون 23 ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين 24 وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم 25 ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون الخلق إليه
قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال الشعبي معناه ولقد علمنا الأولين منكم والآخرين ويقال معناه علمنا المتقدمين منكم بالطاعة والمتأخرين منكم بالمعصية وقيل علمنا من خلقنا منكم ومن سنخلقه من بعد وعن الربيع بن أنس أن النبي حض الناس على الجماعة فتقدم بعضهم وتأخر البعض لكثرة الجمع فأنزل الله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين

ويقال معناه ولقد علمنا المستقدمين منكم في حق القتال وعلمنا المستأخرين عنه وفي الآية خبر مسند برواية أبي الجوزاء عن ابن عباس أن امرأة كانت تحضر الجماعة وهي من أحسن النساء وجها فكان قوم يتقدمون لئلا يرونها وقوم يتأخرون فإذا ركعوا نظروا إليها من تحت آباطهم فأنزل الله تعالى هذه الآية أورده أبو عيسى الترمذي في جامعه
قوله تعالى وإن ربك هو يحشرهم يعني يحشرهم إلى القيامة وقوله إنه حكيم عليم أي حكيم في تدبيره عليم بخلقه

قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون الصلصال هو

تفسير السمعاني ج:3 ص:136
تفسير السمعاني ج 3/ص 137
26 والجان خلقناه من قبل من نار السموم 27 وإذ قال ربك للملائكة إني
خالق الطين اليابس الذي إذا حرك صلصل أي صوت قال الشاعر
وقاع ترى الصلصال فيه ودونه بقاع تلال بالعرى والمناكب
ويقال الصلصال المنتن يقال صل اللحم إذا أنتن وذكر الكلبي عن ابن عباس أن
الصلصال هو الطين الرطب ويقال إذا جرى الماء على الأرض الطينة ثم انحسر
الماء وتشققت الأرض حتى يرى مثل الخزف فهو صلصال
وقوله من حمأ مسنون الحمأ الحمأة وهي الطين الأسود والمسنون المتغير
المنتن كذلك قاله مجاهد وقال بعضهم المسنون المصبوب وهذا يشبه القول
الذي بينا أن الصلصال هو الطين الرطب وفي الآثار أن الحسن كان يسن الماء
على وجهه سنا أي يصب
وفي الآية قول ثالث وهو أن المسنون هو المصبوب على قالب وصورة وفي
بعض التفاسير أن الله تعالى خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرا أسود منتنا
ثم خلق آدم منها
قوله والجآن خلقناه من قبل من نار السموم يقال الجآن هو إبليس ويقال
الجآن أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وأما إبليس هو أبو الشياطين وفي الجن
مؤمنون وكافرون ويحيون ويموتون

وأما الشياطين فليس فيهم مسلم ويموتون إذا مات إبليس وذكر وهب بن منبه
أن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من
هم بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون والله أعلم
وقوله من نار السموم أي من الريح الحارة والسموم ريح حارة تدخل في
مسام الإنسان فتقتله ويقال إن السموم بالنهار والحرور بالليل ويقال إن
السموم

تفسير السمعاني ج:3 ص:137
تفسير السمعاني ج 3/ص 138
بشرا من صلصال من حمأ مسنون 28 فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين 29 فسجد الملائكة كلهم أجمعون 30 إلا إبليس أبى أن
يكون مع بالليل والنهار جميعا وقيل نار السموم لهيب النار
وفي بعض الآثار عن عبد الله بن مسعود أن هذا السموم الذي نراه جزء من
سبعين جزءا من سموم جهنم ويقال من نار السموم أي من نار جهنم
قوله تعالى وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون

قد ذكرنا قوله تعالى فإذا سويته أي صورته وقوله ونفخت فيه من روحي الروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافها إلى نفسه تشريفا وتكريما
وقوله فقعوا له ساجدين أي أسقطوا له ساجدين
قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون في بعض التفاسير أنه قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فجاءت نار وأحرقتهم جميعا ثم قال لجماعة آخرين اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
وقوله كلهم أجمعون فيه سؤال معروف وهو أنه يقال لما قال فسجد الملائكة فأيش فائدة قوله كلهم أجمعون
والجواب أن الخليل وسيبويه زعما أن هذا تأكيدا بعد تأكيد وذكر المبرد أن قوله فسجد الملائكة كان من المحتمل أن بعضهم سجد فذكر كلهم ليزيل هذا الإشكال ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فذكر أجمعون ليزيل الالتباس

وقوله إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ظاهر المعنى قوله تعالى

تفسير السمعاني ج:3 ص:138
تفسير السمعاني ج 3/ص 139
الساجدين 31 قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين 32 قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون 33 قال فاخرج منها فإنك رجيم 34 وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين 35 قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون 36 قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين معناه لم لم تسجد وقد أمرتك قوله قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون معناه أني أفضل منه لأنه طيني وأنا ناري والنار تأكل الطين
وفي بعض الآثار أن الله تعالى خلق الملائكة من نور العزة وخلق الجآن من النار وخلق آدم من التراب
فإن قال إذا كان عندكم أن إبليس من الملائكة وقد خلقوا من النور فكيف قال إبليس خلقتني من نار
الجواب عنه أن إبليس كان من قبيلة من الملائكة خلقوا من النار وقد ذكرنا في سورة البقرة
قوله قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ظاهر المعنى ويقال إن إبليس ملعون السماء والأرض وإن أهل السماء يلعنونه كما أن أهل الأرض يلعنونه
قوله تعالى قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون أي فأمهلني إلى يوم البعث وأراد الملعون ألا يموت فأجابه الله تعالى وقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم أي الوقت الذي يموت فيه الخلائق ويقال إن مدة موت إبليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين وقال أهل المعاني إن إبليس لما سأل الإمهال لم تكن إجابة الله إياه كرامة له بل كانت زيادة له في شقائه وبلائه

تفسير السمعاني ج:3 ص:139
تفسير السمعاني ج 3/ص 140

(3/129)

قال فإنك من المنظرين 37 إلى يوم الوقت المعلوم 38 قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين 39 إلا عبادك منهم المخلصين 40 قال هذا صراط علي مستقيم 41 إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من
قوله تعالى قال رب بما أغويتني الأكثرون على أن معناه بما أضللتني وقيل بما خيبتني من رحمتك وقيل بما أهلكتني ويقال بما نسبتني إلى الغواية وهو تأويل باطل عند أهل السنة
وقوله لأزينن لهم في الأرض معناه لأزينن لهم حب الدنيا والغواية وقوله ولأغوينهم أجمعين أي لأضلنهم أجمعين والمراد من إغواء إبليس تسببه إلى الغواية
قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين والمخلصين ظاهر المعنى وقد بينا من قبل
قوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم أكثر أهل المعاني على أن الآية للتهديد والوعيد كالرجل يقول لغيره طريقك علي مسيرك إلي أي لا تفلت مني وهذا في معنى قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد أي على طريق الخلق
والقول الثاني في الآية أن معنى قوله هذا صراط علي أي إلي
وقوله مستقيم أي بأمري وإرادتي
والقول الثالث صراط علي مستقيم أي علي استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقرأ الحسن وابن سيرين هذا صراط علي مستقيم أي رفيع وعبروا عنه رفيع من أن ينال مستقيم من أن يمال وقال الشاعر في الصراط بمعنى الطريق
أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم
قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين هذا تحقيق لقوله تعالى فيما سبق إلا عبادك منهم المخلصين

تفسير السمعاني ج:3 ص:140
تفسير السمعاني ج 3/ص 141
الغاوين 42 وإن جهنم لموعدهم أجمعين 43 لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم 44 إن المتقين في جنات وعيون 45 ادخلوها بسلام آمنين 46

(3/130)

قوله تعالى وإن جهنم لموعدهم أجمعين يعني موعد إبليس ومن تبعه للخلود فيها
قوله تعالى لها سبعة أبواب روي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال سبعة أبواب بعضها فوق بعض وقال ابن جريج النار سبعة دركات أولاها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
وقوله لكل باب منهم جزء مقسوم أي لكل دركة قوم يسكنونها بقدر ذنوبهم وفي بعض الآثار أن في الدركة الأولى المسلمين -يعني الذين أدخلوا النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها - وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئين وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقين
قوله تعالى إن المتقين في جنات وعيون أي في بساتين وأنهار
قوله ادخلوها بسلام أمنين يعني يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين والسلام هو السلامة والأمن من الموت والخروج
قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل في الأخبار المسندة عن النبي قال يحبس المؤمنون على قنطرة بين النار والجنة فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا ونقوا وخرج الغل من قلوبهم أمر بهم إلى الجنة وأما الغل فقد قيل إنه الشحناء والعداوة وقيل إنه الحقد والحسد والخيانة قال الشاعر
جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة كاذب

تفسير السمعاني ج:3 ص:141
تفسير السمعاني ج 3/ص 142
ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين 47 لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين 48 نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم 49 وأن عذابي هو أي خائن وفي بعض الآثار أن أهل الجنة يصلون إلى باب الجنة والغل في صدورهم فإذا دخلوا يذهب الغل كله عن صدورهم ومن المعروف عن علي -رضي الله عنه- أنه قال إني أرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين

وقوله على سرر متقابلين أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وفي بعض الأخبار عن النبي أن المؤمن في الجنة إذا ود أن يلقاه أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه ويلتقيان ويتحدثان ثم ينصرف كل واحد منهما إلى منزله
قوله تعالى لا يمسهم فيها نصب أي تعب قوله وما هم منها بمخرجين هذا أنص آية في القرآن على الخلود هكذا قال أهل العلم
قوله تعالى نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم روي أن النبي خرج على الصحابة وهم يضحكون فقال لهم أتضحكون وبين أيديكم النار فجاء جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي

تفسير السمعاني ج:3 ص:142
تفسير السمعاني ج 3/ص 143
العذاب الأليم 50 ونبئهم عن ضيف إبراهيم 51 إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون 52 قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم 53 قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون 54 قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
وقوله أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ظاهر المعنى وروى أبو هريرة عن النبي أنه قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من الرحمة ما تورع عن ذنب ولو يعلم الكافر ما عند الله من العقوبة لنخع نفسه وأورد مسلم في صحيحه ما هو قريب من هذا
قوله تعالى ونبئهم عن ضيف إبراهيم قيل معناه عن أضياف إبراهيم وقد بينا عدد الملائكة الذين كانوا أضيافه وقوله إذا دخلوا عليه فقالوا سلاما أي سلموا سلاما
وقوله قال إنا منكم وجلون وسبب وجل إبراهيم منهم أنه قرب إليهم الطعام فلم يأكلوه وقد كانوا إذا لم يأكل الضيف استرابوا به قالوا لا توجل أي لا تخف قال الشاعر
لعمرك لا أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

وقوله إنا نبشرك بغلام عليم معناه غلام في صغره عليم في كبره وهو إسحاق وقوله تعالى قال أبشرتموني الأصل أبشرتمونني فأسقط إحدى النونين واكتفى بالكسرة وقوله على أن مسني الكبر يعني على حال الكبر وهذا على طريق التعجب وكذلك قوله فبم تبشرون على طريق التعجب وليس على طريق الشك والإنكار
قوله تعالى قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القاطنين الحق وضع الشيء في موضعه على ما تدعو إليه الحكمة والقنوط هو اليأس ومعنى الحق هاهنا هو الصدق

تفسير السمعاني ج:3 ص:143
تفسير السمعاني ج 3/ص 144
55 قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون 56 قال فما خطبكم أيها المرسلون 57 قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين 58 إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين 59 إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين 60 فلما جاء آل لوط المرسلون 61 قال إنكم قوم منكرون 62 قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون 63 وأتيناك بالحق وإنا
قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون يعني إلا الكافرون والقنوط من رحمة الله كبيرة من الكبائر كالأمن من مكر الله
قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قد ذكرنا معناه في سورة هود

قوله تعالى قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين أراد به قوم لوط وقوله إلا آل لوط المراد منه لوط وبناته ومن آمن به وقد ذكرنا وقوله إنا لمنجوهم أجمعين هذا استثناء من الاستثناء فالاستثناء الأول من المهلكين والثاني من المنجين فبقي المستثنى بالاستثناء الثاني في المهلكين وهو امرأته وهذا مثل ما يقول الرجل لك على عشرة إلا أربعة إلا ثلاثة فالمستثنى بالاستثناء الثاني بقي في المقر به بالإقرار الأول فيصير كأنه استثنى درهما ويجب تسعة دراهم
وقوله قدرنا أي حكمنا وقوله إنها لمن الغابرين أي من الباقين في العذاب قال الشاعر

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج
أي ببقاياها وفي الأحاديث يذهب أهل العلم وتبقى غبرات في أوعية سوء أي بقايا
قوله تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون ظاهر المعنى قوله تعالى قال إنكم قوم منكرون لأنه لم يعرفهم قوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي يشكون وفي القصة أن لوطا كان يتوعدهم بالعذاب فلا يصدقونه فهو في معنى قوله بما كانوا فيه يمترون

تفسير السمعاني ج:3 ص:144
تفسير السمعاني ج 3/ص 145
لصادقون 64 فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون 65 وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين 66 وجاء أهل المدينة يستبشرون 67 قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون 68 واتقوا الله ولا تخزون 69 قالوا أولم ننهك عن العالمين 70 قال هؤلاء بناتي إن
وقوله وآتيناك بالحق وإنا لصادقون ظاهر المعنى
قوله تعالى فأسر بأهلك سرى وأسرى بمعنى واحد وقوله بقطع من الليل أي بقطعة من الليل وقوله واتبع أدبارهم هذا دليل على أن الله تعالى أمره أن يقدم أهله ثم يمضي في إثرهم
وقوله ولا يلتفت منكم أحد أمرهم بترك الإلتفات حتى لا يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم وقيل إن الله تعالى جعل ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط فإن المرأة التفتت لما سمعت الهدة فهلكت
وقوله وامضوا حيث تؤمرون يقال أمروا أن يمضوا إلى زغر وهي بلدة بالشام وقيل إلى أرض الأردن وفلسطين
قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر قد ذكرنا أن القضاء بمعنى الفراغ ومعناه أنا حكمنا وأبرمنا الأمر الذي أمرناه في قوم لوط وقوله أن دابر هؤلاء أي أصل هؤلاء وقيل آخر هؤلاء مقطوع مصبحين يعني حين يدخلون في الصبح

قوله تعالى وجاء أهل المدينة يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا لما يرجون من ارتكاب الفاحشة
قوله تعالى قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون الفضيحة فعل يفعل بالمرء يلزمه به العار والأنفة فاتقوا الله ولا تخزون فالخزي بمعنى الفضيحة
قوله تعالى قالوا أولم ننهك عن العالمين معناه أولم ننهك أن تضيف

تفسير السمعاني ج:3 ص:145
تفسير السمعاني ج 3/ص 146
كنتم فاعلين 71 لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون 72 فأخذتهم الصيحة مشرقين 73 فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل 74 إن في ذلك لآيات أحدا وقيل أولم ننهك عن العالمين يعني إدخال الغرباء في المدينة فإنك إن أدخلتهم نركب منهم الفاحشة قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين قد بينا
وقوله لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون قال ابن عباس وعيشك وقيل وحياتك وعن ابن عباس أنه قال ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد فإن الله تعالى لم يقسم بحياة أحد إلا بحياة محمد وقوله لفي سكرتهم يعمهون أي في ضلالتهم يترددون
قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين يقال أشرقت الشمس إذا طلعت فإن قيل قد قال قبل هذا مصبحين وقال هاهنا مشرقين فكيف وجه الجمع
الجواب من وجهين أحدهما أن ابتداء العذاب كان من الصبح وتمامه عند الإشراق
والجواب الثاني أن الإشراق هاهنا بمعنى الإصباح وهو جائز في كلام العرب
وقوله فجعلنا عاليها سافلها قد بينا
وقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قد بينا
وقوله إن في ذلك لآيات للمتوسمين أي للناظرين المعتبرين
وقيل للمتفرسين وهم الذين يعلمون الناس بسيماهم على ما يريهم الله منها

تفسير السمعاني ج:3 ص:146
تفسير السمعاني ج 3/ص 147

للمتوسمين 75 وإنها لبسبيل مقيم 76 إن في ذلك لآية للمؤمنين 77 وإن كان
وقد روي عن النبي اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله رواه عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ذكره أبو عيسى الترمذي في جامعه
وروى ثابت عن أنس عن النبي أنه قال من أمتي قوم يعلمون الناس بالتوسم

وقوله وإنها لبسبيل مقيم أي بطريق واضح لا يخفى ولا يندرس وسماه مقيما لثبوت الآيات فيه وقد كانوا يمرون عليها عند مضيهم إلى الشام ورجوعهم
وقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين ظاهر المعنى
قوله تعالى وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين قال أهل المعاني إن للتأكيد وكذا اللام في قوله لظالمين ومعنى الآية وقد كان أصحاب الأيكة ظالمين والأيكة هي الغيضة وقيل هي الشجر الملتف وقال قتادة كان شجرهم دوما وقال بعضهم كانت أشجارهم مثمرة يأكلون منها رطبا بالصيف ويابسا بالشتاء وقد قال في موضع آخر ليكة فيه قولان أحدهما أن الأيكة وليكة بمعنى واحد والآخر أن الأيكة اسم البلاد وليكة اسم القرية قال أهل التفسير وكان رسولهم شعيب النبي وبعث إلى أهل مدين وإلى أهل الأيكة فأما أهل مدين

تفسير السمعاني ج:3 ص:147
تفسير السمعاني ج 3/ص 148
أصحاب الأيكة لظالمين 78 فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين 79 ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين 80 وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين 81 وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين 82 فأخذتهم الصيحة مصبحين 83 فما أغنى عنهم أهلكوا بالصيحة وأما أهل الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة
وفي القصة أنه أصابهم حر شديد في منازلهم ومنع الله تعالى الريح عنهم وشدد الحر عليهم وكانوا كذلك أياما ثم اضطرم عليهم الوادي نارا فهلكوا أجمعين ويقال إنهم هلكوا غما وهذا معنى قوله فانتقمنا منهم

وقوله وإنهما لبإمام مبين أي بطريق واضح وسمى الطريق إماما لأنه يؤتم به وتبع والكناية في قوله وإنهما تنصرف إلى قرية قوم لوط وقرية أصحاب الأيكة وهذه البلاد بين الحجاز والشام وقد كانت قريش يمرون عليها في أسفارهم
قوله تعالى ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين الحجر ديار ثمود وقوله المرسلين المراد به صالح -عليه السلام- وقوله وآتيناهم آياتنا قال ابن عباس الآيات في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادتها وغزارة لبنها فقد كانوا يحلبونها ما يكفيهم يوما وقوله فكانوا عنها معرضين ظاهر المعنى
قوله وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين أي آمنين من الوقوع عليهم وقيل عليهم آمنين من الخراب وقيل آمنين من العذاب
وقوله فأخذتهم الصيحة مصبحين أي حين دخلوا في الصبح
وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي ما دفع عنهم ما كانوا يكسبون

تفسير السمعاني ج:3 ص:148
تفسير السمعاني ج 3/ص 149
ما كانوا يكسبون 84 وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن

الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل 85 إن ربك هو الخلاق العليم 86 ولقد آتيناك سبعا
قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي لإظهار الحق
ووجه اتصال هذا بما قبله في المعنى أنهم لما كذبوا بالحق أهلكناهم لأنا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وقيل معنى الحق هو جزاء المحسن بإحسانه وجزاء المسيىء بإساءته
قوله تعالى وإن الساعة لآتية أي فيظهر الجزاء بالإحسان والإساءة
وقوله فاصفح الصفح الجميل أي أعرض عنهم من غير جزع ولا شكوى
قال ابن عباس هذا قبل نزول آية السيف ثم نسخ بآية السيف وقوله إن ربك هو الخلاق العليم يعني الخالق العليم بخلقه

قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم اختلف القول في هذا فروي عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود -في إحدى الروايتين- ومجاهد وقتادة أنهم قالوا هي فاتحة الكتاب وقد ثبت هذا عن النبي برواية آدم بن أبي إياس عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن النبي قال الحمد لله أم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم
قال الشيخ الإمام الأجل شيخ الإسلام أبو المظفر أخبرناه المكي بن عبد الرزاق الكشميهني قال أنا جدي أبو الهيثم محمد بن المكي قال أنا الفربري قال أنا محمد بن إسماعيل البخاري عن آدم بن أبي إياس الخبر
وقد اختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم فقال علي وابن عباس إنها الآية السابعة وقال أبو هريرة ومجاهد وقتادة إنها ليست بآية منها والآية السابعة قوله صراط الذين أنعمت عليهم
وروى أبي بن كعب أن النبي قال أنزلت علي سورة ما أنزلت في التوراة

تفسير السمعاني ج:3 ص:149
تفسير السمعاني ج 3/ص 150
والإنجيل مثلها وهي أم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته ذكره أبو عيسى الترمذي في جامعه
والقول الثاني في الآية أن السبع المثاني هي السبع الطول وواحدة الطول طولى وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهذا هو المنقول وهو قول عبد الله بن عباس -في رواية سعيد بن جبير- وهو قول الحسن البصري وجماعة من التابعين
وفي الآية قول ثالث وهو أن السبع المثاني الأمر والنهي والبشارة والنذارة وضرب الأمثال وتعداد النعم وأنباء القرون السالفة

وأما معنى المثاني فإذا حملنا الآية على الفاتحة فمعناه أنها تثنى في كل ركعة وقيل لأن فيها الثناء على الله تعالى فهنا تكون من للتجنيس لا للتبعيض فهذا مثل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان وذكر بعضهم أن معنى الآية ولقد آتيناك سبعا من القرآن الذي هو مثاني وسمي القرآن مثاني لأنه تثنى فيه الأحكام والقصص والأمثال والعبر فتكون على هذا من للتبعيض وأما على القول الذي قلنا أن سبع المثاني هي السبع الطول فإنما سماها مثاني لأنه يثني فيها الأخبار والأمثال والعبر والقصص
وأما قوله والقرآن العظيم المراد منه سائر القرآن سوى الفاتحة وفي هذا شرف عظيم للفاتحة لأنه خصها بالذكر والإمتنان عليه بها ثم ذكر سائر القرآن وعلى القول الثاني القرآن العظيم هو السبع الطول وغيرها وخص السبع

تفسير السمعاني ج:3 ص:150
تفسير السمعاني ج 3/ص 151
من المثاني والقرآن العظيم 87 لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا الطول بالذكر تشريفا لها قال الشاعر
نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من المثاني
ثنتين من آي من القرآن
قوله تعالى لا تمدن عينيك إلا ما متعنا به أزواجا منهم وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما من عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا والنظر إلى زينتها ومزاحمة أهلها عليها وروى أبو عبيد أن سفيان بن عيينة قال في معنى قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي لم يستغن بالقرآن ثم تأول هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم على هذا وفي الخبر عن النبي أنه قال من أوتي القرآن فظن أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقوله أزواجا منهم معناه أصنافا منهم وهم اليهود والنصارى وسائر المشركين وقيل إنهم الأغنياء

وقوله ولا تحزن عليهم يعني لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا

تفسير السمعاني ج:3 ص:151
تفسير السمعاني ج 3/ص 152
تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين 88 وقل إني أنا النذير المبين 89 كما وفي بعض التفاسير عن أبي رافع أن رسول الله أتاه ضيف فلم يك عنده ما يقدمه إليه فبعث إلى يهودي يستقرض منه طعاما إلى هلال رجب فقال اليهودي والله لا أعطينه إلا برهن فقال رسول الله أنا أمين الله في السماء والأرض ولو باعني أو أسلفني لقضيته ثم بعت بدرعه فرهنها منه فأنزل الله

تعالى لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به
وقوله واخفض جناحك للمؤمنين أي ألن جانبك للمؤمنين
وقوله تعالى وقل إني أنا النذير المبين للحق
قوله تعالى كما أنزلنا على المقتسمين فإن قال قائل ما معنى الكاف هاهنا وهي للتشبيه والجواب عنه أن معناه أنذركم عذابا ينزل بكم كما أنزلنا على المقتسمين من العذاب ويقال إن الكاف صلة ومعناه وقل إني أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين
وأما معنى المقتسمين فيه أقوال أحدها أنهم اليهود والنصارى ومعنى الاقتسام منهم أنهم آمنوا ببعض الكتب وكفروا بالبعض وهذا قول ابن عباس
والقول الثاني أنهم قريش ومعنى الاقتسام أنهم فرقوا القول في رسول الله فقال بعضهم هو كاهن وقال بعضهم هو ساحر وبعضهم هو شاعر
والقول الثالث ذكر الفراء أن أهل مكة بعثوا بقوم في طرق الواردين إلى مكة أيام الموسم حتى يقولوا لمن لقيهم من الواردين إلى مكة لا تقربوا محمدا وكانوا يسألونهم عن حاله فيقول بعضهم هو كاهن ويقول بعضهم هو مجنون ويقول

تفسير السمعاني ج:3 ص:152
تفسير السمعاني ج 3/ص 153

أنزلنا على المقتسمين 90 الذين جعلوا القرآن عضين 91 فوربك لنسألنهم بعضهم هو ساحر وبعضهم يقول هو شاعر ومعنى الاقتسام أنهم اقتسموا طرق مكة وهذا قول معروف ذكره مجاهد وقتادة وغيرهما
وقوله الذين جعلوا القرآن عضين قال أبو عبيدة عضين مأخوذ من الإعضاء وزعم الفراء أنه من العضاة وقال الكسائي يجوز أن يكون منهما ومعنى الآية أنهم جعلوا القرآن أبعاضا وأجزاء فقال بعضهم إنه أساطير الأولين وقال بعضهم إنه كهانة وما أشبه هذا
وفي الآية قول آخر وهو أن معنى قوله عضين يعني سموه سحرا والعضة هي السحر فتكون العضة والعضين بمعنى واحد مثل عزة وعزين قال الشاعر
وليس دين الله بالمعضي
أي بالمتفرق
قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون روى أنس عن النبي أنه قال هو قول لا إله إلا الله وعن أبي العالية الرياحي قال إن جميع الخلق يسألون عن شيئين عن التوحيد وعن إجابة المرسلين وقيل إن معنى قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون يعني جميع الأعمال التي يعملونها الداخلة تحت التكليف
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر قال القتيبي معناه اظهر بما تؤمر وأبن

تفسير السمعاني ج:3 ص:153
تفسير السمعاني ج 3/ص 154
أجمعين 92 عما كانوا يعملون 93 فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين 94 إنا كفيناك المستهزئين 95 غير مراقب لأحد وقد كان رسول الله مختفيا إلى أن أنزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالظهور وقال بعضهم معنى قوله فاصدع بما تؤمر أي أفرق بالقرآن بين الحق والباطل وذكر مجاهد أن معنى قوله فاصدع أي اجهر بالقرآن وقد كان يقرأ مسرا خوفا من المشركين فأمره الله تعالى بالجهر وألا يبالي بهم
والصدع في اللغة مأخوذ من الظهور ومنه الصديع اسم للصبح قال الشاعر
كأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

قوله تعالى وأعرض عن المشركين أي عن جوابهم لأن السفيه لا يسافه معه إلا سفيه
قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين قال ابن عباس المستهزئون خمسة نفر وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب وعدي بن قيس وقد ضم بعضهم إلى هؤلاء الحارث بن الطلاطلة والحارث بن غيطلة والمروي عن ابن عباس ما بينا فروي أن جبريل كان واقفا مع النبي فمر بهما هؤلاء القوم رجلا رجلا وكان جبريل يقول للنبي ما قولك في هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:154
تفسير السمعاني ج 3/ص 155
الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون 96 ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون 97 فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين 98 واعبد ربك حتى يأتيك الرجل فيقول النبي بئس عبد الله هذا فيقول جبريل كفيناكه فهلكوا أما الوليد بن المغيرة فمر بسهم فتعلق بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات وأما العاص بن وائل فمر على شوكة فخدشت ساقه فتساقط من ذلك لحمه ومات وأما الأسود بن عبد يغوث فضرب بغصن من شوك على وجهه فسالت حدقتاه ومات وجعل يقول استجيبت في دعوة محمد وأما عدي بين قيس والأسود بن المطلب فإن أحدهما قام من الليل فلسعته حية فمات وأما الآخر فأصابه عطش فما زال يشرب حتى انشق بطنه وهلك فهذا هو معنى كفاية المستهزئين
قوله تعالى الذين يجعلون مع الله إلها آخر وصفهم بالشرك وعبادة الأوثان وقوله فسوف يعلمون تهديد ووعيد
قوله تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فهذا تسلية للنبي قد روي في بعض التفاسير أن الله تعالى لما أنزل في القرآن سورة العنكبوت وسورة النمل وسورة الذباب وسورة النحل وكانوا يجتمعون ويقولون

تفسير السمعاني ج:3 ص:155
تفسير السمعاني ج 3/ص 156

اليقين 99 استهزاء يقول هذا إلى سورة النمل ويقول هذا إلى سورة الذباب ويقول هذا إلى سورة العنكبوت ويقول هذا إلى سورة النحل وما أشبه ذلك فأنزل الله تعالى ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون وهذا هو الاستهزاء المذكور في الآية المتقدمة
وقوله فسبح بحمد ربك والتسبيح هو الثناء على الله بالتبرئة والتنزيه من العيوب وقيل فصل بأمر ربك وفي رواية عائشة - رضي الله عنها - أن النبي كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقوله وكن من الساجدين أي من المصلين
قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت
فإن قال قائل أما كان يكفي قوله واعبد ربك فما فائدة قوله حتى يأتيك اليقين قلنا لو اقتصر على قوله واعبد ربك لكان إذا عبد مرة خرج عن موجب الأمر فقال حتى يأتيك اليقين ليدوم عليها إلى أن يموت وهذه الآية في معنى الآية التي ذكرها من بعد وهي في مريم وهي قوله تعالى وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا

تفسير السمعاني ج:3 ص:156
تفسير السمعاني ج 3/ص 157
وفي الأخبار المسندة برواية جبير بن نفير عن النبي أنه قال ما أمرني الله بجمع المال وأن أكون من التاجرين ولكن أمرني بالصلاة وأن أكون من الساجدين وأن أعبد ربي حتى يأتيني اليقين

تفسير السمعاني ج:3 ص:157

تفسير السمعاني ج 3/ص 158
سورة النحل
بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون 1 ينزل الملائكة بالروح تفسير سورة النحل
وهي مكية سوى ثلاث آيات من آخرها وهي قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى آخر السورة وقيل إن قوله ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فتنوا الآية مدنية أيضا وهذه السورة تسمى سورة النعم وقيل سورة الآلاء

قوله تعالى أتى أمر الله أي دنا وقرب كالرجل يقول لغيره أتاك الخبر أو أتاك الغوث إذا دنى منه ويقال إن معناه سيأتي أمر الله وهذا مثل ما يقول القائل إذا أكرمتني أكرمتك أي أكرمك واختلفوا في معنى قوله أمر الله فالأكثرون على أن المراد منه عقوبته وعذابه للمكذبين الجاحدين
والقول الثاني أن المراد من أمر الله هو الفرائض والأحكام ذكره الضحاك وهذا قول ضعيف وزعم الكلبي وغيره أن المراد منه القيامة
وقوله فلا تستعجلوه الاستعجال طلب الشيء قبل حينه ومعناه لا تطلبوه قبل وقته وروي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال لما نزل قوله أتى أمر الله رفع الكفار رءوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة لما قال فلا تستعجلوه خفضوا رءوسهم وفي بعض الأخبار أنه لما نزل قوله تعالى أتى أمر الله قام رسول الله فزعا فقال جبريل فلا تستعجلوه قد ذكره مقاتل في تفسيره
وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون معناه تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره روى

تفسير السمعاني ج:3 ص:158
تفسير السمعاني ج 3/ص 159
من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون 2 خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون 3 خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين 4 والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون 5 ولكم مجاهد عن ابن عباس أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صور بني آدم وليسوا بالملائكة لا ينزل الله ملكا إلا ومعه روح والقول الثاني أن الروح هو الوحي لأنه تقع به حياة القلوب كالروح تقع بها حياة الأبدان وقيل إنها النبوة وقيل إنها الرحمة
وقوله على من يشاء من عباده يعني من النبيين والمرسلين

وقوله أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين ومخوفين لهم بالعذاب يقولوا أو لم يقولوا فقوله فاتقون أي فخافون قوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق أي لإظهار الحق وقوله تعالى تعالى عما يشركون أي ارتفع عما يشركون
قوله تعالى خلق الإنسان من نطفة يقال إنه نزلت هذه الآية في أبي بن خلف والصحيح أنها عامة في الكل وقوله من نطفة فإذا هو خصيم مبين أي مخاصم مفصح عما في ضميره بالخصومة والخصومة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة فالحسن منها ما كان لإظهار الحق والقبيح ما كان لدفع الحق ومعنى الآية بيان القدرة وهي أن الله تعالى خلق النطفة من كائن بهذه الحالة وقيل إن المراد من الآية بيان النعمة وقيل إن المراد من الآية كشف قبيح ما فعلوا من جحدهم نعمة الله مع ظهورها عليهم

قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء الدفء هو الحر المعتدل الذي يكون في بدن الإنسان من الدثار وأما معنى الآية قال ابن عباس الدفء هو اللباس وقال قتادة ما يستدفأ به من الأصواف والأوبار وما أشبه ذلك
وقال بعضهم الدفء هو النسل وذكر الآمدي أن هذا من كلام العرب

تفسير السمعاني ج:3 ص:159
تفسير السمعاني ج 3/ص 160
فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون 6 وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم 7 والخيل والبغال والحمير وقوله ومنافع المنافع هي الركوب والنتاج وسائر ما ينتفع به وقوله ومنها تأكلون هو التناول من لحمها ولبنها
قوله تعالى ولكم فيها جمال أي زينة قال السدي الجمال أنها إذا خرجت ورئيت قيل هذه إبل فلان

وإنما خص بقوله حين تريحون وحين تسرحون الرواح في الأنعام هو إذا جاءت من مراعيها إلى أفنية ملاكها عشيا والسراح هو إذا خرجت من الأفنية إلى المراعي بكرة فإن قال قائل لم قدم الرواح والسراح هو المقدم قلنا لأن المالك يكون أعجب بها إذا راحت ولأن المنافع منها إنما تؤخذ بعد الرواح
وقوله وتحمل أثقالكم الثقل هو المتاع الذي يثقل حمله وقوله إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس أي بجهد الأنفس ومشقتها وقرئ بشق الأنفس واختلفوا في البلد المذكور قال بعضهم هي مكة وقال بعضهم أي بلد كان في العالم فإن قال قائل أي مشقة في أن يركب دابة وطية ويسير عليها من بلد إلى بلد مع الزاد التام وأمن الطريق
والجواب أن السفر لا يخلو عن مشقة في الجملة والثاني أن معنى الآية لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس لولا هذه الدواب
وقوله إن ربكم لرءوف رحيم ظاهر المعنى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير الآية حكي أن أبا عمرو بن العلاء سئل لم سميت الخيل خيلا فلم يذكر شيئا وكان ثم أعرابي حاضرا فقال سميت الخيل خيلا لاختيالها
وقوله لتركبوها زعم بعضهم أن ركوب الحمر الغرة الحسان أبلغ في الزينة من الخيل والبغال لأن الله تعالى قال لتركبوها وزينة عقيب ذكر الحمر وهذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:160
تفسير السمعاني ج 3/ص 161
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون 8 كقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها دل أن البصل أرذل من هذه الأشياء حيث ذكر قوله أتستبدلون الذي هو أدنى عقيب ذكر البصل

وقيل شر الحمر الأسود القصير
والأولى أن يقال إن الجمال في الخيل أكثر للحسن والعيان ولأن الله تعالى بدأ بها بالذكر

وقيل لخالد بن صفوان ما لك لا تركب الحمر قال هي بطيئة الغوث كثيرة الروث إذا سار أبطأ وإذا وقف أدلى ورؤي مرة على حمار فسئل عن ذلك فقال أدب عليه دبيبا وألقى عليه حبيبا ويمنعني أن أكون جبارا عنيدا
وقد ثبت أن رسول الله ركب الفرس والبغل والحمار وفي الآثار أن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا يركبون الأتن وعن ابن عباس أنه كره لحم الخيل قال لأن الله تعالى قال لتركبوها وزينة وقد ثبت برواية جابر أن النبي أذن في لحوم الخيل وثبت أيضا عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله فالأولى هو الإباحة وعليه أكثر أهل العلم
وقوله ويخلق ما لا تعلمون قيل معناه ويخلق ما لا يخطر ببال أحد

تفسير السمعاني ج:3 ص:161
تفسير السمعاني ج 3/ص 162
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين 9 هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون 10 ينبت لكم به الزرع والزيتون والإنسان قل ما يخلو في يوم وليلة أن يرى شيئا من خلق الله تعالى لم يره من قبل وروى ابن السدي عن أبيه أن معنى قوله ويخلق ما لا تعلمون أي السوس في النبات والحبوب وفي بعض التفاسير أن النبي قال في هذه الآية إن لله تعالى أرضا بيضاء خلقها ومسافتها قدر مسيرة الشمس ثلاثين ليلة وقد ملأها من خلق لم يعصوا الله طرفة عين فقيل له أهم من بني آدم فقال إنهم لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم فقيل له فكيف لا يفتنهم إبليس قال إنهم لا يعلمون أن لله في خلقه إبليس وهذا خبر غريب والله أعلم
قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل قيل معناه وعلى الله بيان الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين وهذا بحكم الوعد ويقال وعلى الله قصد السبيل أي على الله الحكم بالعدل بين الخلق

وقوله ومنها جائر معناه ومن السبيل جائر وقرأ علي وابن مسعود ومنكم جائر أي عادل عن الحق قال الشاعر
لما خلطت دماؤنا بدمائهم وقف الثقال بها وجار العادل
الثقال البطر
وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين ظاهر المعنى وفيه رد على القدرية
قوله تعالى هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب أي لكم منه ما

تشربون
وقوله ومنه شجر فيه تسيمون أي تسيمون المواشي فيها والإسامة هي

تفسير السمعاني ج:3 ص:162
تفسير السمعاني ج 3/ص 163
والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون 11 وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون 12 وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون 13 وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها تخلية المواشي للرعي
وقوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون الآية ظاهر المعنى
وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار أي ذلل لكم الليل والنهار وقيل سخر ضوء الشمس بالنهار ونور القمر بالليل
وقوله والنجوم مسخرات بأمره أي مذللات بأمره وقوله إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ظاهر المعنى
وما ذرأ لكم في الأرض أي ما خلق لكم في الأرض وقوله مختلفا ألوانه أي صورته وهيئته وقوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون أي يعتبرون
قوله تعالى وهو الذي سخر البحر أي ذلل البحر لتأكلوا منه لحما طريا أي السمك وقوله وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني درأ تتخذون منه لباسا للتحلي

وقوله وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن البصري مواقر - أي مملوءة - ويقال مواخر أي مقبلة مدبرة بريح واحدة والمخر هو الشق والسفينة تمخر الماء أي تشقه وفي الخبر أن النبي قال إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح أي

تفسير السمعاني ج:3 ص:163
تفسير السمعاني ج 3/ص 164
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون 14 وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون 15 وعلامات وبالنجم هم يهتدون 16 أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون 17 وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم 18 والله يعلم ما تسرون وما تعلنون 19 والذين لينظر موضع هبوبها فليستدبرها والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقوله ولتبتغوا من فضله يعني للتجارة وقوله ولعلكم تشكرون يعني إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم وروي أن عمر - رضي الله عنه - كتب إلى عمرو بن العاص يسأله عن البحر فقال خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود

ليس إلا السماء والماء إن مال غرق وإن نجا برق أي دهش وتحير
قوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت وفي الآثار أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تكفأ فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة على ظهرها أحد فأصبحوا وقد خلق الجبال فاستقرت وثبتت
وقوله أن تميد بكم أي أن تميل بكم وقوله وأنهارا وسبلا يعني طرائق وقوله لعلكم تهتدون أي لعلكم تهتدون بالطريق والجبال
وقوله وعلامات أي ودلالات وقيل إن هذه العلامات هي الجبال وقوله وبالنجم هم يهتدون قال الفراء بالجدي والفرقدين وقيل وبالنجوم هم يهتدون وعن قتادة قال خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لزينة السماء الدنيا ولرجم الشياطين وليهتدي بها في البحر والبر فمن طلب منها علما غير هذا فقد أخطأ وهذه الأشياء الثلاثة مذكورة في القرآن

قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق قيل أفمن ينعم كمن لا ينعم وقوله أفلا تذكرون أي أفلا تعتبرون
قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي تطيقوا عدها وقيل لا تطيقوا شكرها وقوله إن الله لغفور رحيم ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:164
تفسير السمعاني ج 3/ص 165
يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون 20 أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون 21 إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
قوله تعالى والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا أراد به الأصنام وقوله وهم يخلقون معناه أن المخلوق لا يكون إلها
قوله تعالى أموات غير أحياء فإن قيل الصنم كيف يكون ميتا ولم يكن حيا قط الجواب أن معناه أنها كالأموات في أنها لا تعقل
وقوله غير أحياء تأكيد للأول وقوله وما يشعرون أيان يبعثون أي متى يبعثون فإن قيل هل للأصنام بعث والجواب أنه قد ذكر في بعض التفاسير أن الأصنام تبعث وتجعل فيها الحياة وتتبرأ من عابديها وقد دل على هذا القرآن في مواضع وقيل في معنى الآية وما تشعر الأصنام متى يبعث الكفار وفي الآية قول ثالث وهو أن معناها وما يشعر الكفار متى يبعثون
قوله تعالى إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة أي جاحدة وهذا دليل على أن العبرة بجحد القلب وإنكاره
وقوله وهم مستكبرون أي متكبرون ويقال إنه لا ينكر الدين إلا متكبر
قال الله تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون وقد ثبت عن النبي أنه قال لا يدخل الجنة أحد في قلبه ذرة من كبر
قوله تعالى لا جرم معناه حقا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:165
تفسير السمعاني ج 3/ص 166
وهم مستكبرون 22 لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين 23 وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين 24 ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون 25 لا يحب المستكبرين أي المتكبرين
قوله تعالى وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم معناه وإذا قيل للكفار الذين تقدم ذكرهم ماذا أنزل ربكم ما الذي أنزل ربكم
وقوله قالوا أساطير الأولين يعني أكاذيب الأولين والأساطير واحدها أسطورة وقيل أقاصيص الأولين
وقوله وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة الأوزار هي الذنوب
وقوله كاملة إنما ذكر الكمال لأن البلايا والمحن التي تلحقهم في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا وكذلك ما يفعلونه بنية الحسنات
وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ومن ذنوب الذين يضلونهم وهم الأتباع
فإن قال قائل كيف يحملون أوزار الأتباع والله تعالى يقول ولا تزر وازرة وزر أخرى والجواب عنه يحملوا ذنوبهم بحكم الإغواء والدعاء إلى الضلال فإنه روي عن النبي أنه قال أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء

تفسير السمعاني ج:3 ص:166
تفسير السمعاني ج 3/ص 167
قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
وقوله بغير علم معناه أنهم رجعوا إلى محض التقليد من غير دليل ومنهم من قال معناه أنهم دعوهم إلى الضلال من غير حجة وقوله ألا ساء ما يزرون معناه ألا بئس ما يحملون من الذنوب

قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم معناه قد أشرك الذين من قبلهم وقيل المكر هو التدبير الفاسد

وقوله فأتى الله بنيانهم من القواعد وهذا مذكور على طريق التمثيل يعني قلع الله مكرهم من أصله ورد وبال مكرهم وضرره عليهم وإلا فليس ثم بنيان ولا أساس ولا سقف
والقول الثاني في الآية أن الآية نزلت في نمروذ بن كنعان لما بنى الصرح ليصعد إلى السماء وفي القصة أنه بنى قصرا طوله في السماء فرسخان وقيل كان خمسة آلاف ذراع وزيادة شيء وعرضه ثلاثة آلاف ذراع فبعث الله جبريل - عليه السلام - فرمى برأسه في البحر ثم خرب الباقي فسقط عليهم وهم تحته فهذا معنى قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وهذا محكي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -
فإن قيل قال فخر عليهم السقف من فوقهم فأيش معنى قوله من فوقهم وقد فهم المعنى بقوله فخر عليهم السقف والجواب أن ذلك مذكور على طريق التأكيد مثل قوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ومثل قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
جواب آخر ذكره ابن الأنباري وغيره أن العرب تقول خر على فلان بيوته إذا سقطت وإن لم يكن تحتها فإذا قالت خر على فلان بيته من فوقه يفهم أنه كان

تفسير السمعاني ج:3 ص:167
تفسير السمعاني ج 3/ص 168

وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون 26 ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين 27 الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن تحته وقوله وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون معناه من الجهة التي كانوا آمنين منها قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم يعني يذلهم ويهينهم فيها وقوله ويقول أين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم أي تعادون المؤمنين فيهم
فإن قيل أين شركائي وليس لله شريك فكيف معنى الآية والجواب أن معناها أين شكائي في زعمكم ومنهم من قال أين الذين كنتم تدعونهم شركاء
وقوله قال الذين أوتوا العلم يعني المؤمنين
وقوله إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين معناه أن العذاب اليوم والهوان على الكافرين
قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قال أهل التفسير هذه نزلت في قوم أسلموا بمكة فلما هاجر النبي لم يهاجروا ثم إن المشركين لما هاجروا إلى بدر أخرجوهم مع أنفسهم فلما رأوا النبي وقلة من معه ظنوا أنهم يهلكوا على أيدي المشركين فمكثوا مع الكفار فقتلوا يومئذ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم معناه في حال ظلمهم أنفسهم بتركهم المهاجرة مع النبي وخروجهم مع الكفار
قوله فألقوا السلم أي استسلموا وانقادوا لملك الموت

وقوله ما كنا نعمل من سوء أي ما كنا مشركين وقوله بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون معناه أن الله عليم بأنكم عملتم عمل الكفار - وعمل الكفار هو ترك المهاجرة والخروج مع المشركين - وقد كان في ابتداء الإسلام لا يقبل

تفسير السمعاني ج:3 ص:168
تفسير السمعاني ج 3/ص 169

الله عليم بما كنتم تعملون 28 فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين 29 وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين 30 جنات عدن يدخلونها تجري الإسلام إلا مع الهجرة فهؤلاء أسلموا ولم يهاجروا فلم يقبل إسلامهم
وقوله فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي مقيمين دائمين فيها وها هنا إضمار وهو أنه يقال لهم ادخلوا أبواب جهنم وقوله فلبئس مثوى المتكبرين يعني منزل الكافرين
قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم فإن قيل قد قال من قبل وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين بالرفع وقال ها هنا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا بالنصب فكيف وجه الآيتين
والجواب أن معنى قوله أساطير الأولين أي المنزل أساطير الأولين وقوله قالوا خيرا معناه أنزل ربنا خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة إحسانهم هو قول لا إله إلا الله وقوله حسنة اختلف القول فيها
قال ابن عباس هي تضعيف الأجر إلى العشر فما زاد وقال الضحاك الحسنة هو النصر والفتح وقال مجاهد هو الرزق الحسن وقال غيره ما فتح الله على المسلمين من البلدان وأفاء عليهم من الغنائم
وقوله ولدار الآخرة خير معناه ولحال دار الآخرة خير
وقوله ولنعم دار المتقين أكثر المفسرين على أن المراد منها الجنة وروي عن الحسن البصري أنه قال هي الدنيا والدنيا دار المتقين ومنها يتزود إلى الآخرة و فيها يطلب رضا الله تعالى وروي عن عمر - رضي الله عنه - أنه كان إذا فرق العطايا بين المهاجرين والأنصار قال هذا لكم في الدنيا وما ادخر الله لكم في الآخرة

تفسير السمعاني ج:3 ص:169
تفسير السمعاني ج 3/ص 170

من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين 31 الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون 32 هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 33 فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به

قوله تعالى جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين ظاهر

قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يعني طاهرين زاكين من الشرك وقيل معناه أن وفاتهم تقع طيبة سهلة

قوله يقولون سلام عليكم يقال إن المراد منه تسليم الملائكة يبلغون سلام الله إليهم وفي الأخبار أنهم يقولون لكل واحد منهم السلام عليك يا ولي الله وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الميت المؤمن يزف إلى الله كما تزف العروس وقوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني يقال لهم ادخلوا الجنة بإيمانكم وطاعتكم

قوله تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة معناه هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتي أمر ربك القيامة

وفي بعض الآثار أن أعوان ملك الموت ستة أملاك ثلاثة يقبضون أرواح المؤمنين وثلاثة يقبضون أرواح الكفار وقيل هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالعذاب والقتل للكفار أو يأتي أمر ربك يعني الموت وقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني كذلك كفر الذي من قبلهم وقوله وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ظاهر المعنى

قوله تعالى فأصابهم سيئات ما عملوا معناه فأصابهم وبال السيئات التي

تفسير السمعاني ج:3 ص:170
تفسير السمعاني ج 3/ص 171

يستهزءون 34 وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا عملوا وقيل جزاء السيئات التي عملوا وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون معناه نزل بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون

قوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء

ومعنى التحريم المذكور في الآية هو ما حرموا من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام وقد احتجت القدرية بهذه الآية ووجه احتجاجهم أن المشركين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ثم إن الله تعالى قال في آخر الآية كذلك فعل الذين من قبلهم ردا وإنكارا عليهم فدل على أن الله تعالى لا يشاء الكفر وأنهم فعلوا ما فعلوا بغير مشيئة الله

والجواب عنه ذكر الزجاج وغيره أنهم قالوا هذا القول على طريق الاستهزاء لا

على طريق التحقيق ولو قالوا على طريق التحقيق لكان قولهم موافقا لقول المؤمنين وهذا مثل قوله تعالى في قصة شعيب إنك لأنت الحليم الرشيد فإنهم قالوا هذا على طريق الاستهزاء لا على طريق التحقيق وكذلك قوله تعالى في سورة يس وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا إنما قالوه على طريق الاستهزاء لأنه في نفسه قول حق يوافق قول المؤمنين كذلك هاهنا قالوا ما قالوا على طريق الاستهزاء فلهذا أنكر الله تعالى عليهم ورد قولهم والدليل على أن المراد من هذا ما ذكر من بعد وسنبين
وقوله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين يعني ليس إليهم الهداية والإضلال وإنما عليهم التبليغ

تفسير السمعاني ج:3 ص:171
تفسير السمعاني ج 3/ص 172

البلاغ المبين 35 ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين 36 إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين 37 وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه
قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت أي وحدوا الله واجتنبوا الأصنام وقوله فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة معناه فمنهم من هداه الله للإيمان ومنهم من وجبت عليه الضلالة وتركه في الكفر بالقضاء السابق فهذه الآية تبين أن من آمن بمشيئة الله وأن من كفر كفر بمشيئة الله
وقوله فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين معناه مآل أمر المكذبين ومرجعهم
قوله تعالى إن تحرص على هداهم الحرص طلب الشيء بالجد والاجتهاد وقوله فإن الله لا يهدي من يضل قرأ بقراءتين قرأ أهل الكوفة لا يهدي من يضل بفتح الياء الأولى وضم الثانية وقرأ الباقون لا يهدي من يضل بضم اليائين أما القراءة الأولى فمعناه لا يهدي الله من أضله وأما القراءة الثانية فمعناه فإن من يضله الله لا يهدى وقيل لا يقدر أحد على هدايته قالوا وهذا أولى القراءتين وقوله وما لهم من ناصرين أي مانعين من العذاب
قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم جهد اليمين هو أن يحلف بالله الذي لا إله غيره وقوله لا يبعث الله من يموت هذا دليل على أنهم كانوا مستبصرين في كفرهم
وقوله بلى وعدا عليه حقا معناه ليس الأمر كما قالوا ولكن الله يبعثهم ثم قال وعدا عليه حقا أي واجبا
وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني أن وعد الله حق فإنه إنما يعلمه

تفسير السمعاني ج:3 ص:172
تفسير السمعاني ج 3/ص 173

(3/157)

حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون 38 ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين 39 إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون 40 والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة المؤمنون دون الكفار
قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه وقوله وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين يعني في الدنيا
قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه فإن قيل قد قلتم بأن المعدوم ليس بشيء وقد جعل الله هاهنا المعدوم شيئا حيث قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه ومعناه أردنا تكوينه
والجواب أن الأشياء التي قدر الله كونها هي في علم الله كالكائنة القائمة فاستقام قوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه وقيل إن هذا على طريق المجاز ومعناه إنما يكون شيئا إذا أردنا تكوينه
وقوله أن نقول له معناه أن نقول لأجله كن فيكون أي كن فكان وقرىء بقرائتين فيكون بالنصب ويكون بالرفع
أما بالرفع معناه فهو يكون وأما بالنصب فهو منسوق على قوله أن نقول وذلك يقتضي النصب
قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قال أهل التفسير نزلت الآية في عمار وبلال وصهيب بن سنان وخباب بن الأرت وسالم مولى أبي حذيفة وقوله من بعد ما ظلموا يعني من بعد ما عذبوا وأوذوا
وقوله لنبوئنهم في الدنيا حسنة قال ابن عباس والشعبي والحسن هي المدينة ويقال هي قدم الصدق وقيل التوفيق والهداية

تفسير السمعاني ج:3 ص:173
تفسير السمعاني ج 3/ص 174

(3/158)

أكبر لو كانوا يعلمون 41 الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون 42 وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون 43 بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون 44 أفأمن
وقوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون أي أعظم لو كانوا يعلمون وقوله لو

كانوا يعلمون منصرف إلى المشركين دون هؤلاء النفر فإنهم كانوا يعلمون أن أجر الآخرة أكبر
وقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ظاهر المعنى وهي نازلة في هؤلاء الخمسة قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم معناه إلا رجالا من البشر نوحي إليهم فإن المشركين كانوا ينكرون إرسال الآدميين ويطلبون إرسال الملائكة على ما ذكر الله تعالى ذلك في غير موضع وقوله فاسألوا أهل الذكر يعني مؤمني أهل الكتاب وقيل حملة أهل الكتابين فإنهم كانوا لا ينكرون هذا وقوله إن كنتم لا تعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى بالبينات والزبر اختلفوا في أن قوله بالبينات والزبر إلى ماذا يرجع قال بعضهم معناه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا بالبينات والزبر ومنهم من قال معناه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم بالبينات والزبر ثم قال فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
قوله وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم وقد كان الرسول مبينا للوحي وقد قال أهل العلم إن بيان الكتاب في السنة وقوله ولعلهم يتفكرون يعني يتدبرون ويعتبرون
قوله سبحانه وتعالى أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض مكروا السيئات يعني فعلوا السيئات وذلك جحدهم التوحيد وعبادتهم غير الله وعملهم بالمعاصي وقد قالوا إن المكر في هذا الموضوع هو السعي بالفساد وما قلناه أفسد الفساد

تفسير السمعاني ج:3 ص:174

تفسير السمعاني ج 3/ص 175
الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون 45 أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين 46 أو يأخذهم على تخوف
وقوله أن يخسف الله بهم الأرض الخسف معلوم المعنى وقد ثبت عن النبي أنه قال بينما رجل يتبختر في حلة له فخسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة
وحكى النقاش عن بعض أهل العلم مسندا أن قوما تدافعوا الإمامة بعد ما أقيمت الصلاة فخسف الله بهم الأرض
وفي بعض المسانيد عن أبي هريرة أن النبي قال يفتح للناس معدن ويبدو من الذهب أمثال البخت فيميل الناس إليه فيخسف الله بهم وبالمعدن فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة
وقوله أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي لا يعلمون قوله تعالى أو يأخذهم في تقلبهم قال ابن جريج في إقبالهم وإدبارهم وقيل في ليلهم ونهارهم وقيل في أسفارهم وقوله فما هم بمعجزين أي بفائتين
قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف قال ابن عباس على تنقص ومعنى التنقص

في هذا الموضع أنه يأخذهم الأول فالأول حتى يهلكهم
والقول الثاني أن معنى التخوف هو أن يأخذ قوما ولا يأخذ آخرين وتخوفهم بأخذ هؤلاء قول الحسن والضحاك
والقول الثالث حكى عن الليث بن سعد أنه قال سمعت أنه على عجل

تفسير السمعاني ج:3 ص:175
تفسير السمعاني ج 3/ص 176
فإن ربكم لرءوف رحيم 47 أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله
وقوله فإن ربكم لرءوف رحيم رحمته للكفار هي إمهالهم في العذاب
قوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله يتحول ظلاله وأما الفرق بين الفيء والظل فيقال إن الظل بالغداة والفيء بالعشي ويقال إن معناهما واحد

وقوله عن اليمين أي عن الأيمان لأنه قد قال عقيبه والشمائل والظل دائر من جوانب الإنسان فمرة يكون عن يمينه ومرة يكون عن شماله ومرة يكون قدامه ومرة يكون خلفه
وقوله سجدا لله أكثر السلف أن السجود هاهنا هو الطاعة لله وأن كل الأشياء ساجدة لله مطيعة من حيوان وجماد وهذا محكي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن البصري قال الحسن يا ابن آدم ظلك يسجد لله تعالى وأنت لا تسجد فبئس ما صنعت
وذكر أبو عيسى الترمذي في جامعه برواية ابن عمر عن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي قال أربع بعد الزوال قبل الظهر يعدلن مثلهن من السحر وما من شيء إلا ويسجد لله في تلك الساعة ثم تلا قوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله الآية
قال الضحاك المراد من سجود الظلال سجود الأشخاص وذكر بعضهم أن معنى قوله سجدا لله أي خاضعة ذليلة خادمة فيما أريد لها بأصل الخلقة والأشياء

تفسير السمعاني ج:3 ص:176
تفسير السمعاني ج 3/ص 177
وهم داخرون 48 ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون 49 يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون 50 وقال الله كلها مجبولة على ما أريد لها في أصل الخلقة
وذكر بعضهم أنه إنما أضاف السجود إلى هذه الأشياء لأنها تدعو إلى السجود فكأنها في أنفسها ساجدة والأصح هو القول الأول ثم الثاني
وقوله وهم داخرون أي صاغرون

قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة المراد من الدابة هاهنا قالوا هي الحيوان لأن الحيوان من شأنه الدبيب ويقال ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة
فإن قال قائل كيف يستقيم هذا المعنى وقد قال بعده والملائكة
والجواب من وجهين أحدهما أنه خصهم بالذكر تشريفا لهم

والآخر أن المراد من الملائكة المذكورين أخيرا هم ملائكة الله في الأرض يعبدون الله تعالى ويسبحونه وقوله وهم لا يستكبرن الاستكبار طلب الكبر بترك الإذعان للحق
قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم معناه يخافون عذاب ربهم من فوقهم والقول الثاني -وهو الأصح- أن هذه صفة العلو التي تفرد الله بها وهو كما وصف به نفسه من غير تكييف
وقوله ويفعلون ما يؤمرون يعني أن الملائكة لا يعصونه
قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إليهن اثنين فإن قال قائل أيش معنى قوله اثنين وقد قال إلهين
الجواب من وجهين أحدهما على طريق التأكيد وهو مثل قوله تعالى فصيام

تفسير السمعاني ج:3 ص:177
تفسير السمعاني ج 3/ص 178
لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون 51 وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون 52 وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا أرجعتم تلك عشرة كاملة
والجواب الثاني أن الآية على التقديم والتأخير ومعناها وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون يعني فخافون
قوله تعالى وله ما في السموات والأرض معلوم المعنى وقوله وله الدين واصبا أي دائما هكذا قاله ابن عباس والدين بمعنى الطاعة
وحقيقة المعنى أن طاعة غير الله تنقطع وتزول وطاعة الله لا تزول ولا تنقطع
وقيل واصبا أي خالصا والوصب في اللغة هو التعب فيقال على هذا أن معنى الآية أن الطاعات كلها لله وإن كان فيها الوصب والتعب
وقوله أفغير الله تتقون أي تخافون وهذا استفهام على طريق الإنكار
قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله معناه وما يكن لكم من نعمة فمن الله
وفي بعض المسانيد برواية ابن عمر عن النبي أنه قال ما مس عبدا نعمة فعلم أنها من الله إلا وقد شكر الله وإن لم يحمده

وقوله ثم إذا مسكم الضر قيل القحط وقيل المرض وقوله فإليه تجأرون الجؤار هو الصوت على وجه الاستغاثة ومنه جؤار البقر ومعنى الآية أنكم تدعون الله مستغيثين قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:3 ص:178
تفسير السمعاني ج 3/ص 179
مسكم الضر فإليه تجأرون 53 ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون 54 ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون 55 ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون 56 ويجعلون لله البنات
يراوح في صلوات المليك فطورا سجودا وطورا وجؤارا
قوله تعالى ثم إذا كشف الضر عنكم يعني ما يضركم وقوله إذا فريق منكم بربهم يشركون أي يكفرون
قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم معناه أن حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعمة وهذه اللام وأمثالها تسمى لام العاقبة وقيل إن النعمة هي الآيات التي أراها خلقه على وحدانيته
وقوله فتمتعوا أي عيشوا المدة التي ضرب لكم في طلب اللذة فسوف تعلمون عاقبة أمركم
قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم معناه ويجعلون للأصنام نصيبا مما رزقناهم وهو معنى قوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
وقوله لا يعلمون يعني لا يعلمون أنها تضرهم ولا تنفعهم
وقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون معناه والله لتسألن والسؤال سؤال إلزام الحجة لا سؤال الاستعلام والاستفهام
قوله تعالى ويجعلون لله البنات هذا معنى قولهم إن الملائكة بنات الله وقوله سبحانه هو بيان تنزيهه عن قولهم

وقوله ولهم ما يشتهون أي البنين فإنهم كانوا يقولون له البنات ولنا البنون
وقوله وإذا بشر أحدهم بالأنثى كان أهل الجاهلية يودون الذكور من الأولاد ويكرهون الإناث ويقولون إنهن لا يقاتلن ولا يركبن الخيل وكان الرجل منهم إذا دنت ولادة امرأته توارى من نادى قومه فإن بشر بالابن ظهر ويهنئه القوم

تفسير السمعاني ج:3 ص:179
تفسير السمعاني ج 3/ص 180
سبحانه ولهم ما يشتهون 57 وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم 58 يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا وإن بشر بالأنثى تغير واستخفى وربما يئدها فهذا معنى قوله

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يعني من كراهة ما بشر به
وأما قوله ظل وجهه مسودا وهو كظيم معناه تغير وجهه من الغم تقول العرب اسود وجه فلان إذا تغير بما أصابه من الغم
وقوله وهو كظيم أي ممتلىء حزنا وقال ابن عباس حزين وقال غيره امتلأ حزنا فهو يكظمه أي يمسكه ولا يظهره
وأما قوله أيمسكه على هون قرأ الجحدري على هوان وقال الكسائي الهون والهوان بمعنى واحد وقالت الخنساء شعرا
نهين النفوس ووهن النفوس ليوم الكريهة أبقى لها
وقرأ عيسى بن عمر أم يدسها في التراب ويلزمه على هذه القراءة أن يقرأ أيمسكها وأما على القراءة المعروفة فإنها تنصرف إلى لفظة ما وما بمعنى الذي
وقوله أم يدسه في التراب أي يدفنه حيا وعن قتادة قال رب أنثى خير لأهلها من غلام وفي بعض الأخبار عن النبي أنه قال ما وضعت امرأة بنتا إلا وضع الملك يده على رأسها وقال ضعيفة خرجت من ضعيفة المنفق عليها معان إلى يوم القيامة

تفسير السمعاني ج:3 ص:180
تفسير السمعاني ج 3/ص 181

ساء ما يحكمون 59 للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم 60 ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن
وقوله ألا ساء ما يحكمون أي بئس ما يحكمون وحكمهم وأد البنات وترك البنين
قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي صفة السوء وقيل عاقبة السوء وقوله ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا وذلك مثل قولهم عالم وقادر ورازق وحي وغير هذا
وقال مجاهد ولله المثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله فإن قيل قد قال في موضع آخر فلا تضربوا لله الأمثال وقال هاهنا ولله المثل الأعلى فكيف وجه الجمع والجواب أن معنى قوله فلا تضربوا لله الأمثال أي الأمثال التي هي الأشباه فإن الله تعالى لا شبه له وأما قوله ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا وهذا جائز لكل أحد أن يقوله بل واجب وقوله وهو العزيز الحكيم قد بينا
قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم أي بكفرهم وقوله ما ترك عليها من دابة روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال إن الجعل في جحره يعذب بذنب بني آدم وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال له بئسما قلت إن الحبارى تموت هزلا من ظلم الظالم
وقال بعض أهل المعاني معنى الآية لو أخذ الظالمين فأهلك الآباء انقطع النسل ولم يوجد الأبناء فيهلك من في الأرض

تفسير السمعاني ج:3 ص:181
تفسير السمعاني ج 3/ص 182
يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون 61 ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون 62 تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم

وقوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى يعني إلى يوم القيامة وقوله فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ظاهر المعنى
قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون يعني البنات وقوله وتصف ألسنتهم الكذب معنى الكذب المذكور هو قولهم أن لهم الحسنى
وفي الحسنى قولان أحدهما أنها البنون والآخر أنها الجنة وقوله لا جرم أن لهم النار لا رد لقولهم وقوله جرم أي حقا وقيل لا محالة أن لهم النار وقيل لا بد وقد بينا أن رجم بمعنى كسب وذكرنا عليه الاستشهاد
وقوله وأنهم مفرطون أكثر القراء قرأوا بفتح الراء وقرأ نافع مفرطون بالكسر وقرأ أبو جعفر المدني مفرطون بتشديد الراء
واختلف القول في معنى قوله مفرطون بفتح الراء قال سعيد بن جبير ومجاهد منسيون وعنهما متروكون وقيل مضيعون وعن الحسن البصري مقدمون إلى النار ومنه الفارط وهو الذي يتقدم إلى الماء قال الشاعر
استعجلونا فكانوا من صحابتنا كما تقدم فراط لوراد
وقد ثبت عن النبي أنه قال أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم واختار الكسائي وأبو عبيدة والفراء معنى قول مجاهد
وأما قوله مفرطون بكسر الراء هو من الإفراط يعني مبالغون في الإساءة وأما قوله مفرطون هو من التفريط يعني أنهم مقصرون
قوله تعالى تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يعني والله لقد أرسلنا إلى أمم

تفسير السمعاني ج:3 ص:182
تفسير السمعاني ج 3/ص 183

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم 63 وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون 64 والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون 65 وإن لكم في الأنعام لعبرة من قبلك وقوله فزين لهم الشيطان أعمالهم يعني كفرهم وجحودهم وقوله

فهو وليهم اليوم سماه وليا لهم لطاعتهم إياه وقوله ولهم عذاب أليم أي مؤلم
قوله وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه الفرق بين التبيين والتمييز أن في التبيين طلب العلم وليس في التمييز طلب العلم فإن الرجل يميز بين الجيد والردىء مع علمه بهما
وقوله اختلفوا فيه أي في الكتاب وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معناه أن الكتاب هدى ورحمة للمؤمنين وقيل إن الرسول هدى ورحمة للمؤمنين
قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء أي المطر وقوله فأحيا به الأرض بعد موتها أي بالنبات وقوله إن في ذلك لآية لقوم يسمعون يعني يسمعون سماع التفهم
قوله تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم قرىء بالنصب والرفع أما بالنصب فمعلوم المعنى وأما بالرفع فهو أن يجعل لكم سقيا قال الشاعر في الفرق بينهما
سقى قومي بني مجد وأسقي نميرا والقبائل من هلال
قوله مما في بطونه فإن قيل كيف لم يقل مما في بطونها والأنعام جمع والجواب عنه أن معناه مما في بطون كل واحد منهما أو كل نوع منها والعرب قد تحذف مثل هذا قال الشاعر
ألا يا سهيل فالقطيخ قد فسد
وطاب ألبان اللقاح فبرد

تفسير السمعاني ج:3 ص:183
تفسير السمعاني ج 3/ص 184
نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين 66 ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
أي بردت

وقوله من بين فرث ودم الفرث هو ما يحصل في الكرش من الثقل ويقال إن العلف الذي تأكله الدابة يتغير في الكرش فيتحول لبنا وفرثا ودما فأعلاه دم وأوسطه لبن وأسفله فرث ثم يميز الله تعالى بينهما فيجري كل واحد منهما في مجراه على حدة فيجعل اللبن في الضرع ويجعل الدم في العروق ويبقى الفرث في الكرش فهذا معنى قوله من بين فرث ودم
وقوله لبنا خالصا أي ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث وقوله سائغا السائغ ما يجري في الحلق على السهولة وفي بعض الأخبار ما غص أحد بلبن لقوله سائغا وقوله للشاربين ظاهر المعنى
قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا اختلفوا في السكر فالمروي عن ابن عباس أن السكر ما حرم من الثمر والرزق الحسن ما حل من الثمر وعن مجاهد وقتادة وإبراهيم النخعي والشعبي أن الآية منسوخة وهذا قبل تحريم الخمر ثم حرمت
وروي عن الشعبي أنه قال السكر هو النبيذ والرزق الحسن هو التمر والزبيب وهذا قول من يبيح النبيذ وأما على قول ابن عباس فالمراد من الآية هو الإخبار

عنهم لا الإحلال لهم وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكرا منسوخ
وفي بعض المسانيد أن النبي قال لكم من العنب خمسة حلال العصير والزبيب والخل والرب وأن تأكلوه عنبا والله أعلم بصحته وقال الشاعر في

تفسير السمعاني ج:3 ص:184
تفسير السمعاني ج 3/ص 185
إن في ذلك لآية لقوم يعقلون 67 وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون 68 ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك دللا السكر
بئس الضجيع وبئس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر
أي المسكر وقوله إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ظاهر المعنى

قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل الآية وأوحى ربك أي ألهم ربك والوحي في اللغة هو إعلام الشيء في السترة وقد يكون ذلك بالكتابة وقد يكون بالإشارة وقد يكون بالإلهام وقد يكون بالكلام الخفي وقال بعضهم معنى قوله وأوحى ربك إلى النحل أي جعل في غرائزها ذلك وقيل أوحى بمعنى سخر وذلل وأصح الأقاويل هو الأول وقوله إلى النحل والنحل ذباب العسل وفي رواية ابن عمر عن النبي أنه قال كل الذباب في النار إلا النحل والخبر غريب
وقوله أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر أي خلايا وهي الأمكنة التي يضع النحل فيها العسل ويقال إنما يضع العسل في أجواف الأشجار وقد يضع على أغصان الأشجار وقوله ومما يعرشون يعني يبنون وقد جرت عادة أهلها أنهم يبنون لها الأماكن فهي تأوي إليها بتسخير الله إياها لذلك
قوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك أي طرق ربك قال مجاهد هي تسلك سبلها لا يتوعر عليها مكان

تفسير السمعاني ج:3 ص:185
تفسير السمعاني ج 3/ص 186
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون
وقوله ذللا يحتمل وجهين
يحتمل أنه راجع إلى الطرق يقال سبيل ذلول وسبل ذلل إذا كانت سهلة المسلك ويحتمل أنه ينصرف إلى النحل ومعناه أنها مطيعة منقادة لما خلقت له ويقال إن للنحل يعسوبا -وهو سيد النحل- إذا وقفت وقفت وإذا سارت سارت ويقال ذللا يعني لأربابها فإنه قد جرت العادة أن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان فهي مسخرة لذلك

وقوله يخرط من بطونها فإن قال قائل إنما يخرج من أفواهها لا من بطونها والجواب عنه أنه إنما ذكر بطونها لأن الاستحالة تقع في بطونها ولأنه يخرج من بطونها إلى أفواهها ثم تسيل من أفواهها كهيئة الريق وروي أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مر على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهو مقتول يوم الجمل فقال هذا يعسوب قريش شفيت نفسي وقتلت قومي أشكو إلى الله عجري وبجري أي همومي وأحزاني
وقوله شراب مختلف ألوانه يعني أحمر وأصفر وأبيض وقوله فيه شفاء للناس لا يشكل على أحد أن في العسل شفاء لبعض الأمراض وقد يجعل في المعجونات وكثير من الأدوية وروي عن ابن عباس أنه قال فيه شفاء للناس أي في القرآن والأظهر في الآية هو القول الأول
وروى أبو سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي وذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فزاد الوجع فعاد وذكر له فقال اسقه عسلا فسقاه فازداد وجعا فعاد وذلك له ذلك فقال اسقه عسلا فسقاه فبرأ فعاد وذكر ذلك للنبي فقال صدق الله وكذب بطن أخيك
وعن علي -رضي الله عنه- أنه قال من اشتكى شيئا فليأخذ من امرأته أربعة

تفسير السمعاني ج:3 ص:186
تفسير السمعاني ج 3/ص 187
69 والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير 70 والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا دراهم من مهرها وليشتر بها عسلا وليخلطه بماء المطر وليشربه فإن فيه شفاء
وكان ابن عمر إذا أصابه وجع طلى على موضع الوجع بالعسل حتى الدمل وعن أبي حرة أنه كان يكتحل بالعسل وقوله إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون أي يتدبرون

قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر يعني الهرم وعن علي -رضي الله عنه- أنه قال إنه خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة حكاه قطرب وقيل تسعون سنة وعن عكرمة قال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ومعناه أنه لا يذهب عقله ولا يخرف وقيل إن الرد إلى أرذل العمر للكافرين فإن الله تعالى قال ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا
وقوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا يعني ينتقص علمه وعقله وهذا دليل على أنه قد يذكر الشيء ويراد به الأغلب فإنه إذا رد إلى أرذل العمر لا يذهب جميع علمه إذا وإنما يذهب أكثر علمه وقوله إن الله عليم قدير ظاهر المعنى

قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق معناه بسط لهذا وضيق على هذا وأكثر لهذا وقلل
وقوله فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم في الآية رد على المشركين في اتخاذهم الأصنام آلهة مع الله ومعنى الآية أن الأحرار المالكين منكم لا تسخو أنفسهم بدفع أموالهم إلى عبيدهم ليشاركوهم في الملك فيكونوا وهم سواء فإذا لم ترضوا هذا لأنفسكم فأولى أن تنزهوا ربكم عنه ونظير هذا ما ذكر في سورة الروم ضرب لكم مثلا من أنفسكم إلى قوله فأنتم فيه سواء

تفسير السمعاني ج:3 ص:187
تفسير السمعاني ج 3/ص 188
برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون 71 والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون 72 ويعبدون من دون الله ما لا
وقوله أفبنعمة الله يجحدون يعني بأن أنعم عليكم جحدتموه واتخذتم غيره إلها معه
قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا فيه قولان أحدهما أن هذا في آدم -عليه السلام- فإن الله تعالى خلق حواء من بعض أضلاعه

والقول الثاني خلق من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم أزواجا
وقوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة في الحفدة أقوال روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال هم الأختان وعنه أيضا أنه قال هم الأصهار ومعنى الآية على هذا القول وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الأختان والأصهار
وعن ابن عباس -رضي الله عنه- ومجاهد وغيرهما أنهم قالوا الخدم وعن الحسن البصري قال الأعوان وقيل أولاد الأولاد وقيل بنو المرأة من غيره والحفد في اللغة هو الإسراع في العمل وفي دعاء القنوت وإليك نسعى ونحفد أي نسرع وقال الشاعر
حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال
وقيل إن البنين هم الكبار والحفدة هم الصغار ويقال في الآية تقديم وتأخير ومعناه وجعل لكم حفدة ومن أزواجكم بنين وقوله ورزقكم من الطيبات يعني من النعم الحلال
وقوله أفبالباطل يؤمنون وهذا على طريق الإنكار وقوله وبنعمة الله هم

تفسير السمعاني ج:3 ص:188
تفسير السمعاني ج 3/ص 189

يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون 73 فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون 74 ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن يكفرون يعني بالإسلام هم يكفرون وقيل بمحمدهم يكفرون وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون المراد من الآية ذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر وقوله فلا تضربوا لله الأمثال أي الأشباه ومعناه فلا تجعلوا لله شبها ولا مثلا فإنه لا شبه له ولا مثل له وقوله إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ظاهر المعنى

قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا قال مجاهد والضحاك ضرب المثل لنفسه وللصنم الذي عبد من دونه فقوله عبدا مملوكا أراد به الصنم وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا ضرب مثلا لنفسه على معنى أنه الجواد الرازق الذي يعطي من حيث يعلمه العبد ومن حيث لا يعلمه
وقال قتادة -وهو القول الثاني- هو ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقوله عبدا مملوكا أراد به الكافر وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا أراد به المؤمن وقيل إن القول الأول أليق بظاهر الآية لأنه إنما سبق ذكر الأصنام وتأخر ذكر الأصنام ومن نصر القول الثاني استدل على صحته بقوله عبدا مملوكا والصنم لا يسمى عبدا وفي بعض الروايات عن ابن عباس أن الآية في رجلين بأعيانهما أما الذي رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هو عمرو بن هشام وأما العبد المملوك فهو هو مولاه أبو الجواب وكان يأمره بالإيمان ويمتنع أورده

تفسير السمعاني ج:3 ص:189
تفسير السمعاني ج 3/ص 190
رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون 75 وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو و من يأمر بالعدل وهو على صراط النحاس في تفسيره بإسناده
وقوله هل يستوون فإن قال قائل كيف قال هل يستوون وإنما ضرب المثل لاثنين والجواب عنه أن المراد منه الجنس لا واحد بعينه وقوله الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ظاهر المعنى أي حمد نفسه على علمه وجهلهم وقيل معناه قل الحمد لله على ما أوضح من الدليل وبين من الحق بل أكثرهم لا يعلمون ويقال الحمد لي فإني أنا المستحق للحمد لا ما يشركون بي بل أكثرهم لا يعلمون أني أنا المستحق للحمد

قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم الأبكم هو الذي لا ينطق ولا يعقل ولا يفهم وقوله لا يقدر على شيء أي لا يقدر على النطق
وقوله وهو كل على مولاه أي ثقل على مولاه وقوله أينما يوجهه لا يأت بخير يعني أينما يبعثه لا يهتدي إلى خير وقوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل عنى به نفسه والله تعالى يأمر بالعدل ويفعل العدل
وقوله وهو على صراط مستقيم أي على طريق قويم والمراد من الآية ضرب مثلا آخر لنفسه وللأصنام فالأول هو الصنم والمراد من قوله ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى وقوله على صراط مستقيم لأن الله تعالى على طريق الحق وليس عنه معدل
وفي الآية قول آخر وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال الآية في رجلين بأعيانهما أما الأول فهو أسيد بن أبي العيض وقوله ومن يأمر بالعدل هو عثمان بن عفان وكان عثمان يأمره بالإسلام فلا يسلم
قوله تعالى ولله غيب السموات والأرض يعني علم غيب السموات

تفسير السمعاني ج:3 ص:190
تفسير السمعاني ج 3/ص 191
مستقيم 76 ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير 77 والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون 78 ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون 79 والأرض وقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر معناه أنه إذا قال له كن فيكون
وقوله أو هو أقرب يعني أدنى من لمح البصر فإن قيل كيف قال أو هو أقرب و أو للشك ولا يجوز على الله هذا
والجواب من وجهين أحدهما أن قوله أو هو أقرب يعني بل هو أقرب قال الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وبهجته أو أنت في العين أملح
يعني بل أنت في العين أملح

والجواب الثاني أن المراد منه أو هو أقرب في علمكم وقوله إن الله على كل شيء قدير ظاهر المعنى
قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا يعني لا تعلمون شيئا مما علمتم الآن
وقوله وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أي الأسماع والأبصار والأفئدة وهي جمع الفؤاد وقوله لعلكم تشكرون أي نعمتي عليكم
قوله تعالى ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء أي مذللات في كبد السماء وعن كعب الأحبار أن الطير يرتفع اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق هذا وفوق الجو السكاك وفوق السكاك السماء

وقوله ما يمسكهن إلا الله يعني في حال طيرانهن وقبضهن وبسطهن

تفسير السمعاني ج:3 ص:191
تفسير السمعاني ج 3/ص 192
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين 80 والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وقوله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي لعبرا
قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا أي مواضع تسكنون فيها وقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا يعني الفساطيط والخيم والقباب من الأدم وقوله تستخفونها يعني يخف عليكم حملها وقوله يوم ظعنكم يعني يوم سفركم وقوله ويوم إقامتكم أي حال إقامتكم
وقوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها الأصواف للغنم والأوبار للإبل والأشعار للمعز وقوله أثاثا الأثاث متاع البيت وهو ما يتأثث به أي ينتفع به قال الشاعر
أهاجتك الظعائن يوم بانوا على الزي الجميل من الأثاث
وقيل الأثاث اللباس وقوله ومتاعا إلى حين أي متعة إلى حين آجالكم

قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا أي ما يظلكم من الشمس من الأشجار والحيطان والسقوف والجبال وأشباه ذلك
وقوله وجعل لكم من الجبال أكنانا أي الغيران والأسراب والأكنان جمع الكن
وقوله وجعل لكم سرابيل أي قمصا وقد تكون من الصوف وقد تكون من القطن وقد تكون من الكتان
وقوله تقيكم الحر هاهنا حذف ومعناه تقيكم الحر والبرد قال الشاعر
ولا أدري إذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يليني
قال النحاس أريد الخير وأتقي الشر لأن كل من يريد الخير فيتقي الشر وقوله أيهما يليني أي الخير والشر

تفسير السمعاني ج:3 ص:192
تفسير السمعاني ج 3/ص 193
وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون 81 فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين 82 يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون 83
وقوله وسرابيل تقيكم بأسكم أي الدروع والبأس هو ما يقع به البأس وهو السلاح وقوله كذلك يتم نعمته عليكم يعني منته عليكم وقوله لعلكم تسلمون أي تؤمنون وعن ابن عباس أنه قرأ لعلكم تسلمون والقراءة غريبة

فإن قيل كيف ذكر هذه النعم من الجبال والظلال والسرابيل والقمص والأوبار والأصواف ولله تعالى نعم كثيرة فوق هذا لم يذكرها فما معنى تخصيص هذه النعم وترك ما فوقها
والجواب عنه أن العرب كانوا أصحاب أنعام وكانوا أهل جبال وكانت بلادهم حارة فذكر من النعم ما يليق بحالهم وكانت هذه النعم عندهم فوق كل نعمة فخصها بالذكر لهذا المعنى وعن قتادة أن هذه السورة تسمى سورة النعم
قوله تعالى فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين هذه تسلية للنبي ومعناه أنهم إن أعرضوا فلا يلحقك في ذلك عتب ولا سمة تقصيرا فإنما عليك البلاغ وقد بلغت

قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي هو محمد وعلى هذا جماعة من أهل التفسير ويقال إن معناه الإسلام وروي عن ابن عباس أن معنى الآية أنه كان إذا قيل لهم من أعطاكم هذه النعم فيقولون الله فإذا قيل لهم فوحدوه فيقولون أعطينا بشفاعة آلهتنا
وعن قتادة أنهم يقرون أن النعم من الله ثم إذا قيل لهم تصدقوا وامتثلوا فيها أمر الله تعالى قالوا ورثناها من آبائنا
وعن عون بن عبد الله قال إنكار النعمة هو أن يقول لولا كذا لأصبت كذا ولولا فلان لأصابني كذا وعن الحسن البصري قال النعم ستة محمد

تفسير السمعاني ج:3 ص:193
تفسير السمعاني ج 3/ص 194
ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون 84 وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون 85 وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون 86 وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون والقرآن والإسلام والعافية والستر والاستغناء عن الناس
وقوله وأكثرهم الكافرون يعني وكلهم الكافرون لأن الآية في الكفار
قوله تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا هذا في معنى قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقوله ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل في الكلام أصلا وقوله ولا هم يستعتبون يعني لا يردون إلى الدنيا ليتوبوا وحقيقة المعنى في الاستعتاب هو التعريض لطلب الرضا وهذا الباب منسد على الكفار في الآخرة

قوله تعالى وإذا رأى الذين ظلموا العذاب يعني جهنم وقوله فلا يخفف عنهم أي لا يسهل عليهم وقوله ولا هم ينظرون أي لا يمهلون قوله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم هذا في الوقت الذي يبعث الله الأصنام ويحضرها فإذا رآها

الكفار قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
وقوله فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون فيه قولان
الأظهر أن هذا قول الأصنام يقولون للمشركين إنكم لكاذبون يعني في أنا دعوناكم إلى عبادتنا أو في قولكم إن هؤلاء آلهة أو في قولكم إنا نستحق العبادة
والقول الثاني أن الملائكة يقولون إنكم لكاذبون
قوله تعالى وألقوا إلى الله يومئذ السلم أي استسلم العابد والمعبود لله

تفسير السمعاني ج:3 ص:194
تفسير السمعاني ج 3/ص 195
87 الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون 88 ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين 89 إن تعالى وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون أي بطل عنهم ما كانوا يكذبون وحقيقة المعنى أنه فات عنهم ما زعموه فإنه كان فرية وكذبا
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يعني منعوا الناس من طريق الحق وقوله زدناهم عذابا فوق العذاب روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال عقارب كالبغال وفي رواية أخرى عنه أفاعي كالفيلة وعقارب كالنخيل الطوال وعن أبي الزاهرية قال ما من عذاب يعرفه الناس أو لا يعرفونه إلا ويعذب الله به أهل النار وروي أنهم يهربون من النار فيخرجون إلى زمهرير في جهنم هو أشد عليهم من النار فيعودون إلى النار مستغيثين بها وقوله بما كانوا يفسدون أي يشركون

وقوله تعالى ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء قد بينا المعنى
وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء أي بيانا للثواب والعقاب والحلال والحرام وعن الأوزاعي قال تبيانا بالسنة
وقوله وهدى أي من الضلالة وقوله ورحمة أي عطفا على من أنزل عليهم
وقوله وبشرى أي بشارة للمسلمين
قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان في الآية أقوال أحدها أن العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله وهذا مروي عن ابن عباس وغيره وقيل إنه التوحيد وهو في معنى الأول

تفسير السمعاني ج:3 ص:195
تفسير السمعاني ج 3/ص 196
الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

والبغي
والقول الثاني أنه الإنصاف وترك الجور وعن محمد بن كعب القرظي أنه دعاه عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة فقال له صف لي العدل فقال كن للصغير أبا وللكبير ابنا ولمثلك أخا وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وإياك أن تضرب أحدا بغضبك والقول الثالث وهو أن العدل هو أن تستوي سريرة المرء وعلانيته وقوله تعالى والإحسان أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته عند الله وقوله والإحسان فيه أقوال
أحدها أن الإحسان هو العفو والآخر هو أداء الفرائض والثالث أنه أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والرابع أنه التفضل وقيل الإحسان أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته
وقوله وإيتاء ذي القربى أي صلة ذوي الأرحام وقيل إنه يدخل في هذا جميع بني آدم لأن بينه وبين الكل وصلة بآدم -صلوات الله عليه- وأدنى ما يقع في الصلة ترك الأذى وأن يحب له ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه
وقوله وينهى عن الفحشاء الفحشاء كل ما استقبح من الذنوب وقيل إنه الزنا وقيل إنه البخل وقيل الفحشاء أن تكون علانية المرء أفظع من سريرته

وقوله والمنكر يعني كل ما يكون منكرا في الدين وقيل إنه الشرك فإنه أعظم المناكير
وقوله والبغي يقال إنه الظلم والاستطالة على الناس وقيل إنه الكبر وقيل إنه الغيبة وعن قتادة قال جمع الله تعالى كل ما يحب وكل ما يكره في هذه الآية

تفسير السمعاني ج:3 ص:196
تفسير السمعاني ج 3/ص 197
يعظكم لعلكم تذكرون 90 وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون 91 ولا تكونوا كالتي
وفي بعض المسانيد أن شتيرا جاء إلى مسروق فقال له إما أن تحدثني عن عبد الله فأصدقك أو أحدثك عن عبد الله فتصدقني فقال حدث أنت فقال سمعت عبد الله يقول أجمع آية في القرآن للخير والشر قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان فقال له مسروق صدقت
ويقال إن العدل زكاة الولاية والعفو زكاة القدرة والإحسان زكاة النعمة والكتب إلى الإخوان زكاة الجاه يعني كتب الوسيلة
وقوله تعالى يعظكم لعلكم تذكرون يعني تعتبرون
قوله تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم الآية قال العهد هاهنا هو اليمين وعن جابر بن زيد والشعبي أنهما قالا العهد يمين وكفارته كفارة اليمين
وعن عمر قال الوعد من العهد ومثله عن ابن عباس
وقوله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها أي بعد إحكامها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أي شهيدا وقيل توثقتم باسمه كما يتوثق بالكفيل وقوله إن الله يعلم ما

تفعلون وعيد وتهديد
قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها هذه امرأة كانت تسمى ريطة بنت سعد وكانت بها وسوسة فكانت تجلس بجانب الحجر وتغزل طول نهارها بمغزل كبير فإذا كان العشي نقضته

وقيل كانت تأمر جواريها بنقضه فشبه الله من نقض العهد بها ومعناه أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم لا كففتم عن العهد ولا حين عهدتم وفيتم
وقوله من بعد قوة أي بعد إحكام وقوله أنكاثا أي إنقاضا وقطعا

تفسير السمعاني ج:3 ص:197
تفسير السمعاني ج 3/ص 198
نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون 92 ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم وقوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أي غشا وخديعة والدخل ما تدخل في الشيء للفساد ويقال إن الدغل هو أن يظهر الوفاء ويبطن النقض وكذلك الدخل
وقوله أن تكون أمة هي أربى أي أكثر وأما معناه فروى عن مجاهد أنه قال كانوا يعاهدون مع قوم فإذا رأوا أقواما أعز منهم وأكثر نقضوا عهد الأولين وعاهدوا مع الآخرين فعلى هذا قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يعني طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة
وفي الآية قول آخر وهي نزلت في قوم عاهدوا مع النبي ثم نقضوا العهد معه وعاهدوا مع قوم من الكفار فظنوا أن قوتهم أكثر لأن عددهم أكثر ويقال إن الآية نزلت في المؤمنين نهاهم الله تعالى عن نقض العهد فكأنه تعالى قال إذا عاهدتم مع قوم لمخافة فإذا أمنتم فلا تنقضوا ليكون جانبكم أقوى وأكثر
وقوله إنما يبلوكم الله به يعني بالكثرة والقلة وقيل يبلوكم الله به يعني بالأمر بالوفاء بالعهد وقوله وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ظاهر المعنى قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة أي على دين واحد وهو الإسلام وقوله ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء والآية صريحة في الرد على القدرية

وقوله ولتسألن عما كنتم تعملون يعني يوم القيامة وحقيقة المعنى أني لا أسأل عما أفعل من الإضلال والهداية وأنتم تسألون عما تعملون من الخير والشر
وقوله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم أي سبب فساد بينكم وقد

تفسير السمعاني ج:3 ص:198
تفسير السمعاني ج 3/ص 199
تعملون 93 ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم 94 ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون 95 ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون 96 من عمل صالحا من ذكر بينا معنى الدخل
وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها يعني تزل عن الإسلام بعد ثبوتها على الإسلام قال النحو صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
وقوله وتذوقوا السوء بالعذاب وقوله بما صددتم عن سبيل الله يعني سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد وقوله ولكم عذاب عظيم أي كبير قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من عرض الدنيا وقوله إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى ما عندكم ينفد يعني أن الدنيا وما فيها تفنى وقوله وما عند الله باق يعني الآخرة وعلى العاقل أن يؤثر ما يبقى وفي بعض الآثار للدنيا بنون وللآخرة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا
وقوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم يعني صبروا عن الدنيا وقوله أجرهم أي ثوابهم وجزاءهم وقوله بأحسن ما كانوا يعملون أي بأحسن الذي كانوا يعملون
قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة اختلفوا في الحياة الطيبة على أقاويل

تفسير السمعاني ج:3 ص:199
تفسير السمعاني ج 3/ص 200
أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون 97 فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم 98
روي عن ابن عباس أنه قال الحياة الطيبة هي الرزق الحلال وعن مجاهد وعكرمة أنها القناعة وفي بعض دعاء النبي اللهم قنعني بما رزقتني وفي منثور الكلام القناعة ملك خفي
والقول الثالث روي عن الحسن البصري قال الحياة الطيبة في الجنة قال الحسن وليس في الدنيا حياة طيبة وعنه أنه قال الدنيا كلها بلاء فما كان فيها من خير فهو ريح وروي أنه سمع رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها أبدا فقال له دعوت الله له بالموت فإن الدنيا لا تخلو عن المكروه
وعن سعيد بن جبير قال الحياة الطيبة رزق يوم بيوم وقيل إنه حلاوة العبادة وأكل الحلال ويقال إنها عيش الإنسان في بلده مع الكفاية والعافية وقيل

مطلق الكفاية والعافية
وقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قد بينا المعنى
قوله تعالى فإذا قرأت القرآن روي عن أبي هريرة أنه قال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد القراءة لأن الله تعالى قال فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وحكى بعضهم عن مالك مثل هذا
والأصح أن الاستعاذة قبل القراءة وقد روي ذلك بروايات كثيرة عن النبي وقد روي عن النبي برواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال له إذا افتتحت القراءة فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وثبت

تفسير السمعاني ج:3 ص:200
تفسير السمعاني ج 3/ص 201

إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون 99 إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون 100 وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل أن النبي قال اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه وأما معنى الآية إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا مثل قوله تعالى يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة وفي بعض الآثار أنه لا شيء أشد على إبليس من الاستعاذة والاستعاذة بالله هي الاعتصام بالله
وقوله من الشيطان الرجيم أي الشيطان المرجوم
وقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا أي ليس له ولاية على الذين آمنوا وقوله وعلى ربهم يتوكلون يقال معناه أنه لا يقدر على إيقاعهم في ذنب ليس لهم منه توبة وقيل إنه لا يقدر على إدخالهم في الشرك وإغوائهم
قوله تعالى إنما سلطانه على الذين يتولونه يعني الذين يدخلون في ولايته ويتبعونه
وقوله والذين هم به مشركون قال بعضهم برب العالمين مشركون وقال ثعلب والذين هم به مشركون أي لأجله مشركون أي لأجل إبليس وهذا معنى صحيح لأن من يشرك بإبليس يكون مؤمنا بالله فالمعنى هذا
قوله تعالى وإذا بدلنا آية مكان آية قال أهل التفسير كان النبي إذا نزلت عليه آية شدة ثم نسخت وأنزلت عليه آية لين قال المشركون انظروا إلى

تفسير السمعاني ج:3 ص:201
تفسير السمعاني ج 3/ص 202
قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون 101 قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين 102 ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه هذا الرجل يبدل كلام الله من قبل نفسه وكانوا يقولون على

طريق الاستهزاء وتبدل الشيء بالشيء فأنزل الله تعالى هذه الآية وإذا بدلنا آية مكان آية أي وضعنا آية مكان آية

وقوله والله أعلم بما ينزل يعني والله أعلم بمنفعة العباد فيما ينزل
وقوله قالوا إنما أنت مفتر أي مختلق وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يعني كلهم لا يعلمون أني أنا المنزل لجميع الآيات الناسخ والمنسوخ
قوله تعالى قل نزله روح القدس أي جبريل وقوله من ربك بالحق أي بالصدق
وقوله ليثبت الذين آمنوا أي ليثبت قلوب الذين آمنوا
وقوله وهدى وبشرى للمسلمين قد بينا المعنى
قوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر الآية اختلفت الأقاويل في معنى قوله بشر روي عن ابن عباس أنه قال هو غلام لعامر بن الحضرمي وكان يقرأ الكتب وكان المشركون يزعمون أن رسول الله يتعلم منه وقال مجاهد هو غلام لحويطب وقال غيره كان اسمه جبر ومنهم من قال غلامان من عين التمر يسمى أحدهما جبر والآخر يسار وكانا يقرآن الكتب بلسانهما وقال بعضهم كان اسمه أبو فكيهة وقيل كان اسمه عايش قالوا كان النبي يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله لسان الذي يلحدون إليه قرئ يلحدون إليه و يلحدون والإلحاد الميل والملحد هو الذي مال عن الحق إلى التعطيل فقوله يلحدون إليه أي يميلون إليه
وقوله يلحدون إليه أي يميلون القول إليه وقال ابن قتيبة يومئون إليه

تفسير السمعاني ج:3 ص:202
تفسير السمعاني ج 3/ص 203
بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين 103 إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم 104 إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون 105 وقوله أعجمي الأعجمي هو الذي لا يفصح بالعربية
وقوله وهذا لسان عربي مبين أي كلام عربي مبين ومعنى الآية أنه كيف يأخذ منهم وهم لا يفصحون بالعربية وقد روي أن ذلك الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه

قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم الله إلى الحق وقد قال في موضع آخر ومن يؤمن بالله يهد قلبه
وقوله ولهم عذاب أليم أي مؤلم
قوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكذبون

فإن قال قائل قد قال إنما يفتري الكذب فأيش معنى قوله وأولئك هم الكاذبون والجواب عنه أن قوله إنما يفتري الكذب هذا إخبار عن فعل الكذب وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم ومعناه أن هذا صفتهم ونعتهم وهذا كالرجل يقول لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن صفتك الكذب وفي بعض المسانيد عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد أنه قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك فقلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك فقلت المؤمن يكذب فقال لا وقرأ قوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال

تفسير السمعاني ج:3 ص:203
تفسير السمعاني ج 3/ص 204
من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم 106 ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين 107 أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون 108 لا جرم أنهم في الآخرة هم الكذب مجانب للإيمان

قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه نزلت الآية في عمار بن ياسر - رضي الله عنه - أخذه المشركون وأكرهوه على سب النبي فطاوعهم في بعض القول ثم جاء إلى النبي فقال له النبي ما وراءك فقال شر يا رسول الله لم يتركني الكفار حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال وكيف وجدت قلبك فقال مطمئنا بالإيمان فقال إن عادوا فعد فأنزل الله تعالى هذه الآية وتقدير الآية من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فحكمه ما بينا وقوله شرح أي فتح قلبه لقبول الكفر
قوله تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة يعني آثروا الحياة الدنيا على الآخرة واعلم أن المؤمن يجوز أن يطلب الدنيا ويطلب الآخرة ولكن لا يؤثر الدنيا على الآخرة إلا الكافر وقوله وأن الله لا يهدي القوم الكافرين لا يرشد القوم الكافرين
قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون أي عما يراد بهم
قوله تعالى لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون أي حقا أنهم في الآخرة هم المغبونون

تفسير السمعاني ج:3 ص:204
تفسير السمعاني ج 3/ص 205

الخاسرون 109 ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم 110 يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل
قوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فتنوا نزلت الآية في قوم كانوا بقوا بمكة من المسلمين وعذبهم المشركون حتى ذكروا كلمة الكفر بلسانهم منهم عمار وخباب وصهيب وغيرهم
وقوله من بعد ما فتنوا أي عذبوا حتى وقعوا في الفتنة ثم إنهم بعد ذلك هاجروا ولحقوا بالنبي وقوله ثم جاهدوا وصبروا يعني على الجهاد والإيمان

وقوله إن ربك من بعدها لغفور رحيم أي من بعد فعلتهم التي فعلوها من إعطاء الكفار بعض ما أرادوا منهم
فإن قال قائل إذا كان ذلك رخصة فلا يحتاج إلى المغفرة والرحمة والجواب أنه يحتمل أنهم فعلوا ما فعلوا ذلك قبل نزول الرخصة
قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فإن قيل كيف قال تجادل وقد سبق ذكر كل ولفظ كل مذكر
والجواب عنه أنه عاد كلمة كل على المؤنث فلهذا المعنى أنث وهذا كما يقال كل امرأة قائمة وما أشبه هذا
وقوله تجادل عن نفسها أي تخاصم عن نفسها ومجادلتهم هي قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقولهم ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك وما أشبه هذا من الأقوال التي ذكرت في القرآن
وقيل تجادل عن نفسها تدفع عن نفسها وروي عن كعب الأحبار أنه قال تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر وجثى على ركبتيه ويقول نفسي نفسي حتى إبراهيم خليل الرحمن فيقول ربي لا أريد إلا نجاة نفسي قال كعب وهو في كتاب الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها

تفسير السمعاني ج:3 ص:205
تفسير السمعاني ج 3/ص 206
نفس ما عملت وهم لا يظلمون 111 وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
وروي أنه قال هذا بين يدي عمر - رضي الله عنه - وقد كان عمر قال له حدثنا ذكرنا وقوله وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية أكثر أهل التفسير أن القرية ها هنا هي مكة - وقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان هو معنى قوله تعالى وارزقهم من الثمرات

وقوله فكفرت بأنعم الله الأنعم جمع النعمة وقوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ذكر الذوق لأن المراد من لباس الجوع والخوف التعذيب ويستقيم أن يقال في التعذيب ذق كما قال تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم
والمعنى أن العذاب يتجدد إدراكه كل ساعة كالذوق
روي أن الله تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حتى أكلوا الطعام المحترقة والعلهز وهو الوبر بالدم حتى كان ينظر أحدهم إلى السماء فيرى كشبه الدخان من الجوع
والخوف هو الخوف من القتل ومن سرايا النبي
والمراد من القرية أهل القرية وهو مثل قوله تعالى واسأل القرية وكذلك قوله آمنة أي آمن أهلها وكذلك مطمئنة
وفي الآية قول آخر وهو أنه كل بلد من بلدان الكفار

تفسير السمعاني ج:3 ص:206
تفسير السمعاني ج 3/ص 207
يصنعون 112 ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون 113 فكلوا مما رزقكم الله حلال طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون 114 إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم 115 ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
وفي الآية قول ثالث وهو أنها المدينة وكفران أهلها بأنعم الله هو ما فعلوا بعد النبي من قتل عثمان وما يعقبه من الأمور وهو قول ضعيف وأما ذكر اللباس في الآية فلأن من جاع لحقه من الهزال والشحوب والتغير ما يزيد ظاهره عما كان من قبل فجعل ذلك كاللباس لجلوده
وقوله بما كانوا يصنعون أي يكفرون
قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم أي محمد وقوله منهم أي نسبهم وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

وقوله فكذبوه أي كفروا به وقوله فأخذهم العذاب وهم ظالمون أي كافرون
قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلال طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون قد بينا المعنى
قوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد معنى قوله باغ أي طالب بذلك ليتقوى على المعصية ولا عاد أي لا يتعدى القدر الذي جوز له من التناول وهذا دليل على أن العاصي في السفر لا يترخص بهذه الرخصة

وقوله فإن الله غفور رحيم ظاهر المعنى
قوله ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب يعني لوصف ألسنتكم الكذب وقوله هذا حلال وهذا حرام المراد منه ما ذكروه في البحيرة والسائبة

تفسير السمعاني ج:3 ص:207
تفسير السمعاني ج 3/ص 208
حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون 116 متاع قليل ولهم عذاب أليم 117 وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 118 ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم 119 إن والوصيلة والحام وقد كانوا يحلونها لقوم ويحرمونها على قوم وقوله لتفتروا على الله الكذب أي لتختلقوا على الله الكذب وقوله إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا يفوزون
قوله تعالى متاع قليل ولهم عذاب أليم أي عيشهم في الدنيا متاع قليل ولهم عذاب أليم أي وجيع
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل معناه ما ذكره في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وقوله وما ظلمناهم أي ما نقصنا من حقهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي هم الذين نقصوا من حقوقهم

قوله تعالى ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة قال أهل العلم وكل من عمل بمعصية فهو من داعي الجهالة وقوله ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا شرط الصلاح هاهنا ومعناه الاستقامة على التوبة وقوله إن ربك من بعدها لغفور رحيم أي من بعد الفعلة التي تابوا عنها
قوله تعالى إن إبراهيم كان أمة في الأمة أقوال أحسن الأقاويل ما حكاه مسروق عن ابن مسعود أنه المعلم للخير وهو الذي يقتدى به ويؤتم وروي أن عبد الله بن مسعود قال بعد موت معاذ بن جبل كان معاذ بن جبل أمة وأراد به هذا المعنى
القول الثاني كان أمة أي إمام هدى والقول الثالث كان أمة أي كان مؤمنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:208
تفسير السمعاني ج 3/ص 209
إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين 120 شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم 121 وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين 122 ثم أوحينا إليك أن ابتع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين 123 إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم

بينهم يوم القيامة فيما بالله وجميع الناس كافرون وقوله قانتا لله قال ابن مسعود مطيعا لله وقال غيره قائما بأوامر الله وقيل دائما على العبادة
وقوله حنيفا أي مخلصا وقيل مستقيما على الدين
قوله ولم يك من المشركين أي ممن يعبد الأصنام وقال بعض أهل المعاني كان يرى العطاء والمنع من الله
قوله شاكرا لأنعمه أي لنعمه وقوله اجتباه وهداه أي اختاره وأرشده وقوله إلى صراط مستقيم أي إلى دين الحق
قوله وآتيناه في الدنيا حسنة قيل هي النبوة وقيل لسان الصدق وقيل التنويه لذكره بطاعته لربه وقيل قبول كل أهل الملل له وقيل ضيافته ودعاء الناس له إلى يوم القيامة وقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين ظاهر المعنى

قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا هذا دليل على أنه يجوز للفاضل أن يتبع المفضول وقوله وما كان من المشركين ظاهر المعنى
وقد قال بعض أهل الأصول إن النبي كان مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته بدليل هذه الآية وقد قيل غير هذا والصحيح أنه كان مأمورا باتباع شريعته في بعض الأشياء وصار ذلك شريعة له
قوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه معناه إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه وقوله اختلفوا فيه أي خالفوا فيه وقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:209
تفسير السمعاني ج 3/ص 210
كانوا فيه يختلفون 124 ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين 125 وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين بعضهم اختلفوا فيه أي حرم بعضهم وأحل بعضهم يعني السبت وقال مجاهد كان الله تعالى أمرهم بالجمعة فأبوا وطلبوا السبت فشدد عليهم فيه وكذلك النصارى أمروا بالجمعة فأبوا وطلبوا الأحد وأعطى الله تعالى الجمعة لهذه الأمة فقبلوا وبورك لهم فيها وفي الباب خبر صحيح قد بيناه من قبل
قوله وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ظاهر المعنى
قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك إلى دين ربك وقوله بالحكمة أي بالقرآن وقيل الحكمة معرفة الأشياء على مراتبها في الحسن والقبح وقيل الدعاء بالحكمة هو الرد عن القبيح إلى الحسن بشرط العلم
وقوله والموعظة الحسنة الموعظة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب وقيل الموعظة الحسنة هي القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف
وقوله وجادلهم بالتي هي أحسن أي مع الإعراض عن أذاهم لك والصبر على مكروههم وقد نسخ هذا بآية السيف

وقوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ظاهر المعنى قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أكثر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت فيما فعله المشركون بحمزة وأصحابه فإنه يروى أن النبي - - مر عليه وقد بقر بطنه وأخذ كبده وقطعت مذاكيره وجعلت في فيه فرأى أمرا فظيعا فقال لئن قدرت عليهم لأمثلن بسبعين منهم وروي أن الصحابة قالوا قريبا

تفسير السمعاني ج:3 ص:210
تفسير السمعاني ج 3/ص 211
واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون 127 إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون 128 من هذا القول فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقد قال زيد بن أسلم والضحاك إن الآية مكية وليست في حمزة وأصحابه والأصح هو الأول
وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني لئن عفوتم لهو خير للصابرين أي خير للعافين وقد تحقق هذا العفو في حق وحشي قاتل حمزة بعدما أسلم وكذلك هذا في كل المشركين الذين أسلموا
قوله تعالى واصبر وما صبرك إلا بالله أي بمعونة الله وقوله ولا تحزن عليهم أي لا تحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام
وقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون قرئ في ضيق ومعنى القراءتين لا يضيقن صدرك مما يمكرون أي يشركون وقيل مما فعلوا من الأفاعيل
قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يعني اتقوا المناهي والذين هم محسنون بأداء الفرائض وقوله مع بالحفظ والنصرة والمعونة والله أعلم

تفسير السمعاني ج:3 ص:211

تفسير السمعاني ج 3/ص 220
تفسير السمعاني ج 3/ص 212
سورة الإسراء
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى تفسير سورة بني إسرائيل وهي مكية إلا خمس آيات سنذكرها في مواضعها

وروي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادي وهن من العتاق الأول
قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده سبحان تنزيه الله من كل سوء وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة ووصفه بالبراءة من كل نقص
وكلمة سبحان كلمة ممتنعة لا يحوز أن يوصف بها غير الله لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله ولا تنصرف حسب ما ينصرف كثير من المصادر لأنه لما لم يستقم الوصف به لغير الله ولم تتصرف جهاته لزم أيضا منهاجا واحدا في الصرف
وأما التسبيح في القرآن على وجوه قد ورد بمعنى الصلاة قال الله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين أي من المصلين
وورد بمعنى الاستثناء قال الله تعالى قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي تستثنون
وورد بمعنى التنزيه وهو قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده وورد في الخبر بمعنى النور وهو في الخبر الذي قال لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أي نور وجهه وقد ورد في الخبر عن النبي أنه فسر سبحان الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:212
تفسير السمعاني ج 3/ص 213
بعبده ليلا من المسجد الحرام بتنزيه الله من كل سوء
وقوله أسرى بعبده يقال أسرى به إذا سيره ليلا وكذا سرى به قال الشاعر
وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت
وقوله بعبده أي بمحمد وقد روي عن النبي أنه قال إن الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا
وقوله ليلا ذكر ليلا لينبه أنه كان في طائفة منه
وقرأ ابن مسعود أسرى بعبده من الليل وقوله من المسجد الحرام اختلفوا في الموضع الذي أسري منه برسول الله فأحد القولين أنه من المسجد الحرام وعليه يدل ظاهر الآية
وعن محمد بن علي الباقر أن النبي قال كنت نائما في الحجر فأتاني جبريل - عليه السلام - وحركني حركة لطيفة وقال يا محمد قم وافدا إلى ربك

والقول الثاني أنه أسرى به من بيت أم هانيء بنت أبي طالب وهذا في رواية أبي صالح عن ابن عباس

تفسير السمعاني ج:3 ص:213
تفسير السمعاني ج 3/ص 214
إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير 1

واختلف القول في الوقت الذي أسرى به قال مقاتل كان قبل الهجرة بسنة ويقال إنه كان في رجب ويقال في رمضان وقال بعضهم أسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله أعلم
وقوله إلى المسجد الأقصى يعني إلى مسجد بيت المقدس وسماه الأقصى لبعده من المسجد الحرام
وقوله الذي باركنا حوله يعني بالماء والشجر وقيل باركنا حوله لأنه مواضع الأنبياء ومهبط الملائكة
قوله لنريه من آياتنا أي من عجائب قدرتنا وقد رأى هناك الأنبياء ورأى آثارهم
وقوله إنه هو السميع البصير - ذكر السميع ها هنا لينبه على أنه المجيب لدعائه وذكر البصير لينبه على أنه كان الحافظ له في ظلمة الليل
وأما الكلام في الإسراء فاختلف القول على أنه أسري بجسمه وروحه أم بروحه فالأكثرون على أنه أسري بجسمه وروحه جميعا وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت ما فقد جسم رسول الله وإنما أسري بروحه
وقد تواترت الأخبار الصحيحة على ما يوافق القول الأول وأتمها حديث أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي وفيه أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماء واستفتح جبريل السماء الدنيا فقيل له ومن معك فقال محمد عليه السلام
فقالوا أوبعث قال نعم

تفسير السمعاني ج:3 ص:214
تفسير السمعاني ج 3/ص 215

قالوا مرحبا به فنعم المجيء جاء وهكذا في كل سماء وذكر فيه أنه رأى في السماء الدنيا آدم - عليه السلام - وفي السماء الثانية ابني الخالة عيسى ويحيى وفي السماء الثالثة يوسف وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام وفي السماء الخامسة هارون وفي السماء السادسة موسى وفي السماء السابعة إبراهيم وفيه أنه قال رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا نبقها كقلال هجر ورأيت أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران فأما الباطنان في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وذكر فيه أن الله تعالى فرض عليه خمسين صلاة القصة بطولها إلى أن ردت إلى الخمس
وقد روى شبها بهذه القصة جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأبو موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهم
وروى معمر عن قتادة عن أنس عن النبي أن جبريل عليه السلام جاء بالبراق مسرجا ملجما فأراد الرسول أن يركبها فاستعصت عليه فقال لها جبريل والله ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض به عرقا ذكره أبو عيسى في جامعه
وقد ثبت عن النبي أنه قال أتيت بدابة دون البغلة وفوق الحمار خطوها عند منتهى بصرها وثبت أيضا عن النبي أنه قال رأيت موسى ليلة أسري بي كأنه

من رجال شنوءة ورأيت عيسى ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس ورأيت

تفسير السمعاني ج:3 ص:215
تفسير السمعاني ج 3/ص 216
وآتينا موسى الكتاب إبراهيم وصاحبكم أشبه الناس به
وفي هذا الخبر أنه قال أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فأخذت اللبن وشربته فقال جبريل أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك

وفي القصة أنه لما أصبح تحدث الناس بمسراه ففتن كثير من الناس وارتد جماعة ممن آمن به وصدق وجاء المشركون إلى أبي بكر - رضي الله عنه - وقالوا له ألا ترى إلى صاحبك يحدث أنه أسري به إلى بيت المقدس ورجع من ليلته ونحن نضرب أكباد الإبل شهرا حتى نصل إليه فقال أبو بكر إن كان قال ذلك فقد صدق فقالوا له أتصدق بمثل هذا قال نعم وأكثر منه فأنا أصدقه أنه يأتيه خبر السماء في غدوة أو روحة
وقد ثبت عن النبي أنه قال كنت قائما في الحجر فرفع لي بيت المقدس فجعلت أنعته لهم وهذا حين سألوه عن وصفه
وفي القصة أن المشركين سألوه عن ركب لهم في الطريق فقال قد بلغ موضع كذا ويقدمه جمل أورق قالوا ومتى يصل قال مع طلوع الشمس فخرج بعضهم يرتقبون العير وبعضهم يرتقبون طلوع الشمس فقال أولئك هذا العير قد أقبل وقال هؤلاء هذه الشمس قد طلعت

تفسير السمعاني ج:3 ص:216
تفسير السمعاني ج 3/ص 217
وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا 2 ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا 3 وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض
وروي أنه قال مررت بإناء مغطى وهو ملآن ماء فشربت بعضه وتركته فسئل الركب عن ذلك فأخبروا بصورته
قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب الآية يعني أعطينا موسى الكتاب وهو التوراة وقوله وجعلناه هدى لبني إسرائيل أي يهتدي به بنو إسرائيل وقوله ألا تتخذوا قرئ بقراءتين بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه وآتينا موسى الكتاب آمرين ألا تتخذوا ومن قرأ بالياء فمعناه وعهدنا إليهم ألا يتخذوا قوله من دوني وكيلا أي شريكا وقيل معناه أمرناهم أن لا يتوكلوا على غيري ولا يتخذوا أربابا دوني

قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح معناه يا ذرية من حملنا مع نوح وقرأ مجاهد بنصب الذال وعن زيد بن ثابت في بعض الروايات ذرية من حملنا مع نوح بكسر الذال وإنما قال ذرية من حملنا مع نوح لأن الخلق الآن من أولاد نوح على ما بينا من قبل
وقوله من حملنا أي في السفينة
وقوله إنه كان عبدا شكورا سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وقيل كان اسمه عبد الغفار ذكره النقاش في تفسيره
وأما شكره فروي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله وإذا شرب قال الحمد الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:217
تفسير السمعاني ج 3/ص 218
مرتين ولتعلن علوا كبيرا 4 فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس وإذا لبس قال الحمد الله وفي بعض الروايات أنه إذا دخل قال الحمد الله وإذا خرج قال الحمد الله وكذا في القيام والقعود
وروي أنه لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى فقال إنه كان عبدا شكورا أي كثير الشكر
قوله تعالى وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب الآية القضاء فصل الأمر بالأحكام ومعنى قضينا ها هنا أي أوحينا وأعلمنا
وقيل معناه وقضينا على بني إسرائيل في الكتاب
وقوله لتفسدن في الأرض مرتين أي لتعصن في الأرض مرتين وقوله ولتعلن أي لتتعظمن وتبغن وتتكبرن
وقوله علوا كبيرا أي كبرا عظيما
قوله تعالى فإذا جاء وعد أولاهما يعني أولى المرتين وفي القصة أن فسادهم في المرة الأولى وكان بقتل إشعيا النبي - عليه السلام - وارتكابهم المعاصي ورفضهم ما أمروا به وفي بعض التفاسير أنهم عبدوا الأوثان
والأرض المذكورة أرض الشام وأرض بيت المقدس وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا هذا البعث هو مثل قوله تعالى أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين فيجوز أن تكون بمعنى التسليط ويجوز أن تكون بمعنى التخلية بينهم وبين القوم
واختلفت الأقاويل في أنهم من كانوا

قال ابن عباس هم جالوت وقومه وقال سعيد بين المسيب بخت نصر الفارسي

تفسير السمعاني ج:3 ص:218
تفسير السمعاني ج 3/ص 219

شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا 5 ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا 6 إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن وقال غيره سنحاريب الملك وقال بعضهم العمالقة وأظهر الأقاويل أنه بخت نصر وروي عن مجاهد أنه قال ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين - عليهما السلام - وأما الكافران فنمروذ وبخت نصر
قال الشيخ الإمام الأجل أخبرنا بهذا أبو على الشافعي بمكة قال أخبرنا أبو الحسن بن فراس قال أنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي وقال أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال أنا سفيان بن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد
وقوله أولي بأس شديد أي أولي قوة شديدة
وقوله فجاسوا خلال الديار والجوس طلب الشيء بالاستقصاء
قال الزجاج طلبوا خلال الديار هل بقي أحد فيقتل وخلال الديار وسط الديار
وقوله وكان وعدا مفعولا أي وعدا لا بد منه قال الشاعر
في الجوس جسنا إليك الليل بالمطي
قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم أي الدولة عليهم وفي القصة أن هذا التخريب كان بعد ملك سليمان وأن بخت نصر قتل المقاتلة وسبى الذرية وخرب بيت المقدس وألقى الجيف في مسجده وكان من موت عزير النبي مائة سنة في هذا التخريب وما قص الله من أمره في سورة البقرة ثم إن الله تعالى رد الدولة إلى بني إسرائيل حتى عمروا ما خرب
وفي بعض القصص أن الله تعالى أرسل ملكا إليهم حتى رد العمارات واستنقذ

تفسير السمعاني ج:3 ص:219

أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا 7 الأسارى وعاد البلد أفضل مما كان فهذا معنى قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم وفي تعذيب بخت نصر ومسخه قصة طويلة ليس هذا موضعه
وقوله وأمددناكم بأموال وبنين ظاهر المعنى وقوله وجعلناكم أكثر نفيرا أي أكثر عددا
قال الشاعر
وأكرم بقحطان من معشر وحمير أكرم بقوم نفيرا
قوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم يعني جلبتم النفع إليها
وقوله وإن أسأتم فلها أي فعليها
وقوله فإذا جاء وعد الآخرة يعني وعد الكرة الآخرة وقوله ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة قرئ هكذا وقرئ ليسوء وجوهكم
مقصور وعن علي - رضي الله عنه - لنسوء وجوهكم بالنون وهو اختيار الكسائي وفي الشاذ لنسوء وجوهكم بفتح اللام أما قوله ليسوء وجوهكم بالياء يعني أولئك القوم يسوءوا وجوهكم وقوله ليسوءوا وجوهكم أي ليسوء الوعد

وجوهكم
وقوله لنسوء بالنون ظاهر المعنى وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن
وقوله وليتبروا ما علو تتبيرا أي ليخربوا ويدمروا ما علوا عليه - أي ما ظهروا - تخريبا
قال الشاعر
وما الناس إلا عاملان فعامل
يتبر ما يبني وآخر رافع
وفي القصة أن فسادهم الثاني كان بقتل يحيى بن زكريا - عليهما السلام -

---

تفسير السمعاني ج:3 ص:220
تفسير السمعاني ج 3/ص 221
عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا 8 إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وكان سبب قتله أن بغية من بغايا بني إسرائيل طلبت من الملك أن يقتله فقتله فلما قتله ووقع دمه على الأرض جعل يغلي فلا يسكن بشيء وسلط الله عليهم عدوهم

فقيل إن العدو في الكرة الثانية كان بخت نصر وفي الأولى جالوت وقيل إن العدو في المرة الثانية كان ملكا من الروم جاء وخرب بيت المقدس وقتل المقاتلة وسبى الذرية
فروي أنه استصعب عليه فتح المدينة فقالت عجوز أيها الملك أتريد أن تفتح هذه المدينة فقال نعم فقالت قل اللهم إني أستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا فقال هذا القول فتساقطت حيطان المدينة فدخل بالسيف يقتل ووصل إلى المكان الذي يغلي فيه دم يحيى فقال لأقتلن عليه الناس حتى يسكن الدم فقتل عليه أربعين ألفا فلم يسكن فقتل خمسين ألفا فلم يسكن فقتل ستين ألفا فلم يسكن فقال والله لا أزال أقتل عليه حتى يسكن فاستكمل سبعين ألفا فسكن وقيل ثمانين ألفا
وقوله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا قال مجاهد عسى من الله واجب
وقوله أن يرحمكم أي يرد الدولة إليكم بعد زوالها وفي القصة أن الله تعالى رد إليهم الدولة وعمر بيت المقدس بعد ما خرب و عاد ملكم على ما كان
وقوله وإن عدتم عدنا معناه وإن عدتم إلى المعصية عدنا إلى الانتقام فروي عن إبراهيم النخعي أنه قال عادوا إلى المعصية فانتقم الله منهم بالعرب فهم مقهورون مستذلون إلى يوم القيامة وقيل بمحمد والقولان متقاربان في المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:221

تفسير السمعاني ج 3/ص 222
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا 9 وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما 10 ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير
وكان وقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال مجاهد محبسا وقيل حصيرا أي حاصرا فعيل بمعنى فاعل قاله ابن قتيبة
والحصر هو الحبس والسجن يسمى حصيرا في اللغة
قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه قولان أحدهما للكلمة التي هي أقوم وأقوم أي أعدل والكلمة هي شهادة أن لا إله إلا الله

(3/201)

والقول الثاني قاله الزجاج يهدي للتي هي أقوم أي للحال التي هي أقوم
والحال التي هي أقوم توحيد الله واتباع رسله وطواعيته في أوامره
وقوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات يعني القرآن يبشر الذين يعملون الصالحات
وقوله أن لهم أجرا كبيرا أي عظيما
وقوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة معناه ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أنا أعتدنا لهم عذابا أليما أي أعددنا والبشارة هاهنا بمعنى الخبر لأن العرب لا تضع البشارة إلا في موضع السرور
وحقيقة المعنى أي ضع هذا الخبر لهم موضع البشارة
قوله تعالى ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا دعاء الإنسان بالشر هو أن يدعو على نفسه وأهله وولده حالة الغضب فيقول اللهم أهلكهم اللهم العنهم وربما يقول لنفسه هذه المقالة
وقوله دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير ويقال إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث فإنه قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

تفسير السمعاني ج:3 ص:222
تفسير السمعاني ج 3/ص 223
الإنسان عجولا 11
فاستجاب الله له وضربت عنقه صبرا يوم بدر
وروي عن النبي أنه قال اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر وأيما مسلم لعنته أو سببته فاجعلها له صلاة ورحمة
وفي بعض الأخبار أتى النبي بأسير فسلمه إلى سودة بنت زمعة لتحفظه وكان الأسير أتى مشدودا فجعل جميع الليل يئن فقامت سودة وأرخت من وثاقه فهرب الأسير فلما دخل رسول الله قال لها أين الأسير فذكرت له ذلك فقال قطع الله يدك وبعث خلف الأسير من رده فأخرجت سودة يدها ليجيء من يقطعها بدعاء النبي فدخل عليها النبي ورآها على تلك الحالة فسألها ممن هذا فقالت لدعائك يا رسول الله فقال رسول الله اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر الخبر

وقوله وكان الإنسان عجولا يعني أنه يعجل بدعاء الشر والله لا يعجل بالإجابة
وفي الآية قول وهو أن هذا في آدم صلوات الله عليه وفي القصة أن الله تعالى أدخل الروح في رأسه فجعل ينظر إلى نفسه كيف يخلق فلما بلغ الروح وسطه أراد أن يقوم فلم يقدر فقال الله تعالى وخلق الإنسان عجولا
هذا محكي عن قتادة وغيره وعن سلمان الفارسي أن الله خلق آدم في آخر ساعة

تفسير السمعاني ج:3 ص:223
تفسير السمعاني ج 3/ص 224
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب من يوم الجمعة فجعل الروح تجري في جسده ويحيى آدم فنظر إلى الشمس وهي تغرب فقال يا رب قبل الليل -أي أتم خلقي قبل الليل- فقال الله تعالى وخلق الإنسان عجولا
وفي أصل الآية قول آخر وهو أن معنى قوله ويدعو الإنسان بالشر أي يدعو بفعل المعصية كما يدعو بفعل الطاعة قال الشاعر
عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل
والصحيح ما قدمنا من قبل
قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين أي علامتين دالتين على أن لهما إلها واحدا
وقيل علامتين على الليل والنهار والمراد من الليل والنهار هو الشمس والقمر
وقوله فمحونا آية الليل روي عن علي وابن عباس أنهما قالا المحو هو السواد الذي في القمر
وفي بعض الآثار أن ابن الكواء قام إلى علي فسأله عن هذا فقال أعمى -أراد عمى القلب- يسأل عن عمياء ثم قال هو السواد الذي في القمر وقيل إن معنى قوله فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل بحيث لا يبصر فيه كما لا يبصر الكتاب إذا محي

وقال قتادة وجماعة من المفسرين وهو محكي أيضا عن ابن عباس قالوا إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين نيرين كل واحد منهما مثل الآخر في الضياء فلم يكن يعرف الليل من النهار والنهار من الليل فأمر جبريل حتى مسح بجناحه

تفسير السمعاني ج:3 ص:224

تفسير السمعاني ج 3/ص 225
وكل شيء فصلناه تفصيلا 12 وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا 13 اقرأ كتابك وجه القمر
قال مقاتل انتقص مما كان تسعة وستون جزءا وبقي جزء واحد
وقوله وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة نيرة وقيل ذات أبصار أي يبصر بها
وقوله لتبتغوا فضلا من ربكم بالنهار
وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب أي عدد السنين وحساب الشهور والأيام
وقوله وكل شيء فصلناه تفصيلا أي بيناه تبيينا
قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه روى عطاء عن ابن عباس قال معناه ما قدر له من خير وشر
وعن مجاهد عمله من خير وشر وعن الضحاك أجله ورزقه وسعادته وشقاوته
وعن أبي عبيدة قال حظه وقيل كتابه
وعن مجاهد في رواية أخرى ورقة متعلقة في عنقه مكتوب فيها شقي أو سعيد والأقوال متقاربة وإنما سمي طائرا أي ما طار له من خير أو شر وهذا على جهة التمثيل والتشبيه ومن ذلك السوانح والبوارح فالسانح هو الذي يطير من قبل اليمين فيتبرك به الإنسان والبارح هو الذي يطير من قبل الشمال فيتشاءم به الإنسان قال الشاعر
تطير غدائر الإشراك شفعا ووترا والزعامة للغلام
وقوله ونخرج له يوم القيامة وقرىء ويخرج له بالياء أي الطائر يخرج له

تفسير السمعاني ج:3 ص:225
تفسير السمعاني ج 3/ص 226

كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا 14 من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا 15 وإذا أردنا وقرىء ويخرج له يوم القيامة كتاب على ما لم يسم فاعله وقرىء ويخرج بفتح الياء يعني عمله يخرج كتابا يوم القيامة كأنه يتحول العمل كتابا في القيامة
وقوله يلقاه قرأ الحسن يلقاه بضم الياء من التلقية وهذا في الشاذ
وقوله منشورا في الآثار أن الله تعالى يأمر الملكين بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا ينشر إلى يوم القيامة وهذا في معنى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت
قوله اقرأ كتابك فيه إضمار وهو أنه يقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ كل إنسان سواء كان قارئا في الدنيا أو لم يكن قارئا
وقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي شاهدا قال الحسن عدل معك من جعلك حسيب نفسك
وقال بعضهم يقال له هذا كتاب كان لسانك قلمه وريقك مداده وجوارحك قرطاسه وكتب المملي على كاتبيك فاقرأ ما أمليت والله أعلم
قوله تعالى من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه أي نفع اهتدائه له

وقوله ومن ضل فإنما يضل عليها أي وبال ضلالته عليه
وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يقال نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة فإنه قال لمن أسلم ارجعوا إلى دينكم القديم فإني أحمل أوزاركم فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه أنه لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وقيل ليس لأحد أن يذنب فيقول فلان قد أذنب فأنا أتبعه فإني لا آخذ أحدا بذنب أحد
وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا هذا دليل على أن ما وجب وجب

تفسير السمعاني ج:3 ص:226
تفسير السمعاني ج 3/ص 227
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
16 بالسمع لا بالعقل فإن الله تعالى نص أنه لا يعذب أحدا حتى يبعث الرسول

وفي بعض المسانيد عن أبي هريرة أنه قال إن الله تعالى يبعث يوم القيامة أهل الفترة و المعتوه والأصم والأبكم والأخرس والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام فيؤجج لهم نارا فيقول ادخلوها فيقولون كيف ندخلها ولم تبعث إلينا رسولا ولو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما فيرسل الله إليهم رسولا فيطيعه من علم الله أنه يطيعه ويعصيه من علم الله أنه يعصيه فيفصل بينهم على ذلك
قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أي أهل قرية وقرىء أمرنا مترفيها والمعروف هذا وقرىء آمرنا -بالمد- مترفيها وهذل محكي عن علي وقرئ أمرنا بالقصر والتشديد وقرئ أمرنا- بكسر الميم- مترفيها وهذا محكي عن ابن عباس
أما قوله أمرنا فيه قولان أحدهما معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا وهكذا روي عن ابن عباس وجماعة من التابعين منهم ابن جريج وغيره
والقول الثاني أمرنا أي أكثرنا يقال أمر القوم إذا كثروا قال الشاعر
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا يوما يصيروا للهلك والنكد
وأنكر الكسائي أن يكون أمرنا بمعنى أكثرنا وقال هو آمرنا بمعنى أكثرنا وهذا هو اللغة الغالبة
وأما أبو عبيدة فقال تقول العرب أمرنا بمعنى أكثرنا وإنما احتجنا إلى هذا التأويل لأن الله تعالى لا يأمر بالمعاصي
وهذا باتفاق الأمة وفي الآية سؤال معروف وهو أنه يقال كيف يأمر مترفيها بالفسق والله تعالى يقول إن الله يأمر بالعدل والإحسان ويقول إن الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:227
تفسير السمعاني ج 3/ص 228
وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا 17
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها

مذموما مدحورا 18 ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا 19 لا يأمر بالفحشاء والجواب ما سبق

وفي الآية قول ثالث وهو أنه معنى قوله أمرنا مترفيها أي بعثنا وفي قراءة أبي بن كعب وإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا مترفيها وأما قوله أمرنا بالتشديد أي سلطنا
وقيل أمرنا أي جعلناهم أمراء فيجوز أن يكون بعثنا على هذا المعنى
وأما أمرنا -بكسر- الميم فقد ذكروا أنه ضعيف في اللغة
وقوله مترفيها أي منعميها والمترف الملك المنعم أورده ثعلب
وقوله ففسقوا فيها أي عصوا فيها فحق عليها القول أي وجب عليها العذاب
وقوله فدمرناها تدميرا أي أهلكناها إهلاكا
قوله تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح اختلفوا في القرن فقال بعضهم القرن مائة وعشرون سنة وقال بعضهم مائة سنة وقال بعضهم ثمانون سنة وقال بعضهم أربعون سنة والمراد من القرون أهل القرون
وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ظاهر المعنى
قوله تعالى من كان يريد العاجلة أي الدنيا وهذا وصف الكفار لأنهم الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة والآية في قوم أرادوا العاجلة فحسب
وقوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يعني لمن نريد إهلاكه
وقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها أي يدخلها وقيل يقاسي حرها
وقوله مذموما مدحورا والمذموم من الذم والمدحور هو المطرود والمبعد من

تفسير السمعاني ج:3 ص:228
تفسير السمعاني ج 3/ص 229
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا 20 انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا 21 رحمة الله يقال دحره عن كذا أي أبعده
قوله تعالى ومن أراد الآخرة أي طلب الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن أي عمل لها عملها وهو مؤمن
وقوله فأولئك كان سعيهم مشكورا أي مقبولا
ويقال إن الشكر من الله هو قبول الحسنات والتجاوز عن السيئات وقيل معنى الآية أنه وضع أعمالهم الموضع الذي يشكر عليها

قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء يعني المؤمنين والكفار
وقوله من عطاء ربك أي من رزق ربك
وقوله وما كان عطاء ربك محظورا أي ممنوعا

وأجمع أهل التفسير أن معنى عطاء ربك في هذه السورة هو الدنيا فإن الآخرة للمتقين وليس للكفار فيها نصيب
وفي بعض المسانيد عن النبي أنه قال إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب
قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض يعني الدنيا ومعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:229
تفسير السمعاني ج 3/ص 230
لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا 22 لتفضيل هو التقتير والتوسيع والتقليل والتكثير والقبض والبسط وقد روي في بعض الآثار أن الله تعالى عرض ذرية آدم على آدم فرأى فيهم تفاوتا شديدا فقال رب هلا سويت بين خلقك فقال يا آدم أردت أن أشكر
وقوله وللآخرة أكبر درجات قد بينا أن الدرجة ما بين السماء والأرض
وفي بعض المسانيد عن أبي هريرة عن النبي أنه قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين خمسمائة سنة
وقوله وأكبر تفضيلا أي أعظم تفضيلا
وفي الأخبار أن النبي قال إن المؤمنين يدخلون الجنة بإيمانهم ويقتسمون الدرجات بأعمالهم
قوله تعالى لا تجعل مع الله إلها آخر فيه قولان أحدهما أن الخطاب مع الرسول والمراد فيه الأمة وقد بينا نظير هذا من قبل
والقول الآخر لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلها آخر وهذا الخطاب مع كل أحد
وقيل إن المراد منه النبي على ما هو الظاهر وهو وإن كان معصوما فلم يسقط عنه الخطاب بالاحتراز والمباعدة عن الكفر
وقوله فتقعد مذموما مخذولا أي مذموما من غير حمد ومخذولا من غير نصر

تفسير السمعاني ج:3 ص:230

تفسير السمعاني ج 3/ص 231
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو
وقيل مخذولا أي متروكا من العصمة والله تعالى إذا ترك العبد فقد أهلكه
ومعنى قوله فتقعد أي فتكون مأفوكا وتبقى مخذولا
قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه قرأ عبد الله بن مسعود ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وقال الضحاك كان في الأصل ووصى إلا أنه اتصل الواو بالصاد في الكتابة فقرىء وقضى والمعروف هو قوله وقضى وعليه اتفاق القراء

ومعناه وأمر ربك وحقيقة القضاء هو إحكام الشيء وإمضاؤه على وجه الفراغ منه ومنه قولهم قضى القاضي بين الخصمين ومنه قوله تعالى ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي أفرغوا ما في أنفسكم وامضوه فعلى هذا معنى قوله وقضى ربك أي حكم عليهم ربك حكم تعبد
ومعنى الفراغ هاهنا هو إتمام التعبد وفي بعض التفاسير أن رجلا أتى الحسن البصري وقال إني طلقت امرأتي ثلاثا فقال عصيت ربك وبانت منك امرأتك فقال الرجل كذلك كان قضاء الله فقال الحسن كذبت ما قضى الله أي ما أمر الله وكان الحسن فصيحا فلم يفهم الناس قوله فذكروا أنه ينكر القدر
وفي بعض الروايات أنه قيل له إن بني أمية يقتلون الناس ويقولون كذا قضاء الله فقال الحسن كذب أعداء الله ومعناه ما بينا
وقيل إنه أنكر جعلهم ذلك علة لقتلهم ذكره ابن قتيبة في المعارف
وقوله ألا تعبدوا إلا إياه يعني أن توحدوه ولا تشركوا به وقوله وبالوالدين إحسانا أي أمر أن تحسنوا بالوالدين إحسانا
وقد ثبت عن النبي برواية ابن مسعود أنه سأل رسول الله فقال أي الذنوب أعظم فقال الإشراك بالله قال ثم أي قال عقوق الوالدين

تفسير السمعاني ج:3 ص:231
تفسير السمعاني ج 3/ص 232
كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما 23

وقوله إما يبلغان وقرئ إما يبلغن عندك الكبر فقوله يبلغان ينصرف إليهما فعلى هذا قوله أحدهما أو كلاهما على وجه الاستئناف
وقوله يبلغن ينصرف إلى أحدهما فقوله أو كلاهما على البدل منه
وقوله فلا تقل لهما أف قرئ أف بكسر الفاء و أف بفتح الفاء و أف بكسر الفاء والتنوين قالوا وفيه ست لغات أفا وأف وأف الثلاثة بالتنوين وأف وأف وأف بغير التنوين
قال الأصمعي الأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار وقيل الأف وسخ الأظفار والتف الشيء الحقير وحقيقته أنه كلمة تقال عند الضجر من الشيء واستثقاله وقيل الأف بأدنى ما يتبرم به فمنى الآية لا يتبرم بهما ولا يستثقل معالجة أذاهما وذكر مجاهد أنه عند الحدث وذكر البول وصاحبه أنه لا يستثقل معالجتهما في ذلك كما لم يستثقلا معالجته
وقوله ولا تنهرهما الانتهار من النهر و هو الزجر بالإغلاظ والصياح
وقوله وقل لهما قولا كريما أي قولا لينا
وعن محمد بن علي الباقر قال شر الآباء من يحمله البر على الإفراط وشر الأبناء من يحمله التقصير على العقوق
وعن علي - رضي الله عنه - قال لو علم الله شيئا أبلغ في الزجر من قوله أف لنهى عن ذلك ثم قال علي ليعمل البار ما شاء فلن يدخل النار وليعمل العاق ما يشاء فلن يدخل الجنة

وفي الأخبار عن النبي أنه قال البر يزيد في العمر وذكر مسلم في

تفسير السمعاني ج:3 ص:232
تفسير السمعاني ج 3/ص 232
كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما 23
وقوله إما يبلغان وقرئ إما يبلغن عندك الكبر فقوله يبلغان ينصرف إليهما
فعلى هذا قوله أحدهما أو كلاهما على وجه الاستئناف
وقوله يبلغن ينصرف إلى أحدهما فقوله أو كلاهما على البدل منه

(3/210)

وقوله فلا تقل لهما أف قرئ أف بكسر الفاء و أف بفتح الفاء و أف بكسر الفاء والتنوين قالوا وفيه ست لغات أفا وأف وأف الثلاثة بالتنوين وأف وأف وأف بغير التنوين
قال الأصمعي الأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار وقيل الأف وسخ الأظفار والتف الشيء الحقير وحقيقته أنه كلمة تقال عند الضجر من الشيء واستثقاله وقيل الأف بأدنى ما يتبرم به فمنى الآية لا يتبرم بهما ولا يستثقل معالجة أذاهما وذكر مجاهد أنه عند الحدث وذكر البول وصاحبه أنه لا يستثقل معالجتهما في ذلك كما لم يستثقلا معالجته
وقوله ولا تنهرهما الانتهار من النهر و هو الزجر بالإغلاظ والصياح
وقوله وقل لهما قولا كريما أي قولا لينا
وعن محمد بن علي الباقر قال شر الآباء من يحمله البر على الإفراط وشر الأبناء من يحمله التقصير على العقوق
وعن علي - رضي الله عنه - قال لو علم الله شيئا أبلغ في الزجر من قوله أف لنهى عن ذلك ثم قال علي ليعمل البار ما شاء فلن يدخل النار وليعمل العاق ما يشاء فلن يدخل الجنة
وفي الأخبار عن النبي أنه قال البر يزيد في العمر وذكر مسلم في

تفسير السمعاني ج:3 ص:232
تفسير السمعاني ج 3/ص 233
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا 24
ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين الصحيح برواية سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي قال رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه فقيل من يا رسول الله قال من أدرك أبويه على الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة
وروى عامر بن ربيعة أن رجلا أتي النبي فقال إن أبوي قد توفيا فهل بقي شيء أبرهما به فقال نعم إنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما والاستغفار لهما والصدقة عنهما
قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة معناه وألن جانبك لهما

وعن عائشة - رضي الله عنها - أطعهما ما أمراك والخفض هو التواضع وجناح الذل ترك الاستعلاء مأخوذ من استعلاء الطائر بجناحيه
وقوله من الرحمة أي من الشفقة والعطف
وقرأ عاصم الجحدري ويحيى بن دثار واخفض لهما جناح الذل - بكسر الذال - فالذل - بضم الذال - من التذلل أي كن لهما كالذليل المقهور والذل - بكسر الذال - من الانقياد والطاعة
وعن سعيد بن المسيب قال كن بين يديهما كالعبد المذنب بين يدي السيد الفظ الغليظ

تفسير السمعاني ج:3 ص:233
تفسير السمعاني ج 3/ص 234
فإنه كان للأوابين غفورا 25 وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا 26
وقوله وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي كما رحماني بتربيتي صغيرا
قوله تعالى ربكم أعلم بما في نفوسكم أي بما في قلوبكم وقوله إن تكونوا صالحين أي مطيعين
وقوله فإنه كان للأوابين غفورا ووجه اتصال الآية بما قبلها هو أن الله تعالى قال ربكم أعلم بما في نفوسكم من العقوق والبر فإن بدرت من بار بدرة من العقوق فإن الله كان للأوابين غفورا يعني للتوابين غفورا
وفي الأواب أقوال كثيرة روي عن ابن عباس أنه قال هو الذي يرجع من الشر إلى الخير وعن سعيد بن المسيب هو الذي كلما أذنب تاب وإن كثر وعن عبيد بن عمير هو الذي لا يقوم من مجلس حتى يستغفر الله من ذنوبه وقيل إن الأواب هو المسبح قال الله تعالى يا جبال أوبي معه وعن محمد بن المنكدر قال الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء وتسمى الصلاة في ذلك الوقت صلاة الأوابين وعن عون العقيلي قال الأواب هو الذي يصلي الضحى وعن السدي قال هو الذي يذنب سرا ويتوب سرا
وأصل الأواب هو الراجع قال الشاعر
يومان يوم مقامات وتفدية ويوم سير على الأعداء تأويب

قوله تعالى وآت ذا القربى حقه الأكثرون على أن ذا القربى ها هنا قرابة الإنسان ومعنى الآية الأمر بصلة ذوي الأرحام
وعن علي بن الحسين قال ذا القربى ها هنا قرابة الرسول وقوله والمسكين

تفسير السمعاني ج:3 ص:234
تفسير السمعاني ج 3/ص 235
إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا 27 وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا 28 أي السائل الطواف
وقوله وابن السبيل قيل المنقطع به وقيل الضيف وقوله ولا تبذر تبذيرا أي لا تسرف إسرافا
والتبذير هو الإنفاق في غير طاعة الله تعالى وعن عثمان بن الأسود قال كنت أطوف مع مجاهد بالبيت فقال لو أنفق عشرة آلاف درهم في طاعة الله ما كان مسرفا ولو أنفق درهما واحدا في معصية الله كان من المسرفين
قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أشباه الشياطين وقيل سماهم إخوان الشياطين لأنهم اتبعوا ما سول لهم الشياطين وقيل لمن اتبع إنسانا في شيء هو أخوه
وقوله وكان الشيطان لربه كفورا أي بربه كافرا
قوله تعالى وإما تعرضن عنهم الإعراض صرف الوجه عن الشيء أو إلى من هو أولى منه أو لإذلال من يصرف عنه الوجه
وقوله ابتغاء رحمة من ربك أي طلب رزق من ربك
وقوله ترجوها الرجاء تعليق النفس بمن تطلب منه الخير وعن علي رضي الله عنه قال لا ترجون إلا ربك ولا تخافن إلا من ربك

تفسير السمعاني ج:3 ص:235
تفسير السمعاني ج 3/ص 236
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا 29

وقوله فقل لهم قولا ميسورا اليسر ضد العسر والميسور ها هنا هو العدة في قول أكثر المفسرين وهو أن يقول يأتينا شيء فنعطيه وعن سفيان الثوري قال عدة النبي دين وقيل القول الميسور هو أن تقول يرزقنا الله وإياك أو يقول بارك الله فيك
واعلم أن الآية خطاب مع النبي وقد كان هؤلاء القوم يسألونه وكان يكره الرد وليس عنده شيء يعطى فجعل يمسك من القول فأنزل الله تعالى هذه الآية فقل لهم قولا ميسورا
قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية روى ابن مسعود أن امرأة بعثت غلاما إلى رسول الله تسأله شيئا فقال النبي ليس عندي شيء فرجع الغلام وذكر لها فردت الغلام وقالت سله قميصه الذي هو لابسه فسأله فأعطاه ذلك وبقي في البيت بلا قميص فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تبخل والكلام على وجه التمثيل فجعل البخيل الممسك كمن يده مغلولة إلى عنقه

وقوله ولا تبسطها كل البسط أي لا تسرف في الإعطاء
وقوله فتقعد ملوما محسورا والملوم هو الذي أتى بما يلوم به نفسه ويلومه غيره والمحسور هو المنقطع به الذي قد ذهب ماله وبقي ذا حسرة يقال دابة حسير إذا أعيت من السير فقامت بالراكب فمعنى الآية لا تحمل على نفسك كل الحمل في الإعطاء فتصير بمنزلة من بلغت به النهاية في التعب والإعياء
قال قتادة محسورا أي نادما وأنشدوا في الدابة الحسير

تفسير السمعاني ج:3 ص:236
تفسير السمعاني ج 3/ص 237
إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا 30 ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا 31 ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا 32
له ديك حسري فأما عظامها فبيض
وأما جلدها فصليب

(3/214)

قوله تعالى إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا
ظاهر المعنى وقد بينا معنى البسط والقدر من قبل
قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي خشية الفقر وقد كانوا يئدون البنات خشية الفقر
وقوله نحن نرزقهم وإياكم أي نحن المعطي للزرق لا أنتم
وقوله إن قتلهم كان خطأ كبيرا المعروف خطأ بالكسر والقصر وقرأ ابن كثير خطاء كبيرا بالكسر والمد وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والقصر وقرئ خطآء بالفتح والمد فأما قوله خطأ بالكسر والقصر أي إثما كبيرا وأما قوله خطأ بالكسر والمد وقال الأزهري أهل اللغة لا يعرفون هذا ولعله لغة
وأما قوله خطاء بالفتح والقصر مصدر مثل قوله أخطا والفرق بين الخطأ والخطأ كلاهما بالقصر أن الخطأ - بالكسر - ما يتعمد بالفعل وآثم فاعله والخطأ - بالفتح - ما لم يتعمد وأنشدوا
عباد يخطئون وأنت رب
كريم لا يليق بك الذموم
قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ظاهر المعنى
وقوله إنه كان فاحشة الفاحشة فعل قبيح على أقبح الوجوه
وقوله وساء سبيلا أي ساء طريقا ومعناه بئس السلك هذا الفعل
وفي بعض الأخبار برواية علي - رضي الله عنه - عن النبي أنه قال في الزنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:237
تفسير السمعاني ج 3/ص 237

إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا 30 ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا 31 ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا 32
له ديك حسري فأما عظامها فبيض
وأما جلدها فصليب
قوله تعالى إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ظاهر المعنى وقد بينا معنى البسط والقدر من قبل
قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي خشية الفقر وقد كانوا يئدون البنات خشية الفقر

وقوله نحن نرزقهم وإياكم أي نحن المعطي للزرق لا أنتم
وقوله إن قتلهم كان خطأ كبيرا المعروف خطأ بالكسر والقصر وقرأ ابن كثير خطاء كبيرا بالكسر والمد وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والقصر وقرئ خطآء بالفتح والمد فأما قوله خطأ بالكسر والقصر أي إثما كبيرا وأما قوله خطأ بالكسر والمد وقال الأزهري أهل اللغة لا يعرفون هذا ولعله لغة
وأما قوله خطاء بالفتح والقصر مصدر مثل قوله أخطا والفرق بين الخطأ والخطأ كلاهما بالقصر أن الخطأ - بالكسر - ما يتعمد بالفعل وآثم فاعله والخطأ - بالفتح - ما لم يتعمد وأنشدوا
عباد يخطئون وأنت رب
كريم لا يليق بك الذموم
قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ظاهر المعنى
وقوله إنه كان فاحشة الفاحشة فعل قبيح على أقبح الوجوه
وقوله وساء سبيلا أي ساء طريقا ومعناه بئس السلك هذا الفعل
وفي بعض الأخبار برواية علي - رضي الله عنه - عن النبي أنه قال في الزنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:237
تفسير السمعاني ج 3/ص 238
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا 33 ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما الثلاث في الدنيا يذهب نور الوجه ويورث الفقر وينقص العمر وأما الثلاث في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب ودخول النار
وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق قد ثبت عن النبي أنه قال لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الكفر بعد الإيمان والثيب الزاني والقاتل نفسا بغير حق
فقوله إلا بالحق فالقتل بالحق أن يقع بأحد هذه الأشياء الثلاثة

وقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا أي سلطان القود هكذا قاله قتادة وغيره وعن الضحاك أن السلطان ها هنا هو تخيير ولي القتيل بين أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية
وأصل السلطان هو الحجة فلما ثبت هذا لولي القتيل بحجة ظاهرة سماه سلطانا وقيل معنى الآية أن الولي يقتل فإن لم يكن ولي قتله السلطان
وقوله فلا يسرف في القتل أكثر المفسرين على أن السرف في القتل أن يقتل غير القاتل وقيل إن السرف في القتل أن يمثل بالمقتول وعن سعيد بن جبير قال السرف في القتل أن يطلب قتل الجماعة بالواحد وقد كانت الجاهلية لا يرضون بقتل القاتل وحده إذا كان المقتول شريفا ويطلبون قتل القاتل وجماعة معه من أقربائه وقومه

تفسير السمعاني ج:3 ص:238
تفسير السمعاني ج 3/ص 239
ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا 34 وقرئ فلا تسرف بالتاء على خطاب ولي القتيل وأما بالياء على المغايبة وفي الآية قول آخر وهو أن معنى قوله فلا يسرف في القتل بالياء أي القاتل الأول المتعدي
وقوله إنه كان منصورا على هذا يعني أن القاتل الأول لو تعدى فولي القتيل منصور من قبلي وقد قال أهل المعاني أن معنى قوله إنه كان منصورا معناه أي القتيل منصور في الدنيا والآخرة أما النصرة في الدنيا ففي إيجاب القود له وأما النصرة في الآخرة فبتكفير خطاياه وبإيجاب الثأر لقاتله وقيل إنه كان منصورا أي ولي القتيل
وقرأ أبي بن كعب فلا تسرفوا في القتل إن ولي القتيل كان منصورا

قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن معناه إلا بالعفة التي هي أحسن واختلفوا في معناه على أقاويل أحدها أن القربان بالأحسن هو حفظ الأصول وتثمير الفروع والآخر أن القربان بالأحسن هو التجارة في ماله وهذا قريب من الأول والقول الثالث أن القربان بالأحسن هو أن لا يخالط مال اليتيم بمال نفسه
فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية ميز الأوصياء طعامهم من طعام اليتامى وشرابهم من شراب اليتامى وكانوا يمسكون طعام اليتيم حتى يأكل أو يفسد فأنزل الله تعالى وإن تخالطوهم فإخوانكم
وعن مجاهد أنه قال القربان بالأحسن أن يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا استغنى رد

تفسير السمعاني ج:3 ص:239
تفسير السمعاني ج 3/ص 240
وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا 35
وقال سعيد بن المسيب لا يقرب ماله أصلا ولا يشرب الماء من ماله
وذهب بعض العلماء منهم أبو يوسف إلى أن قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف منسوخ بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقد ذكرنا في هذا المعنى من قبل ما هو أكثر من هذا
وقوله حتى يبلغ أشده الأكثرون على أن الأشد هو الحلم ومنهم من قال ثمان عشرة سنة ومنهم من قال ثلاث وثلاثون سنة وهذا وقت منتهى القوة وتمام العقل بالحنكة والتجارب
وقوله وأوفوا بالعهد قال قتادة العهد كل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه
وقوله إن العهد كان مسئولا فيه أقوال أحدها أنه كان مظلوما وهو قول السدي والآخر كان مسئولا عنه وهو أحسن الأقاويل والثالث أن العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال له فيم نقضت كالموءودة تسأل فيم قتلت

وفي معنى العهد قول آخر وهو أنه كل ما يلتزمه الإنسان على نفسه
قوله تعالى وأوفوا الكيل إذا كلتم ظاهر المعنى
وقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم فيه قولان أحدهما أنه القبان والآخر أنه كل ميزان يكون ذكره الزجاج
واختلفوا أن القسطاس رومي أو عربي قال مجاهد هو رومي معرب وقال غيره

تفسير السمعاني ج:3 ص:240
تفسير السمعاني ج 3/ص 241
ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد هو عربي مأخوذ من القسط والقسط هو العدل فعلى هذا معنى الآية وزنوا بالعدل المستقيم
وقوله ذلك خير يعني ذلك خير لكم في الدنيا بحسن الذكر وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة في الآخرة
قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم قالوا معناه ولا تقل ما ليس لك به علم وقرئ ولا تقف ما ليس لك به علم برفع القاف معناه ما ذكرنا ومنهم من قال معنى قوله ولا تقف أي لا ترم بالظن ما ليس لك به علم وأصل القيافة اتباع الأثر يقال قفوت فلانا إذا اتبعت أثره وحقيقة المعنى ولا تتبع لسانك ما ليس لك به علم فيتكلم بالحدس والظن
وروي عن النبي أنه قال نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا
وفي بعض الأخبار أن النبي قال من تقوف ما ليس له به علم حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال

وقوله إن السمع والبصر والفؤاد روي عن قتادة أنه قال لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم واختلف القول في سؤال السمع والبصر والفؤاد ففي أحد القولين يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده

تفسير السمعاني ج:3 ص:241
تفسير السمعاني ج 3/ص 242

كل أولئك كان عنه مسؤولا 36 ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا 37 كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها 38 ذلك مما
والقول الثاني أن السمع والبصر والفؤاد يسأل عما فعله المرء فإن قيل قد قال كل أولئك كان عنه مسئولا وأولئك لا يقال إلا للعقلاء والجواب قلنا يجوز أن يقال لغير العقلاء قال جرير
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
قوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا المرح هو الفرح بالباطل ويقال هو الأشر والبطر ويقال هو البأو والعظمة وقيل الخيلاء
وقوله إنك لن تخرق الأرض أي لن تثقب الأرض وقيل لن تقطع الأرض بالسير وقوله ولن تبلغ الجبال طولا أي لا يقدر أن يتطاول الجبال وفي المعنى وجهان أحدهما أن الإنسان إذا مشى مختالا فمرة يمشي على عقبيه ومرة يمشي على صدور قدميه فقال لن تثقب الأرض إن مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك
والوجه الثاني أن من أراد أن يخرق الأرض أو يطاول الجبال لا يحصل على شيء فكذلك من مشى مختالا لا يحصل باختياله على شيء
وقوله كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها قرى سيئه وقوله سيئة بالتنوين أي كل ما نهيت عنه في هذه الآيات فهي سيئة مكروهة عند ربك ومن قرأ سيئه بالرفع فمعناه على التبعيض لأنه قد تقدم بعض ما ليس بسيئة مثل قوله وآت ذا القربى حقه وكذلك قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما وغير ذلك فمعناه أن ما تقدم في هذه الآيات من السيئة مكروهة عند ربك

تفسير السمعاني ج:3 ص:242
تفسير السمعاني ج 3/ص 243

أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا 39 أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما 40 ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا 41 قل لو كان معه
قوله تعالى ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة كل ما أمر الله به ونهاه فهي حكمة
وقوله ولا تجعل مع الله إلها آخر قد بينا هذا من قبل وهو أن الخطاب معه والمراد منه الأمة
وقوله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أي مطرودا
قوله تعالى أفأصفاكم ربكم معناه أفجعل لكم الصفوة وجعل لنفسه ما ليس بصفوة وهذا على طريق الإنكار فإنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله
وقوله بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا هذا معناه
وقوله إنكم لتقولون قولا عظيما أي فظيعا كبيرا
قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن فيه قولان أحدهما تكرير الأمر والنهي والمواعظ والقصص والآخر تبيين القول بجميع جهاته
وقوله ليذكروا معناه ليتعظوا
وقوله وما يزيدهم إلا نفورا أي ما يزيدهم التبيين إلا نفورا وقيل تصريف القول في الأمر والنهي
قوله تعالى قل لو كان معه أي مع الله آلهة
وقوله كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا فيه قولان أحدهما إذا لطلبوا إلى ذي العرش سبيلا بالتقرب إليه والآخر وهو الأصح إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا بالمغالبة والمغالبة وطلب الملك وهذا مثل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

تفسير السمعاني ج:3 ص:243
تفسير السمعاني ج 3/ص 244
آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا 42 سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا 43 تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح
قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ظاهر المعنى

قوله تعالى تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن قد بينا من قبل
وقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال عكرمة وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وعن عكرمة أيضا قال الشجرة تسبحه
وعن مجاهد قال كل الأشياء تسبح لله حيا كان أو جمادا وتسبيحها بسبحان الله وبحمده
وعن أبي صالح أنه سمع صرير باب فقال هو تسبيحه
وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال لا تضربوا الدواب على رءوسها فإنها تسبح الله وعن ابن عباس إن تسبيح هذه الأشياء يا حليم يا غفور

وروى منصور بن المعتمر أبو غياث عن إبراهيم النخعي قال وإن من شيء جماد أو حي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف
واعلم أن لله في الجماد علما لا يعلمه غيره ولا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه وقال بعض أهل المعاني تسبيح السماوات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء هو ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئاتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها
والمنقول عن السلف ما قلنا من قبل والله أعلم
وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تعلمون تسبيحهم
وعن الحسن البصري أن موضع هذه الآية في التوراة ألف آية كان الله تعالى قال

تفسير السمعاني ج:3 ص:244
تفسير السمعاني ج 3/ص 245
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا 44 وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا 45 وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن سبح لي كذا وسبح لي كذا وسبح لي كذا وعلى القول الأخير قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تستدلون بمشاهدة هذه الأشياء على تعظيم الله وهذا ليس بمعتمد والصحيح ما بينا
وقوله إنه كان حليما غفورا قد بينا معنى الحليم والغفور

وقوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا روي في الأخبار أنه لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب جاءته امرأته أم جميل ومعها فهر وقصدت النبي وهي تقول مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا وكان النبي جالسا مع أبي بكر في الحجر فقال أبو بكر للنبي هذه المرأة قد جاءت فقال النبي إنها لا تراني وقرأ هذه الآية فجاءت المرأة وقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه هجاني وهجا أبا لهب وقد علمت قريش أني بنت سيدها فلم يقل أبو بكر شيئا ورجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه روته عائشة رضي الله عنها
ومنهم من قال كان النبي يصلي ويقرأ القرآن وكان المشركون يقصدونه بالأذى فكانوا يجيئون ولا يرونه
وقوله حجابا مستورا فيه قولان أحدهما حجابا ساترا والآخر مستورا به وقيل إن الحجاب الذي جعله الله هو الأكنة التي خلقها على قلوبهم
قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أي أغطية وحكى بعض السلف أنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:245
تفسير السمعاني ج 3/ص 246

يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا 46 نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون سمع رجلا يقرأ وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى فقال الأكنة
وقوله أن يفقهوه معناه كراهة أن يفقهوه وقيل لئلا يفقهوه
وقوله وفي آذانهم وقرا أي ثقلا ومعناه لئلا يسمعوه وفي الآية رد على القدرية صريحا
وقوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده هو قوله لا إله إلا الله
وقوله ولوا على أدبارهم نفورا أي نافرين
ومثل هذا قوله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة

قوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به قال أهل التفسير به صلة ومعناه نحن أعلم بما يستمعون أي يطلبون سماعه وهو في معنى قوله تعالى وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون
وقوله تعالى إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى أي ذووا نجوى وفي القصة أن النبي كان يقرأ والمشركون قد اجتمعوا وكانوا يتناجون فيما بينهم فيقول هذا كاهن ويقول هذا ساحر ويقول هذا شاعر ويقول هذا مجنون ويريدون به الرسول
وقوله إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا قال مجاهد مخدوعا وقال أبو عبيدة رجلا له سحر وهو الرئة يعني أنه بشر قال الشاعر
أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

تفسير السمعاني ج:3 ص:246
تفسير السمعاني ج 3/ص 247
إن تتبعون إلا رجلا مسحورا 47 انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا 48 وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا 49 قل كونوا حجارة أو حديدا 50
أي نعلل ونخدع وهو على تأويل الخدع وهو الأصح
وقيل مسحورا أي مصروفا عن الحق
وقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال أي الأشباه
وقوله فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي وصولا إلى طريق الحق
قوله تعالى وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا قال الفراء رفاتا أي ترابا وقال غيره رفاتا أي حطاما يعني إذا تحطمنا
وقوله أءنا لمبعوثون خلقا جديدا قالوا ذلك على طريق الإنكار
قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا فإن قيل كيف يأمرهم بأن يكونوا حجارة أو حديدا وهم لا يقدرون عليه قطعا والجواب أن هذا أمر تعجيز وليس بأمر إلزام ومعنى الآية أي استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد فلو كنتم

كذلك لم تفوتوني وقيل معناه لو كنتم خلقتم من الحجارة والحديد بدل اللحم والعظم لمتم ثم بعثتم قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

قوله تعالى أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص هو الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأدرككم الموت وقد ثبت الخبر عن النبي أنه قال يجاء بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أغبر فيوقف بين الجنة والنار فيعرفه كلهم فيذبح فيقال يا أهل الجنة خلود لكم ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت

تفسير السمعاني ج:3 ص:247
تفسير السمعاني ج 3/ص 248
أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا 51 يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا 52
وعن مجاهد أن معنى قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم هو السماوات والأرض والجبال أي لو كنتم كذلك لمتم وبعثتم
وقال قتادة هو كل ما يعظم في عين الإنسان وصدره وعن الكلبي قال هو القيامة
وقوله فسيقولون من يعيدنا ظاهر المعنى
وقوله قل الذي فطركم أول مرة أي أنشأكم أول مرة ومن قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر
وقوله فسينغضون إليك رءوسهم أي يحركون إليك رءوسهم وهذا على طريق الاستهزاء
وقوله ويقولون متى هو أي متى الساعة وهذا أيضا قالوه استهزاء
وقوله قل عسى أن يكون قريبا معناه أنه قريب وعسى من الله واجب على ما بينا
قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده أي حامدين له فإن قيل كيف يصح هذا والخطاب مع الكفار والكافر كيف يبعث حامدا لربه
والجواب من وجهين أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وقد انقطع خطاب الكفار إلى هذه الآية
والقول الثاني أن الخطاب مع الكفار ومعنى قوله فتستجيبون بحمده أي مقرين أنه خالقكم وباعثكم

وقوله وتظنون إن لبثتم إلا قليلا هذا في جنب مدة القيامة والخلود فلو مكث الإنسان في قبره الألوف من السنين يعد ذلك قليلا في جنب ما يصل إليه من

تفسير السمعاني ج:3 ص:248
تفسير السمعاني ج 3/ص 249
وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا 53 ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك الخلود
وعن قتادة قال إنهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة
وعن سعيد بن أبي عروبة قال يقومون فيقولون سبحانك اللهم وبحمدك
والأولى أن يكون هذا في المؤمنين
وقال الكلبي إن الله تعالى يرفع العذاب عن الكفار بين النفختين وهو أربعون سنة فإذا حشروا وقد استراحوا تلك المدة قالوا ما لبثنا إلا قليلا
قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن في الآية قولان الأشهر والأظهر أن قوله يقولوا التي هي أحسن أي الكفار وهذا قبل نزوله آية السيف
قال أهل التفسير كان المشركون يؤذون المؤمنين وكان المؤمنون يستأذنون رسول الله في القتال فينهاهم عن ذلك ويأمرهم بالإحسان في القول
والإحسان في القول هو قولهم للكفار يهديكم الله وفي بعض الروايات أن عمر شتمه بعض الكفار فأراد أن يقاتله فأمره رسول الله بالصفح والعفو
والقول الثاني في الآية أن المراد به المؤمنون وأراد به أن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي الخلة التي هي أحسن
وقيل المراد منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم أي يفسد بإيقاع العداوة وقوله إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا أي عدوا ظاهر العداوة

قوله تعالى ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم قال يرحمكم بالتوفيق والهداية ويعذبكم بالإضلال وقيل يرحمكم بالإنجاء من النار أو يعذبكم بالإيقاع فيه وقوله وما أرسلناك عليهم وكيلا أي كفيلا قال الشاعر
ذكرت أبا أروى فبت كأنني برد الأمور الماضيات وكيل

تفسير السمعاني ج:3 ص:249
تفسير السمعاني ج 3/ص 250
عليهم وكيلا 54 وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا 55 قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا 56 أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أي كفيل
ومنهم من قال معناه لم يسلطك عليهم بمنعهم من الكفر
قوله تعالى وربك أعلم بمن في السموات والأرض أي وربك العالم بمن في السموات والأرض وهو العالم بأحوالهم وأفعالهم ومقاصدهم

وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض معناه أنه اتخذ بعضهم خليلا وكلم بعضهم وسخر الجن والإنس والطير والريح لبعضهم وأحيا الموتى لبعضهم فهذا معنى التفضيل
وقوله وآتينا داود زبورا قالوا الزبور كتاب يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها تحميد وتمجيد وثناء على الله ليس فيها أمر ولا نهي ولا حلال ولا حرام ومعنى الآية أنكم لما لم تنكروا تفضيل سائر النبيين وإعطائهم الكتب فلا تنكروا فضل النبي وإعطائه القرآن فيجوز أن يكون هذا الخطاب مع أهل الكتاب ويجوز أن يكون مع قوم كانوا مقرين بهذا من مشركي العرب والزبور مأخوذ من الزبر والزبر هو الكتابة
وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه روي أن المشركين لما قحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف استغاثوا بالنبي ليدعو لهم فأنزل الله تعالى هذه الآية قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه أي من دون الله

وقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم أي كشف الجوع والقحط عنكم
وقوله ولا تحويلا أي لا يملكون نقل الحال وتحويلا من السقم إلى الصحة ومن الجدب إلى الخصب ومن العسر إلى اليسر
قوله تعالى أولئك الذين يدعون قرأ ابن مسعود أولئك الذين تدعون

تفسير السمعاني ج:3 ص:250
تفسير السمعاني ج 3/ص 251
أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا 57 وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب وعنه أنه قال كان قوم من المشركين يعبدون قوما من الجن فأسلم الجنيون الذين كانوا يعبدون وبقي هؤلاء على شركهم فأنزل الله تعالى هذه الآية معناه إن الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم يبتغون أي يطلبون إلى ربهم الوسيلة والوسيلة هي الدرجة الرفيعة في الجنة وقيل الوسيلة كل ما يتوسل به إلى الله تعالى أي يتقرب
وقوله أيهم أقرب معناه ينظرون أيهم أدنى وسيلة وقيل أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقيل الآية في عزير والمسيح وغيرهما وقيل الآية في الملائكة فإن المشركين كانوا يعبدون الملائكة والملائكة عبيد يطلبون إلى الله الوسيلة وهذا في نفر من المشركين دون جميعهم
وقوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه يعني الجنيين الذين أسلموا والملائكة أو عزيرا والمسيح
وفي بعض الأخبار عن النبي لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي يطلب منه الحذر قوله تعالى وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها فإهلاك المؤمنين بالإماتة وإهلاك الكفار بالاستئصال والعذاب وقيل قوله مهلكوها هذا في حق المؤمنين بالإماتة

قوله أو معذبوها عذابا شديدا في حق الكفار

تفسير السمعاني ج:3 ص:251
تفسير السمعاني ج 3/ص 252
مسطورا 58
وذكر النقاش في تفسيره بإسناده عن مقاتل بن سليمان قال وجدت في كتاب ضحاك بن مزاحم -وهو الكتاب المخزون- وقد ذكر فيه ما يهلك الله به أهل كل بلدة أما مكة فيهلكها الحبشان وأما المدينة فالجوع وأما البصرة فالفرق وأما الكوفة فعدو سلطه الله عليهم وأما الشام ومصر فويل لها من عدوها وقيل تخربها الرياح وأما أصفهان وفارس وكرمان فبالظلمات والصواعق وكذلك ذكر في أرمينية وأذربيجان وأما الري فيغلب عليهم عدوهم من الديلم وأما الهمذان فيهلكهم عدو لهم فلا همذان بعده وأما النيسابور فالرعود والبروق والريح وأما مرو فيغلب عليه الرمل وبهما العلماء الكثير وأما هراة فيمطرون حيات فتأكلهم وأما سجستان فتهلك بالريح وأما بلخ فيغلب عليه الماء فتهلك وأما بخارى فيغلب عليهم الترك وأما سمرقند وفرغانة والشاش وإسبيجاب وخوارزم فيغلب عليهم بنو قنطورا بن كركرى فيهلكون عن آخرهم والخبر غريب جدا وفي بعض الروايات ويل لأهل بغداد يخسف بهم والأثر غريب وفي بعض المسانيد عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا يهلك الله قوما حتى يظهر فيهم الزنا والربا
وقوله كان ذلك في الكتب مسطورا أي مكتوبا ومعنى الكتاب هو اللوح المحفوظ
وفي الأخبار المشهورة عن النبي أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة
يقال سطر إذا كتب

تفسير السمعاني ج:3 ص:252
تفسير السمعاني ج 3/ص 253
وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا 59 وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا

قوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية فإن قال قائل كيف يجوز ألا يرسل الله الآيات لأن الأولين كذبوا بها وما وجه الإمتناع عن

إرسال الآيات بتكذيب الأولين والسؤال معروف وهو مشكل والجواب من وجهين أحدهما أن إلا محذوف ومثله قول الشاعر
وكل أخ مفارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقدان
ومعناه وما منعنا من إرسال الآيات وإن كذب بها الأولون يعني أن تكذيب الأولين لا يمنعنا من إرسال الآيات
والجواب الثاني -وهو المعروف- وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحها الكفار فإنه قالوا للنبي اجعل لنا الصفا ذهبا أو بعد عنا هذه الجبال لنزرع الأراضي
وقوله إلا أن كذب بها الأولون معنى الاستثناء في إهلاك الأولين حين كذبوا بالآيات المقترحة وقد حكمنا أن هذه الأمة ممهلة في العذاب قال الله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وتلخيص الجواب أن الأولين اقترحوا الآيات فلما أعطوا كذبوها فأهلكوا فلو أعطينا هؤلاء الآيات المقترحة وكذبوا بها عاجلناهم بالعذاب وقد حكمنا بإمهالهم والدليل على صحة هذا الجواب أنه قال وآتينا ثمود الناقة مبصرة أي آية نيرة مضيئة أو آية يبصر بها الحق وقوله فظلموا بها أي كذبوا بها فعوجلوا بالعقوبة فهذا هو المراد وإن كان غير مذكور وقوله وما نرسل بالآيات إلا تخويفا أي تحذيرا
قوله تعالى وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قال مجاهد أي هم في قبضته قال الحسن حال بينهم وبين أن يقتلوك أو يكيدوك بغير القتل فهذا معنى الإحاطة

تفسير السمعاني ج:3 ص:253
تفسير السمعاني ج 3/ص 254
الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا 60

وقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس الأكثرون أن هذه الرؤيا هي ليلة المعراج قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم
فإن قال قائل ليلة المعراج كانت رؤية عين لا رؤيا نوم والجواب أنه قد صح عن عبد الله بن عباس أنه قال في هذه الآية هي رؤيا عين أسرى بالنبي تلك الليلة والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم
قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني أخبرنا أبو علي الشافعي بمكة قال أنا أبو الحسن بن فراس قال أنا أبو جعفر الديبلي قال أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ذكره البخاري في صحيحه
وأما ذكر الرؤيا بمعنى الرؤية هاهنا يجوز لأنهما أخذا من معنى واحد ومنهم من قال كان له معراجان معراج رؤية ومعراج رؤيا
وأما معنى الفتنة على هذا القول أن قوما من الذين آمنوا ارتدوا حين سمعوا عن النبي هذا وفي أصل الآية قول آخر وهو أن الرؤيا المذكورة في الآية هي

أن النبي رأى في النوم أنه قد دخل مكة فاستعجل وسار إلى مكة عام الحديبية محرما بالعمرة وذكر الصحابة أنه رأى هذه الرؤيا فلما صد عن مكة حتى احتاج إلى الرجوع افتتن بذلك قوم

تفسير السمعاني ج:3 ص:254
تفسير السمعاني ج 3/ص 255
وفي الخبر المشهور أن عمر قال لأبي بكر أليس قد رأى أنه يدخل مكة فقال له أبو بكر هل قال إنه يدخل العام قال لا قال سيدخلها الخبر إلى آخره

والقول الثالث في الآية ما حكاه الدمياطي في تفسيره عن ابن عباس قال رأى النبي في منامه كأن أولاد الحكم بن أبي العاص ينزون على منبره نزو القرود -وفي رواية يتداولون منبره تداول الكرة - فساءه ذلك فدعا أبا بكر وعمر وأخبرهما بذلك ثم سمع أن الحكم بن أبي العاص يحكي الرؤيا فلم يتهم أبا بكر واتهم عمر فدعاه وقال له لم أفشيت سري فقال والله ما ذكرته لأحد فقال رسول الله كيف والحكم يحكي هذا للناس فقال عمر نجتمع ثانيا حتى أخبرك من أفشاه قال فجاء هو وأبو بكر وقعدا مع الرسول في ذلك الموضع وجعلوا يذكرون هذا ثم إن عمر خرج مبادرا فإذا هو بالحكم يستمع فذكر ذلك للنبي فطرده رسول الله من المدينة ولم يأوه أبو بكر ولا عمر وما زال طريدا إلى زمن عثمان القصة إلى آخرها هذا هو الرؤيا التي ذكر في الآية
وقد روي أن النبي ما روى مستجمعا ضاحكا منذ رأى هذه الرؤيا إلى أن مات
وأما الشجرة الملعونة فالأكثرون أنها شجرة الزقوم فإن قيل أين لعنها في القرآن والجواب أن المراد من الشجرة الملعونة أي الملعون آكلها وقال الزجاج العرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون فعلى هذا تقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي

تفسير السمعاني ج:3 ص:255
تفسير السمعاني ج 3/ص 256
وإذ قلنا للملائكة اسجوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا 61 أرينك وكذلك ما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس
وأما الفتنة في شجرة الزقوم من وجهين أحدهما أن أبا جهل قال إن النار تأكل الشجر وأن محمدا يزعم أن النار تنبت الشجرة والوجه الثاني أن عبد الله بن الزبعري قال يا قوم إن محمدا يخوفنا بالزقوم وما نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فقال أبو جهل يا جارية هلمي فزقمينا

والقول الثاني في شجرة الزقوم أنها شجرة الكشوثا التي تلتوي على الشجر فتجففه والقول الثالث أن الشجرة الملعونة في القرآن أولاد الحكم بن أبي العاص وهو مروان وبنوه
ذكره سعيد بن المسيب وأنكر جماعة من أهل التفسير هذا القول والله أعلم
وقوله ونخوفهم أي نحذرهم فما يزيدهم أي ما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا أي تمردا وعتوا عظيما
قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قد ذكرنا معنى السجود في سورة البقرة واختلاف الناس فيه وقوله فسجوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا معناه لمن خلقته طينا وقوله طينا نصب على الحال أي في حال طينته وفي الآية حذف ومعناه أأسجد لمن خلقته من طين وخلقتني من نار وللنار فضل على الطين فإن النار تأكل الطين ولم يعلم الخبيث أن الجواهر كلها من جنس واحد والفضل لما فضله الله تعالى وفي الطين من المنافع ما يقادم منافع النار أو يرقى عليها وللطين من كرم الطبع ما ليس للنار

تفسير السمعاني ج:3 ص:256
تفسير السمعاني ج 3/ص 257
قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا 62
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الله بعث إبليس حتى أخذ من الأرض قبضة من التراب وكان فيها المالح والعذب فخلق منها آدم فمن خلقه من العذب كان سعيدا وإن كان من أبوين كافرين ومن خلقه من المالح كان شقيا وإن كان من صلب بني آدم
قال ابن عباس فقوله أأسجد لمن خلقت طينا أي أأخضع لمن خلقته من طين وأنا جئت به
قوله تعالى قال أرأيتك هذا الذي قوله أرأيت أي أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة وقوله تعالى هذا الذي كرمت علي أي كرمته علي وفضلته

وقوله لئن أخرتن أي أمهلتني إلى يوم القيامة فطمع الخبيث أن ينطر إلى يوم القيامة وينجو من الموت فأبى الله تعالى ذلك عليه على ما قال في سورة الحجر فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم
وقوله لأحتنكن ذريته قالوا لأستأصلنهم يقال احتنك الجراد الزرع إذا استأصله ومنهم من قال هو مأخوذ من حنك الدابة إذا شد في حنكها الأسفل حبلا رسنا يسوقها به
ومعناه لأسوقنهم إلى المعاصي سوقا ولأميلنهم إليه ميلا وقيل لأستولين عليهم بالإغواء وقيل لأضلنهم
وقوله ذريته أولاده إلا قليلا والقليل هم الذين قال الله تعالى إن عبادي ليس لك

عليهم سلطان فإن قيل كيف عرف إبليس أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:257
تفسير السمعاني ج 3/ص 258
قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا 63 واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال أكثر ذرية آدم يتبعونه قلنا الجواب من وجهين أنه لما رأى انقياد آدم لوسوسته طمع في ذريته
والثاني أنه رأى ذلك في اللوح مكتوبا وعرف كما عرف الملائكة حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
قوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا أي موفرا ومعنى موفرا أي مكملا وقال الشاعر
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفسره ومن لا يتق الشتم يشتم
قوله تعالى واستفزز قال الأزهري معناه وادعوهم دعاء تستفزهم إلى إجابتك أي فتستخفهم
وقيل استفزز بهم أي أسرع بهم وقيل احملهم على الإغواء وقوله من استطعت منهم بينا معنى الاستطاعة وأنشد الشاعر في معنى الاستفزاز
فقلت لها هي فلا تستفزي
ذوات العيون والبيان المحصب

وقوله بصوتك قال مجاهد الغناء واللهو وقال الحسن الدف والمزمار وقيل كل صوت يدعو إلى غير طاعة الله وقيل كل كلام يتكلم به في غير ذات الله
وقوله وأجلب عليهم أي اجمع عليهم مكائدك وحيلك يقال جلب على العدو إذا جمع عليهم الجيش وفي المثل إذا لم تغلب فأجلب وقيل معناه أجمع عليهم جيشك وجندك
وقوله بخيلك ورجلك كل راكب في معصية فهو من خيل إبليس وكل ماشي في معصيته فهو في رجل إبليس والخيل الراكب والرجل المشاة وفي الخبر

تفسير السمعاني ج:3 ص:258
تفسير السمعاني ج 3/ص 259
والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 64 يا خيل الله اركبي
وقوله وشاركهم في الأموال كل كسب من حرام وكل ما أنفق في معصية الله فهو الذي شارك فيه إبليس وقيل ما زين لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
وقوله والأولاد فيه أقوال قال ابن عباس الموءودة
قال مجاهد أولاد الزنا وقال غيره هو تهويدهم وتنصيرهم وتمجيسهم

وعن ابن عباس في رواية أخرى هو تسميتهم الأولاد عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف وما أشبه ذلك
وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رجلا أتاه وقال إن امرأتي استيقظت وكأن في فرجها شعلة نار قال ذاك من وطىء الجن قال فمن أولادهم قال هؤلاء المخنثون
وعن جعفر بن محمد إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يسم الله أصاب امرأته معه وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي قريبا من هذا عن مجاهد وفي بعض الأخبار عن النبي قال إن فيكم مغربين قيل ومن المغربون قال الذين شارك فيهم الجن
وقوله وعدهم أي قل لهم لا جنة ولا نار وقيل قل لهم أن لا بعث

وقوله وما يعدهم الشيطان إلا غرورا الغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق
وفي بعض التفاسير برواية أنس عن النبي أن إبليس قال يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة لأجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته فقال الله تعالى أنت مسلط فقال إني لا أستطيعه إلا بك فزدني فقال واستفزز من استطعت منهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:259
تفسير السمعاني ج 3/ص 260
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا 65 إلى آخر الآية فقال آدم يا رب أنت سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك فمالي فقال لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه فقال زدني فقال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها فقال زدني فقال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد فقال زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وفي هذا الخبر أن إبليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قرآني قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال فما طعامي قال كل طعام ما لم يذكر عليه اسم الله قال فما شرابي قال كل مسكر قال فما حبائلي قال النساء قال فما آذاني قال المزمار قال فما بيتي قال الحمام قال فما منتصبي قال السوق والخبر غريب جدا والله أعلم
فإن قال قائل كيف يأمر الله تعالى بهذه الأشياء وهو يقول إن الله لا يأمر بالفحشاء والجواب أن هذا أمر تهديد ووعيد وهو مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وكالرجل يقول لغيره افعل ما شئت فسترى ومثل هذا يكثر
قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان قد بينا وقد قيل إن معناه ليس لك عليهم سلطان في أن تحملهم على ذنب لا أقبل توبتهم منه
وقوله وكفى بربك وكيلا أي حافظا أو من يوكل إليه الأمر

تفسير السمعاني ج:3 ص:260
تفسير السمعاني ج 3/ص 261

ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما 66 وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا 67 أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم

قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر أي يسوق ويسير قال الشاعر

يا أيها الراكب المزجى مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

وقوله لكم الفلك في البحر أي السفينة في البحر

ولتبتغوا من فضله أي لتطلبوا من رزقه

وقوله إنه كان بكم رحيما ظاهر

قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر أي الشدة في البحر وإنما خص البحر بالذكر لأن اليأس عند وقوع الشدة فيه أغلب

وقوله ضل من تدعون إلا إياه أي بطل وسقط

وقوله من تدعون أي من تدعونه إلا إياه أي إلا الله وهذا في معنى قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين

وقوله فلما نجاكم إلى البر أعرضتم يعني عن الإخلاص والالتجاء إلى الله

وقوله وكان الإنسان كفورا أي كافرا

قوله تعالى أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر الخسف بالشيء هو تغييبه في الأرض وقيل هو ابتلاع الأرض إياه

وقوله جانب البر أي طرفا من البر

وقوله أو يرسل عليكم حاصبا أي ريحا ذات حصباء والحصباء الحجارة معناه ريحا ترمي بالحجارة

تفسير السمعاني ج:3 ص:261

تفسير السمعاني ج 3/ص 262

حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا 68 أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا 69 ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

وقال بعض أهل اللغة الحاصب البرد وقال بعضهم الحاصب الثلج قال الفرزدق مستقبلين شمال الريح بطردهم ذو حاصب كنديف القطن منثور

وقوله ثم لا تجدوا لكم وكيلا أي من تكلون أمركم إليه فينجيكم

قوله تعالى أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى أي في البحر كرة أخرى وقوله

فيرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف هو الريح التي تكسر كل شيء وصلت إليه
وقوله فيغرقكم بما كفرتم أي بكفركم
وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي ثائرا وهو طالب الثأر هكذا قاله الفراء وقيل من يتبعنا بالإنكار
قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم فيه أقوال روي عن ابن عباس أنه قال هو أكلهم باليد وسائر الحيوانات يأكلون بأفواههم وقيل امتداد القامة وانتصابها والدواب منكبة على وجوهها وقيل بالعقل والتمييز وقيل بأن سخر جميع الأشياء لهم وقيل بأن جعل فيهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بالخط والقلم
وقوله وحملناهم في البر والبحر أي حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن
وقوله ورزقناهم من الطيبات التي رزقها الله تعالى بني آدم في الدنيا معلومة وقيل الحلال وقيل

تفسير السمعاني ج:3 ص:262
تفسير السمعاني ج 3/ص 263
على كثير ممن خلقنا تفضيلا 70 يوم ندعو كل أناس بإمامهم
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال أبو النضر محمد بن السائب الكلبي على كل الخلق سوى طائفة من الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وفي تفضيل البشر على الملائكة أو الملائكة على البشر كلام كثير ليس هذا موضعه وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل ويجوز أن يذكر الأكثر ويراد به الكل والأولى أن يقال إن البشر أفضل من الملائكة على تفصيل معلوم وهو أن عوام المؤمنين الأتقياء أفضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة وقد قال الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية والبرية كل من خلق الله على العموم

وقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم فيه أقوال أحدها بنبيهم والآخر بكتابهم والثالث بأعمالهم وعن ابن عباس إمام هدى وإمام ضلالة وعن سعيد بن المسيب كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وفي الخبر ينادى يوم القيامة قوموا يا متبعي موسى يا متبعي عيسى يا متبعي محمد يا متبعي شيطان يا متبعي كذا وكذا
وفي جامع أبي عيسى الترمذي في هذه الآية أن النبي قال يعطى المؤمن كتابه بيمينه ويمد في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويوضع على رأسه تاج من لؤلؤ فيقبل إلى أصحابه ويقول لهم أبشروا فلكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله ويمد في جسمه ستون ذراعا ويسود وجهه ويوضع على رأسه تاج من نار فيقبل إلى أصحابه ويقول لهم أبشروا فلكل رجل منكم مثل هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:263
تفسير السمعاني ج 3/ص 264
فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا 71 ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا 72 وإن كادوا ليفتنونك عن
وقوله تعالى فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم والكتاب هو صحيفة الحسنات والسيئات
وقوله ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقص من حقهم بقدر الفتيل
والفتيل هو الذي في شق النواة وقيل ما فتل بين الأصابع
قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ليس العمى هاهنا هو عمى البصر لأن الناس يحشرون بأتم خلق مصححة الأجساد لخلود الأبد وفي الخبر عن النبي قال تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وقوله بهما أي مصححة الأجساد للخلود فعلى هذا معنى قوله ومن كان في هذه أعمى أي أعمى القلب عن رؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى

وقيل معناه من كان في هذه الدنيا بعيدا عن الحق فهو في الآخرة أبعد وقيل من كان في هذه الدنيا أعمى من الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار
وقوله وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا
قوله تعالى وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك معناه ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك وسبب نزول الآية أن المشركين قالوا للنبي اطرد هؤلاء الفقراء عنك حتى نجلس معك ونسلم فهم أن يفعل ثم يدعوهم من بعد فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا طلبوا من النبي أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فقال النبي في نفسه وما علي أن أفعل ذلك إذا علم الله مني أني كاره له وكان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما -فأنزل

تفسير السمعاني ج:3 ص:264
تفسير السمعاني ج 3/ص 265
الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا 73 ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا 74 الله تعالى هذه الآية والقول الثالث أن أهل الطائف لما جاءوا إلى النبي ليسلموا وكان استصعب عليه أمرهم وحاصرهم بضع عشرة ليلة ولم يفتح فلما جاءوا قالوا للنبي نسلم بشرط أن لا نركع وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها وذكروا غير هذا فقال أما ترك الركوع فلا خير في دين لا ركوع فيه وأما اللات فلا أترك وثنا بين المسلمين فراجعوه في أمر اللات وقالوا لتتحدث العرب زيادة كرامتنا عليك فسكت النبي فطمع القوم عند سكوته فأنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول معروف

وقوله لتفتري علينا غيره أي تقول علينا غير ما أنزلناه عليك وقوله وإذا لاتخذوك خليلا أي صاحبا ووديدا
قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهن شيئا قليلا معنى كاد أي قرب وكدت أي قربت من الفعل

وقوله شيئا قليلا في موضع المصدر كأنه قال لقد كدت تركن إليهم ركونا فإن قيل النبي كان معصوما من الشرك والكبائر فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه منه والذي طلبوه منه كفر
الجواب من وجهين أحدهما أنا نعتقد أن الرسول معصوم من الشرك والكبائر ونحمل على أن ما وجد منه كان هما من غير عزم وقد قال النبي إن الله تعالى وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل وفي الجملة الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:265
تفسير السمعاني ج 3/ص 266
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا 75 أعلم برسوله من غيره وقد قال قتادة لما وقع هذا كان رسول الله يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين
والجواب الثاني وهو أنه قال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن وقد ثبته ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلى أن قال إلا قليلا وقد تفضل الله ورحم ولم يتبعوا الشيطان
قوله تعالى وإذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات قال ابن عباس ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات
وقيل ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة وقيل إن الضعف بمعنى العذاب فكأنه قال لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات وإنما سمي العذاب ضعفا لتضاعف الألم فيه
فإن قيل لم يضاعف العذاب له قلنا لعلو مرتبته كما يضاعف الثواب له عند الطاعة وقد قال الله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين والمعنى ما بينا
وقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا أي لا تجد من يمنعنا من عذابك

قوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها الاستفزاز هو الإزعاج بسرعة واختلفوا في معنى هذه الآية فقال بعضهم إنها نزلت بالمدينة وسبب نزولها أن يهود قريظة والنضير وبني قينقاع أتوا النبي وقالوا يا أبا القاسم قد علمت أن بلاد الأنبياء هي الشام وهي الأرض المقدسة ومتى سمعت

تفسير السمعاني ج:3 ص:266
تفسير السمعاني ج 3/ص 267
وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا 76 سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا 77 بنبي من تهامة فاخرج معنا إلى الشام نؤمن بك وننصرك فهم النبي بالخروج معهم وضرب بقبته على ثلاثة أميال من المدينة ليخرج فأنزل الله تعالى هذه الآية والأرض هاهنا هي المدينة وهذا قول معروف
وعن قتادة قال الآية مكية ومعنى الأرض أرض مكة وكان المشركون قد هموا أن يخرجوه منها أو يقتلوه فأمره الله تعالى بالهجرة وأن يخرج بنفسه
وقيل الأرض جميع الأرض والإخراج منها هو القتل
وقوله وإذا لا يلبثون خلفك وقرىء خلافك ومعناه بعدك إلا قليلا ومعنى القليل على القول الثاني ما بين خروج رسول الله إلى أن قتلوا ببدر وعلى القول الأول مدة الحياة
قوله تعالى سنة من قد أرسلناك قبلك من رسلنا الآية انتصبت السنة لأن معناه هذه السنة كسنة من قد أرسلنا ثم حذفت الكاف فانتصبت السنة ومعنى سنة الله هو استئصال القوم بالهلاك إذا أخرجوا الرسول أو قتلوه
وقوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تبديلا وقيل لعادتنا ومعناه ما أجرى الله تعالى من العادة في خلقه

قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس اختلفوا في الدلوك قال ابن مسعود هو الغروب وقال ابن عباس هو الزوال وقد حكي عنهما كلا القولين وكذلك اختلف التابعون في هذا وأصل الدلوك من الميل والشمس تميل إذا زالت أو غربت وقيل من الدلك والإنسان عند الزوال يدلك عينيه لشدة ضوء

تفسير السمعاني ج:3 ص:267
تفسير السمعاني ج 3/ص 268
أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا 78 الشمس ويدلك عينيه عند الغروب فتبين الشمس لمعرفة جرمها قال الشاعر
مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك
تقول العرب طريق دوالك إذا كانت ذات شعب وأولى القولين أن يحمل على الزوال لكثرة القائلين به فإن أكثر التابعين حملوه عليه ولأنا إذا حملنا عليه تناولت الآية جميع الصلوات الخمس فإن قوله لدلوك الشمس يتناول الظهر والعصر
وقوله إلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء

وغسق الليل ظهور ظلمته وقيل اجتماع سواده
وقله وقرآن الفجر أي صلاة الفجر واستدل العلماء بهذا على وجوب القراءة في الصلاة حيث سمى الصلاة قرآنا وقوله إن قرآن الفجر كان مشهودا أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ومعنى تشهده تحضره وقد صح برواية الأعمش رحمه الله عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي قال في هذه الآية إن قرآن الفجر -صلاة الفجر- تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل معنى قوله مشهودا أي أمر الناس بشهودها ليصلوها جماعة والصحيح هو القول الأول
قوله تعالى ومن الليل فتهجد به يقال تهجد إذا قام بعد النوم للصلاة وهجد إذا نام قال الأزهري التهجد إلقاء الهجور وهو النوم وعن علقمة والأسود وغيرهما أنه لا يكون التهجد إلا بعد النوم
وقوله نافلة لك أي زيادة لك قيل هي زيادة لكل أحد فما معنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:268
تفسير السمعاني ج 3/ص 269
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا 79 تخصيص النبي بذلك قلنا لأنه هي تكفير الذنوب لغيره وزيادة له لأن ذنوبه مغفورة وقيل نافلة لك أي فريضة عليك وقد كان عليه القيام بالليل فريضة وقيل نافلة لك أي فضيلة لك وخص بالذكر ليكون له السبق في هذه الفضيلة وليقتدي الناس به فيها
وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أجمع المفسرون أن هذا مقام الشفاعة وقد ثبت هذا عن النبي وفي رواية أبي هريرة أن النبي قرأ قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال أنا سيد الأنبياء إذا بعثوا وأنا وافدهم إذا تكلموا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا وأنا إمامهم إذا سجدوا أقول فليسمع وأشفع فأشفع وأسأل فأعطي
وعن مجاهد أنه قال يجلسه على العرش وعن غيره يقعده على الكرسي بين يديه وقال بعضهم يقيمه عن يمين العرش
وعن حذيفة أنه قال يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وهم حفاة عراة قيام لا يسمع منهم حس فيقول الله تعالى يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والمهتدى من هديت تباركت وتعاليت لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك وأنا عبدك بين يديك قال فهذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:269
تفسير السمعاني ج 3/ص 270

وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا 80 هو المقام المحمود

وعن بعضهم أن المقام المحمود هو لواء الحمد الذي يعطى النبي وقد ثبت عن النبي أنه قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وقال إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا أزال أشفع حتى يسلم إلي صكاك بأسماء قوم وجبت لهم النار وحتى يقول مالك خازن النار ما تركت للنار في أمتك من نقمة والأخبار في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو ضال مبتدع بإجماع أهل السنة
قوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق فيه أقوال أحدها أدخلني المدينة مدخل صدق وأخرج من مكة مخرج صدق وذكر الصدق لمدح الإخراج كقوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق فالصدق لمدح القدم وكذلك قوله في مقعد صدق لمدح المقعد وإنما مدح لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين
والقول الثاني أخرجني من مكة وأدخلني مكة قاله الضحاك والقول الثالث أدخلني في الدين وأخرجني من الدنيا والقول الرابع أدخلني في الرسالة وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حقها والقول الخامس أخرجني يعني من المناهي وأدخلني يعني في الأوامر
والمشهور هو القولان الأولان والمخرج بمعنى الإخراج والمدخل بمعنى الإدخال

تفسير السمعاني ج:3 ص:270
تفسير السمعاني ج 3/ص 271
وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا 81
وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال مجاهد حجة بينة وقال غيره ملكا عزيزا والملك العزيز هو المؤيد بالقدرة والحجة

قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل قال قتادة الحق القرآن والباطل الشيطان وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الأصنام وقد ثبت برواية ابن مسعود أن النبي دخل مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ذكره البخاري في الصحيح قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني أخبرنا به المكي بن عبد الرزاق الكشميهني قال أنا جدي أبي الهيثم قال أخبرنا محمد بن يوسف الفربري قال أخبرنا البخاري قال أخبرنا علي بن المديني قال أنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود الخبر

وفي بعض التفاسير أن النبي كان يشير بيده إلى الصنم فيستلقي الصنم من غير أن يمسه
وقوله إن الباطل كان زهوقا أي ذاهبا يقال زهقت نفسه إذا خرجت
قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة الآية قيل إن من ها هنا للتجنيس لا للتبعيض ومعناه وننزل القرآن الذي منه الشفاء وقيل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة أي ما كله شفاء فيكون المراد من البعض هو الكل كما قال الشاعر
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

تفسير السمعاني ج:3 ص:271
تفسير السمعاني ج 3/ص 272
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا 82 وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا 83
أي كل النفوس الحمام هو الموت
وأما المراد من الشفاء هو الشفاء من الجهل بالعلم ومن الضلالة بالهدى ومن الشك باليقين وقيل المراد من الشفاء هو الشفاء من المرض بالتبرك به وقيل إن معنى الشفاء هو ظهور دليل الرسالة منه بالإعجاز وعجيب النظم والتأليف
وقوله ورحمة للمؤمنين أي هو بركة وبيان وهدى للمؤمنين

وقوله ولا يزيد الظالمين إلا خسارا معنى زيادة الخسار في القرآن للظالمين ما كان يتجدد منهم بالتكذيب عند نزوله آية آية فذلك زيادة الخسار والكفر
قوله تعالى وإذا أنعمنا على الإنسان أي بالصحة وسعة الرزق وطيب الحياة وما أشبه ذلك
وقوله أعرض أي تولى وقوله ونأى بجانبه أي تباعد بجانبه وقرئ وناء بجانبه وهذا يقرب معناه من الأول ومعنى الآية هو ظهور التضرع والإخلاص في الدعاء والالتجاء إلى الله عند المحنة والشدة وترك ذلك عند النعمة والصحة ومعنى التباعد هو ترك التقرب إلى الله وما كان يظهره من ذلك عند الضر والشدة
وقوله وإذا مسه الشر كان يؤسا أي آيسا ومعناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فإذا خرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييئس من إجابة الله وإن تأخرت الإجابة مدة طويلة
وعن بعض التابعين أنه قال إني أدعو الله بدعوة منذ عشرين سنة ولم يجبني إليها وما آيست منها قيل وما تلك الدعوة قال ترك ما لا يعنيني
قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته أي على جديلته وطبيعته ومعناه ما يشاكل خلقه وصحف بعضهم كل يعمل على جديلته - وهو تصحيف قريب من المعنى - والتصحيف في التفسير

تفسير السمعاني ج:3 ص:272

تفسير السمعاني ج 3/ص 273
قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا 84 ويسألونك عن
وقوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أوضح طريقا وأبين مسلكا
قوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية روى علقمة عن عبد الله بن مسعود قال
كنت مع رسول الله في حرث وهو متوكئ على عسيب فجاءه قوم من اليهود
وسألوه عن الروح فوقف رسول الله ينظر إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه
وتنحيت عنه ثم قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم إلا قليلا وهذا خبر صحيح

وعن ابن عباس برواية عطاء أن قريشا اجتمعت وقالوا إن محمدا نشأ فينا
بالأمانة والصدق وما أتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا بنفر إلى اليهود
واسألوهم عنه فبعثوا بقوم إلى المدينة ليسألوا يهود المدينة عنه فذهبوا
وسألوهم فقالوا سلوه عن ثلاثة أشياء إن أجاب عن اثنين ولم يجب عن الثالث
فهو نبي وإن أجاب عن الثلاث أو لم يجب عن شيء من الثلاثة فليس بنبي
سلوه عن ذي القرنين وعن فتية فقدوا في الزمن الأول وعن الروح - وأرادوا
بالذي لا يجيب عنه الروح - فرجعوا وسألوا النبي عن ذلك وقد اجتمعت قريش
فقال سأجيبكم غدا ولم يقل إن شاء الله فتلبث الوحي أربعين يوما لما أراد
الله تعالى ثم إنه نزل بعد أربعين يوما قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل الوحي بقصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين
ونزل بالروح قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
واختلفوا في الروح على أقاويل فروي عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام
وقد قال في موضع آخر نزل به الروح الأمين وعنه أنه قال خلق في السماء
من

تفسير السمعاني ج:3 ص:273
تفسير السمعاني ج 3/ص 274
الروح قل الروح من أمر ربي جنس بني آدم لهم أيدي وأرجل ليسوا من
الملائكة وذكره أبو صالح أيضا وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال الروح
ملك ذو سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان - وفي رواية سبعون
لسانا يسبح الله بألسنته كلها
وعن الحسن البصري إن الروح ها هنا هو القرآن وقيل إنه عيسى عليه السلام
ومعناه أنه ليس كما قال اليهود ولا كما قال النصارى ولكنه روح الله وكلمته
تكون بأمره

وأصح الأقاويل أن الروح ها هنا هو الروح الذي يحيا به الإنسان وعليه أكثر المفسرين واختلفوا فيه منهم من قال هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لم يغب منه إلا الدم ومنهم من قال هو تنفس الإنسان من الهواء ألا ترى أن المخنوق يموت لاحتباس النفس عليه ومنهم من قال إنه عرض وقال بعضهم جسم لطيف يشبه الريح يجري في تجاويف الإنسان واستدل من قال إنه جسم إن الله تعالى قال بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله وإنما يتصور رزق الأجسام لا رزق الأعراض وتدل عليه أن النبي قال أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلف من ثمر الجنة أو تأكل
وروي عن النبي أنه قال إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وهذا كله دليل على أن الروح جسم وليس بعرض وهذا أولى القولين

تفسير السمعاني ج:3 ص:274
تفسير السمعاني ج 3/ص 275
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا 85
وذكر بعض أهل المعاني أن الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه إذا كان موجودا رأت العين وسمعت الأذن فإذا ذهب الروح فات السمع والبصر وإذا كان موجودا فالإنسان طيب فإذا خرج أنتن وإذا كان موجودا فيوجد في الإنسان العلم بالأشياء فإذا فات صار جاهلا وكذلك توجد فيه الحياة فإذا فات صار الإنسان ميتا ويوجد فيه العلو واللطافة فات تسفل وكنف وأولى الأقاويل في الروح أن يوكل علمه إلى الله
ويقال هو معنى يحيا به الإنسان لا يعلمه إلا الله وذكر القرآن أن الله تعالى لم يخبر أحدا بمعنى الروح ولا يعلمه غيره وعن عبد الله بن بريدة أنه قال إن الله تعالى لم يطلع على معنى الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وخرج رسول الله من الدنيا ولم يعلم معنى الروح والله أعلم
وقوله قل الروح من أمر ربي معناه من علم ربي وقد قال بعضهم إن رسول الله علم معنى الروح إلا أنه لم يخبرهم به لأن ترك إخبارهم به كان علما على نبوته وأيضا لم يخبرهم به لئلا يكون إخباره ذريعة إلى سؤالهم عما لا يعنيهم وقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا يعني في جنب علم الله ويقال إن هذا خطاب لليهود على معنى أنه قال للنبي قل لليهود
وقيل إنه خطاب للرسول وقد روي أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية معناه أن ما أوتيتم من العلم الذي في التوراة قليل في جنب علم الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:275

تفسير السمعاني ج 3/ص 276
بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص 1 ذكر رحمت ربك عبده زكريا 2 إذ نادى ربه نداء خفيا 3 تفسير سورة مريم مكية
و قد روينا عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادي وفي رواية من العتاق الأول
وقوله تعالى كهيعص روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال هذا اسم من أسماء الله تعالى وحكي عنه أنه قال يا الله يا عين صاد اغفر لي وعن الحسن وقتادة اسم من أسماء السورة وأما ابن عباس فالمروي عنه أن كل حرف مأخوذ من اسم فالكاف مأخوذ من الكافي ومنهم من قال من كبير ومنهم من قال من كريم وأما الهاء قال ابن عباس مأخوذ من الهادي وأما الياء مأخوذ من حليم ومنهم من قال من يمين ومنهم من قال من أمين وقال بعضهم الياء من ياء النداء وأما العين فقال ابن عباس من عليم وعن غيره من عزيز وأما الصادق قال ابن عباس من الصادم وقد بينا قبل هذا أقوالا في الحروف المهجاة في أوائل السور
وقوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا يعني هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقال بعضهم في الآية تقديم وتأخير يعني هذا ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة
وقوله إذ نادى ربه نداء خفيا أي دعا ربه دعاء خفيا وفي بعض الأخبار خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وفي بعض الأخبار أيضا دعوة السر

تفسير السمعاني ج:3 ص:276
تفسير السمعاني ج 3/ص 277
قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا 4 وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا 5 تفضل دعوة العلانية بسبعين درجة
فإن قيل لم أخفى والجواب من وجوه أحدها أنه أفضل والآخر لأنه استحيا من الناس أن يدعو جهرا فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل على كبره الولد ويقال إنه أخفى لأنه دعا في جوف الليل وهو ساجد
قوله تعالى قال رب إني وهن العظم مني يعني رق وضعف من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الأضراس
قوله واشتعل الرأس شيبا أي شعر الرأس والعرب تقول إذا كثر الشيب في الرأس اشتعل رأسه وهذا أحسن استعارة لأنه يشتعل فيه كاشتعال النار في الحطب
وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا فيه قولان أحدهما أنك عودتني الإجابة ولم تخيبني والآخر ولم أكن بدعائك لي شقيا يعني لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان
وقوله وإني خفت الموالي من ورائي قال أبو صالح المراد منه الكلالة وعن أبي عبيدة بنو العم
وقوله ورائي أي بعدي وقال أبو عبيدة ورائي أي أمامي والقول الأول أصح وفي الشاذ وإني خفت الموالي من ورائي أي قلت
وقوله وكانت امرأتي عاقرا العاقر هي التي لا تلد
وقوله فهب لي من لدنك وليا وقوله يرثني أي ولدا يرثني فإن

تفسير السمعاني ج:3 ص:277

(3/251)

تفسير السمعاني ج 3/ص 278
يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا 6 قيل كيف يخاف نبي الله أن يرثه بنو العم والعصبة وأيش معنى هذا الخوف وعن قتادة قال أي شيء كان على نبي الله زكريا أن يرثه غير ولده
والجواب أنه اختلف الأقوال في الإرث فعن ابن عباس أنه أراد به إرث المال وهو قول جماعة وعنه أيضا أن المراد منه إرث العلم وهو قول الحسن البصري وفيه قول ثالث أنه ميراث الحبورة فإنه كان رأس الأحبار
قال الزجاج والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكرياء عليه السلام - وهو نبي من الأنبياء - أن يرثه بنو عمه وعصبته مالا وقد ثبت عن النبي أنه قال كان زكريا نجارا قال الشيخ الإمام الأجل أخبرنا به أبو الحسن أحمد بن محمد بن النقور قال أبو القاسم بن حبابة قال عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي الخبر خرجه مسلم في الصحيح ولم يخرجه البخاري لأنه لا يروى عن حماد بن سلمة
والمراد من الخوف أنه أراد أن يكون وارثه في النبوة والحبورة ولده وقد قال النبي إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة وقال فيها ولد صالح يدعو له
وقوله ويرث من آل يعقوب قيل النبوة وقيل الملك لأن زكريا كان من بيت الملك
وقوله واجعله رب رضيا أي مرضيا

تفسير السمعاني ج:3 ص:278
تفسير السمعاني ج 3/ص 279
يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا 7 قال رب أنى
قوله تعالى يا زكريا إنا نبشرك بغلام معناه قلنا زكريا إنا نبشرك

(3/252)

وقوله بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا يعني من تسمى باسمه فإن قيل وأي فضيلة له في هذا قلنا فضيلة التخصيص وقيل فضيلة تسمية الله إياه بهذا الاسم وفي الآية قول آخر هو أن قوله لم نجعل له من قبل سميا أي شبها ومثلا فإنه لم يذنب ولم يهم بذنب وما من أحد إلا وقد أذنب أو هم بذنب وقد روي هذا عن النبي في خبر مسند أنه قال ما من أحد يأتي الله يوم القيامة إلا وقد أذنب أو هم بذنب غير يحيى بن زكريا ثم أخذ عودا صغيرا من الأرض

وقال ما كان له إلا مثل هذا والخبر غريب

تفسير السمعاني ج:3 ص:279
تفسير السمعاني ج 3/ص 280
يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا 8 قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا 9 قال رب اجعل لي آية قال
وقيل في منع الشبهة أنه لم تلد عاقر من النساء مثله
قوله تعالى قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أي يأسا وجفوفا كأنه شكى نحولة العظم والفحل
وقرأ ابن مسعود عسيا بالسين والمعنى واحد
وقيل كيف سأل الله الولد فلما أجيب قال أنى يكون لي غلام
والجواب عنه من وجهين أحدهما أنه كان قال حال الشباب ثم إنه أجيب في حال الكبر وهذا قول ضعيف
القول الثاني أن معناه أنى يكون لي غلام يعني كيف يكون لي غلام أفتردني إلى حال الشباب أو تهب لي الغلام وأنا شيخ وقيل إنه سأل الولد مطلقا لا من هذه المرأة فقال كيف يكون لي الغلام أمن هذه المرأة أو من غيرها
قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين أي يسير
وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قد بينا

قوله تعالى قال رب اجعل لي آية أي دلالة فإن قيل لم سأل الآية أما صدق الله تعالى حتى يسأل الآية والجواب أن في القصة أن الشيطان تمثل له وقال إن الذي يجبك ليس هو الله وإنما هو شيطان يستهزئ بك فحينئذ سأل الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:280
تفسير السمعاني ج 3/ص 281
آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا 10 فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا 11 يا يحيى الآية وقد سأل الآية ليكون زيادة في سكون القلب
وقوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا أي متتابعات وقيل فيه تقديم وتأخير ومعناه ألا يتكلم الناس سويا يعني وأنت سوي لا آفة بك ثلاث ليال
وفي القصة أنه لم يقدر أن يتكلم مع الناس وكان إذا أراد التسبيح وذكر الله يطلق لسانه
قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب قد بينا معنى المحراب
وقوله فأوحى إليهم أي أومأ إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا
وروي أنه كان يدور على الأحبار كل يوم بكرة وعشيا ويأمرهم بالعبادة والصلاة

فلما كان في هذه الأيام جعل يشير ويقال إنه كتب حتى قرءوا منه
وقال بعض أهل العلم إن أخذ لسانه عن الكلام كان عقوبة عليه لما سأل الله تعالى عن الآية بعد أن سمع وعد الله إياه والله أعلم
قوله تعالى يا يحيى قيل يحيى مأخوذ من قوله يا حي وحكى النقاش في تفسيره أن سارة كان اسمها يسارة فسماها جبريل سارة فقالت لم نقصت من اسمي حرفا فقال هو لولد لك يأتي من بعدك وكان اسم يحيى حي في اللوح المحفوظ على معنى أنه حي من كبيرين أيسا من الولد ثم زيد فيه الياء فصار يحيى وفي الآية حذف ومعناه وهبنا له الولد ثم قلنا يا يحيى

تفسير السمعاني ج:3 ص:281
تفسير السمعاني ج 3/ص 282

(3/254)

خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا 12 وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا 13 وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا 14 وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
وقوله خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد
وقوله وآتيناه الحكم صبيا أي النبوة هذا قول أكثر المفسرين وقال قتادة أعطى النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل المراد من الحكم هو العلم فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا وفي الآية قول ثالث رواه أبو وائل وهو أن يحيى قيل له وهو صغير تعال نلعب فقال ما للعب خلقت فهو معنى قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قوله تعالى وحنانا من لدنا أي رحمة من عندنا قال الشاعر
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
هو مأخوذ من التحنن وهو التعطف
وقوله وزكاة أي طهارة وتوفيقا وقيل إخلاصا
وقوله وكان تقيا وصفه بالتقوى لأنه لم يذنب ولم يهم بذنب
وقوله وبرا بوالديه أي عطوفا
وقوله ولم يكن جبارا عصيا الجبار هو الذي يقتل على
وقوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا خص هذه الأحوال بهذه الأشياء لأن هذه الأحوال أوحش شيء فإنه عند الولادة يخرج من بطن

تفسير السمعاني ج:3 ص:282
تفسير السمعاني ج 3/ص 283
حيا 15 واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا 16 فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا 17 قالت إني أعوذ الأم على وحشة شديدة ويموت على وحشة شديدة ويبعث على وحشة شديدة

ومعنى السلام هو الأمان في هذه المواضع
قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها أي تنحت واعتزلت وقوله من أهلها أي من قومها

وقوله مكانا شرقيا أي من جانب المشرق ويقال كان يوما شاتيا شديد البرد فذهبت إلى مشرقه تفلي رأسها وروي أنها كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل
قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا اختلف القول في هذا الحجاب أحد الأقوال أنه وراء جدار وقيل وراء جبل والقول الثالث وراء ستر وروي أنها كانت تجردت لتغتسل
وقوله فأرسلنا إليها روحنا الأكثرون على أنه جبريل عليه السلام وفيه قول آخر أن المراد من الروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر وحملت به والصحيح هو القول الأول
قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا في القصة أنه جبريل جاء في صورة غلام أمرد وضىء الوجه له جعد قطط
قوله تعالى قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا يعني أستجير بالرحمن منك إن كنت تقيا فإن قيل إنما يستعاذ بالرحمن من الشخص إذا كان فاجرا فأما إذا كان متقيا لا يكون محل الاستعاذة منه لأنه متقي لا يقدم على الفجور والجواب عنه أن هذا كقول القائل إن كنت مؤمنا فلا تظلمني يعني أنه ينبغي أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:283
تفسير السمعاني ج 3/ص 284
بالرحمن منك إن كنت تقيا 18 قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا 19 قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا 20 قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا 21 فحملته فانتبذت به يكون إيمانك مانعا من الظلم كذلك هاهنا معناه ينبغي أن يكون تقواك مانعا من الفجور وقيل إنها شكت في حاله فقالت ما قالت على الشك والقول الثالث إن كنت متقيا يعني ما كنت متقيا جئت دخلت علي في هذه الحالة وهذا مثل قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد أي ما كان للرحمن ولد وعن بعض السلف أنه قال إن كنت متقيا علمت أن التقى ذو نهية أي ذو عقل فلهذا قالت إن كنت تقيا

قوله تعالى قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك وقرىء ليهب لك فقوله لأهب أضاف إلى نفسه لأنه أرسل بالموهوب على يده وقوله ليهب أي ليهب الله لك

وقوله غلاما زكيا أي طاهرا صالحا
قوله قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر أي زوج ولم أك بغيا أي زانية
ومعناه إن الولد يكون من نكاح أو سفاح وليس هاهنا واحد منهما
قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين أي يسير
وقوله ولنجعله آية للناس أي علامة للناس ودلالة
قوله ورحمة منا أي ونعمة منا
وقوله وكان أمرا مقضيا أي محكوما محتما لا يرد ولا يبدل
قوله تعالى فحملته في القصة أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها وفي رواية في كم قميصها وفي رواية في فيها فحملت بعيسى في الحال وأخذ يتحرك في البطن

تفسير السمعاني ج:3 ص:284
تفسير السمعاني ج 3/ص 285
مكانا قصيا 22 فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت
وقوله فانتبذت أي فتنحت وتباعدت به مكانا قصيا أي شاسعا بعيدا
قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة
وقال غيره حملت به ثمانية أشهر وولدت لها ولا يعيش ولد في العالم يود لثمانية أشهر وكان هذا معجزة لعيسى
وفي القصة عن مريم أنها قالت كنت إذا خلوت جعل عيسى يحدثني وأنا أحدثه وهو في بطني وإذا كنت مع الناس وتكلمت معهم أخذ يسبح وأسمع تسبيحه
قوله تعالى فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة وقال أهل اللغة جاءها وأجاءها بمعنى واحد كما يقال أذهبته وذهبت به قال مجاهد فأجاءها أي فألجأها وفي حرف ابن مسعود فأداها المخاض إلى جذع النخلة وفي بعض القراءة فاجأها من المفاجئة قال الشاعر
وجار سار معتمدا عليكم فاجاءته المخافة والرجاء

والمخاض وجع الولادة فإن قال قائل لم التجأت إلى جذع النخلة والجواب عنه لتستظل بها والأصح أنها التجأت إلى النخلة لتستند إليها أو لتتمسك بها
فتستعين بذلك على وجع الولادة والدليل على أن هذا القول أصح أو أنه من المشهور أن النخلة كانت يابسة لا رأس لها وقيل كانت نخرة مجوفة ومثل هذا لا يستظل بها والصحيح هو القول الثاني وعن السدي أنه قال كانت النخلة يابسة فلما هزت النخلة حييت وأورقت وأطلعت ثم صار الطلع بلحا ثم زهوا ثم أرطبت وتساقطت عليها
وقوله تعالى قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا

تفسير السمعاني ج:3 ص:285

تفسير السمعاني ج 3/ص 286
نسيا منسيا 23 فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا 24 وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا 25 فكلي واشربي وقري عنيا فإما ترين
النسي في اللغة كمل ما إذا ألقي لم يذكر ونسي لحقارته وخساسته وقوله نسيا أي متروكا وعن ابن عباس قال معناه يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا وعن قتادة لم أعرف ولم أذكر وعن مجاهد قال دم حيضة ملقاة
فإن قيل لم تمنت الموت والجواب أنها تمنت الموت استحياء من قومها ويقال إنها تمنت الموت لأنها علمت أن الناس يكفرون بسبب ابنها وبسببها فتمنت الموت حتى لا يعصى الله بسببها وبسبب ابنها
قوله تعالى فناداها من تحتها قرىء من بالفتح والكسر فأما من قرأ بالفتح فحمل الآية على أن المنادي كان جبريل وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وأما من قرأ بالكسر فحمل على أن المنادي هو عيسى وهذا قول الحسن ومجاهد وأظهر القولين أن المنادي هو جبريل ويجوز أن تحمل القراءتان على ذلك
وفي القصة أن مريم كانت على أكمة فكان جبريل وراء الأكمة تحتها
وقوله ألا تحزني ألا تغتمي بالولادة من غير زوج وبالوحدة

(3/258)

وقوله قد جعل ربك تحتك سريا أكثر المفسرين أن السري هاهنا هو النهر ويسمى سريا لأنه يسري فيه الماء وقال إبراهيم النخعي هو نهر صغير
وفي القصة أنه كان هناك نهر يابس فأجرى الله تعالى فيه الماء والدليل على صحة هذا القول أن الله تعالى قال في الآية الأخرى فكلي واشربي أي كلي من الرطب واشربي من النهر وقال الشاعر في السري بمعنى النهر
سهل الخليفة ماجد ذي نائل مثل السري عدة الأنهار
وفي السري قول آخر وهو أنه بمعنى الشريف والمراد به عيسى قال بعض المتأخرين

تفسير السمعاني ج:3 ص:286
تفسير السمعاني ج 3/ص 287
من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا 26 فأتت به
إن السري إذا سرى بنفسه وابن السري إذا سرى أسراهما
قوله تعالى وهزي إليك بجذع الخلة قد بينا هذا من قبل وذكرنا أنها هزت وأورقت وأثمرت
وقوله تساقط عليك رطبا أي تتساقط فأدغمت إحدى التاءين في الأخرى والجني هو الذي بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه
قال الكلبي رطبا بغباره وعن ابن المسيب بن دارم قال كان برنيا وهي أشبع التمر وعن محمد بن كعب قال كان عجوة

قوله تعالى فكلي واشربي أي كل من الرطب واشربي من النهر
وقوله وقري عينا أي طيبي نفسا ومنه قولهم أقر الله عينك وقيل أن العين إذا بكت من السرور بالدمع يكون باردا وإذا بكت من الحزن يكون حارا فمن هذا أقر الله عينك وأسخن الله عينه
وقوله فإما ترين معناه فإما ترين وذكر النون للتأكيد
وقوله من البشر أحدا معلوم المعنى
وقوله فقولي إني نذرت للرحمن صوما قرىء في الشاذ صمتا والمعروف صوما ومعناه هو صمت ويقال إنها صامت عن الكلام والطعام جميعا وقيل كان الرجل من بني إسرائيل إذا اجتهد في العبادة صام عن الكلام والطعام جميعا والنذر عقد على البر لو تم أمر

وقوله فلن أكلم اليوم إنسيا أي أحدا فإن قيل هي تكلمت بهذا فكيف تكون صائمة عن الكلام
قلنا أذن لها في هذا القدر من الكلام

تفسير السمعاني ج:3 ص:287
تفسير السمعاني ج 3/ص 288
قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا 27 يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ
قوله تعالى فأتت به قومها تحمله في القصة أنها ولدت ثم حملته في الحين إلى قومها وفي بعض الروايات أنها حملته إلى قومها بعد أربعين يوما من ولادتها
وقوله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال مجاهد عظيما منكرا وقال أبو عبيدة عجبا وقيل مختلقا مفتعلا وقد روي أنها لما أتت بعيسى إلى قومها وأهل بيتها حزنوا حزنا شديدا -وكانوا أهل بيت صالحين- وظنوا بها الظنون
قوله تعالى يا أخت هارون يا شبيهة هارون قال قتادة وكان هارون رجلا عابدا في بني إسرائيل وليس هو هارون أخو موسى فشبهوها به على معنى أنا ظننا وحسبنا أنك في الصلاح مثل هارون وهذا مثل قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أشباه الشياطين
وعن كعب أن هارون كان من أعبد بني إسرائيل وأمثلهم قال ولما توفي صلى على جنازته أربعون ألفا كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس وكانوا يسمون أولادهم باسمه لحبهم إياه
وروى المغيرة بن شعبة أن النبي لما بعثه إلى نجران قال له نصارى نجران إنكم تقرءون يا أخت هارون بين مريم وهارون كذا وكذا من السنين فلم يدر المغيرة كيف يجيب فلما رجع إلى النبي ذكر ذلك له فقال ألا قلت لهم كانوا يسمون باسم أنبيائهم وصالحيهم رواه مسلم في صحيحه
وفي الآية قول آخر وهو أن المراد بهارون أخو موسى وهذا كما يقول القائل

تفسير السمعاني ج:3 ص:288
تفسير السمعاني ج 3/ص 289

(3/260)

سوء وما كانت أمك بغيا 28 فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا أخا تميم أو يا أخا ثعلب إذا كان من أولاده وقد كانت مريم من أولاد هارون والقول الثالث أن هارون كان رجلا فاسقا في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به
وفي الآية قول رابع أن هارون كان أخا مريم لأبيها فعلى هذا المراد من الأخوة في النسب
وقوله ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية ومعناه كيف جئت مفسدة زانية من أبوين صالحين
قوله تعالى فأشارت إليه معناه فأشارت إليه أي كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت إليه لتبرىء ساحتها ويكون كلامه حجة لها
وفي القصة أنها لما أشارت إليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تهزئين وتسخرين بنا
وقوله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فإن قيل أيش معنى قوله كان في المهد صبيا وما من رجل من العالم إلا كان في المهد صبيا والجواب عنه قال أبو عبيدة كان صلة ومعنى الآية كيف نكلم صبيا في المهد وقال الزجاج هذا على طريق الشرط أي من هو صبي في المهد كيف نكلمه ومعنى كان هو أو معنى كان صار وهذا اختيار ابن الأنباري
قوله تعالى قال إني عبد الله في التفسير أن مريم لما أشارت إليه فكان يرتضع من ثديها فترك الثدي وأقبل على القوم واتكأ على يساره وجعل يشير بيمينه وقال هذا القول
وقوله إني عبد الله أقر بالعبودية أولا لئلا يتخذ إلها

تفسير السمعاني ج:3 ص:289
تفسير السمعاني ج 3/ص 290
29 قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا 30 وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا 31 وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا

(3/261)

وقوله آتاني الكتاب أي الإنجيل والأكثرون على أنه أوتي الإنجيل وهو صغير طفل إلا أنهم قالوا كان يعقل عقل الرجال هذا قول الحسن وغيره من السلف وعن الحسن أنه قال جعل نبيا وأوتي الإنجيل وهو في بطن أمه

وقال بعضهم آتاني الكتاب أي سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا إذا صرت رجلا والصحيح هو الأول وقال بعضهم كان في ذلك الوقت على وصف آدم في العقل والعلم دون القامة والجثة
وعن سعيد بن جبير قال أسلمته أمه إلى المعلم فقال المعلم قل بسم فقال الله فقال قل الرحمن قال الرحيم فجعل كلما ذكر اسما ذكر هو الذي يليه فقال المعلم هذا أعلم مني ثم جعل يخبر الصبيان بما خبأت أمهاتهم في البيوت فجعل الصبيان يرجعون إلى بيوتهم ويأخذونها فضجت الأمهات من ذلك
فقوله وجعلني مباركا أي نفاعا معلما للخير وقال الضحاك قضاء للحوائج
وقال الثوري آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر
وقوله أينما كنت أي حيث كنت
وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة أي أمرني بالصلاة والزكاة فإن قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة والجواب أن معناه أمرني بالزكاة لو كان لي مال وقيل أمرني بالزكاة أي بالطهارة من الذنوب ويقال بالاستكثار من الخير
وقوله مادمت حيا أي ما حييت
قوله تعالى وبرا بوالدتي أي رءوفا وعطوفا بوالدتي

تفسير السمعاني ج:3 ص:290
تفسير السمعاني ج 3/ص 291
32 والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا 33 ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون 34 ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون 35
وقوله ولم يجعلني جبارا شقيا الجبار المتكبر والشقي هو الذي يعصي الله ويقال الجبار هو الذي يقتل ويضرب على الغضب وهذا قول معروف ويقال الجبار هو الذي يظلم الناس والشقي هو الذي يذنب ولا يتوب من الذنب

قوله تعالى والسلام علي يوم ولدت معناه التحية والحفظ من الله لي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وقال بعضهم السلام بمعنى السلامة عند الولادة هو السلامة من طعن الشيطان وهمزه والسلامة عند الموت هو من الشرك فإن أكثر الشرك يكون عند الموت والسلامة يوم القيامة من الأهوال وقيل السلامة عند الموت من ضغطة القبر وقيل سلامة عند الموت بالوصول إلى السعادة
قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم يعني هذا عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون يعني هذا القول هو القول الحق وقوله الذي فيه يمترون أي يختلفون
قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد معناه ما يصلح لله وما ينبغي أن يتخذ من ولد فإن قيل هلا قال ولدا قلنا قال من ولد للمبالغة فإن الرجل قد يقول ما اتخذ فلان فرسا يريد العدد وإن كان قد اتخذ واحدا فإذا قال ما اتخذ فلان من فرس يكون ذلك نفيا للواحد والعدد وقد بينا أن الولد يكون من جنس الوالد

والله لا جنس له
وقوله سبحانه إذا قضى أمرا قد بينا معنى القضاء
وقوله فإنما يقول له كن فيكون قد ذكرنا أيضا

تفسير السمعاني ج:3 ص:291
تفسير السمعاني ج 3/ص 292
وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم 36 فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم 37 أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن
قوله تعالى وإن الله ربي وربكم أكثر المفسرين أن هذا بناء على قول عيسى عليه السلام ومعناه قال إني عبد الله إلى آخره وقال إن الله ربي وربكم وأما أن بالفتح معناه وأخبر بأن الله ربي وربكم وقيل تقديره ولأن الله ربي وربكم فاعبده والعامل قوله فاعبدوه
وقوله فاعبدوه هذا صراط مستقيم ظاهر المعنى

قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم قال قتادة وابن جريج وغيرهما لما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء اختار بنو إسرائيل أربعة من رءوسهم
وسألوهم عن عيسى فاختلفوا فقال أحدهم كان هو الله نزل من السماء وصار في بطن مريم وأحيا وأمات ثم صعد إلى السماء فقال الآخرون كذبت وهذا قول اليعقوبية من النصارى
وقال الثاني كان هو ابن الله فقال الآخران كذبت وهذا قول النسطورية من النصارى
وقال الثالث كان ثالث ثلاثة الله ومريم وعيسى فعيسى أحد الأقانيم الثلاثة وهذا قول الملكانية من النصارى قال الرابع كذبت ثم إن الرابع قال هو عبد الله ورسوله وتبع كل واحد جماعة فاقتتلوا وظهر على المسلمين وبقي الأقوال الثلاثة من النصارى فهذا معنى قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم
وقوله فويل للذين كفروا قد بينا معنى الويل
وقوله من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة
قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يعني ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة وإنما

تفسير السمعاني ج:3 ص:292
تفسير السمعاني ج 3/ص 293
الظالمون اليوم في ضلال مبين 38 وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وصفهم بهذا لأنه تعالى كان وصفهم بالبكم والعمي والصمم في الدنيا فأخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا ويقال وصفهم بشدة السمع والبصر في الآخرة بحصول الإدراك بغير رؤية ولا

فكر
وقوله يوم يأتوننا ظاهر المعنى
وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين أي خطأ بين
ويقال قوله أسمع بهم وأبصر تهديد ووعيد ومعناه أنهم يسمعون ما تصدع قلوبهم ويرون ما يهلكهم

وقوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة معناه يوم الندامة ويقال كل الناس يندمون يوم القيامة أما المسيء فيندم هلا أحسن وأما المحسن فيندم هلا ازداد حسنا وأما قول أكثر المفسرين في الآية هذه الحسرة حيث يذبح الموت على الصراط وقد صح الخبر برواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال
إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ينادي مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون وينادي يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيؤتى بالموت على صورة كبش أملح فيقال لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعرفه هذا هو الموت فيذبح وفي رواية أبي هريرة يذبح على الصراط ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وفي بعض الروايات لو مات أهل الجنة لماتوا فرحا ولو مات أهل النار لماتوا حزنا ثم قرأ النبي وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر الآية

تفسير السمعاني ج:3 ص:293
تفسير السمعاني ج 3/ص 294
وهم لا يؤمنون 39 إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون 40 واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا 41 إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا 42 يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني
وقوله قضي الأمر أي فرغ من الأمر
وقوله وهم في غفلة معناه وهم في غفلة في الدنيا عما يعمل بهم في الآخرة
وقوله وهم لا يؤمنون أي لا يصدقون
قوله تعالى إنا نحن نرث الأرض ومن عليها الآية معناه إنا نميت سكان الأرض ونهلكهم فتكون الأرض ومن عليها لنا وفي حكمنا ومعنى الإرث هو أنه لا يبقى لأحد ملك ولا سبب سوى الله
قوله وإلينا يرجعون أي يردون

قوله تعالى واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا الصديق هو الكثير الصدق القائم عليه ويقال من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق

بالبعث وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق
وقوله نبيا النبي هو العالي في الرتبة بإرسال الله إياه وإقامة الدليل على صدقه
قوله تعالى إذ قال لأبيه يا أبت معناه يا أبي فأقيمت التاء مقام ياء الإضافة
وقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي لا يسمع إن دعوته ولا يبصر إن أتيته ولا يغني عنك شيئا لا يدفع عنك ومعناه لا يغيثك إن استغثت به
قوله تعالى يا أبت إني قد جاءني ما لم يأتك أي من العلم والمعرفة بالله ما لم يأتك

تفسير السمعاني ج:3 ص:294
تفسير السمعاني ج 3/ص 295
أهدك صراطا سويا 43 يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا 44 يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا 45 قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا 46 قال سلام
فاتبعني أهدك أرشدك صراطا سويا مستقيما
قوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان معناه لا تطع الشيطان فيما يزين لك من الكفر والشرك
وقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا أي عاصيا
قوله تعالى يا أبت إني أخاف الخوف ها هنا بمعنى العلم ومعناه إني أعلم أنه يمسك عذاب من الرحمن إن أقمت على الكفر
فتكون للشيطان وليا يعني يلزمك ولاية أي موالاة الشيطان وتكون مثله وقيل فتوكل إلى الشيطان ويخذلك الله
قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم
في القصة أن أبا إبراهيم كان ينحت الصنم ويعبده وكان يعطي الأصنام بنيه يبيعونها فكان إذا أعطى إبراهيم صنما يبيعه فيقول إبراهيم من يشتري مني ما يضره ولا ينفعه فيرجع وما باع ويرجع سائر البنين وقد باعوا

وقوله قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم يقال رغب عن الشيء إذا تركه ورغب في الشيء إذا طلبه
وقوله لئن لم تنته يعني عن عملك لأرجمنك قال الحسن البصري لأقتلنك بالحجارة وقال غيره لأشتمنك ولأبعدنك عن نفسي بالشتم والقبح من القول وهذا أعرف القولين وقوله واهجرني مليا قال الحسن زمانا طويلا وقال عكرمة دهرا

تفسير السمعاني ج:3 ص:295

تفسير السمعاني ج 3/ص 296
عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا 47 وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا 48 فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
قال مهلهل شعرا
فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليا
ومنه الملوان هو الليل والنهار ويقال مليا أي سليما سويا من عقوبتي وإيذائي وحكي هذا عن ابن عباس ومنه فلان ملي بأمر كذا إذا كان كاملا فيه
قوله تعالى قال سلام عليك
قال بعضهم هذا سلام هجران ومفارقة وقال بعضهم هو سلام بر ولطف وهو جواب حليم لسفيه قال الله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
ويقال معنى قوله سلاما أي سلامة لك مني لأنه لم يكن أمر بقتاله
وقوله سأستغفر لك ربي فيه قولان أحدهما سأستغفر لك ربي إن آمنت والقول الثاني سأسأل الله لك التوبة التي توجب المغفرة وقد كانت توبته هي الإيمان وقوله إنه كان بي حفيا أي عودني الإجابة لدعائي وقيل محبا
قوله تعالى وأعتزلكم هذا الاعتزال هو تركهم في مهاجرته إلى الشام على ما قال في موضع آخر وقال إني مهاجر إلى ربي
وقوله وما تدعون من دون الله أي تعبدون من دون الله
وقوله وأدعو ربي أي وأعبد ربي
وقوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا عسى من الله واجب والدعاء بمعنى العبادة والشقاوة الخيبة من الرحمة
قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق

تفسير السمعاني ج:3 ص:296
تفسير السمعاني ج 3/ص 297
الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا 49 ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا 50 واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ويعقوب هو ابن إسحاق
ومعناه أنا أعطيناه أولادا كراما بررة عوض الذين كان يدعوهم إلى عبادة الله فلم يجيبوا
وقوله وكلا جعلنا نبيا يعني إسحاق ويعقوب
ووهبنا لهم من رحمتنا يعني أنعمنا عليهم وأعطيناهم من كرامتنا ونعمنا
وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا أي ثناء حسنا إلى يوم القيامة وقد بينا أن كل أهل الأديان يتولون إبراهيم فهو الثناء الحسن إلى يوم القيامة
قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وقرئ مخلصا مخلصا بالفتح والكسر فبالكسر أي موحدا لله وبالفتح أي مختارا من الله تعالى وقيل مخلصا أي خالصا وهو مثل قوله تعالى ورجلا سلما لرجل أي خالصا لرجل
وقوله وكان رسولا نبيا قيل الرسول والنبي واحد وقد فرق بينهما وقد بينا من

قبل
قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن الطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير
وقوله الأيمن وقيل يمين الجبل وقيل يمين موسى والأصح يمين موسى لأن الجبل ليس له يمين ولا شمال

تفسير السمعاني ج:3 ص:297
تفسير السمعاني ج 3/ص 298
51 وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا 52 ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا 53 واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
وقوله وقربناه نجيا قال ابن عباس أدناه حتى سمع صرير القلم وقيل صريف القلم وفي رواية رفعه على الحجب

(3/268)

ويقال قربناه نجيا أي كلمناه والتقريب ها هنا هو التكلم وأما النجي فهو المناجي وكأن معناه على هذا القول أن الله يكلمه وهو يكلم الله
قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا قال أهل التفسير إنما سمى نبوة هارون هبة لموسى لأن موسى كان قال واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي
قوله تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل الأكثرون أن هذا إسماعيل بن إبراهيم أبو النبي وقال بعضهم هو إسماعيل بن حزقيل نبي آخر فإن إسماعيل بن إبراهيم توفي قبل إبراهيم والصحيح هو القول الأول وقد كان بعث إلى جرهم وهي قبيلة وأما وفاته قبل إبراهيم لا تعرف
وقوله إنه كان صادق الوعد قال سفيان لم يعد الله شيئا من نفسه إلا وفى به ومن المعروف أنه وعد إنسانا شيئا فأنتظره ثلاثة أيام في مكان واحد فسمي صادق الوعد ويقال انتظره حولا
وعن سفيان الثوري أنه قال إن للكذاب أطرافا وأعظم الكذب إخلاف المواعيد واتهام الأبرياء
وفي بعض الأخبار أن النبي بايع رجلا قبل الوحي فقال له ذلك الرجل مكانك يا محمد حتى أرجع إليك وذهب ونسي ثم مر بذلك المكان بعد ثلاثة أيام فوجد النبي جالسا فقال له النبي أتعبتني أيها الرجل أنا أنتظرك

تفسير السمعاني ج:3 ص:298
تفسير السمعاني ج 3/ص 299
54 وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا 55 واذكر في الكتاب منذ ثلاث

وقد ثبت عن النبي أنه جعل إخلاف الوعد ثلث النفاق
وعن زيد بن أرقم أن من وعد إنسانا ومن نيته أن يفي به ثم لم يتفق الوفاء فإنه لا يدخل في هذا الوعيد
وروى قباث بن أشيم أن النبي قال العدة عطية هو خبر غريب
وقوله وكان رسولا نبيا قد بينا
قوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة قرأ ابن مسعود وكان يأمر قومه بالصلاة
وقال أهل التفسير إن معنى قوله وكان يأمر أهله أي أمته وإن أمة كل نبي أهلوه

وقوله وكان عند ربه مرضيا أي مختارا ومعناه رضيه الله لنبوته ورسالته

تفسير السمعاني ج:3 ص:299
تفسير السمعاني ج 3/ص 300
إدريس إنه كان صديقا نبيا 56 ورفعناه مكانا عليا 57 أولئك الذين أنعم الله
قوله تعالى واذكر في الكتاب إدريس قيل إدريس هو أبو جد نوح يسمى إدريس لكثرة درسه الكتب
وقال محمد بن إسحاق هو أول من خط بالقلم وأول من لبس الثياب وكان من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار
قوله إنه كان صديقا نبيا قد بينا
وقوله ورفعناه مكانا عليا قد ثبت برواية أنس أن النبي قال رأيت إدريس ليلة المعراج في السماء الرابعة فهو قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا في الجنة يعني رفعه
وقيل هي الرفعة بعلو المرتبة واختلف القول في أنه في السماء الرابعة حي أم ميت أحد القولين أنه حي
قال قوم من أهل العلم أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في السماء واثنان في الأرض أما اللذان في السماء فإدريس وعيسى وأما اللذان في الأرض فالخضر وإلياس
والقول الثاني إن إدريس ميت قال كعب الأحبار كان لإدريس صديق من الملائكة فقال له إني أحب أن أعرف متى أموت لأزداد من العمل فهل لك أن تسأل ملك الموت فقال أسأله وأنت تسمع ثم رفعه تحت جناحه إلى السماء وجاء إلى ملك الموت فقال هل تعرف أن إدريس متى يموت فقال حتى أنظر ثم

تفسير السمعاني ج:3 ص:300
تفسير السمعاني ج 3/ص 301

عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم
وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
58 فخلف من استخرج كتابا ونظر فيه فقال بقي من عمره ست ساعات
-وفي رواية لحظة- وقبض روحه ثمة فهو معنى قوله ورفعناه مكانا عليا وهذا
قول معروف
قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم والمراد من ذرية
آدم إدريس
وقوله وممن حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملنا مع نوح والمراد منه إبراهيم
لأنه كان من ولد سام بن نوح
وقوله ومن ذرية إبراهيم المراد منه إسماعيل وإسحاق ويعقوب
وقوله تعالى وإسرائيل أي من ذرية إسرائيل والمراد منه موسى وداود
وسليمان ويوسف وعيسى وكل أنبياء بني إسرائيل
وقوله وممن هدينا واجتبينا هذا يرجع إلى الأولين ومعناه أنا هديناهم واختبرناهم
وهؤلاء ذريتهم
وقوله إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا أي سقطوا وقيل وقعوا
بوجوههم ساجدين والسجد جمع ساجد
وقوله وبكيا أي باكين
وروي أن النبي مر على رجل وهو ساجد يدعو فقال هذا السجود وأين البكاء
قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف الخلف الرديء من القوم والخلف

تفسير السمعاني ج:3 ص:301
تفسير السمعاني ج 3/ص 302
بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا 59 إلا من تاب
وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا 60 جنات عدن
التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا 61 الصالح في القوم
والخلف هو الذي يخلف غيره وذكر الفراء والزجاج أنه يجوز أن يستعمل
أحدهما مكان الآخر
وقوله أضاعوا الصلاة فيه قولان أحدهما أخروها عن وقتها والآخر تركوها أصلا
وعن ابن شوذب هو التأخير عن الوقت ولو تركوها أصلا لكفروا
وقال عمر بن عبد العزيز هو شربهم الخمر وتركهم الصلاة

وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في
الأسواق والأزقة وقيل هم الزناة ويقال أضاعوا الصلاة باتباع الشهوات
وقوله فسوف يلقون غيا قيل الغي واد في جهنم وقيل غيا هلاكا وقيل غيا جزءا

غيهم شعر
ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا أي لا ينقصون شيئا
قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب معناه جنات إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام
وقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي بالمغيب
وقوله إنه كان وعده مأتيا مفعول في الإتيان وكل ما أتيته فقد أتاك والعرب لا تفرق بين أن يقول القائل أتيت على خمسين سنة أو يقول أتت على خمسون سنة وكذلك لا تفرق بين أن يقول القائل وصل الخير إلي وبين أن يقول

تفسير السمعاني ج:3 ص:302
تفسير السمعاني ج 3/ص 303
لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا 62 تلك الجنة التي وصل إلي الخير
ويقال معنى قوله آتيا أي مأتيا مفعول بمعنى الفاعل
قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما
الغغو هو الفاسد من الكلام وما لا معنى له وقيل هو الهذر من القول وقيل القبيح منه وقيل هو الحلف الكاذبة
وقوله إلا سلاما معناه لكن يسمعون سلاما فإن قيل أيجوز استثناء السلام من اللغو وهو ليس من جنسه قلنا هو استثناء منقطع كما بينا وذكر الأزهري أن تقديره لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون إلا سلاما وأما السلام فهو تسليم بعضهم على بعض وقيل تسليم الله عليهم ويقال هو قول يسلمون منه والسلام اسم لكلام جامع للخيارت ومنهم من قال هو اسم لكلام يتصل به السلامة

وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فإن قيل ما معنى قوله بكرة وعشيا وليس في الجنة ليل ولا نهار والجواب عنه أن معناه بكرة وعشياء أي على مقادير البكر والعشايا
ويقال إنه يعرف وقت النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ووقت الليل بإسبال الحجب وغلق الأبواب
والقول الثاني أن معنى قوله بكرة وعشيا أي لهم فيها رفاهة العيش الرزق الواسع من غير تضييق ولا تقتير
وكان الحسن البصري إذا قرأ هذه الآية قال لقد علمت العرب أن أرفه العيش هو الرزق بالبكرة والعشية ولا يعرفون من الرفاهية فوق هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:303
تفسير السمعاني ج 3/ص 304
نورث من عبادنا من كان تقيا 63 وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا
قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا فيه قولان أحدهما يعطى وينول
والقول الآخر أنه ما من أحد من الكفار إلا وله منزل في الجنة وأهل لو أسلم فإذا لم يسلم ورثه المؤمنون
وقوله من كان تقيا قيل مخلصا
قوله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك قد ثبت برواية عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن جبريل أبطأ على النبي فلما نزل قال يا جبريل لو زرتنا أكثر مما تزورنا فقال جبريل وما نتنزل إلا بأمر ربك
وفي بعض الروايات أن النبي قال له يا جبريل قد كنت مشتاقا إليك فقال يا محمد وأنا والله قد كنت مشتاقا إليك ولكن ما نتنزل إلا بأمر ربك
وروي أنه أبطا اثنتا عشرة ليلة وروي أكثر من هذا والله أعلم
وقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا يعني له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وفي الآية أقوال
أحدها ما بين أيدينا يعني الآخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من الساعة إلى النفخة
والقول الثاني ما بين أيدينا ما قابلناه وواجهناه وما خلفنا ما استدبرناه وجاوزناه

تفسير السمعاني ج:3 ص:304
تفسير السمعاني ج 3/ص 305
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا 64 رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا 65 ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا 66 أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا 67 فوربك لنحشرنهم بين الوقت وما بين ذلك الحال
والقول الثالث ما بين أيدينا الأرض وما خلفنا السموات وما بين ذلك الهواء
والقول الرابع ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة
وقوله وما كان ربك نسيا أي ما نسيك ربك ومعنى نسيك أي تركك
قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما ظاهر المعنى
وقوله فاعبده أي وحده
وقوله واصطبر لعبادته أي اصبر على عبادته
وقوله هل تعلم له سميا قال ابن عباس هل تعلم أحدا يسمى الرحمن غير الله وقيل يسمى الله غير الله وقال قتادة هل تعلم له سميا أي مثلا وقال بعضهم سميا أي ولدا
قوله تعالى ويقول الإنسان أإذا ما مت قالوا نزلت الآية في أبي بن خلف
وقوله لسوف أخرج حيا أي أسوف أخرج حيا

قوله تعالى أولا يذكر قرأ أبي بن كعب أولا يتذكر الإنسان ومعناه أولا يتفكر ولا ينظر الإنسان
وقوله أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ومعناه أنا لما قدرنا على إنشاء خلقهم فنحن على الإعادة أقدر

تفسير السمعاني ج:3 ص:305
تفسير السمعاني ج 3/ص 306
والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا 68 ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا 69 ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا 70 وإن منكم إلا واردها
قوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين في الخبر أنه يحشر كل كافر مسلسلا مع شيطان

(3/274)

وقوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا أي جاثين على الركب قال السدي قاعين على الركب من ضيق المكان وحول جهنم هو عين جهنم
قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة أي لنستخرجن ونأخذن من كل شيعة أي من كل أمة وأهل دين من الكفار
وقوله أيهم أشد على الرحمن عتيا أي الأعتى فالأعتى ومعنى الآية أنا نقدم في إدخال النار من هو أكثر جرما وأشد أمرا وقال أهل اللغة وقوله عتيا أي افتراء بلغة تميم ويقال هؤلاء هم قادة الكفر ورؤساؤه وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر
قوله تعالى ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي أحق دخولا ويقال الذين هم أشد عنوا أولى بها صليا فهذا تقدير الآية
قوله تعالى وإن منكم إلا واردها معناه وما منكم إلا واردها واختلفوا فيما ينصرف إليه قوله واردها قال ابن عباس هي النار قال والورود هو الدخول وقال يدخلها البر والفاجر ثم ينجو البر ويبقى الفاجر وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال تمارا ابن عباس ونافع بن الأزرق في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وتلا قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ثم قال يا نافع أنا وأنت داخلها وأرجو أن ينجيني الله منها ولا

تفسير السمعاني ج:3 ص:306
تفسير السمعاني ج 3/ص 307
ينجيك منها لأنك كذبت به
قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر السمعاني أخبرنا أبو علي الشافعي بمكة قال أخبرنا أبو الحسن بن فراس قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المقرىء قال حدثنا جدي محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان

وروى قرة عن ابن مسعود أن الناس يردون النار ويصدر المؤمنون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كشد الرجل ثم كالماشي

وعن ابن ميسرة أنه كان يدخل داره فيبكي فيقال له ما يبكيك فيقول الله تعالى أنبأنا أنا نرد النار ولم ينبئنا أنا صادرون عنها
وعن الحسن البصري أنه قال حق لابن آدم أن يبكي وذكر نحوا من هذا
والقول الثاني أن المراد من الآية هم الكفار هذا قول عكرمة وسعيد بن جبير وقرىء في الشاذ وإن منهم إلا واردها وعلى هذا كثير من أهل العلم واستدلوا بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
والقول الثالث أن المراد من الورود هو الحضور والرؤية دون الدخول وهذا قول الحسن وقتادة وقد يذكر الورود بمعنى الحضور قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين أي حضر وقال زهير شعرا
ولما وردن الماء زرقا جمامه تركن عصي الحاضر المتخيم

تفسير السمعاني ج:3 ص:307
تفسير السمعاني ج 3/ص 308
والقول الرابع وروي عن ابن مسعود قال وإن منكم إلا واردها القيامة وقد استحسنوا هذا القول لتقدم ذكر القيامة
والقول الخامس أن الصراط
وفي الآية قول سادس روي عن مجاهد أنه قال ورود النار هو الحمى في الدنيا
وفي بعض المسانيد عن النبي أنه عاد رجلا من وعك -أبي الحمى- به فقال يقول الله تعالى هي ناري أسلطها على من شئت من المؤمنين ليكون حظه من نار جهنم
وفي بعض الأخبار الحمى كي من جهنم وهي حظ المؤمن من النار
وقد ثبت عن النبي أنه قال الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء
وأولى الأقاويل هو القول الأول وقد صح عن النبي أنه قال من قدم من الولد لم يلج النار إلا تحلة القسم
وفي بعض الأخبار أنها تستعر على الكفار وتخمد تحت أقدام المؤمنين
روى خالد بن معدان عن النبي أنه قال يدخل الله قوما من المؤمنين الجنة

تفسير السمعاني ج:3 ص:308
تفسير السمعاني ج 3/ص 309

كان على ربك حتما مقضيا 71 ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا 72 وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا 73 وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا 74 قل من كان فيقولون ألم تعدنا ربنا أن ندخل النار فقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وقوله كان على ربك حتما مقضيا أي لازما يصيب به
قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا استدل بهذا من قال إن الورود هو الدخول لأن التنجية إنما تكون بعد الدخول وقال أيضا ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا دليل على أن الكل قد دخلوها وأما من قال إن الورود هو الحضور قال يجوز أن تذكر التنجية لأجل الإشراف على الهلاك
قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات معناه واضحات
وقوله قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما أي مكانا وقوله وأحسن نديا قال ثعلب مجلسا قال الكسائي الندي والنادي بمعنى واحد ومنه دار الندوة لأنهم كانوا يجتمعون فيها
وسبب نزول الآية أن المشركين كانوا يقولون لفقراء المؤمنين نحن أعز مجلسا وأحسن مكانا وأكثر مالا فأنزل الله تعالى هذه الآية والمقام موضع الإقامة والمقام فعل الإقامة قال الشاعر
ومقام حسن فرقته بحسامي ولساني وجدل
لو يكون الفيل أو فياله
زل عن مثل مقامي ورحل
قوله تعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا وقرىء وريا بغير همز وفي الشاذ وزيا بالزاء حكي هذا عن سعيد بن جبير أما قوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:309
تفسير السمعاني ج 3/ص 310

في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا 75 ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا 76 أفرءيت الذي كفر بآياتنا ورئيا بالهمز هو المنظرة وأما بغير الهمز هو من النعمة وأما الزي هو الهيأة وعن الحسن البصري قال وأحسن رئيا هو حسن الصورة وقيل الري من الارتواء والمتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير يظهر عليه ذبول البؤس والفقر
قوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا هذا أمر بمعنى الخبر ومعناه أن الله تعالى يتركهم في الكفر ويمهلهم فيه
وقوله حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة العذاب هو القتل

والأسر في الدنيا والساعة القيامة ومعناه لو نصر عليهم المؤمنون في الدنيا فقتلوا وأسروا أو جاءتهم الساعة فأدخلوا النار فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكانا أي منزلا وأضعف جندا أي ناصرا
وقوله وأضعف جندا يرجع إلى الدنيا وقوله شر مكانا يرجع إلى الآخرة
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى يعني يقينا على يقينهم ورشدا على رشدهم
وقوله والباقيات الصالحات قيل إنها الصلوات الخمس وقيل هي الأذكار التي قلناها وقد بينا
وقوله خير عند ربك ثوابا أي جزاء وخير مردا أي مرجعا ونقل الكلبي عن ابن عباس أن زيادة الهدى هوالإيمان بالناسخ والمنسوخ
قوله تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا سبب نزول الآية ما روى مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت قينا وحدادا بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي فاجتمعت لي عليه دراهم فجئته أتقاضاه فقال لا

تفسير السمعاني ج:3 ص:310
تفسير السمعاني ج 3/ص 311

وقال لأوتين مالا وولدا 77 أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا 78 كلا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى تموت ثم تبعث فقال العاص أو مبعوث أنا فقلت نعم قال فإذا بعثت فيكون لي هناك مال وولد فأقضيك حقك فأنزل الله تعالى هذه الآية
قال الشيخ الإمام رضي الله عنه أخبرنا بهذا المكي بن عبد الرزاق قال أخبرنا جدي أبو الليث قال الفربري قال ثنا البخاري قال ثنا الحميدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق الحديث
وقوله أطلع الغيب أي اللوح المحفوظ وقيل علم الغيب فعلم أن له مالا وولدا بعلم الغيب
وقوله أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال سفيان عملا صالحا وقال غيره لا إله إلا الله
وروى الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود أنه قال إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى من كان له عندي عهد فليقم فقيل يا أبا عبد الرحمن وما ذلك العهد فعلمنا فقال قال أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهدا قالوا وكيف قال يقول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أتخذ عندك عهدا في الحياة الدنيا وإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاحفظ عهدي تؤديه إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد

تفسير السمعاني ج:3 ص:311

تفسير السمعاني ج 3/ص 312
سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا 79 ونرثه ما يقول ويأتينا فردا 80 واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا 81 كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون
قوله تعالى كلا سنكتب ما يقول قوله كلا يعني ليس الأمر على ما زعم العاص بن وائل ثم قال سنكتب ما يقول أي يأمر الملائكة حتى يكتبوا
وقوله ونمد له من العذاب مدا أي نطيل مدة عذابه

(3/279)

وقوله ونرثه ما يقول قرأ ابن مسعود ونرثه ما عنده فإن قيل القول كيف يورث والمعروف ونرثه ما يقول والجواب عنه قال ثعلب معناه ونرثه ما زعم أن له مالا وولدا أي لا يعطيه ويعطي غيره فيكون الإرث راجعا إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول
ويجوز أن يكون معنى قوله ونرثه ما يقول أي ونرثه ما عنده على ما قرأ ابن مسعود
وفي الآية قول ثالث وهو أن معنى قوله ونرثه ما يقول أي نحفظ ما يقول حتى يجاز به
وقوله ويأتينا فردا أي فردا لا أنصار له ولا أعوان وقيل هو في معنى قوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الآية وحقيقته أنه يأتينا ولا مال له ولا ولد
قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة يعني آلهة يعبدونها
وقوله ليكونوا لهم عزا أي منعة ومعنى المنعة أنهم يمتنعون بها من العذاب
قوله تعالى كلا أي ليس الأمر كما زعموا
وقوله سيكفرون بعبادتهم فيه قولان أحدهما أن الأصنام والملائكة

تفسير السمعاني ج:3 ص:312
تفسير السمعاني ج 3/ص 313
عليهم ضدا 82 ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا 83 فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا 84 يجحدون عبادتهم والقول الآخر أن المشركين ينكرون عبادة الأصنام والملائكة
فإن قيل ما عرف في المشركين أحد كان يعبد الملائكة قلنا ليس كذلك فإنه كان بطن من العرب يسمون بني المليح كانوا يعبدون الملائكة
وقوله ويكونون عليهم ضدا أي بلاء وقيل أعداء

(3/280)

قوله تعالى ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين فإن قيل أتقولون إن الشياطين مرسلون والله قال وسلام على المرسلين فإذا كانوا مرسلين وجب أن يدخلوا في جملتهم والجواب عنه أنه ليس معنى الإرسال هاهنا هو الإرسال الذي يؤجد في الأنبياء ولكن معنى الإرسال هاهنا أحد الشيئين إما التخلية بينهم

وبين الكفار وإما التسليط على الكفار
وقوله تؤزهم أزا قال ابن عباس تزعجهم إزعاجا كأنه يحركهم ويحثهم ويقول اقدموا على الكفر والهز والأز هو التحريك وفي الخبر أن النبي كان يصلي وبجوفه أزيز كأزيز المرجل أي حركة
قوله تعالى فلا تعجل عليهم يعني لا تعجل بطلب عقوبتهم
وقوله إنما نعد لهم عدا قال الكلبي هو عد الأيام وقال غيره عد الساعات وعن الحسن عد الأنفاس وقيل لبعض الصالحين إنما أيامك أنفاس معدودة فقال من صحة العدد أخاف
وروى الأصمعي عن أبيه أنه قال رأيت رجلا على باب البصرة أيام الطاعون يعد

تفسير السمعاني ج:3 ص:313
تفسير السمعاني ج 3/ص 314
يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا 85 ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا 86 لا الموتى وقدامه كوز كلما مر عليه بميت يلقي فيه حصى فعد في اليوم الأول ثمانين ألفا وفي اليوم الثاني مائة وعشرين ألفا قال فمررنا عليه بجنازة ثم عدنا فإذا عند الكوز غيره قلنا له أين ذهب الرجل قال وقع في الكوز
قوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا الحشر جمع الأقوام من كل صقع في موضع واحد

وقوله وفدا معناه ركبانا وعن علي -رضي الله عنه- أنه قرأ هذه الآية وقال يؤتون بنوق من نوق الجنة عليها أرحلة من الذهب ولها أزمة من الزبرجد فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة وفي بعض الأخبار عن أبي هريرة أن النبي قال يحشر الأنبياء على دواب في الجنة وأحشر على البراق ويحشر الحسن والحسين على العضباء والقصواء ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة فيؤذن فإذا بلغ قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله شهد بها جميع الخلق قبل ممن قبل ورد على من رد
وقيل وفدا أي مكرمين وفي الآية قول ثالث وهو ما روي في الأخبار عن النبي أن المؤمن إذا بعث يؤتى بعمله على أحسن صورة فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك فاركبني اليوم وأما الكافر يؤتى بعمله على أقبح صورة فيقول من أنت فيقول أنا عملك الخبيث قال طالما ركبتني وأنا أركبك اليوم
وقوله ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي مشاة وقيل عطاشا

تفسير السمعاني ج:3 ص:314
تفسير السمعاني ج 3/ص 315
يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا 87 وقالوا اتخذ الرحمن ولدا

88 لقد جئتم شيئا إدا 89 تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا 90 أن دعوا للرحمن ولدا 91 وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا 92
قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال بعض أهل
التفسير هذا راجع إلى الملائكة وقال بعضهم هو راجع إلى المؤمنين
وقوله إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني لا يشفعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن
عهدا فالعهد هو لا إله إلا الله ويقال لا يشفع إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني
لا يشفع إلا مؤمن
وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا أي منكرا عظيما والإد
والاتخاذ إعداد الشيء لأمر في العاقبة

قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الانفطار الانشقاق وتكاد أي تقرب
وفي التفسير أن الكافرين لما قالوا اتخذ الله ولدا غضبت السموات والأرض
وتسعرت جهنم فطلب الجميع أن ينتقموا من القائلين بهذا القول فهذا معنى
الآية
وقوله وتنشق الأرض أي تخسف بهم أما الانفطار في السماء فمعناه على هذا
أن تسقط عليهم
وقوله وتخر الجبال هدا أي تنكسر انكسارا ومعناه على ما ذكرنا أي تنطبق
عليهم
وقوله أن دعوا للرحمن ولدا أي حين دعوا للرحمن ولدا
وقوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا قد بينا

تفسير السمعاني ج:3 ص:315
تفسير السمعاني ج 3/ص 316
إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا 93 لقد أحصاهم وعدهم
عدا 94 وكلهم آتيه يوم القيامة فردا 95 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل
وقوله إن كل من في السموات والأرض أي ما كل من في السموات والأرض
وقوله إلا آت الرحمن عبدا
وقد أجمع أهل العلم أن البنوة مع العبودية لا يجتمعان ومن اشترى ابنه يعتق
عليه لأنه لا يصلح أن يكون ابنا وعبدا
قوله تعالى لقد أحصاهم وعدهم عدا أي يعلمهم وعلم عددهم
وقوله وكلهم آتيه يوم القيامة فردا قد بينا
قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي محبة
قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم إلى المؤمنين وقيل يحب بعضهم بعضا وفي
بعض الآثار أن الله تعالى جعل مع الإيمان المحبة والشفقة والألفة

وقد ثبت عن النبي برواية أبي هريرة أنه قال إذا أحب الله عبدا ينادي جبريل فيقول أنا أحب فلانا فأحبه فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ثم يوضع له المحبة في الأرض -وفي رواية القبول - وإذا أبغض عبدا ينادي جبريل فيقول أنا أبغض فلانا فأبغضه فينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغض في الأرض خرجه مسلم في الصحيح
وحكى الضحاك عن ابن عباس أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والمراد منه مودة أهل الإيمان له

تفسير السمعاني ج:3 ص:316
تفسير السمعاني ج 3/ص 317
لهم الرحمن ودا 96 فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا 97 وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا 98
وقد روي عن النبي أنه قال لعلي لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا منافق شقي خرج مسلم في الصحيح
قوله تعالى فإنما يسرناه بلسانك يعني سهلنا القرآن بلسانك
وقوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا اللد جمع الألد والألد المخاصم بالباطل وقال أبو عبيدة هو الذي لا ينقاد للحق ولا يقبله وقال الحسن البصري لدا أي صما عن الحق وقيل الألد هاهنا هو الظالم قال الشاعر
أبيت نجيا للهموم كأنني أخاصم أقوما ذوي جدل لدا
قوله تعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد معناه هل ترى منهم من أحد
وقوله أو تسمع لهم ركزا أي صوتا قال أهل اللغة الركز الصوت الخفي قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر

تفسير السمعاني ج:3 ص:317
تفسير السمعاني ج 3/ص 318
سورة طه
بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة طه
وهي مكية

وفي بعض الغرائب من الأخبار برواية أبي هريرة أن النبي قال إن الله تعالى قرأ سورة طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فقالت الملائكة طوبى لأمة نزلت عليهم هذا وطوبى لقلوب حملت هذه وطوبى لألسن تكلمت بهذا
قوله تعالى طه روي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رجلا اقرأ

عليه طه -بالإمالة- فقال اقرأ طه فقال الرجل أليس معناه طيء الأرض بقدميك فقال هكذا أقرأنيه رسول الله
واختلفت الأقاويل في معنى طه فروي عن ابن عباس أنه قال هو بالسريانية يا رجل ونقل الكلبي أنه يا إنسان بلغة عك قال الشاعر
إن السفاهة طه من خليقتكم لا قدس الله أرواح الملاعين
وقال آخر
هتفت بطه في القتال فلم يجب
فخفت عليه أن يكون مواليا

تفسير السمعاني ج:3 ص:318
تفسير السمعاني ج 3/ص 319
طه 1 ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى 2 إلا تذكرة لمن يخشى 3 تنزيلا
ويقال إن طه اسم للسورة وقيل إنه قسم أقسم الله به
ومن المعروف أن معناه طىء الأرض بقدميك وهذا منقول عن ابن عباس أيضا وسببه أن النبي اجتهد في العبادة حتى جعل يراوح بين الرجلين فيقوم على واحد ويرفع واحدا فأنزل الله تعالى هذه الآية ونقل بعضهم أنه قام بمفرد قدم ومنهم من قال إن الطاء من الطهارة والهاء من الهداية فالطاء إشارة إلى طهارة قلبه من غير الله والهاء إشارة إلى اهتداء قلبه إلى الله
وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي لتتعب وتنصب وروي أنه لما اجتهد في العبادة قال المشركون يا محمد ما أنزل القرآن إلا لشقاوتك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه اجتهد ولا كل هذا التعب حتى تنسب إلى الشقاوة
وقوله إلا تذكرة لمن يخشى معناه لكن تذكرة أي تذكيرا ووعظا لمن يخشى والخشية والخوف بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الخشية ما لا يعرف سببه والخوف ما يعرف سببه وهو ضعيف

وذكر الأزهري أن تقدير الآية ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلنا إلا تذكرة لمن

تفسير السمعاني ج:3 ص:319
تفسير السمعاني ج 3/ص 320
ممن خلق الأرض والسموات العلى 4 الرحمن على العرش استوى 5 له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما يخشى
وقوله تنزيلا أي منزل تنزيلا من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى والعلى جمع العليا
وقوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن مخارج الاستواء في اللغة كثيرة وقد يكون بمعنى العلو وقد يكون بمعنى الاستقرار وقد يكون بمعنى الاستيلاء -على بعد- وقد يكون بمعنى الإقبال

والمذهب عند أهل السنة أنه يؤمن به ولا يكيف وقد رووا عن جعفر بن عبد الله وبشر الخفاف قالا كنا عند مالك فأتاه رجل وسأله عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الكيف غير معقول والاستواء مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج
ونقل أهل الحديث عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في الآيات المتشابهة أمروها كما جاءت وقال بعضهم تأويله الإيمان به وأما تأويل الاستواء بالاستقبال فهو تأويل المعتزلة
وذكر الزجاج والنحاس وجماعة من النحاة من أهل السنة أنه لا يسمى الاستواء استيلاء في اللغة إلا إذا غلب غيره عليه وهذا لا يجوز على الله تعالى
قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما أي علم ما في السموات وما في الأرض وما بينهما

تفسير السمعاني ج:3 ص:320
تفسير السمعاني ج 3/ص 321
وما تحت الثرى 6 وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى 7 الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى 8

(3/286)

وقوله وما تحت الثرى فيه أقوال أحدها أن الثرى هي الأرض السابعة والآخر أن الثرى هو التراب المبتل وهذا معروف في اللغة
وحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الأرضين على ظهر الحوت والحوت على البحر والبحر على الصخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله
قوله تعالى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى معناه إن جهرت أو أسررت فلا يغيب عن علمه واختلف الأقوال في قوله وأخفى فروي عن ابن عباس أنه قال السر ما تحدث به غيرك وأخفى ما تحدث به نفسك وفي الآية تقدير ومعناه وأخفى منه أي من السر
والقول الثاني أن السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما يلقيه الله تعالى في قلبك من بعد ولم تحدث به نفسك
والقول الثالث أن السر هو العزيمة وأخفى هو دون العزيمة كأنه ما يخطر على القلب ولم تعزم عليه
والقول الرابع يعلم السر وأخفى أي والخفي قال الشاعر
تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
أي بالواحد
والقول الخامس يعلم السر وأخفى أي أخفى سره من عباده وهذا قول ابن زيد
قوله تعالى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى قيل فيه إضمار ومعناه فادعوا الله بها وقال الحسنى للأسماء هو جمع والحسنى صفة الواحد وذلك لأن

تفسير السمعاني ج:3 ص:321
تفسير السمعاني ج 3/ص 322
وهل أتاك حديث موسى 9 إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى هذه تتناول الأسماء لأنها جمع كما تتناول الواحدة من المؤنثات يقال هذه أسماء فلذلك صح أن يقال حسنى ولم يقل حسان وهكذا قوله تعالى مآرب أخرى ولم يقل آخر
قوله تعالى وهل أتاك حديث موسى معناه وقد أتاك حديث موسى وهو استفهام بمعنى التقرير

وقوله إذ رأى نارا في القصة أن موسى عليه السلام كان رجلا غيورا فكان يصحب الرفقة بالليل ويتنحى عنهم بالنهار لئلا ترى امرأته فأخطأ مرة الطريق - لما كان في علم الله تعالى - فكان ليلا مظلما فرأى نارا من بعيد فقال لأهله امكثوا أي أقيموا
وقوله إني آنست نارا أي أبصرت نارا
وقوله تعالى لعلي آتيكم منها بقبس القبس كل ما في رأسه نار من شعلة أو فتيلة
وقوله أو أجد على النار هدى أو أجد عند النار من يهديني ويدلني على الطريق
فروي أنه لما توجه إلى النار رأى شجرة خضراء أطافت به النار والنار كأضوء ما يكون والشجرة كأخضر ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار
ويقال إن الشجرة كانت شجرة العناب ويقال شجرة من عوسج وقيل من العليق
وفي القصة أن موسى أخذ شيئا من الحشيش اليابس ودنا من الشجرة فكان كلما دنا من الشجرة نأت منه النار وإذا نأى هو دنت النار فبقي واقفا متحيرا

تفسير السمعاني ج:3 ص:322
تفسير السمعاني ج 3/ص 323
فلما أتاها نودي يا موسى 11 إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى 12 وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى 13 إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم فنودي يا موسى
قوله تعالى فلما أتاها نودي يا موسى قد بينا
وقوله إني أنا ربك روي أن موسى لما سمع قوله يا موسى قال من الذي يكلمني قال إني أنا ربك
فإن قيل بم عرف كلام الله عز وعلا قلنا سمع كلاما لا يشبه كلام المخلوقين
وروي أنه سمع من جميع جوانبه

وقوله فاخلع نعليك اختلف القول أنه لم أمره بخلع نعليه وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال كانتا من جلد حمار ميت وهذا قول كعب

والقول الثاني أنه أمره بخلع نعليه ليباشر الوادي بقدميه وهذا قول مجاهد وقد جرت عادة المسلمين أنهم يخلعون نعالهم إذا بلغوا المسجد الحرام للحج ويطوفون حفاة
وقوله إنك بالوادي المقدس أي المطهر قال الشاعر
وأنت وصول للأقارب مدرة تراءى من الآفات إني مقدس
أي مطهر
وقيل معنى المقدس أي المبارك فيه
وقوله طوى عامة المفسرين أنه اسم الوادي وقيل طوى أي قدس مرتين
قوله تعالى وأنا اخترتك أي اصطفيتك
وقوله فاستمع لما يوحى أي لما يوحى إليك
قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني أي لا أحد يستحق العبادة سواي

تفسير السمعاني ج:3 ص:323
تفسير السمعاني ج 3/ص 324
الصلاة لذكري 14 إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى 15
وقوله وأقم الصلاة لذكري فيه أقوال أحدها لتذكرني فيها والآخر تذكرني وهو قوله الله أكبر والثالث أقم الصلاة لذكري أي صل إذا ذكرت الصلاة وهذا قول معروف روى حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن النبي قال من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها وقرأ قوله تعالى وأقم الصلاة لذكري
قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور قال أخبرنا أبو القاسم بن حبابة قال حدثنا ابن بنت منيع قال حدثنا هدبة عن حماد بن سلمة الحديث خرجه مسلم في الصحيح عن هدبة
قوله تعالى إن الساعة آتية أكاد أخفيها في الآية أقوال وهي مشكلة
روي عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب أنهما قرآ أكاد أخفيها من نفسي وبعضهم نقل فكيف أظهرها لكم فهذا هو أحد الأقوال في معنى الآية

فإن قال قائل كيف يستقيم قوله أكاد أخفيها من نفسي قلنا هذا على عادة العرب والعرب إذا بالغت في الإخبار عن إخفاء الشيء قالت كتمته حتى من نفسي والقول الثاني أن قوله أكاد أي أريد ومعناه إن الساعة آتية أريد أخفيها وهذا قول الأخفش والقول الثالث أن قوله أكاد صلة ومعناه إن الساعة آتية أخفيها والقول الرابع إن الساعة آتية أكاد ومعنى أكاد تقريب الورود والإتيان كما قال ضبائي البرجمي

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
فقوله كدت لتقريب الفعل ثم استأنف قوله أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
أي تأتيكم بغتة لتجزى كل نفس بما عملت من خير وشر هذا اختبار

تفسير السمعاني ج:3 ص:324
تفسير السمعاني ج 3/ص 325
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى 16 وما تلك بيمينك يا موسى 17 قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى 18
ابن الأنباري
والقول الخامس أكاد أخفيها أي أظهرها وقرئ أخفيها بفتح الألف ومعنى الإظهار في هذه القراءة أظهر في اللغة قال الشاعر
فإن تدفنوا الداء لم نخفه وإن تأذنوا بحرب لا نقعد
ومعنى لا نخفه لم نظهره
قوله تعالى فلا يصدنك عنها أي فلا يمنعنك عن التصديق بها من لا يؤمن بها أي من لا يصدق بها
وقوله واتبع هواه فتردى أي تهلك
قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى هذا سؤال تقرير وليس بسؤال استفهام والحكمة فيه تثبيته وتوثيقه على أنها عصا حتى إذا قلبها الله حية يعلم أنها معجزة عظيمة وهذا قول على عادة العرب أيضا يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه ويريد به أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه
قوله تعالى قال هي عصاي أتوكأ عليها أي أعتمد عليها

وقوله وأهش بها على غنمي أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي وقرأ عكرمة وأهش بها على غنمي بالسين غير المعجمة والفرق بين الهش والهس أن الهش هو خبط الشجر وإلقاء الورق عنه والهس زجر الغنم
وقوله ولي فيها مآرب أخرى أي حاجات أخر ومن تلك الحاجات قال

تفسير السمعاني ج:3 ص:325
تفسير السمعاني ج 3/ص 326
قال ألقها يا موسى 19 فألقاها فإذا هي حية تسعى 20 قال خذها ولا تخف أهل المعاني كان يقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويحمل بها الزاد والنفقة ويصل الحبل إذا استقى من البئر ويستظل بها إذا قعد وعن الضحاك كانت تضئ له بالليل بمنزلة السراج وقال وهب كانت العصا من آس الجنة وطولها اثنا عشر ذراعا ولها شعبتان وعليها محجن وعن سعيد بن جبير قال كان اسم العصا ما شاء وأنشدوا في الهش
أهش بالعصا على أغنامي من ناعم الأراك والبشام

قوله تعالى قال ألقها يا موسى أي انبذها
وقوله فألقاها أي نبذها
وقوله فإذا هي حية تسعى أي تجئ وتذهب وذكر محمد بن إسحاق أن موسى عليه السلام نظر فإذا العصا صارت حية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين والمحجن صار عرفا يهتز كالبتارك وعيناها تتقدان كالنار وهي تمر بالحجر كالجمل البارك فتبتلعه ولها أنياب تقصف الشجر فرأى موسى أمرا عظيما فهرب ثم تذكر أمر ربه فوقف مستحيا
قوله تعالى قال خذها ولا تخف لما هرب موسى قال الله تعالى له أقبل ولا تخف فلما أقبل قال خذها
وفي القصة أنه كان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدان فلما قال الله له خذها لف طرف كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده فكشف يده ووضعها في شدق الحية فإذا هي عصا كما كانت وإذا يده في شعبتها

وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله لمن تحذره أكانت تغني عنك مدرعتك فقال أنا ضعيف خلقت من ضعف

تفسير السمعاني ج:3 ص:326
تفسير السمعاني ج 3/ص 327
سنعيدها سيرتها الأولى 21 واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى 22 لنريك من آياتنا الكبرى 23 اذهب إلى فرعون إنه طغى 24 قال
وقوله سنعيدها سيرتها الأولى إلى هيئتها الأولى وإنما انتصب لأن معناه إلى هيئتها الأولى فحذف إلى فانتصب
قوله تعالى واضمم يدك إلى جناحك فيه قولان أحدهما إلى جنبك والآخر إلى عضدك والجناح هو العضد إلى أصل الإبط قال الشاعر
خفضت لهم مني جناح مودة على كتف عطفاه أهل ومرحب
وقوله تخرج بيضاء من غير سوء أي نيرة مشرقة من غير مكروه وعيب السوء ها هنا بمعنى البرص
وقال قتادة كانت اليد لها نور ساطع كضوء الشمس والقمر تضئ بالليل والنهار
وقوله آية أخرى أي دلالة أخرى
وقوله لنريك من آياتنا الكبرى أي الكبيرة قال ابن عباس أكبر الآيتين يده فكان إذا أخرجها من تحت عضده رأوا لها شعاعا وضياء تحار الأعين فيها فإذا ردها إلى إبطه وأخرجها عادت إلى ما كانت
وقوله اذهب إلى فرعون إنه طغى أي جاوز الحد في العصيان والتمرد ويقال كان اسمه وليد بن مصعب وكان أغنى الفراعنة الذين كانوا بمصر
قوله تعالى قال رب اشرح لي صدري أي وسعه للحق وكان موسى يخاف من فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنده فضاق قلبه لما بعث إلى فرعون من الخوف فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق فيعلم أنه لا يقدر أحد

أن يعمل به شيئا إلا بإذن الله أو يناله بمكروه إلا بمشيئته
وقوله ويسر لي أمري أي سهل علي الأمر الذي بعثتني له

تفسير السمعاني ج:3 ص:327
تفسير السمعاني ج 3/ص 328
رب اشرح لي صدري 25 ويسر لي أمري 26 واحلل عقدة من لساني 27 يفقهوا قولي 28 واجعل لي وزيرا من أهلي 29 هرون أخي 30 اشدد به أزري 31 وأشركه في أمري 32 كي نسبحك كثيرا 33 ونذكرك كثيرا 34 إنك
قوله واحلل عقدة من لساني قال أهل التفسير كانت على لسان موسى عقدة من أخذه الجمر ووضعه إياه في فمه وسببه أن أمرأة فرعون جاءت بموسى إلى فرعون فوضعته في حجره فأخذ بلحية فرعون وفي رواية لطم وجه فرعون لطمة فغضب فرعون وقال هذا هو عدوي وأراد أن يقتله فقالت امرأة فرعون إنه صبي لا يعقل ولا يميز وهو لا يميز بين الجوهر والجمر فدعي له بطبق من جمر وطبق من جوهر فأخذ الجمر ووضعه في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وذكر بعضهم أنه أراد أن يأخذ الجوهر فصرف جبريل يده إلى الجمر
وقوله يفقهوا قولي أي يفهموا قولي
واجع لي وزيرا من أهلي الوزير من يؤازرك على الشئ أي يعينك ويتحمل عنك بعض ثقله ووزير الأمير من يتحمل عنه بعض ما عليه
وقوله هارون أخي كان هارون أكبر منه بأربع سنين فكان أفصح منه لسانا وأجمل منه وجها وأوسم وأبيض وكان موسى أدم أقنى جعدا
وقوله اشدد به أزري أي قو به ظهري ويقال إنه لم يكن أحد على أخيه أسعد ولأخيه أنفع من موسى لهارون
وقوله وأشركه في أمري أي النبوة وأداء الرسالة
وقوله كي نسبحك كثيرا أي نصلي لك كثيرا
ونذكرك كثيرا نتعاون على ذكرك
إنك كنت بنا بصيرا أي خبيرا عليما

تفسير السمعاني ج:3 ص:328
تفسير السمعاني ج 3/ص 329

كنت بنا بصيرا 35 قال قد أوتيت سؤلك يا موسى 36 ولقد مننا عليك مرة أخرى 37 إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى 38 أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في

اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني
قوله تعالى قال قد أوتيت سؤلك يا موسى أي أعطيت جميع ما سألت
وقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى أي أنعمنا عليك مرة أخرى سوى هذه المرة
قوله تعالى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ذكر نعمه وعددها عليه ليعرفها ويزيد في شكره
وقوله إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أي ألهمنا أمك ما يوحى أي ما يلهم
وقوله تعالى أن اقذفيه أي ألهمناها أن أقذفيه
قوله تعالى في التابوت هو شيء يتخذ من الخشب
وقوله فاقذفيه في اليم اليم هو البحر ويقال إن اليم ها هنا هو النيل والعرب تسمي الماء الكثير بحرا
روي أن المسلمين لما وصلوا إلى دجلة يوم فتحوا المدائن فقالوا كيف نفعل وهذا البحر بيننا وبينهم ثم إنهم ارتطموا دجلة بخيولهم وخاضوا القصة إلى آخرها
وقوله فليلقه اليم بالساحل في القصة أن الماء ألقاه إلى مشرعة دار فرعون وروي أنها ألقته في النيل وألقاه النيل في البحر ثم إن البحر ألقاه بالساحل
وقوله وألقيت عليك محبة مني قال عكرمة لم يره أحد إلا أحبه وقال قتادة ملاحة في عينيه تأخذ بالقلوب
وقوله ولتصنع على عيني أي تربى وتغذى على نظر مني وهو مثل قوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:329
تفسير السمعاني ج 3/ص 330

---

39 إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا تعالى واصنع الفلك بأعيننا فإن قيل ما من أحد في العالم إلا وهو يربى ويغدى بمرأى من الله ونظر منه فأي معنى لتخصيص موسى والجواب أن الله تعالى فعل في اللطف في تربية موسى ما لم يفعل في تربية غيره فالتخصيص إشارة إلى ذلك اللطف
وقوله إذ تمشي أختك سنذكر هذا في سورة القصص إن شاء الله تعالى
وقوله فتقول هل أدلكم على من يكفله يعني على امرأة ترضعه وتضمه إليها
وقوله فرجعناك إلى أمك أي فرددناك
وقوله إلى أمك كي تقر عينها قد بينا معنى قرة العين وهو إشارة إلى فرحها وسرورها بوجوده
وقوله ولا تحزن أي يذهب عنها الحزن
وقوله وقتلت نفسا أي القبطي وسنذكره من بعد إن شاء الله تعالى
وقوله فنجيناك من الغم أي من القتل وقيل من غم التابوت وغم البحر
وقوله وفتناك فتونا أي ابتليناك مرة بعد مرة وقيل بلاء بعد بلاء ويقال أخلصناك

إخلاصا من المشهور المعروف أن سعيد بن جبير سأل عبد الله بن عباس عن قوله وفتناك فتونا فقال تغدو على غدا فلما جاءه من الغد أخذ معه في قصة موسى من أولها وجعل يعد عليه شيئا فشيئا من ولادته في سنة قتل الأبناء ومن إلقائه في الماء وجعله في التابوت ووقوعه في يد فرعون ولطمه وجهه وأخذه

تفسير السمعاني ج:3 ص:330
تفسير السمعاني ج 3/ص 331
فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى 40 واصطنعتك لنفسي 41 اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري 42 اذهبا إلى فرعون إنه طغى 43 الجمرة ثم من قتله القبطي ثم فراره إلى مدين إلى آخر القصة على ما يرد وجعل يقول كلما ذكر شيئا من هذا ذلك من الفتون يا ابن جبير حتى عد عليه الجميع

وقوله فلبثت سنين في أهل مدين يعني تراعي الأغنام
وقوله ثم جئت على قدر يا موسى أي على قدر النبوة والرسالة قال ابن عباس ولم يبعث الله نبيا إلا على رأس أربعين سنة وجاء موسى ربه وهو ابن أربعين سنة فنبأه الله وأرسله فهذا معنى قوله ثم جئت على قدر يا موسى وقيل معناه جئت على موعد يا موسى ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعدا في تقدير الله تعالى ويقال وافيت في الوقت الذي قدرت أي توافى فيه قال الشاعر
نال الخلافة إذ كانت له قدرا كمثل موسى الذي وافى على قدر
وقوله واصطنعتك لنفسي قال الزجاج معناه اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني الذي أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم وقال بعضهم معناه استكفيتك طلب كفاية أمر من خاص أمري وصنيعة الإنسان خاصته وتربيته إذا أعده لأمر من مهم أمره
وقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي أي بدلائلي
وقوله ولا تنيا في ذكري أي ولا تضعفا في ذكري وقرأ ابن مسعود ولا تهنا في ذكري
وقوله اذهبا إلى فرعون إنه طغى قد بينا
قوله تعالى فقولا له قولا لينا معناه داريا بالرفق وارفقا معه ويقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:331
تفسير السمعاني ج 3/ص 332
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى 44 قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن معناه كنياه واختلفوا في كنيته منهم من قال كنيته أبو الوليد ومنهم من قال

أبو مرة ومنهم من قال أبو العباس والله أعلم
وقوله لعله يتذكر أو يخشى أي يتعظ ويخاف فإن قيل قوله لعله تطميع فكيف يطمعهما في إسلامه وقد قدر أنه لا يسلم قلنا معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضاء الله وراء أمركما وقال بعضهم قد تذكر وخاف إلا أنه حين لم تنفعه التذكرة والخوف وقد بينا في سورة يونس

وفي قوله فقولا له قولا لينا كلمات معروفة قال بعضهم هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله وهذا رفقك بالكفار فكيف رفقك بالأبرار وهذا رفقك بمن جحدك فكيف رفقك بمن وحدك وهذه تحببك إلى من تعاديه فكيف إلى من تواليه وتناديه
قوله تعالى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى يعني أن يبادر ويعجل بعقوبتنا قبل أن نريه الآيات وحكي عن سعيد بن جبير أنه قال كان موسى يخاف من فرعون خوفا شديدا وكان إذا دخل عليه يقول اللهم إني أعوذ بك من شره وأدرأك في نحره فحول الله تعالى ذلك الخوف إلى فرعون فكان إذا رأى موسى بال في ثيابه كما يبول الحمار
وفي بعض المسانيد برواية ابن مسعود عن النبي أنه قال إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه فليقل اللهم إني أعوذ بك من شره وشر أحزابه أن يفرط أحد منهم علي أو يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك

تفسير السمعاني ج:3 ص:332
تفسير السمعاني ج 3/ص 333
يطغى 45 قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى 46 فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى 47 إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى 48 قال فمن ربكما
وقوله تعالى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي أسمع دعاءكما فأجيب وأرى أمركما مع فرعون فأدفعه عنكما
قوله تعالى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أي خلهم وأطلقهم من أعمالك وقد بينا أنه كان يكلفهم الأعمال الشاقة وقد ضرب عليهم الضرائب
وقوله ولا تعذبهم قد بينا
وقوله قد جئناك بآية من ربك بدلالة من ربك
وقوله والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه تحية فرعون وإنما المراد منه أن من اتبع الهدى فقد سلم من عذاب الله ومنهم من قال معناه من أسلم سلم

وفي بعض الآثار عن السدي أن موسى عليه السلام قال لفرعون آمن بالله ولك شباب لا تهرم فيه وملك لا ينزع منك ولذة في المطعم والمشرب والمنكح إلى أن تموت ثم إذا مت دخلت الجنة فأعجبه هذا الكلام وكان لا يقطع أمرا دون هامان فقال حتى أنظر في ذلك فلما دخل عليه هامان قال له ألم تر أن هذا الرجل الذي أتانا قال كذا وكذا وكان قبل ذلك يسميه الساحر فلم يسمه الساحر في ذلك اليوم فقال له هامان كنت أظن أن لك رأيا وعقلا تريد أن تصير مربوبا بعد أن كنت ربا وعبدا بعد أن كنت معبودا فغلبه عن رأيه فأبى على موسى ما أراد منه

قوله تعالى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أي كذب بآيات الله وتولى عن طاعة الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:333

تفسير السمعاني ج 3/ص 334

يا موسى 49 قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى 50 قال فما بال القرون الأولى 51 قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى 52 الذي

قوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى ظاهر المعنى

وقوله تعالى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال الحسن أعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه إليه وقال مجاهد معناه أعطى كل شيء صورة ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح

وفيه قول ثالث وهو أنه أعطى كل حيوان زوجه ثم هداه إلى مأتاه وكل ذكر يهتدي كيف يأتي الأنثى وروي عن أبس سابط أنه قال أبهمت البهائم إلا عن أربع تعرف خالقها وتطلب رزقها وتدفع عن نفسها وتعرف كيف يأتي أنثاه

قوله تعالى قال فما بال القرون الأولى معناه فما حال القرون الأولى وأراد به ما حالهم فيما دعوتني إليه

وقيل لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث سأل وقال ما حال القرون الأولى في البعث ويقال إنه انصرف إلى هذا الكلام تعنتا وعدولا عن الجواب

قوله تعالى قال علمها عند ربي أي علم القرون الأولى عند ربي

قوله في كتاب قال الكلبي هو اللوح المحفوظ

وقوله لا يضل ربي أي لا يخطىء ربي وقال ثعلب لا يذهب عليه موضعه وقيل لا يغيب عن ربي وقرأ الحسن لا يضل ربي برفع الياء من الإضلال ويقال لا يضل ربي لا يغفل عنه ربي

وقوله ولا ينسى أي لا يتركه فينتقم من الكافر ويجازي المؤمن ويقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:334
تفسير السمعاني ج 3/ص 335
جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى 53 كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى 54 منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجم تارة أخرى 55 ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى 56 قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى 57 هو النسيان حقيقة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ولا ينسى على ما لم يسم فاعله
قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض مهادا وقرىء مهدا إلى هذا الموضع انتهى كلام فرعون مع موسى وجوابه إياه وقوله الذي جعل لكم الأرض مهدا ابتداء كلام من الله ومعناه مستقرا
وقوله وسلك لكم فيها سبلا أي سهل ووطأ لكم فيها طرقا
وقوله وأنزل من السماء ماء أي المطر
وقوله فأخرجنا به أزواجا أي أصنافا الأحمر والأصفر والأخضر
وقوله من نبات شتى أي من نبات متفرقة
وقوله كلوا وارعوا أنعامكم أي كلوا وأسيموا أنعامكم ترعى
وقوله إن في ذلك لآيات لأولي النهى قال ثعلب لأولي العقول وقيل للذين ينتهي إلى رأيهم وقيل للذين يتناهون عن المعاصي وينزجرون عنها بعقولهم
قوله تعالى منها خلقناكم أي من الأرض
وقوله وفيها نعيدكم أي عند الموت

وقوله ومنها نخرجكم تارة أخرى أي عند الحشر فإن قيل في الابتداء لم نخرج عن الأرض فكيف قال تارة أخرى قلنا معناه ومنها نخلقكم تارة أخرى فيصح المعنى على هذا
قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها هي الآيات التسع التي أعطيها موسى عليه السلام
وقوله فكذب وأبى أي كذب بالتوحيد وأبى عن الإيمان
قوله تعالى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى معناه لتأخذ رمنا أرضنا فيكون لك الملك والسلطان وتخرج من تشاء وتدخل من تشاء

تفسير السمعاني ج:3 ص:335
تفسير السمعاني ج 3/ص 336
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى 58 قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى 59 فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى 60 قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
قوله فلنأتينك بسحر مثله يعني مثل سحرك
وقوله فاجعل بيننا وبينك موعدا أي موعدا للاجتماع

وقوله لا نخلفه نحن ولا أنت أي لا نتخلف نحن ولا أنت
وقوله مكانا سوى قرىء بالرفع وقرىء بالكسر ومعناه مكانا عدلا وقيل منصفا
ويقال في مكان مستوى لا يغيب عن أحد فيها ما يفعل بعضنا ببعض
قال ابن فارس وهذا قول الحسن ويقال مكانا سوى أي يستوي في المسافة إليه
قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة قال ابن عباس يوم الزينة يوم عيد لهم كانوا يجتمعون له ويقال يوم الفيروز وعن عطاء أنه كره الزينة للأعياد قال هو من عمل الكفار
وقوله وأن يحشر الناس ضحى أي في صدر النهار وقد جرت العادة أن الأعياد تكون في أول النهار وكذلك اجتماع الناس في الأمور أكثر ما يكون في أول النهار
وقوله تعالى فتولى فرعون معناه فأعرض وقيل ولى الأمر فرعون
وقوله فجمع كيده أي مكره وحيلته
وقوله ثم أتى أي ثم أتى بالموعد

قوله تعالى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال الضحاك عن ابن عباس جمع فرعون سبعين ألفا من السحرة وذكر مقاتل حمس عشرة ألفا وذكر بعضهم نيفا وسبعين رجلا وهو قول معروف

تفسير السمعاني ج:3 ص:336
تفسير السمعاني ج 3/ص 337
وقد خاب من افترى 61 فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى 62 قالوا إن
وقوله ويلكم لا تفتروا علي كذبا أي لا تختلقوا على الله كذبا معناه لا تكذبوا على الله
وقوله فيسحتكم بعذاب بنصب الياء وقرىء فيسحتكم برفع الياء ومعناه الاستئصال أي يستأصلكم بالعذاب قال الفرزدق شعرا
وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف
وفرق بعضهم بين الرفع والفتح فقال هو بالنصب أن لا يبقى شيء وبالرفع أن يبقى بقية والأصح أن لا فرق وقيل فيسحتكم أي شهد لكم
وقوله وقد خاب من افترى أي خسر وهلك من افترى
قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قال قتادة هذا ينصرف إلى السحرة وإسرارهم النجوى أنهم قالوا إن كان ما يأتي به موسى سحرا فسنغلبه وإن غلبنا فله أمر وروي أنهم قالوا إن غلبنا اتبعناه
قوله تعالى قالوا إن هذان لساحران اعلم أن هذه الآية مشكلة في العربية وفيها ثلاث قراءات
قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران وقرأ حفص إن هذان لساحران وقرأ الباقون إن هذان لساحران
أما قراءة أبي عمرو فهي المستقيمة على ظاهر العربية وزعم أبو عمرو أن

هذان غلط من الكاتب في المصحف

تفسير السمعاني ج:3 ص:337
تفسير السمعاني ج 3/ص 338
وعن عثمان -رضي الله عنه- أنه قال أرى في المصحف لحنا تستقيمه العرب بألسنتها ومثله عن عائشة -رضي الله عنها-

(3/301)

وأما قراءة حفص فهي مستقيمة أيضا على العربية لأن إن مخففة يكون ما بعدها مرفوعا ومعناه ما هذان إلا ساحران
وأما قراءة الأكثرين -وهو الأصح- قال الزجاج لا نرضى قراءة أبي عمرو في هذه الآية لأنها خلاف المصحف وأما وجه قوله إن هذان فله وجوه في العربية أما القدماء من النحويين فإنهم قالوا هو على تقدير إنه هذان فحذف الهاء ومثله كثير في العربية والوجه الثاني أن هذا لغة كنانة وخثعم وزبيد وقال الكسائي لغة بلحارث بن كعب من كنانة وأنشد الكسائي شعرا
تزود مني بين أذناه ضربة دعته إلى هذه التراب عقيم
وأنشد غيره
إن أباها وأبا أباها قد
بلغا في المجد غايتاها
وأنشدوا أيضا
أي قلوص راكب تراها
طاروا علاهن فطر علاها
أي عليهن
قال الكسائي على هذه اللغة يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان ولا يتركون ألف التثنية في شيء منها
وأما الوجه الثالث هو أصح الوجوه فإن القرآن لا يحمل على اللغة البعيدة وهو أن معنى قوله إن هذان أي نعم هذان قال الشاعر
بكر العواذل في الصباح يلمنني وألومهن
ويقلن شيب قد علاك
وقد كبرت فقلت إنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:338
تفسير السمعاني ج 3/ص 339
هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى 63 فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا
أي نعم
وروي أن أعرابيا أتى عبد الله بن الزبير يطمع شيئا فلم يحصل له طمعه فقال الأعرابي لعن الله ناقة حملتني إليك فقال ابن الزبير إن وصاحبها أي نعم وفي

قراءة أبي بن كعب إن ذاك إلا ساحران وهي شاذة
وقوله يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما قد بينا

وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى أي بالطريقة المستقيمة التي أنتم عليها وكانوا يظنون أنهم على دين مستقيم والمثلى تأنيث الأمثل وأما ابن عباس قال بطريقتكم المثلى أي الرجال الأشراف
وقال قتادة أراد به بني إسرائيل وكانوا أهل يسار وعزة
فقالوا يريدان أن يذهبا بهؤلاء والعرب تقول هؤلاء طريقة القوم أي أشرافهم ومنهم من قال معناه أهل طريقتكم المثلى
وقوله فأجمعوا كيدكم وقرىء بالوصل فاجمعوا أما قوله فأجمعوا بالقطع فمعناه العزيمة والإحكام قال الأزهري تقديره اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم وأما قوله فاجمعوا بالوصل معناه جيئوا بكل كيد لكم لتعارضوا موسى
وقوله ثم ائتوا صفا قال أبو عبيدة مصطفين وقال غيره الصف هو

تفسير السمعاني ج:3 ص:339
تفسير السمعاني ج 3/ص 340
وقد أفلح اليوم من استعلى 64 قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى 65 قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى 66 فأوجس في نفسه خيفة موسى 67 المصلى ومعناه ثم ائتوا المكان الموعود
وقوله وقد أفلح اليوم من استعلى أي سعد وفاز من كانت له الغلبة في اليوم قوله تعالى قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى معناه اختر إما أن تلقي أنت أولا أو نلقي نحن أولا
قوله تعالى قال بل ألقوا يعني ابتدءوا أنتم بالإلقاء فإن قال قائل إلقاؤهم كان كفرا وسحرا فهل يجوز أن يأمرهم موسى بالإلقاء الذي هو سحر وكفر الجواب عنه من وجهين أحدهما أن هذا أمر بمعنى الخبر ومعناه إن كان إلقاؤكم عندكم حجة فألقوا والثاني أنه أمرهم بالإلقاء على قصد إبطال سحرهم بما يلقى من عصاه وهذا جائز

وقوله فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وقرىء بالياء والتاء تخيل فمن قرأ بالتاء فهو راجع إلى العصي والحبال فأنثت لأنها جمع وأما بالياء فينصرف إلى الإلقاء وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي رأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات وهي تسعى أي تذهب وتجيء واعلم أن التخايل ما لا أصل له ويقال إنهم أخذوا بأعين الناس فظنوا وحسبوا أنها

حيات وقيل إن حبالهم وعصيهم أخذت ميلا من هذا الجانب وميلا من ذلك الجانب
قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى أي وجد في نفسه خيفة واختلفوا في هذا الخوف على قولين

تفسير السمعاني ج:3 ص:340
تفسير السمعاني ج 3/ص 341
قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى 68 وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى 69 فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب أحدهما أنه خوف البشرية والآخر خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فلا يؤمنوا ويقال خاف على قومه أن يشكوا فيرجعوا عن الإيمان
قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى أي الغلبة والظفر لك
قوله تعالى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا أي تلتقم وتبتلع
وفي القصة أنها فتحت فاها فابتلعت كل ما كان يمر من العصي والحبال وفرعون يضحك ويظن أنه سحر ثم قصدت قبة فرعون وكان طولها في الهواء أربعين ذراعا ففتحت فاها على قدر ثمانين ذراعا وأرادت أن تلتقم القبة فنادى فرعون يا موسى بحق التربية قال فجاء فأخذها فعادت عصا على ما كانت
وقوله إنما صنعوا كيد ساحر قرىء ساحر وقرىء سحر فقوله كيد ساحر أي حيلة ساحر
وقوله كيد سحر أي حيلة من سحر
وقوله ولا يفلح الساحر حيث أتى في التفسير أن معناه أين وجد قتل

وفي بعض المسانيد عن جندب بن عبد الله أن النبي قال إذا أخذتم الساحر فاقتلوه وقرأ قوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث أتى
قوله تعالى فألقي السحرة سجدا قد بينا من قبل
وقوله قالوا آمنا برب هارون وموسى أي بإله هارون وموسى وقدم هارون على موسى على وفق رءوس الآي

تفسير السمعاني ج:3 ص:341
تفسير السمعاني ج 3/ص 342
هرون وموسى 70 قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى 71 قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت
قوله تعالى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ظاهر المعنى
وقوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر أي معلمكم الذي علمكم السحر وحكى

الكسائي أن العرب تقول رجعت من عند كبيري أي معلمي
وقوله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ظاهر المعنى
وقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل معناه على جذوع النخل وذكر كلمة في لأن المصلوب يصلب مستطيلا على الجذع فالجذع يشتمل عليه
وقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى أي أنا أقوى أو رب موسى وذكر الكلبي أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره أنه لم يقدر عليهم واستدل بقوله تعالى لا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون
قوله تعالى قالوا لن نؤثرك أي لن نختارك على ما جاءنا من البينات أي الدلالات وكان استدلالهم أنهم قالوا إن كان هذا سحر فأين حبالنا وعصينا وقيل من البينات أي اليقين والعلم
وقوله والذي فطرنا فيه قولان أحدهما وقوله ولن نؤثرك على الذي فطرنا والآخر أنه قسم
وقوله فاقض ما أنت قاض أي فاصنع ما أنت صانع
وقوله إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أي أمرك وسلطانك في هذه الحياة الدنيا وسيزول عن قريب

(3/305)

تفسير السمعاني ج:3 ص:342
تفسير السمعاني ج 3/ص 343
قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا 72 إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى 73 إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها
وقوله إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا أي ذنوبنا
وقوله وما أكرهتنا عليه من السحر فإن قيل كيف يستقيم هذا وقد جاءوا مختارين وحلفوا بعزة فرعون أن لهم الغلبة على ما ذكر في موضع آخر والجواب عنه أنه روي عن الحسن البصري أنه قال كان فرعون يجبر قوما على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وكان قد أكرههم في الابتداء على تعلمه فأرادوا بذلك
وقوله والله خير وأبقى قال محمد بن كعب معناه والله خير ثوابا إن أطيع وأبقى عقابا إن عصي يقال إن أمر السلطان إكراه فلهذا قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر لما سجدوا أراهم الله تعالى مواضعهم في الجنة وما أعد لهم من الثواب والكرامة فلما رفعوا رءوسهم وقد رأوا قالوا ما قالوا
وعن عكرمة أصبحوا وهم سحرة وأمسوا وهم شهداء
وروي أن الحسن كان إذا بلغ إلى هذه الآية قال عجبا لقوم كافرين سحرة من أشد الناس كفرا رسخ الإيمان في قلوبهم حين قالوا ما قالوا ولم يبالوا بعذاب فرعون وتري الرجل من هؤلاء يصحب الإيمان ستين سنة ثم يبيعه بثمن يسير
وفي القصة أن امرأة فرعون كانت تستخبر في ذلك اليوم لمن الغلبة فلما أخبرت أن الغلبة كانت لموسى أظهرت الإيمان لله فذكر ذلك لفرعون فبعث قوما وقال انظروا إلى أعظم صخرة فإن أصرت على قولها فألقوا عليها

الصخرة فأراها الله تعالى موضعها من الجنة وقبض روحها فجاءوا وألقوا الصخرة على جسد ميت
قوله تعالى إنه من يأت ربه مجرما قال بعضهم هذا من قول السحرة وقال بعضهم هو ابتداء كلام من الله تعالى قوله مجرما أي مشركا

وقوله فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يحيا حياة ينتفع بها

تفسير السمعاني ج:3 ص:343
تفسير السمعاني ج 3/ص 344
ولا يحيى 74 ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى 75 جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى 76 ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا ولا يموت فيستريح ويقال إن أرواحهم تكون معلقة بحناجرهم لا تخرج فيموتون ولا تستقر في موضعها فيحيون قال الشاعر
ألا من لنفس تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
قوله تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات أي أدى الفرائض قال الحسن من أدى الفراض فقد استكمل الإيمان ومن لم يؤد الفرائض فلم يستكمل الإيمان
وقوله فأولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا والعليا تأنيث الأعلى
قوله تعالى جنات عدن قد بينا هذا من قبل وفي بعض التفاسير عن عمر -رضي الله عنه- قال جنة عدن قصر له عشرة آلاف باب لا يعلم سعتها إلا الله ويقال نهر في الجنة على حافتيه قصور الجنان
وقوله تجري من تحتها الأنهار قد بينا
وقوله خالدين فيها أي مقيمين فيها
وقوله وذلك جزاء من تزكى أي تطهير من الذنوب وقيل جزاء من قال لا إله إلا الله
قوله تعالى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي سر بهم ليلا
وقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا أي ذا يبس وقيل يابسا أي لا ندوة فيه ولا بلل

تفسير السمعاني ج:3 ص:344
تفسير السمعاني ج 3/ص 345

تخاف دركا ولا تخشى 77 فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم 78 وأضل فرعون قومه وما هدى 79 يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى 80 كلوا
وقوله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى روي أنهم لما بلغوا البحر قالوا يا موسى هذا البحر أمامنا وفرعون وجنده وراءنا فقال الله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى أي لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك وقرأ حمزة ولا تخف على الأمر
قوله تعالى فأتبعهم فرعون بجنوده قرىء فأتبعهم وقرىء فاتبعهم أما قوله فأتبعهم أي بعث في إثرهم جنوده
وقوله فاتبعهم أي اتبعهم بجنده
وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم معناه غشيهم من البحر ما غرقهم ويقال غشيهم من اليم ما غشي قوم موسى فنجا قوم موسى وغرقوا هم ويقال غشيهم من اليم ما أهلكهم
وقوله وأضل فرعون قومه وما هدى أي وما أرشد وهو جواب لقول فرعون وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
وقوله تعالى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم أي من أعدائكم ويقال أراد به فرعون وحده
وقوله وواعدناكم جانب الطور الأيمن في التفسير أن الله تعالى وعد موسى أن يؤتيه كتابا من عنده وهو التوراة فهو معنى قوله تعالى وواعدناكم جانب الطور الأيمن أي لإعطاء الكتاب
وقوله ونزلنا عليكم المن والسلوى قد بيناه في سورة البقرة وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم أي من حلال ما رزقناكم

تفسير السمعاني ج:3 ص:345
تفسير السمعاني ج 3/ص 346

من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى 81 وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى 82 وما أعجلك عن قومك يا موسى 83 قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب
وقوله ولا تطغوا فيه أي لا تكفروا النعمة ويقال لا تخلطوا الحرام بالحلال وعن ابن عباس لا تدخروا ثم لا تدخروا فتدود ولولا ما صاموا لم يتود طعام
وقوله فيحل عليكم غضبي قرىء بالكسر والرفع أما بالكسر فيجب وأما بالرفع فينزل
وقوله ومن يحلل عليه غضبي أي ينزل عليه وقرىء ومن يحلل أي يجب
وقوله فقد هوى أي هلك وعن شفي بن ماتع الأصبحي قال هوى واد في جهنم يهوي فيه أربعين خريفا ومعنى الآية أي وقع فيه
قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب أي من الشرك وآمن أي آمن بالله
وقوله وعمل صالحا أي أدى الفرائض

وقوله ثم اهتدى فيه أقوال قال ابن عباس لم يشك في إيمانه وعن قتادة قال مات على الإيمان وعن سعيد بن جبير لزم السنة والجماعة وقال بعضهم أخلص وقال بعضهم عمل بعمله وعن ثابت البناني قال تولى أهل البيت
قوله تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى في القصة أنه لما جاء مع السبعين الميعاد تعجل بنفسه وخلف السبعين وراءه فقال الله تعالى له وما أعجلك عن قومك يا موسى أي شيء حملك على العجلة
وقوله قال هم أولاء على أثري أي يأتوني خلفي
وقوله وعجلت إليك رب لترضى أي لتزداد رضا وعن بعض السلف أنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:346
تفسير السمعاني ج 3/ص 347
لترضى 84 قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري 85 فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي 86 قالوا ما تعجل شوقا

قوله تعالى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك أي أوقعناهم في الفتنة
قوله وأضلهم السامري أي ضلوا بسببه وقد بينا طرفا من هذه القصة في سورة الأعراف وحكي عن وهب بإسناده عن راشد بن سعد أن الله تعالى لما قال له هذا القول قال يا رب من صاغ العجل قال السامري قال فمن أحياه وأظهر منه الخوار قال أنا قال فأنت أضللتهم يا رب فقال الله تعالى له يا رأس النبيين أنا رأيت ذلك في قلوبهم فسهلته عليهم
وقوله فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا أي شديد الحزن لما أصاب قومه من الفتنة
قوله تعالى قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا معناه ما وعد من إنزال الكتاب ومن التنجية من فرعون وقومه وغير هذا مما وعد وحقق
وقوله أفطال عليكم العهد كان موسى وعد أن يعود بعد أربعين يوما فلما مضت عشرون يوما عدوا النهار عشرين والليل عشرين وقالوا قد مضى الوعد
وقوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم
وقوله فأخلفتم موعدي أو وعدي

تفسير السمعاني ج:3 ص:347
تفسير السمعاني ج 3/ص 348
أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى
قوله تعالى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا

قرىء بملكنا وقرىء بملكنا فقوله بملكنا أي بطاقتنا وقوله بملكنا أي بسلطاننا وكذلك بملكنا بفتح الميم وأحسن ما قيل في هذا هو أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه وقد ثبت عن النبي في بعض دعواته اللهم إذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون

وقوله ولكنا حملنا وقرىء حملنا في القصة أنهم استعاروا حلي نساء القبط ثم لم يردوا حتى خرجوا إلى جانب البحر فهو معنى قوله حملنا أوزارا من زينة القوم أي من حلي القوم والأوزار الأثقال وسمى الحلي أوزارا لأنهم كانوا أخذوها على وجه العارية ولم يردوها فكانت بجهة الخيانة
ويقال إن الله تعالى لما أغرقهم نبذ البحر حليهم فأخذها ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها أوزارا لهذا المعنى وقال الشاعر في الأوزار وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
وقوله تعالى فقذفناها روي أن هارون -عليه السلام- أمر أن يحفر حفرة ثم أمرهم أن يلقوا تلك الحلي فيها وأضرم عليها نارا وفي قول آخر أن السامري أمرهم بذلك فهو معنى قوله فقذفناها
وقوله فكذلك ألقى السامري يعني ألقى السامري أيضا ما عنده من الحلي

تفسير السمعاني ج:3 ص:348
تفسير السمعاني ج 3/ص 349
السامري 87 فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي 88 أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا 89
وقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار في القصة أن النار لما أخلصت الذهب والفضة جاء السامري وألقى فيه قبضة من التراب أخذها من تحت حافر فرس جبريل -عليه السلام- وقال كوني عجلا له خوار فصار عجلا يخور
وقوله جسدا قيل جسدا لا رأس له وقيل جسدا لا يضر ولا ينفع وقال الخليل العرب تسمي كل ما لا يأكل ولا يشرب جسدا وكان العجل لا يأكل ولا يشرب ويصيح والقول الأول أضعف الأقوال واختلفوا في الخوار فالأكثرون أنه صوت عجل حي وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقال مجاهد هو صوت حفيف الريح كانت تدخل في جوفه وتخرج وهو قول ضعيف

وقوله فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي فيه قولان أحدهما أن هذا إلهكم وإله موسى تركه موسى هاهنا وذهب يطلبه
والثاني معناه فنسي السامري الإيمان بالله أي ترك وقيل فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا هو الإله
وقوله أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا في بعض التفاسير أن العجل خار خوارا

واحدا ولم يعد فهو معنى قوله ألا يرجع إليهم قولا وقال بعضهم لا يجيبهم إذا دعوه
وقوله ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ظاهر المعنى
فإن قيل السامري كان كافرا وهذا الذي ظهر على يده معجزة فكيف يجوز أن تظهر المعجزة على يد كافر والجواب أن ذلك كان لفتنة بني إسرائيل وابتلائهم
وعند أهل السنة هذا جائز ولا نقول هو معجزة ولكنه محنة وفتنة
وفي بعض الآثار أن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له

تفسير السمعاني ج:3 ص:349
تفسير السمعاني ج 3/ص 350
ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري 90 قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى 91 قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا 92 ألا تتبعن أفعصيت أمري 93 قال يا ما هذا فقال هو شي ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم أعطه على ما في نفسه فألقى التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هارون
وقد قال أهل العلم إنه ليس من عجل من ذهب يخور بشبهة تقع في أنه إله ومعبود
قوله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به أي ابتليتم به وإن ربكم الرحمن أي معبودكم الرحمن لا ما اتخذتموه معبودا
وقوله فاتبعوني أي اتبعوني في عبادة الله وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل
قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين أي لن نزل مقيمين على عبادته حتى يرجع إلينا موسى

قوله تعالى قال يا هارون فيه تقدير وهو أن موسى رجع وقال يا هارون
وقوله ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن لا زائدة ومعناه أن تتبعني
وقوله أفعصيت أمري أي خالفت أمري فإن قال قائل هل تقولون إن هارون خالف موسى فيما طلب منه وأنه داهن عبدة العجل ولم يشدد في منعهم عنها والجواب أن موسى لم يطلب من هارون إلا أن يخلفه في قومه وأن يرفق بهم فرأى هارون أن لا يقاتلهم وأن الإمساك عن قتالهم أصلح ورأى موسى أن يقاتلهم ورأى أن القتال أصلح فهذا رأي مجتهد خالف رأي مجتهد ولا عيب فيه وإنما

تفسير السمعاني ج:3 ص:350
تفسير السمعاني ج 3/ص 351
بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بين إسرائيل

ولم ترقب قولي 94 عاتبه موسى في تركه القتال يعني لو كنت أنا مكانك كنت أقاتلهم فهلا فعلت مثل ذلك
قوله تعالى قال يابن أم قرىء يا بن أم بالنصب و يابن أم بالكسر وقد بينا هذا من قبل
وقوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي قال ابن عباس أخذ رأسه بيمينه وأخذ لحيته بيساره ويقال إن المراد من الرأس شعر الرأس ويقال أراد بالرأس الأذن فإن قال قائل هذا تهاون بنبي من أنبياء الله فتكون كبيرة من الكبائر فكيف وجه فعل هذا من موسى والجواب عنه أنه يحتمل أنه لم يكن مثل هذا الفعل تهاونا في عادتهم فكان الأخذ باللحية شبه الأخذ بالكف عندهم وقال بعضهم أنه أخذ بلحيته كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه عند الغضب فجعله كنفسه وقد روي أن عمر -رضي الله عنه- كان إذا غضب جعل يفتل شاربه وأولى الأجوبة أن هذا فعل الإنسان بمثله وشكله عند الغضب فتكون صغيرة لا كبيرة والصغائر جائزة على الأنبياء وإنما ذكر هارون الأم ولم يذكر الأب ليرققه على نفسه

وقوله إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل هذا بيان ما رأي من الرأي يعني خشيت أن تقول جعلتهم أحزابا فحزب عبدوا العجل وحزب قاتلوا وحزب أمسكوا عن القتال والتبس عليهم أنه هل يجوز القتال أو لا وحزب أنكروا لم يقاتلون فكل هذا التفرق كان جائزا لو قاتل هارون
وقوله ولم ترقب قولي أي لم تحفظ قولي وهذا منصرف إلى قوله واخلفني في قومي وأصلح وقد بينا أن معنى قوله وأصلح أي ارفق فرأى أن الرفق أن يكف يده

تفسير السمعاني ج:3 ص:351
تفسير السمعاني ج 3/ص 352
قال فما خطبك يا سامري 95 قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي 96 قال فاذهب فإن لك في
قوله تعالى قال فما خطبك يا سامري قال أهل التفسير لما اعتذر هارون بما اعتذر به أقبل موسى على السامري فقال ما خطبك يا سامري والخطب هو الجليل من الأمر ومعنى الآية ما هذا الأمر العظيم الذي جئت به
وقوله قال بصرت بما لم يبصروا به رأيت بما لم يروا ويقال فطنت بما لم يفطنوا به
وقوله فقبضت قبضة من أثر الرسول المعروف بالضاد المعجمة وقرأ الحسن البصري فقبصت بالصاد غير المعجمة والفرق بينهما أن القبض هو الأخذ بملء الكف والقبص هو الأخذ بأطراف الأصابع

وقوله من أثر الرسول يعني من تراب حافر فرس جبريل فإن قال قائل كيف عرف هذا وكيف رأى جبريل من بين سائر الناس والجواب عنه من وجهين أحدهما أن أمه لما ولدته في السنة التي كان يقتل فيها الأنبياء وضعته في كهف حذرا عليه فبعث الله جبريل ليربيه ويغذيه لما قضى الله على يده من الفتنة فلما رآه عرفه وأخذ التراب والوجه الثاني أن جبريل كان على فرس حصان أبلق وكان ذلك الفرس تسمى فرس الحياة وكان كلما وضع الفرس حافره على موضع أخضر ما تحت حافره فعرف أنه فرس الحياة وكان سمع بذكره وأن الذي عليه جبريل فأخذ القبضة
وقوله فنبذتها أي ألقيتها في فم العجل وقد قال بعضهم إنما خار العجل لهذا وهو أن التراب كان مأخوذا من تحت فرس الحياة
وقوله وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي نفسي
قوله تعالى قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس أي لا أمس لا

تفسير السمعاني ج:3 ص:352
تفسير السمعاني ج 3/ص 353
الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا 97 إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما 98 كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا 99 من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا 100 خالدين
أمس وفي القصة أن موسى دعا عليه فصار يهيم مع الوحش وروي أنه كان إذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا قال الشاعر تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساسا
وقال سعيد بن جبير كان السامري رجلا من أهل كرمان ويقال من باجرما والأكثرون أنه كان من بني إسرائيل من رهط يقال لهم السامري
وقوله وإن لك موعدا لن تخلفه أي لن تكذبه ومعناه أن الله يكافئك على فعلك ولا تفوته وقرئ لن تخلفه بكسر اللام أي توافى يوم القيامة لميعاد العذاب ولا تخلف

وقوله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي ظلت عليه مقيما
وقوله لنحرقنه وقرئ لنحرقنه من الإحراق وهما في المعنى واحد وهو التحريق بالنار وعن علي وابن عباس - رضي الله عنهما - أنهما قرآ لنحرقنه وهي قراءة أبي جعفر ومعناه لنبردنه بالمبرد وفي قراءة أبي بن كعب لنذبحنه ثم لنحرقنه
وقوله ثم لننسفنه في اليم نسفا يعني لنذرينه في البحر تذرية
قوله تعالى إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما أي وسع علمه كل شيء وقالوا هذا من فصيح القرآن
قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق أي من أخبار من تقدم
وقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا الذكر ها هنا هو القرآن
قوله تعالى من أعرض عنه أي عن القرآن

وقوله فإنه يحمل يوم القيامة وزرا أي ثقلا ومعناه إثما يثقله

تفسير السمعاني ج:3 ص:353
تفسير السمعاني ج 3/ص 354
فيه وساء لهم يوم القيامة حملا 101 يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا 102 يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا 103 نحن أعلم بما يقولون
وقوله خالدين فيها أي مقيمين في عذاب الوزر
وقوله وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس الوزر حملهم يوم القيامة
وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور وقرأ أبو عمرو ويوم ننفخ في الصور واستدل بما عطف عليه من قوله ونحشر المجرمين وقرأ الباقون يوم ينفخ في الصور وهذا هو الأولى وقد بينا معنى الصور من قبل

وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قال الحسن وقتادة وجماعة عميا فإن قال قائل كيف يستقيم هذا وقد قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة والله تعالى إنما خلقهم بصرا والجواب أنه حكي عن ابن عباس أن في القيامة تارات وحالات فيحشرون بصرا ثم يعمون والقول الثاني في قوله زرقا أنه خضرة العين فيحشر الكفار زرق الأعين سود الوجوه والقول الثالث عطاشا ومعناه وقد تغيرت أعينهم من شدة العطش والقول الرابع زرقا أي شاخصة أبصارهم من عظم الخوف قال الشاعر
لقد زرقت عيناك يابن مكعبر كذا كل ضبي من اللؤم أزرق
والقول الخامس زرقا أي أحد البصر لأن الأزرق يكون أحد بصرا
وقوله يتخافتون بينهم أي يتساررون ويتكلمون خفية
وقوله إن لبثتم إلا عشرا أي ما لبثتم إلا عشرا وقد قال بعضهم هذا في القبر وقال بعضهم في الدنيا فإن قال قائل هذا كذب صريح وقد لبثوا في الدنيا والقبر سنين كثيرة والجواب عنه أن من شدة هول القيامة يظنون أنهم ما

تفسير السمعاني ج:3 ص:354
تفسير السمعاني ج 3/ص 355
إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما 104 ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا 105 فيذرها قاعا صفصفا 106 لا ترى فيها عوجا ولا أمتا 107 يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا لبثوا إلا هذا القدر وقال بعضهم إن الله تعالى يرفع العذاب عنهم بين النفختين فيستريحون فقولهم إن لبثتم إلا عشرا راجع إلى هذا
قوله تعالى نحن أعلم بما يقولون معناه أني عالم بقولهم وإن خافتوا
وقوله إذ يقول أمثلهم طريقة تقول العرب فلان أمثل قومه أي أعدل قومه

ومعنى الآية ها هنا أعقلهم وخيرهم طريقة في نفسه
وقوله إن لبثتم إلا يوما أي ما لبثتم إلا يوما

قوله تعالى ويسألونك عن الجبال قال الحسن البصري سأل المشركون رسول الله ما يفعل الله بهذه الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله فقل ينسفها ربي نسفا النسف هو القلع من الأصل ومعنى النسف في الآية هو تسيير الجبال أو جعلها هباء جعلها رملا سائلا
وقوله فيذرها قاعا صفصفا أي يذر أماكن الجبال قاعا صفصفا والقاع هو المكان الواسع المستوي والصفصف هو الأملس الذي لا نبات فيه
وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أي حدبا ونبكا ومعناه انخفاضا وارتفاعا
قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي قال أهل التفسير الداعي ها هنا هو إسرافيل يضع الصور في فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن أو لفظ هذا معناه
وقوله لا عوج له أي لا يزيغون يمينا ولا شمالا وقيل لا يمكنهم ألا يتبعوه
وقوله وخشعت الأصوات للرحمن أي سكنت وخضعت وقال قتادة

تفسير السمعاني ج:3 ص:355
تفسير السمعاني ج 3/ص 356
108 يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا 109 يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما 110 وعنت الوجوه للحي القيوم
ذلت قال الشاعر
فما أتى خبر الزبير تصدعت سور المدينة والجبال الخشع
وقوله فلا تسمع إلا همسا الهمس هو الصوت الخفي ويقال صوت وطء الأقدام كهمس الإبل قال الشاعر
فباتوا يذبحون وبات يسري
بصير بالدجى هار هموس
قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة أي لا تنفع الشفاعة لأحد
وقوله إلا من أذن له الرحمن أي إلا لمن أذن الرحمن في الشفاعة له
وقوله ورضي له قولا أي قول لا إله إلا الله وهو القول المرضي عند الله

قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الأعمال ويقال يعلم ما بين أيديهم أي لم يخلقهم وهو يريد أن يخلقهم
وقوله وما خلفهم أي الذين خلفهم من قبلهم فخلفوهم
وقوله ولا يحيطون به علما أي لا يحيطون بالله علما والله يحيط بالأشياء ولا

يحاط به لأن الإحاطة بالشيء هي العلم بالشيء من كل جهة يجوز أن يعلم والله تعالى لا يقدر قدره ولا يبلغ كنه عظمته وأما سائر الأشياء فإن الله يعلم كل شيء بكل جهة يجوز أن تعلم
قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم أي ذلت الوجوه وقال طلق بن أبي حبيب خرت الوجوه للسجود
وقوله للحي القيوم هو الدائم الذي لم يزل والقيوم هو القائم بتدبير الخلق

تفسير السمعاني ج:3 ص:356
تفسير السمعاني ج 3/ص 357
وقد خاب من حمل ظلما 111 ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما 112 وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا 113 فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من والقائم على كل نفس بما كسبت
وقوله وقد خاب من حمل ظلما أي هلك من حمل شركا وحمل الشرك هو نفس الإشراك
قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ظاهر المعنى
وقوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قوله ظلما أي يحمل عليه ذنب غيره ولا هضما أي لا يخاف أن ينقص من حقه وقيل ظلما أي لا يقبل طاعته و هضما أي ينقص من ثوابه
قوله تعالى وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا أي بلسان العرب وقوله وصرفنا فيه من الوعيد أي صرفنا القول فيه بذكر الوعيد قال قتادة هو ذكر وقائع الله في الأمم الخالية
وقوله لعلهم يتقون أي يتقون الشرك والمعاصي

وقوله أو يحدث لهم ذكرا أي يحدث لهم القرآن اعتبارا فيعتبرون به وقال بعضهم يحدث لهم الوعيد ذكر العذاب فينزجرون عن المعاصي وقال بعضهم أو يحدث لهم ذكرا أي شرفا لإيمانهم به
قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق ارتفع الملك الحق ذو الحق
وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه فيه أقوال المشهور ما ذكره ابن عباس وغيره أن النبي كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن تلا أول الآية قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ مخافة التفلت منه والنسيان فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها لا تعجل بقراءة القرآن قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ والقول

تفسير السمعاني ج:3 ص:357
تفسير السمعاني ج 3/ص 358

قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما 114 ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما 115 وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس الثاني معناها ولا تطلب الإنزال من الله تعالى واصبر حتى يأتيك جبريل بما ينزله الله تعالى والقول الثالث معناها ولا تبين للناس ما لم يصلي إليك تأويله ومعناه ولا تبين من قبل نفسك والقول الأول هو المعروف
وقوله وقل رب زدني علما أي علما إلى ما علمت فكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني إيمانا ويقينا وعن مالك بن أنس قال من شأن ابن آدم ألا يعلم كل شيء ومن شأن ابن آدم أن يعلم ثم ينسى ومن شأن ابن آدم أن يطلب من الله علما إلى علمه
قوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل العهد ها هنا هو الأمر
وقوله فنسي معناه فترك وعن ابن عباس أن الإنسان سمي إنسانا لأنه ينسى
وقوله ولم نجد له عزما معناه صبرا وقيل حزما وقال عطية حفظا لما أمر به والعزم هو توطين النفس على الفعل

وعن الحسن البصري قال لو قوبل عقل آدم بعقل جميع ولده لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وعن أبي أمامة الباهلي قال لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما فإن قيل أتقولون أن آدم - عليه السلام - كان ناسيا لأمر الله تعالى حين أكل من الشجرة قلنا يجوز أنه نسي ومنهم من قال نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهي تنزيه لا نهي تحريم ومنهم من قال ظن أنه إنما نهى عن شجرة بعينها ولم ينه عن جنس الشجرة
قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:358
تفسير السمعاني ج 3/ص 359
أبى 116 فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى 117 إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى 118 وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وقوله فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أي تتعب وتنصب وقال السدي بالحرث والحصد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبير أن الله تعالى أنزل عليه ثورا أحمرا فجعل يحرث ويرشح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه وروي عن سعيد أنه قال جعل آدم يسوق الثور وقد تعب وعرق فقال يا حواء هذا من قبلك فبقي ذلك في ولده إلى يوم القيامة فيقولون عند الحراثة حوحو ذكره ابن فارس في تفسيره

قال أبو الحسين بن فارس في تفسيره وعليه الخبر المعروف برواية أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي قال لقي آدم موسى - صلوات الله عليهما - فقال يا آدم أنت الذي أشقيتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق الخبر بطوله إلى أن قال فحج آدم موسى ثلاثا وفي بعض الحديث أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض قال لأطعمنك حتى يعرق جبينك ويتعب بدنك وفهو معنى قوله فتشقى فإن قال قائل كيف لم يقل فتشقيا وقد قال من قبل فلا يخرجنكما
والجواب من وجهين أحدهما أن معناه فتشقيا ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ونظير هذا قوله تعالى عن اليمن وعن الشمال قعيد أي قعيدان والآخر أنه قال فتشقى لأنه هو الكاد والساعي على المرأة فالتعب عليه
قوله تعالى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ظاهر المعنى
وقوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي لا تعطش ولا يصيبك أذى

تفسير السمعاني ج:3 ص:359
تفسير السمعاني ج 3/ص 360
119 فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى 120 فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى 121 الشمس فإن قيل ليست في الجنة شمس فكيف يستقيم هذا الكلام والجواب أنه مستقيم لأن أهل الجنة في ظل ممدود فلا يصيبهم أذى الشمس مثل ما يصيبهم في الدنيا وقيل معناه لا يصيبك حر يؤذيك ولا تضحى لا تعرق والعرب تقول أضحى فلان إذا بدر للشمس وفي بعض الآثار اضح لمن أخدمت له وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي أبو الخطاب - وولد ليلة مات عمر - رضي الله عنه -
رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

(3/322)

قوله تعالى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى أي لا يخلق ولا يفنى وقد بينا معنى شجرة الخلد من قبل
قوله تعالى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما أي عوراتهما وقال بعض أهل المعاني بدت عورتهما لهما دون غيرهما لأن الله تعالى قال فبدت لهما سوءاتهما
وقوله وطفقا يخصفان أي طلبا يقال طفق يفعل كذا إذا جعل يفعله
وقوله يخصفان أي يلصقان الورق بالورق للباسهما
وقوله عليهما من ورق الجنة أي للباسهما
وقوله وعصى آدم ربه قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولكن لا يقال آدم عاص لأنه إنما يقال عاص إذا اعتاد فعل المعصية وهذا كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال خياط إلا إذا اعتاد الخياطة
وأما قوله فغوى معناه ضل وخاب والضلال ها هنا بمعنى أخطأ طريق الحق والخيبة فوات ما طمع فيه من الخلود

تفسير السمعاني ج:3 ص:360
تفسير السمعاني ج 3/ص 361
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى 122 قال اهبطا منها جميعا بعضهم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى 123 ومن أعرض عن ذكري فإنه له معيشة ضنكا
وقال ابن الأعرابي غوى أي فسد عيشه وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب
قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى أي اختاره ربه وتاب عليه أي قبل توبته وهدى أي أرشده إلى الإنابة
قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو وقد بينا من قبل
وقوله فإما يأتينكم مني هدى أي بيان
وقوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى أي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وعن الشعبي أنه قال أجار الله تعالى من تبع القرآن وعمل بما فيه أن يضل أو يشقى ثم تلا هذه الآية
قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري أي عن وحيي
وقوله فإن له معيشة ضنكا فيه أقوال

روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا عذاب القبر قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - يضغط حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد هذا عن النبي ولفظه يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال كذلك حتى يبعث قاله في هذه الآية
والقول الثاني قال الضحاك هو أكل الحرام وقال بعضهم هو أن يكسب دون ما يكفيه والضنك هو الضيق وقال الحسن معيشة ضنكا عذاب جهنم وقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:361
تفسير السمعاني ج 3/ص 362
ونحشره يوم القيامة أعمى 124 قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا 125 قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى 126 وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى 127 أفلم يهد لهم بعضهم هو الضريع والزقوم في النار
وقوله ونحشره يوم القيامة أعمى فقال أعمى عن الحجة ويقال أعمى العين وقد بينا أنه روي عن ابن عباس أنه قال يحشرهم بصيرا ثم يعمى وقيل أعمى عن الحق وقيل أعمى عن كل شيء إلا عن عذاب جهنم
قوله تعالى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا معناه ولم حشرتني أعمى عن الحجة وقد كنت بصيرا بالحجة وقيل أعمى العين وقد كنت بصير

العين
قوله تعالى قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها أي تركتها
وقوله وكذلك اليوم تنسى أي تترك قال قتادة نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب
قوله تعالى وكذلك نجزي من أسرف أي من أشرك
وقوله تعالى ولم يؤمن بآيات ربه ظاهر المعنى
وقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي أعظم وأدوم
قوله تعالى أفلم يهد لهم وقرئ نهد بالنون فقوله يهد بالياء أي يهدي القرآن ومعنى نهدي نبين وقوله نهدي أي نبين نحن وصلته باللام دليل على أنه بمعنى التبين
وقوله كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم قال أهل التفسير

تفسير السمعاني ج:3 ص:362
تفسير السمعاني ج 3/ص 363
كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى 128 ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى 129 فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح هذا الخطاب لقريش وقد كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط
وقوله إن في ذلك لآيات أي لدلالات وعبرا
وقوله لأولي النهى أي لأولي العقول يقال فلان ذو نهية أي ذو عقل
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك فيه تقديم وتأخير ومعناه ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما أي العذاب لزاما والكلمة هي الحكم بتأخير العذاب والأجل المسمى هو وعد القيامة قال الله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
وقوله تعالى لزاما أي العذاب لا يفارقهم
قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك أي صل بأمر ربك
وقوله قبل طلوع الشمس هو الفجر وقبل غروبها هو العصر ومن آناء الليل المغرب والعشاء والآناء جمع إنى والإنى الساعة
وقوله وأطراف النهار هو الظهر فإن قيل كيف سمي أطراف النهار قلنا لأنه طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الثاني ابتداء وهذا قول قتادة وأكثر المفسرين وقال بعضهم أطراف النهار ساعات النهار للتطوع وعلى هذا قوله قبل غروب الشمس دخل فيه الظهر والعصر وقال بعضهم أطراف النهار المراد منه الصبح والعصر وهو مذكور لتأكيد ما سبق وقد ثبت برواية جرير بن عبد الله البجلي قال كنا جلوسا مع النبي فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم مثل هذا وأشار إلى القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة

تفسير السمعاني ج:3 ص:363
تفسير السمعاني ج 3/ص 364
وأطراف النهار لعلك ترضى 130 ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وزرق ربك خير وأبقى 131 وأمر أهلك بالصلاة قبل غروب الشمس وقبل طلوعها فافعلوا ثم قرأ هذه الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا المكي بن عبد الرزاق قال أخبرنا جدي أبو الهيثم قال حدثنا الفربري قال نا البخاري رضي الله عنه قال نا إسحاق بن إبراهيم عن جرير بن عبد الحميد الضبي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير الحديث
قوله لعلك ترضى أي لعلك ترضى ثوابه وقرىء لعلك ترضى على ما لم يسم فاعله أي تعطى ثوابه
قوله تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم روي عن أبي رافع أن النبي نزل به ضيف ولم يكن عنده شيء فبعث إلى يهودي يستقرض منه طعاما فأبى إلا برهن فرهن منه درعه وحزن منه فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله أزواجا منهم أي رجالا وقيل أصنافا منهم
وقوله زهرة الحياة الدنيا زينة الحياة الدنيا وقيل زهرة الحياة الدنيا بهجتها وحسنها وما تروق الناظر منهما
وقوله لنفتنهم فيه أي نوقعهم في الفتنة بسببه
وقوله ورزق ربك خير وأبقى أي خير لك في الآخرة وأبقى بركة في الدنيا
وروي عن أبي بن كعب أنه قال من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله تعالى

تفسير السمعاني ج:3 ص:364
تفسير السمعاني ج 3/ص 365
واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى 132 وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى 133 ولو أنا أهلكناهم بعذاب في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه

وعن يزيد بن ميسرة أنه قال كانوا يسمون الدنيا خنزيرة ولو علموا اسما أسوء منه لسموها به فكانت إذا أقبلت على أحدهم قال إليك يا خنزيرة
قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها في قوله أهلك قولان أحدهما

أهل دينك والآخر قرابتك وقومك
وفي بعض المسانيد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي كان إذا أصاب أهله خير أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها
وقوله لا نسألك رزقا أي لا نسألك أن ترزق أحدا من خلقي ولا أن ترزق نفسك وقيل ثوابا
وقوله نحن نرزقك أي نوصل إليك رزقك وقيل ننشئك
وقوله والعاقبة للتقوى أي لأهل التقوى
قوله تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة
وقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي بيان ما في الصحف الأولى من أنباء الأمم فإنهم اقترحوا الآيات فأعطوا ولم يؤمنوا فأهلكهم الله تعالى ولو أعطينا هؤلاء أيضا ولم يؤمنوا ألحقنا إهلاكهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:365
تفسير السمعاني ج 3/ص 366
من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى 134 قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى 135
قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن
قوله لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا أي لقالوا يوم القيامة
وقوله فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى أي نذل في الدنيا ونخزى في الآخرة والذل الهوان والخزي الافتضاح
قوله تعالى قل كل متربص روي أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فإذا مات تخلصنا فأنزل الله تعالى هذه الآية قل كل متربص أي منتظر
وقوله فتربصوا أي فانتظروا

وقوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوي في الشاذ من أصحاب الصراط السوى على وزن فعلى والمعروف السوى ومعنى الصراط السوى الدين القويم
وقوله ومن اهتدى أي من هدى ورشد والمهتدون نحن أم أنتم

تفسير السمعاني ج:3 ص:366
تفسير السمعاني ج 3/ص 367
بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون 1 ما يأتيهم من ذكر من ربهم تفسير سورة الأنبياء

وهي مكية قال ابن مسعود سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم قوله اقترب افتعل من القرب وقوله للناس حسابهم أي وقت حسابهم وقيل عذابهم وقد ثبت عن النبي أنه قال من نوقش في الحساب عذب والآية في المشركين دون المؤمنين وهذا قوله بعضهم وإنما سمى الساعة قريبة لأنها كانت لا محالة وكل ما هو كائن لا محالة فهو قريب وأيضا فإن ما بقي من الدنيا في جنب ما مضى قليل فسمى الساعة قريبة على هذا المعنى وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية ارتدع المشركون عن بعض ما هم عليه ثم لما لم يروا للقيامة أثرا انهمكوا فيما كانوا وهكذا روي أيضا في قوله تعالى أتى أمر الله والله أعلم
وقوله وهم في غفلة معرضون أي هم غافلون معرضون وقيل في اشتغال بالباطل عن الحق ويقال وهم في غفلة عما يراد بهم وأريدوا به
قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث استدل المعتزلة بهذا على أن القرآن مخلوق وقالوا كل محدث مخلوق والجواب عنه أن معنى قوله محدث أي محدث تنزيله ذكره الأزهري وغيره ويقال أنزل في زمان بعد زمان قال الحسن البصري كلما جدد لهم ذكرا استمروا على جهلهم وذكر النقاش في تفسيره أن الذكر المحدث هاهنا ما ذكره النبي وبينه من السنن والمواعظ

تفسير السمعاني ج:3 ص:367
تفسير السمعاني ج 3/ص 368
محدث إلا استمعوه وهم يلعبون 2 لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون 3 قال ربي يعلم القول في السماء والدلائل سوى ما في القرآن وأضافه إلى الرب لأنه قاله بأمر الرب تعالى
وقوله إلا استمعوه وهم يلعبون أي استمعوه لاعبين
وله تعالى لاهية قلوبهم أي غافلة وقيل مشتغلة بالباطل عن الحق قال امرؤ القيس
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول
أي شغلتها
وقوله وأسروا النجوى فيه قولان أحدهما وأخفوا النجوى والآخر وأظهروا النجوى والعرب تقول أسر إذا أخفى وأسر إذا أظهر وقال بعض أهل اللغة أسر إذا أخفى بالسين غير المعجمة وأشر إذا أظهر بالشين المعجمة قال الشاعر
ولما رأى الحجاج جرد سيفه
أسر الحروري الذي كان أضمرا
وقوله الذين ظلموا أي أشركوا
وقوله هل هذا إلا بشر مثلكم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة
وقوله أفتأتون السحر أي تحضرون السحر وتقبلونه
وقوله وأنتم تبصرون أي تعلمون أنه سحر

قوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والأرض يعني القول يسر به ويجهر به في السماء والأرض
وقوله وهو السميع العليم ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:368
تفسير السمعاني ج 3/ص 369
والأرض وهو السميع العليم 4 بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون 5 ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناهم أفهم يؤمنون 6 وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون 7 وما

قوله تعالى بل قالوا أضغاث أحلام أي تهاويل أحلام ويقال أخلاط أحلام ويقال ما لا تأويل له ولا تفسير
قال الشاعر
أحاديث طسم أو سراب بقيعة ترقرق للساري وأضغاث حالم
وقوله بل افتراه أي اختلقه
وقوله بل هو شاعر أي مثل أمية بن الصلت ومن أشبه والمراد من الآية بيان تناقضهم في قولهم وأنهم غير مستقرين على شيء واحد
وقوله فليأتنا بآية كما أرسل الأولون بالآيات وطلبوا آية مثل الناقة أو عصا موسى ويد موسى وما أشبه ذلك وقد كان الله تعالى بين الآيات سوى ما طلبوا
قوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها معناه ما آمنت قبلهم من أهل قرية طلبوا آية فأعطوا أي أعطيناهم الآية ولم يؤمنوا وقوله أهلكناها أي حكمنا بهلاكها
وقوله أفهم يؤمنون معناه كما لم يؤمن أولئك فلا يؤمن هؤلاء
قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم يعني أنا لم نرسل الملائكة قبلك إلى الأولين فنرسل ملكا إلى قومك
وقوله فاسألوا أهل الذكر الأكثرون على أن المراد بأهل الذكر مؤمنو أهل

تفسير السمعاني ج:3 ص:369
تفسير السمعاني ج 3/ص 370
جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين 8 ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين 9 لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون 10 وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين 11 فلما أحسوا الكتاب وعن علي -رضي الله عنه- أنهم علماء هذه الأمة
وقوله إن كنتم لا تعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى وما جعلناهم جسدا أي ذوي أجساد

وقوله لا يأكلون الطعام معلوم وقوله وما كانوا خالدين أي في الدنيا وهذا رد لقولهم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية
قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد معناه صدقناهم الوعد في العقاب والثواب

وقوله فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين أي أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين وكل مكذب مشرك مسرف على نفسه والسرف مجاوزة الحد
وقوله تعالى لقد أنزلنا إلكيم كتابا فيه ذكركم فيه أقوال أحدها ذكركم أي حديثكم وقيل ذكركم أي ذكركم ما تحتاجون إليه من دينكم وقال مجاهد ذكركم أي شرفكم وهو شرف لمن يؤمن به لا لمن يكفر به
وقوله أفلا تعقلون أي أفلا تعتبرون
قوله تعالى وكم قصمنا القصم الكسر والفصم -بالفاء- الصدع وفي الخبر يرفع أهل الدرجات العلا إلى غرفة من در ليس فيها قصم ولا فصم
وقوله من قرية كانت ظالمة أي ظلم أهلها
وقوله وأنشئنا بعدها قوما آخرين أي فريقا آخرين
وقوله تعالى فلما أحسوا بأسنا أي وجدوا عذابنا وقيل وصل إليهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:370
تفسير السمعاني ج 3/ص 371
بأسنا إذا هم منها يركضون 12 لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون 13 قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين 14 فما زالت تلك دعواهم حتى عذابنا
وقوله إذا هم منها يركضون أي يهربون ركضا يقال ركض الدابة إذا أسرع في سيرها
قوله تعالى لا تركضوا أي لا تهربوا

وقوله وارجعوا إلى ما أترفتم فيه أي نعمتم فيه والمترف المنعم وقيل إلى دنياكم ومساكنكم التي نعمتم فيها قال أكثر أهل التفسير هذه الآيات نزلت في أهل مدينة كفروا فسلط الله عليهم بعض الجبابرة -وقيل كان بختنصر- فلما أصابهم عذاب السيف هربوا فقال لهم الملائكة والسيوف قد أخذتهم لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم قالوا هذا لهم استهزاء وقد قيل هذا في أهل مدينة أصابهم عذاب من السماء فخرجوا هاربين وقال لهم الملائكة هذا القول ويقال في قوله لعلكم تسألون أي تسألون لم تركتم ما يصلح دينكم وأمر آخرتكم واشتغلتم بما يوجب العذاب عليكم ويقال لعلكم تسألون عما عاينتم من العذاب قالت الملائكة هذا توبيخا لهم

قوله تعالى قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين الويل دعاء الهلاك
وقوله ظالمين أي ظالمين لأنفسنا
قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم أي دعاؤهم وقولهم
وقوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين الحصيد هو المستأصل
وقوله خامدين أي ميتين ومعنى الآية جعلناهم كأن لم يكونوا
قوله سبحانه وتعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي

تفسير السمعاني ج:3 ص:371
تفسير السمعاني ج 3/ص 372
جعلناهم حصيدا خامدين 15 وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين 16 لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين 17 بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون 18 وله من في السموات والأرض للعب
قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا اختلفوا في اللهو هاهنا على قولين أحدهما أن اللهو هو المرأة والآخر أن اللهو هو الولد وهو في المرأة أظهر فإن الوطء يسمى لهوا في اللغة والمرأة محل الوطء قال الشاعر

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن اللهو أمثالي
وعن بعضهم أن اللهو هو الغناء وهو ضعيف في هذا الموضع
وقوله لاتخذناه من لدنا أي لاتخذناه من عندنا لا من عندكم ويقال اتخذناه بحيث لا ترون
وقوله إن كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين ويقال إن كنا فاعلين ولم نفعله لأنه لا يليق بنا
قوله سبحانه وتعالى بل نقذف بالحق على الباطل الحق هاهنا قول الله تعالى إنه لا ولد له والباطل قولهم إن الله اتخذ ولدا ويقال إن الحق هو القرآن والباطل هو الشيطان
وقوله نقذف أي نلقي
وقوله فيدمغه أي يزيله يقال دمغت فلانا إذا كسرت دماغه وقتلته
وقوله فإذا هو زاهق أي ذاهب وهذا من حيث بيان الدليل والحجة لا من حيث إزالة الكفر أصلا فإن الكفر والباطل في العالم كثير
وقوله ولكم الويل مما تصفون قال قتادة مما تكذبون وقال الحسن هو لكل واصف كذبا إلى يوم القيامة

تفسير السمعاني ج:3 ص:372
تفسير السمعاني ج 3/ص 373
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون 19 يسبحون الليل والنهار

لا يفترون 20 أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون 21 لو كان فيهما آلهة إلا الله
قوله تعالى وله من في السموات والأرض أي من في السموات والأرض عبيدا وملكا
وقوله ومن عنده أي الملائكة
وقوله لا يستكبرون عن عبادته أي لا يتعظمون عن عبادته وذكر ابن فارس في تفسيره في خبر أن الله تعالى لما استوى على عرشه سجد ملك فلا يرفع رأسه من السجود إلى يوم القيامة فإذا رفع رأسه يوم القيامة قال سبحانك ما عبدتك حق عبادتك غير أني لم أشرك بك ولم أتخذ لك ندا
وقوله ولا يستحسرون أي لا يعيون يقال دابة حسيرة إذا كانت عيية قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالتنفس لبني آدم

قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون يعني يسبحون دائما لا يضعفون ولا يفنون واعلم أنه ليس عند الملائكة ليل ولا نهار وإنما المراد بذكر الليل والنهار هاهنا هو الدوام على التسبيح
قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون معنى قوله من الأرض أي من الخشب والحجارة وقد كانت عامة أصنام المشركين من الخشب والحجارة وهما من الأرض
وقوله هم ينشرون أي يحيون ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم لأنه الإنعام بأبلغ وجوه النعم وهذا لا يليق بوصف البشر وكل محدث وأنشدوا للأعشى في الانتشار
لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا
أيا عجبا للميت الناشر

تفسير السمعاني ج:3 ص:373
تفسير السمعاني ج 3/ص 374
لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون 22 لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقرىء ينشرون بفتح الياء أي يحيون أبدا ومعنى الآية هو الإنكار على متخذ الأصنام آلهة وبيان أنه لا يليق بها الإلهية
قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا قال أكثر أهل التفسير إلا هاهنا بمعنى غير قال الشاعر
وكل أخ مفارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقدان
يعني غير الفرقدين وهذا على ما اعتقدوا من دوام السماء والأرض
وقال بعضهم إلا الله إلا بمعنى الواو هاهنا ومعناه لو كان فيهما آلهة والله أيضا لفسدتا ومعنى الفساد في السماء والأرض إذا كان الإله اثنين هو فساد التدبير وعدم انتظام الأمور بوقوع المنازعة والمضادة وهو أيضا معنى قوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض

وقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون نزه نفسه عما يصفه به المشركون من الشريك والولد

قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يعني لا يسأل عما يحكم على خلقه والخلق يسألون عن أفعالهم وأعمالهم وقيل لا يسأل عما يفعل لأنه كله حكمة وصواب وهم يسألون عما يفعلون لجواز الخطأ عليهم وقيل معنى لا يسأل عما يفعل لا يقال له لم ولماذا بخلاف الخلق وفي الآية رد على القدرية وقطع شبهتهم بالكلية
وقد روى أبو الأسود الدؤلي أن عمران بن حصين قال له أرأيت ما يسعى فيه الناس ويكدحون أهو أمر قضي عليهم أو شيء يستأنفونه فقلت لا بل أمر قضي عليهم قال أفلا يكون ظلما قلت سبحان الله لا يسأل عما يفعل وهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:374
تفسير السمعاني ج 3/ص 375
23 أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون 24 وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي يسألون فقال لي أصبت يا أبا الأسود وقد أجزت عقلك ثم روى عمران أن رجلا من جهينة -أو مزينة- أتى النبي قال له عما يفعل الناس أو يكدحون فيه أهو شيء قضي عليهم أم شيء يستأنفونه فقال النبي هو شيء قضي عليهم فقال ذلك الرجل يا رسول الله أفلا يكون ظلما قال لا ثم تلا قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الشيخ وقد ذكرنا هذا الخبر في كتاب مسند القدر
قوله تعالى أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم أي حجتكم
وقوله هذا ذكر من معي أي ذكر من معي بما أمروا من الحلال والحرام
وقوله وذكر من قبلي أي من يحيى منهم بالطاعة وهلك بالمعصية وعن ابن عباس قال ذكر من معي فهو القرآن وذكر من قبلي هو التوراة والإنجيل
ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدا
وقوله بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ظاهر المعنى

قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون أي وحدون
قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال قتادة قال طائفة من المشركين إن الله تعالى صاهر الجن فالملائكة بناته

تفسير السمعاني ج:3 ص:375
تفسير السمعاني ج 3/ص 376
إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون 25 وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون 26 لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون 27 يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون 28 ومن يقل منهم إني
وقوله سبحانه نزه نفسه عما قالوا
وقوله بل عباد مكرمون أي عبيد مكرمون
قوله تعالى لا يسبقونه بالقول هذا ثناء من الله على الملائكة ومعنى قوله لا يسبقونه بالقول أنهم لا يقولون قولا بخلافه وهذا مثل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تقولوا قولا بخلاف الكتاب والسنة وقد ثبت برواية عائشة -رضي الله عنها- عن النبي أنه قال من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد والإحداث في الدين أن يقول بخلاف الكتاب والسنة
وقوله وهم بأمره يعملون معناه أنهم لا يخالفونه لا قولا ولا عملا ويقال معناه إذ أمر بأمر أطاعوا فإذا قال لهم افعلوا قالوا طاعة
قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي ما قدموا وأخروا وقيل ما بين أيديهم هو الآخرة وما خلفهم أعمالهم
وقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى معناه إلا لمن قال لا إله إلا الله ويقال إلا لمن رضي الله عنه عمله
وقوله وهم من خشيته مشفقون أي من عذابه
قوله تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فإن قيل هل قال أحد من الملائكة إني إله من دونه قلنا معناه لو

تفسير السمعاني ج:3 ص:376
تفسير السمعاني ج 3/ص 377
إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين 29 أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون قالوا ولم يقولوا والجواب المعروف أن المراد منه إبليس لعنه الله فإنه دعا الناس إلى طاعته فهو معنى قوله ومن يقل منهم إني إله وهذا دليل على أن من دعا إنسانا إلى طاعته في معصية الخالق فكأنه قال اعبدني أو اتخذني إلها
قوله تعالى أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما فإن قال قائل قد قال أو لم ير الكفار و لم يروا شيئا من هذا ولا المسلمون
والجواب عنه أن معناه أو لم يعلموا بإخبارك إياهم وقيل أو لم يخبروا وأما الرتق في اللغة هو السد والفتق هو الشق قال الشاعر
يهون عليهم إذا يغضبون سخط العداة وإرغامها

ورتق الفتوق وفتق الرتوق
ونقض الأمور وإبرامها
وأما معنى الآية قال ابن عباس قوله كانتا رتقا أي كان السماء والأرض
ملتصقين ففتقناهما بالهواء وقال غيره معناه كان السماء شيئا واحدا ففتقناها
وجعلناها سبع سموات وكانت الأرض شيئا واحدا ففتقناها وجعلناها سبع أرضين
والقول الثالث قاله مجاهد فتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات
وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي فإن قال قائل قد خلق بعض ما هو حي
من غير الماء فكيف يستقيم قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وأيضا فإن
الإنسان قد يموت بالماء والشجر والنبات قد يهلك بالماء والجواب من وجهين
أحدهما أن الماء هاهنا هو النطفة والحي هو الآدمي ومعناه كل شيء حي من
الآدمي والجواب الثاني أن هذا على وجه التكثير وأكثر الأحياء في الأرض إنما
هو مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء فاستقام معنى الآية من هذا الوجه

تفسير السمعاني ج:3 ص:377
تفسير السمعاني ج 3/ص 378
30 وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم
يهتدون 31 وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون 32 وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون 33
وقوله أفلا يؤمنون ظاهر المعنى
قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت وقيل ثقالا قال الشاعر
رسا أصله تحت الثرى وسمائه إلى النجم فرع لا ينال طويل
وقوله أن تميد بهم أي كراهة أن تميد بهم والميد الحركة
وقوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا الفج هو الواسع بين الجبلين
وقوله سبلا أي طرقا مسلوكة
وقوله لعلهم يهتدون أي يهتدون إلى الحق
قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا أي محفوظا من وقوعه على الأرض
وهو معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ويقال معناه
محفوظا عن الشياطين بالشهب
وقوله وهم عن آياتها معرضون آياتها شمسها وقمرها ونجومها وارتفاعها
واستمساكها بغير عمد وغير ذلك
قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر المعروف عن ابن
عباس برواية عكرمة أنه قال إن الله تعالى خلق الليل قبل النهار وقرأ قوله
تعالى أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أي كانتا مظلمة
بالرتق ففتقتا بالضياء
وقوله والشمس والقمر كل في فلك يسبحون أي يجرون ويقال يدور

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون 34 كل نفس ذائقة الموت بهم فلك دون السماء ويقال يدور بهم السماء والله أعلم وإنما ذكر يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنهم ما يذكر من العقلاء وهو الجري والسبح فذكر على ما يعقل
قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون نتربص بمحمد ريب المنون فقال تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني أن الموت طريق معهود مسلوك لا بد منه لكل حي
وقوله أفإن مت فهم الخالدون معناه أفهم الخالدون إن مت وقد روي أن النبي لما توفي دخل أبو بكر -رضي الله عنه- ووضع فمه بين عينيه ويده على جانب رأسه وقال يا رسول الله طبت حيا وميتا ثم قرأ قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقد كان عمر يقول إنه لم يمت فلما تلا أبو بكر هذه الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إللا ذلك الوقت وأعرضوا عن عمر وقوله وعلموا أنه قد مات
قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت قد بينا من قبل
وقوله ونبلوكم بالشر والخير أي بالرخاء والشدة والصحة والسقم وبالإشقاء والإسعاد وغير ذلك مما يختلف على الإنسان وقيل بالشر والخير أي بما يحبون ويكرهون ويقال الشر غلبة الهوى على الإنسان والخير العصمة من المعاصي قاله سهل بن عبد الله

ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون 35 وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون 36 خلق الإنسان
وقوله فتنة أي محنة وخبرة
وقوله وإلينا ترجعون أي تردون
قوله تعالى وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا هزوا

وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يعيب آلهتكم يقال فلان يذكر فلانا أي يعيبه وفلان يذكر الله أي يعظمه ويجله
وقوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون قال هذا لأنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة وهم الثانية صلة

قوله تعالى خلق الإنسان من عجل فيه أقوال أحدها سرعة وتعجيل والإنسان هو آدم -صلوات الله عليه- وقد خلقه الله تعالى من غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة والعلقة والمضغة وغيره وهذا قول حسن والقول الثاني من عجل أي عجولا ويجوز أن يكون المراد من الإنسان جميع بني آدم وأما ابن عباس فإنه قال هو آدم لما نفخ الله فيه الروح وبلغ صدره أراد أن يقوم فهو عجلته وذكر الكلبي أنه لما نفخ فيه الروح نظر إلى الشمس فإذا هي تغرب فقال اللهم أتم خلقي قبل أن تغرب الشمس فهو عجلته والقول الثالث خلق الإنسان والعجلة منه وقيل والعجلة فيه وهذا على طريق المبالغة والعرب تقول للشرير خلقت من الشر وكذلك تقول خلق فلان من الخير إذا ذكر على طريق المبالغة
والقول الرابع قوله خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر
والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل
أي الطين

تفسير السمعاني ج:3 ص:380
تفسير السمعاني ج 3/ص 381
من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون 37 ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين 38 لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون 39 بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون 40

(3/340)

وقوله سأريكم آياتي فلا تستعجلون هذا في المشركين فإنهم كانوا يستعجلون القيامة على ما قال الله تعالى في موضع آخر يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقال بعضهم سأريكم آياتي أي مواعدي وقوله فلا تستعجلون أي لا تطلبوا العذاب مني قبل وقته وإنما نزلت هذه الآية لأن النضر بن الحارث كان قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ظاهر المعنى
قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون أي لا يدفعون
وقوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ظاهر المعنى
وقوله ولا هم ينصرون أي لا يمنعون من العذاب وفي الآية جواب محذوف ومعناه لعلموا صدق وعدنا
وقوله لو يعلم في ابتداء الآية معناه لو يرى
قوله تعالى بل تأتيهم بغتة أي القيامة فجأة
وقوله فتبهتهم أي تحيرهم يقال فلان مبهوت أي متحير وهو معنى قوله تعالى فبهت الذي كفر
وقوله فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون أي يمهلون
قوله تعالى ولقد استهزىء برسل من قبلك ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:381
تفسير السمعاني ج 3/ص 382
ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون 41 قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم
معرضون 42 أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم
منا يصحبون 43 بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا
نأتي الأرض ننقصها من أطرافها
وقوله فحاق بالذين سخروا منهم أي نزل بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزئون أي جزاء استهزائهم
وقوله تعالى قل من يكلؤكم أي يحفظكم قال الشاعر
إن سليمى فالله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

(3/341)

وقوله بالليل والنهار من الرحمن أي من عذاب الرحمن والله تعالى يحفظ
العباد من عذاب نفسه
وقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون ظاهر المعنى
قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا أي تمنع العذاب عنهم من دوننا
وقوله فلا يستطيعون نصر أنفسهم أي منع أنفسهم
وقوله ولا هم منا يصحبون أي يجارون يقال أجارك الله أي حفظك وتقول
العرب صحبك الله أي حفظك ونصرك وقد قيل يصحبون أي ينصرون
قوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم أي أملينا وأمهلنا ويقال متعنا أي أعطيناهم
النعمة
وقوله حتى طال عليهم العمر أي امتد بهم الزمان
وقوله أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها الأكثرون أن هذا هو ظهور
النبي وفتحه ديار الشرك أرضا أرضا وبلدة بلدة والدليل على صحة هذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:382
تفسير السمعاني ج 3/ص 383
أفهم الغالبون 44 قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون
45 ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين 46 ونضع
التأويل أنه قال أفهم الغالبون أي ليست الغلبة لهم إنما الغلبة لي ولرسولي
وعن ابن جريج قال ما ينقص من سائر الأرضين يزاد في الشام وما ينقص من
الشام يزاد في أرض فلسطين وبها المحشر وقال عكرمة لو نقص من الأرض
ما وجد أحد مكانا يقعد فيه ولكن المراد من الآية ذهاب خيارها وعلماؤها ويقال
هو موت أهلها وقيل خرابها
قوله تعالى قل إنما أنذركم بالوحي أي بالقرآن

وقوله ولا يسمع الصم الدعاء وقرىء لا يسمع الصم الدعاء وقرأ عبد الرحمن المقرىء لا تسمع الصم الدعاء وأما المعروف هو ظاهر المعنى والصم هم الكفار وسماهم صما لأنهم لم يسمعوا ما ينفعهم
وقوله إذا ما ينذرون أي يخوفون بالوحي

قوله تعالى ولئن مستهم نفحة النفحة هي الدفعة اليسيرة تقول العرب نفح فلان بالسيف على هذا المعنى وهي بخلاف والنفخة لا بد فيها من خروج الريح من الخوف ومعنى ولئن مستهم نفحة أي طرف من عذاب ربك وقيل أدنى شيء من عذاب ربك
وقوله ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين معناه يا هلاكنا إنا كنا مشركين كأنهم أقروا على أنفسهم باستحقاق العقوبة
قوله تعالى ونضع الموازين القسط معناه ذوات القسط والقسط العدل وفي المشهور في الأخبار أن الميزان له لسان وكفتان وفي بعض المأثور أن داود -عليه السلام- قال يا رب أرني الميزان الذي يوزن به أعمال العباد فأراه إياه

تفسير السمعاني ج:3 ص:383
تفسير السمعاني ج 3/ص 384
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكل كفة منه مثل ما بين المشرق والمغرب فقال يا رب ومن يملأ هذا من الحسنات فقال باداود إذا رضيت عن عبدي ملأته بكسرة أو تمرة والله أعلم
وأما كيفية الوزن فقد قال بعضهم إنه يوزن الحسنات والسيئات وقيل يوزن خواتيم الأعمال وقال بعضهم الميزان علامة يعرف بها مقادير استحقاق الثواب والعقاب والصحيح هو الميزان حقيقة فإن قيل قد قال في موضع آخر فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فكيف التوفيق بين الآيتين والجواب عنه أن معنى قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي لا يستقيم وزنهم على الحق فإن ميزانهم شائل ناقص خفيف ويقال فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي ثوابا قال بعض الخوارج في ضربة ابن ملجم لعلي رضي الله عنه -
يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليدرك من ذي العرش رضوانا
إني لأذكر يوما فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
أي ثوابا ونحن نبرأ من معنى هذا الشعر ومن قائله

وقوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا أي لا يزاد في سيئاته ولا ينقص من حسناته
وقوله وإن كان مثقال حبة من خردل أي زنة حبة خردل

وقول أتينا بها أي أحضرناها لنجازى عليها
وقرىء في الشاذ آتينا بها بمد الألف من الإيتاء أي جازينا بها أو أعطينا بها
وقوله وكفى بنا حاسبين أي محاسبين وقيل حافظين عالمين وقيل محصين

تفسير السمعاني ج:3 ص:384
تفسير السمعاني ج 3/ص 385
وكفى بنا حاسبين 47 ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
48 الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون 49 وهذا ذكر
مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون 50 ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به
عالمين 51 إذ قال
قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان فيه قولان أحدهما أنه التوراة
والآخر أنه البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون
وقوله وضياء وقرىء بغير الواو فأما بالواو فهو صفة أخرى للتوراة إذا حملنا
الفرقان على التوراة وإن حملناه على البرهان فمعناه أعطيناه البرهان
وأعطيناه التوراة التي هي ضياء فأما بغير الواو فمعنى الفرقان على هذا ليس
إلا التوراة وقوله وضياء صفة لها
وقوله وذكرا للمتقين أي تذكيرا للمتقين
قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب إنما قال بالغيب لأن المؤمنين يخشونه
ولا يرونه فأما هو يراهم وليسوا بغيب عنه وقوله وهم من الساعة مشفقون أي
خائفون
قوله تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه قد بينا معنى المبارك وقيل يتبرك به أي
يطلب منه الخير
وقوله أفأنتم له منكرون مذكور على وجه التوبيخ والذم لإنكارهم
قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل في الرشد قولان أحدهما أنه
الهداية والآخر أنه النبوة

وقوله من قبل فيه قولان أحدهما من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب
وهو صغير ونظر إلى النجوم والشمس والقمر فاستدل كما ذكرنا في سورة
الأنعام والقول الثاني من قبل أي من قبل موسى وهارون
وقوله وكنا به عالمين أي عارفين

تفسير السمعاني ج:3 ص:385
تفسير السمعاني ج 3/ص 386
لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون 52 قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين 53 قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين 54 قالوا أجئتنا بالحق أم
أنت من اللاعبين 55 قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا

على ذلكم من الشاهدين 56 وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين 57 فجعلهم جذاذا
قوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون أي الأصنام التي أنتم عليها مقيمون للعبادة
قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين معناه وجدناهم كذلك فاتبعناهم
قوله تعالى قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي في خطأ بين والبين الواضح والمبين الموضح
قوله تعالى قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين أي بالصدق والجد أم أنت من الهازئين
قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي خلقهن
وقوله وأنا على ذلكم من الشاهدين أي على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره وأن الأصنام ليست بآلهة وقيل وأنا من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض
قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم الكيد إيصال ضر بالغير بضرب من التدبير وقيل الكيد شبه المحاربة
وفي مغازي الرسول غزا موضع كذا فلم يلق كيدا أي حربا
وقوله بعد أن تولوا مدبرين أي بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم فإن قيل كيف يتصور كيد الأصنام وهي لا تعقل قلنا سنبين وجه كيده لها

قوله فجعلهم جذاذا قرىء جذاذا و جذاذا وفي الشاذ جذاذا فقوله جذاذا بالرفع هو مثل الحطام والرفات وقوله جذاذا بالكسر فهو جمع

تفسير السمعاني ج:3 ص:386
تفسير السمعاني ج 3/ص 387
إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون 58 قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين الجذيذ مثل الخفيف والخفاف ومعناه أنه قطعها وكسرها أي جعلها قطعة قطعة وكسرة كسرة
وفي القصة أنهم لما مروا إلى عيدهم قالوا له ألا تخرج معنا فقال لا إني سقيم ومعناه ما برد بعد ثم قال في نفسه تالله لأكيدن أصنامكم فسمعه رجل منهم ومروا ولم يبق في البلد أحد فجاء إلى بيت أصنامهم ومعه فأس وكان في البيت اثنان وسبعون صنما بعضها من حجر وبعضها من فضة وبعضها من ذهب وغير ذلك والصنم الكبير من الذهب وهو مكلل بالجوهر وعيناه ياقوتتان تتقدان وهو على هيئة عظيمة فأخذ الفأس وكسر الكل إلا الكبير فإنه تركه وعلق الفأس في عنقه وقيل ربطه بيده فهذا هو كيد الأصنام ومعناه أنه كادهم على ما يعتقدون فيهم فهذا معنى قوله فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم وأنشدوا في الجذاذ شعرا
جذذ الأصنام في محرابها ذاك في الله العلي المقتدر

وقوله لعلهم إليه يرجعون فيه قولان أحدهما لعلهم عنده يرجعون من الشرك أي عند هذا الفعل والقول الثاني لعلهم إلى الكبير يرجعون ومعناه أنهم إذا رأوا أمثال الصنم الكبير مقطعة مكسرة وعرفوا أنه مثلهم ولم يكن عندهم دفع عرفوا أنه لا دفع عنده أيضا وأما قول من قال إن معنى الآية لعلهم إليه يرجعون أن الكبير هو الذي فعل بهم ذلك حمية وأنفة فهو قول باطل لأنه لا يدخل في عقل أحد أن الصنم الكبير يكسر الأصنام الصغيرة وإنما علق الفأس في عنق الكبير تعييرا لهم وتبكيتا وقيل على طريق إلزام الحجة فإن اعتقادهم يوجب هذا وهو أن الكبير لا يرضى بالأصنام الصغار مع هو لو كانوا يعقلون قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا فيه تقدير وهو أنهم رجعوا ودخلوا على الأصنام فلما رأوها قالوا كذلك

تفسير السمعاني ج:3 ص:387
تفسير السمعاني ج 3/ص 388
59 قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم 60 قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون 61 قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم 62 قال بل فعله
وقوله إنه لمن الظالمين أي من المجرمين
قوله تعالى قالوا سمعنا فتى أي شابا يذكرهم أي يعيبهم وفي القصة أن ذلك الرجل الذي سمع منه ذكر كيد الأصنام قال هذا
وقوله يقال له إبراهيم معلوم
قوله تعالى قالوا فأتوا به على أعين الناس في القصة أن الملك -وهو نمروذ- قال هذا القول ومعناه جيئوا به على مشهد الناس
وقوله لعلهم يشهدون فيه قولان أحدهما أنهم يشهدون عذابه إذا عذبناه والقول الآخر لعلهم يشهدون أي يسمعون قول الرجل أنه قال كذا في الأصنام قال السدي كره الملك أن يعاقبه بغير بينة
قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم طلبوا منه الإقرار والاعتراف بما فعل

قوله تعالى قال بل فعله كبيرهم هذا اعلم أنه قد ثبت عن النبي برواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي قال إبراهيم كذب ثلاث كذبات -وفي رواية في الله - قوله بل فعله كبيرهم وقوله إني سقيم وقوله لسارة هذه أختي قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو علي الشافعي قال أبو الحسن بن فراس قال نا أبو جعفر الديبلي قال نا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال نا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد الحديث

تفسير السمعاني ج:3 ص:388
تفسير السمعاني ج 3/ص 389
كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون 63 فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون 64 ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون 65 قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم 66 أف لكم ولما تعبدون من قال أهل المعاني قال إبراهيم ما قال بإذن الله تعالى لقصد الصلاح وهو مثل ما أذن ليوسف أن يقول للإخوة أيتها العير إنكم لسارقون وقال بعضهم هو قول يخالف لفظه معناه ولكل تأويل أما قوله بل فعله كبيرهم أي على زعمكم واعتقادكم وهو على وجه إلزام الحجة كما بينا على تحقيق الخبر وقال بعضهم معناه بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون قاله على سبيل الشرط قال النحاس وفي هذا التأويل بعد وهو مخالف للأخبار الثابتة وأما قوله إني سقيم أي سأسقم وقيل معناه سقيم أي مغتم بضلالتكم فكأنه سقيم القلب بذلك وأما قوله لسارة هذه أختي أي أختي في الدين والأولى ما ذكرناه من المعنى الأول وهو قول أهل السنة وهو أن الله تعالى أذن له فيه
قوله تعالى فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون معناه رجعوا إلى فكرهم وعقولهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون يعني بعبادتكم ما لا يدفع عن نفسه شيئا

قوله تعالى ثم نكسوا على رءوسهم قال أهل التفسير أجرى الله تعالى حقا على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة فهو معنى قوله ثم نكسوا على رءوسهم ومعناه رجعوا إلى شركهم ويقال نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول وقيل نكسوا على رءوسهم أي رجعوا ومعناه إلى الاحتجاج عن الأصنام
وقوله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ومعناه فكيف نسألهم
قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم معناه لا ينفعكم إن عبدتموه ولا يضركم إن تركتم عبادته
وقوله أف لكم أي نتنا وقذرا لكم وقوله ولما تعبدو من دون الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:389
تفسير السمعاني ج 3/ص 390
دون الله أفلا تعقلون 67 قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين 68 قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم 69 أي الأصنام
وقوله أفلا تعقلون أي أليس لكم عقل تعرفون هذا
قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم التحريق هو التقطيع بالنار واختلفوا أن القائل لقوله حرقوه من كان فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال هو رجل من أكراد فارس وقال غيره هو نمروذ الجبار وعن بعضهم أنه رجل يقال له هيرون

خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة
وقوله وانصروا آلهتكم قال الأزهري معناه عظموا آلهتكم بإحراقه وقيل وادفعوا عن آلهتكم
وقوله إن كنتم فاعلين يعني إن كنتم ناصرين لها أي للآلهة

قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما في القصة أنهم بنوا أتونا بقرية من قرى كوثى وجمعوا الأحطاب مدة وعن السدي قال كان الرجل منهم يمرض فيوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه والمرأة تغزل فتشتري الحطب بغزلها فتلقيه فيه ثم أوقدوا عليها سبعة أيام ثم ألقوا فيها إبراهيم وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس -عليه ما يستحق- وعلمهم عمل المنجنيق فوضعوه فيه وطرحوه في النار
وعن بكر بن عبد الله المزني قال لما طرح إبراهيم في النار ضجت الخليقة وقالت يا رب إن خليلك يلقى في النار فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن استغاث بكم فأغيثوه فلم يستغث بأحد ومن المعروف أنه قال حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل وروي أنه قال سبحانك لا إله إلا أنت رب العالمين ولك الحمد لا شريك لك وعن كعب الأحبار

تفسير السمعاني ج:3 ص:390
تفسير السمعاني ج 3/ص 391
وقتادة أنهما قالا جعل كل شيء يطفيء عنه النار إلا الوزغة فإنه جعل ينفخ في النار فأمر الرسول بقتله
وفي بعض الأخبار عن النبي من قتل وزغا فكأنما قتل كافرا
وقوله قلنا يا نار كوني بردا أي ذات برد قال أهل المعاني يحتمل أنه خلق بردا في النار بدل الحر ويحتمل أنه أحال بين النار وبين إبراهيم
وقوله وسلاما روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال لو لم يقل وسلاما لقتلته البرد ومثله عن كعب
وعن قتادة قال لم تحرق منه إلا وثاقه
ومن المعروف في الآثار أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم

وقوله على إبراهيم لو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وفي القصة أنهم لما طرحوه في النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما قال نمروذ وأصحابه إنه قد سحر النار فقال أبو لوط - وكان كافرا - اطرحوا فيه رجلا آخر وجربوه فطرحوا فيها رجلا آخر فأكلته النار في الحال
وفي بعض الغرائب من المسانيد عن النبي أنه لما طرح إبراهيم في النار بعث

الله جبريل إليه وبعث معه بطنفسة من طنافس الجنة وقميص من قمص الجنة فأقعده على الطفنسة وألبسه القميص وقعد معه يحدثه وروي أنهم نظروا فإذا هو في روضة تهتز

تفسير السمعاني ج:3 ص:391
تفسير السمعاني ج 3/ص 392
وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين 70 ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين 71 ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين 72 وجعلناها أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا
وقوله وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين فمعنى الأخسرين ها هنا أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقال بعضهم معناه أن الله تعالى أرسل على نمروذ وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في رأس نمروذ حتى أهلكته ذكره مقاتل وغيره
قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام وبركتها كثرة مياهها وأشجارها وعموم الخصب بها حتى يعيش فيها الفقير والغني بعيش طيب ويقال بركتها كثرة الأنبياء بها وفي الآية قول آخر هو أن المراد من الأرض التي بارك فيها هي مكة وقيل مصر والأصح هو الأول لأنه مشهور أنه خرج وامرأته - يعني إبراهيم - إلى حران ثم من حران إلى الشام وأما لوط فإنه ابن أخي إبراهيم وكان خرج معه

قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة قال ابن عباس النافلة هو يعقوب وأما إسحاق فليس بنافلة لأن الله تعالى أعطاه إسحاق بدعائه وإنما زاد يعقوب على ما دعا والنافلة هي الزيادة وقال مجاهد كلاهما نافلة والأصح هو الأول
وقوله وكلا جعلنا صالحين ظاهر المعنى
وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا يعني يرشدون بأمرنا
وقوله وأوحينا إليهم فعل الخيرات معناه العمل بالشرائع
وقوله وإقام الصلاة أي المحافظة عليها
وإيتاء الزكاة معناه وإعطاء الزكاة
وقوله وكانوا لنا عابدين أي موحدين

تفسير السمعاني ج:3 ص:392
تفسير السمعاني ج 3/ص 393
عابدين 73 ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين 74 وأدخلناه في رحمتنا إنه من

الصالحين 75 ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب
العظيم 76 ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء
فأغرقناهم أجمعين 77 وداود وسليمان إذ
قوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث القرية هي سدوم وأما
الخبائث قيل إتيانهم الذكور ويقال هو التضارط في الأندية
وقوله إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظاهر المعنى
قوله تعالى وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ظاهر المعنى
قوله تعالى ونوحا إذ نادى من قبل نداؤه هو قوله أني مغلوب فانتصر وقيل هو
قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا
وقوله فاستجبنا له أي أجبناه
وقوله فنجيناه وقومه من الكرب العظيم في القصة أنه كان أطول الأنبياء
عمرا وأشد الأنبياء بلاء وروي أنه كان يضرب في اليوم سبعين مرة
وقوله من الكرب العظيم أي من الغرق وقيل من الغم والضيق

قوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أي منعناه وحفظناه
إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ظاهر المعنى
قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث اختلف القول في الحرث

تفسير السمعاني ج:3 ص:393
تفسير السمعاني ج 3/ص 394
يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين 78
ففهمناها
قال ابن عباس كان كرما قد بدت عناقيده وقال قتادة كان زرعا وأما القصة
فيه فروي أنه كان رجلان لأحدهما حرث وللآخر غنم فدخل الغنم في حرث
صاحبه ليلا فأكلت وأفسدت حتى لم يبق شيء - وهو معنى قوله إذ نفشت فيه
غنم القوم والنفش هو الرعي ليلا والهمل هو الرعي نهارا - فلما أصبحا جاء
صاحب الحرث يخاصم صاحب الغنم عند داود فقال داود خذ برقبة الأغنام فهي
لك بدل حرثك وكان سليمان ثم فقال يا نبي الله أو غير ذلك هذا قول ابن
مسعود أن سليمان ثمه
وقال غيره أنهما خرجا فمرا على سليمان وذكرا له حكم داود فقال قد كان ها
هنا حكم هو أرفق بالرجلين فذكر ذلك لأبيه داود فدعاه وسأله بحق الأبوة فقال
تسلم الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بألبانها وسمونها وأصوافها وتسلم الحرث
إلى صاحب الغنم يقوم عليه حتى إذا عاد إلى ما كان عليه ليلة نفشت فيه
الغنم سلمت الحرث إلى صاحبه فهذا معنى قوله تعالى ففهمناها سليمان وأخذ
داود بذلك
وأما قوله وكنا لحكمهم شاهدين أي لم يغب عنا حكمهما جميعا وكان بعلمنا

ومرامنا
قوله تعالى ففهمناها سليمان قد بينا المعنى

واختلف العلماء أن داود حكم ما حكم بالاجتهاد أو بالوحي وكذلك سليمان فقال بعضهم إنهما فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين إلا أن داود أخطأ وسليمان أصاب والخطأ يجوز على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه واختلفوا في أنه هل يجوز على نبينا الخطأ في الحكم كما يجوز على سائر الأنبياء قال أبو علي بن أبي هريرة لا يجوز لأن شريعته ناسخة وليس

تفسير السمعاني ج:3 ص:394
تفسير السمعاني ج 3/ص 395
بعده نبي وقال غيره يجوز كما يجوز على سائر الأنبياء وقد روي أن امرأة أتت النبي وقالت إن زوجي توفي فأين أعتد فقال لها اعتدي أين شئت فلما ولت دعاها وقال سبحان الله امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب والخبر غريب وروي أن رجلا أتى النبي وقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت صابرا محتسبا هل يحجزني من الجنة شيء قال لا ثم دعاه وقال إلا الدين سارني به جبريل وهو خبر معروف والخبران يدلان على أنه يجوز أنه يخطئ إلا أنه لا يقرر عليه والقول الثاني في أصل الحكومة هو أن داود وسليمان - عليهما السلام - حكما بالوحي إلا أن ما حكم به داود كان منسوخا والذي حكم به سليمان كان ناسخا وقال هؤلاء القوم لا يجوز للنبي أن يجتهد في الحوادث لأنه مستغن بالوحي عن الاجتهاد وقد قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والأول هو الأصح
وأما حكم هذه المسألة في شريعتنا فاعلم أن ما أفسدت الماشية بالليل عندنا مضمون على صاحبها وما أفسدت بالنهار فلا ضمان والحجة فيه ما روى الزهري عن حرام بن محيصة عن أبيه أن ناقة البراء بن عازب دخلت حرث قوم فأفسدته فارتفعوا إلى النبي فقضى بأن حفظ الماشية على أربابها ليلا وأن حفظ الحرث على أربابها نهارا وهذا أحسن حكم يكون لأن العادة جرت أن المواشي تحفظ

تفسير السمعاني ج:3 ص:395
تفسير السمعاني ج 3/ص 396
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين بالليل وتسيب بالنهار وأما الحروث والزروع تحفظ بالنهار ويتعذر

حفظها بالليل
قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث القاضي الإمام الوالد قال نا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار قال أبو بكر محمد بن زكريا العذافري قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري الخبر
وقوله وكلا آتينا حكما وعلما وقد بينا
فإن قيل قد كان داود حكم بما حكم به والحادثة إذا جرى فيها حكم الحاكم لا يجوز أن تنقض بغيره فكيف وجه هذا والجواب يحتمل أنه كان طولب بالحكم ولم يحكم بعد إلا أنه ذكر وجه الحكم وقال بعضهم إنه كان حكم بالاجتهاد فلما قال سليمان ما قال نزل الوحي أن الحكم ما قال
وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير قيل تسبيحها صلاتها وقيل تسبيحها هو الثناء على الله بالطهارة والتقديس وقد روي أن الجبال كانت تجاوب داود بالتسبيح وروي أنه كان إذا قرأ سمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه
وقوله وكنا فاعلين أي قادرين على ما نريد وقيل معناه فعلنا ما فعلنا بالتدبير الصحيح
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس ها هنا هو الدرع وفي اللغة اللبوس ما يلبس قال قتادة لم يسرد الدرع ولم يحلقه أحد قبل داود وكان قبله

تفسير السمعاني ج:3 ص:396
تفسير السمعاني ج 3/ص 397

---

79 وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون 80 ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين 81 ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين 82 يتخذ الدرع من صفائح فلما عمل هو الدرع جمع الخفة والحصانة
وقوله لتحصنكم من بأسكم أي من بأس عدوكم
وقوله لتحصنكم قرئ بقراءات بالياء والتاء والنون أما الياء فمعناه ليحصنكم اللبوس وقيل ليحصنكم الله وأما التاء فمعناه لتحصنكم الصنعة وأما بالنون ينصرف إلى الله
وقوله فهل أنتم شاكرون يعني يا دود وأهل بيته هل أنتم شاكرون
قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة الريح العاصفة هي التي يشتد هبوبها فإن قيل قد قال في موضع آخر رخاء حيث أصاب والرخاء اللين والجواب عنه أنه كان إذا أراد أن تشتد اشتدت وإذا أراد أن تلين لانت
وقوله تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها في القصة أنه كان يسير من الشام إلى اصطخر تحمله الريح غدوة ويسير من اصطخر إلى الشام تحمله الريح عشية
وقوله وكنا بكل شيء عالمين يعني أنه ما غاب عنا شيء من الأشياء

قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الغوص هو النزول في قعر البحر فكان الشياطين يفعلون ذلك لسليمان لاستخراج الدر والجواهر
وقوله ويعملون عملا دون ذلك أي سوى الغوص وهو معنى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية
وقوله وكنا لهم حافظين

تفسير السمعاني ج:3 ص:397
تفسير السمعاني ج 3/ص 398
وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين 83

قال الفراء والزجاج معنى ذلك أنا حفظنا الشياطين من أن يفسدوا ما عملوا وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذ فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشيطان أنه إذا فرغ من العمل ولم يشغل بعمل آخر يخرب ما عمل ويفسده فهذا معنى قوله تعالى وكنا لهم حافظين على ما ذكرنا من الفراء والزجاج
وروي عن ابن عباس أيضا
قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أي دعا ربه
وقوله أني مسني الضر أي البلاء والشدة وقيل الجهد
وقوله وأنت أرحم الراحمين أي أرحم من يرحم
واعلم أن قصة أيوب طويلة وذكر في التفسير منها وكذا نذكر بعضها فروي عن الحسن البصري أن الله تعالى أعطى أيوب مالا وولدا ثم أهلك ماله وولده وذكر وهب بن منبه وغيره أنه كان ذلك لتسليط إبليس على ماله وولده قال الحسن فلما بلغه هلاك ماله وولده حمد الله حمدا كثيرا وقال اللهم إنه كان يشغلني مالي وولدي عن عبادتك والآن قد فرغ لك سمعي وبصري وقلبي وليلي ونهاري قال وهب ثم ابتلاه الله تعالى في جسمه وكان إبليس يحسده في كثرة عبادته وكثرة ثناء أهل السماء عليه فقال يا رب لو ابتليته لقصر في عبادتك فقال الله تعالى له سلطتك على جسمه سوى قلبه ولسانه وعقله - هذا قول وهب وغيره والله أعلم - ثم ظهر البلاء في جسم أيوب واشتد به البلاء غاية الشدة حتى قرح جميع جسده وتدود واجتنبه جميع قومه وألقي على مزبلة من مزابل بني إسرائيل ولم يقربه أحد غير امرأته كانت تتصدق الناس وتطعمه واختلفوا في مدة بلائه فقال ابن عباس سبع حجج وقال وهب ثلاث أحوال

تفسير السمعاني ج:3 ص:398
تفسير السمعاني ج 3/ص 399

وأما قوله أني مسني الضر ففي القصة أنه لم يدع الله تعالى بكشف الضر في تلك المدة الطويلة إلى أن بلغ وقت الكشف ثم دعا واختلفوا في سبب دعائه قال الحسن كان سبب ذلك أن جماعة من أصدقائه رأوا به ذلك البلاء الشديد فقالوا لو كانت عبادتك التي كنت تفعل لله تعالى خالصا ما أصابك هذا البلاء قال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى ظهرت ثلاثة أشياء أكره ما يكون أما الأول فقدم عليه صديقان له من الشام حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق منه إلا عيناه ورأيا أمرا عظيما فقالا له لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن المرأة طلبت طعاما فلم تجد شيئا تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت إليه طعاما وذكرت له ذلك والثالث أن إبليس اللعين لما رأى صبره جزع جزعا شديدا فاتخذ تابوتا وجع فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت عليه امرأته فلما رأت ذلك قالت أيها الرجل إن عندي مريضا أفتداويه قال نعم وأشفيه قالت ما تريد قال لا أريد شيئا إلا أن يقول حين أشفيه أنت شفيتني فذهبت وذكرت ذلك لأيوب - عليه السلام - فقال هو إبليس قد خدعك والله لئن شفاني الله لأضربنك مائة جلدة
وروي أن إبليس جاء إلى أيوب ووسوس إليه أن امرأته زنت وأنه قطعت ذؤابتها لذلك فحينئذ عيل صبره لهذه الأشياء فدعا وقال أني مسني الضر
فإن قال قائل أليس أن الله تعالى سماه صابرا وقد ترك الصبر حين دعا قلنا لا لم يترك الصبر فإن ترك الصبر بإظهار الشكوى إلى الخلق فأما بإظهارها إلى الله تعالى فلا يكون تركا للصبر
وعن سفيان بن عيينة أنه قال إذا أظهر الشكوى إلى الخلق وهو راض بقضاء الله فإنه لا يكون تاركا للصبر أيضا
وقد روي عن النبي أن جبريل دخل عليه في مرض الموت فقال كيف تجد نفسك فقال يا جبريل أجدني مغموما أجدني مكروبا

تفسير السمعاني ج:3 ص:399

(3/358)

تفسير السمعاني ج 3/ص 400
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم
وروي أنه قال لعائشة - صلوات الله عليه - بل أنا وارأساه الخبر بطوله
وفي القصة أن الدودتين كانتا تقتتلان على جسده فكان يفرق بينهما ويقول لهما كلا من رزق الله
قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر روي أن الله تعالى أنبع له عينا وأمره أن يغتسل فيها فاغتسل فيها وخرج كأصح ما يكون
وقوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس والحسن رد إليه أهله وأولاده بأعيانهم وهذا هو القول المعروف وظاهر القرآن يدل عليه وهو أيضا مروي برواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي وذكر في هذا

الخبر أن الله تعالى رد المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ولدا بعد ذلك
وفي هذا الخبر أيضا أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال إن ربك يقرئك السلام
بصبرك فاخرج إلى ضياع أندرك فخرج إليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب
قال فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره فقال له الملك أما يكفيك ما في
أندرك حتى تتبع الخارج فقال هذه بركة من بركات ربي لا أشبع من بركته
قال الشيخ الإمام أخبرني بهذا أبو علي بن بندار بإسناده عن إسماعيل بن أبي
زياد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
وروى سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس أن الله تعالى أمطر على أيوب

تفسير السمعاني ج:3 ص:400
تفسير السمعاني ج 3/ص 401
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين 84 وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من
جرادا من ذهب فجعل يقبضه في ثوبه ويجمع ذلك فقيل له ألا تشبع فقال إنه
من فضل ربي ولا أشبع من فضله قال الشيخ الإمام أنا بهذا أبو علي الشافعي
قال أنا ابن فراس قال أنا الديبلي قال أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي
قال أنا سفيان عن عمرو الأثر

(3/359)

وفي الآية قول آخر وهو أن معنى قوله وآتيناه أهله أي ثواب أهله ومثلهم معهم
أي مثل ذلك كأنه ضوعف له الثواب وعن عكرمة قال خير أيوب بين أن يرد
عليه أهله بأعيانهم وبين أن يعطى مثل أهله وأولاده فاختار أن يردوا بأعيانهم
ومثلهم معهم فأعطي ذلك
وقوله رحمة من عندنا أي نعمة من عندنا
وقوله وذكرى للعابدين أي وعظا واعتبارا للعابدين
قوله تعالى وإسماعيل وإدريس وذا الكفل أما إسماعيل وإدريس فقد ذكرناه
وأما ذو الكفل قال ابن عباس كان في بني إسرائيل نبي وكان مع ذلك ملكا
فلما حضرته الوفاة جمع بني إسرائيل فقال من يكفل لي أن يقوم الليل لا يفتر
وأن يصوم النهار ولا يفطر وأن يقضي بالحق ولا يغضب فقام شاب وقال أنا
أكفل ذلك فجعله خليفته وقبض ذلك النبي وقام بما كفل به فسمي ذا الكفل
قال ابن عباس فيما روي عنه في هذه القصة إن إبليس اللعين لما رأى ذلك
حسده فجاء في هيئة شيخ ضعيف نصف النهار وكان ذو الكفل يقيل ساعة في
نهاره فدخل عليه وقال إن لي غريما وهو يمطلني فأحب أن تقوم معي
وتستوفي حقي منه وذكر كلاما كثيرا فقام وخرج معه فلما خرج معه ساعة
اعتذر إليه وقال إن صاحبي قد هرب فرجع ذو الكفل وقد ذهب وقت القائلة
ففعل هكذا ثلاثة أيام ولم يره يغضب في شيء من ذلك وقد ذهب نومه في
الأيام الثلاث فقال إبليس له عند ذلك أنا إبليس وقد حسدتك ولم أقدر عليك
وقد وفيت بما قلت هذا هو القول المعروف

تفسير السمعاني ج:3 ص:401
تفسير السمعاني ج 3/ص 402
الصابرين 85 وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين 86 وذا النون إذ ذهب
وفي الآية قول آخر وهو أن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة
إلى أن يقبضه الله فوفي بذلك فسمي ذا الكفل واختلف القول أنه كان نبيا أو
لم يكن نبيا قال بعضهم كان نبيا وقال بعضهم كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا

(3/360)

وقوله كل من الصابرين أي على طاعتنا
قوله تعالى وأدخلناهم في رحمتنا قال بعض أهل المعاني إن قوله وأدخلناهم
في رحمتنا أبلغ من قوله ورحمناهم لأن قوله وأدخلناهم في رحمتنا يقتضي
أنهم غمروا بالرحمة وقوله ورحمناهم يقتضي أنه أصابهم رحمته
وقوله إنهم من الصالحين ظاهر المعنى والصلاح اسم يجمع جميع خصال الخير
وقوله تعالى وذا النون إذ ذهب مغاضبا النون السمكة قال الشاعر
يا حبذا القصر نعم القصر والوادي وحبذا أهله من حاضر بادي
ترقى قراقيره والوحش راتعة
والضب والنون والملاح والحادي
وقوله إذ ذهب مغاضبا قال الشعبي وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير أي
مغاضبا لربه وأما ابن عباس قال أراد به مغاضبا لقومه والقول الثالث مغاضبا
للملك الذي كان في زمانه
وأما القول الأول فقد كرهه كثير من العلماء لأن من غضب ربه فقد ارتكب
كبيرة عظيمة وذكر بعضهم أن معنى غاضب ربه أي أمر ربه وسبب ذلك أنه
وعد قومه أن العذاب يأتيكم يوم كذا وخرج من بينهم فلما كان ذلك اليوم ورأى
قوم يونس العذاب خرجوا وضجوا إلى الله تعالى على ما ذكرنا في سورة
يونس فرد الله عنهم العذاب فلما بلغ يونس أن العذاب لم ينزل على قومه
غضب فما كان غضبه لا كراهة بحكم الله ولكن كراهة أن يسمى كذابا فهذا
معنى هذا القول

تفسير السمعاني ج:3 ص:402
تفسير السمعاني ج 3/ص 403
مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه
وأما قول ابن عباس وهو المختار فإنه خرج مغاضبا لقومه حين لم يؤمنوا وهو
حسن صحيح لا اعتراض عليه

(3/361)

وأما قول من قال إنه غاضب الملك فروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه كان في بني إسرائيل ملك وكان مع ذلك نبيا يوحى إليه وكان قد غزا بني إسرائيل قوم فدعا الملك يونس وأرسله إلى أولئك القوم فقال يونس أمرك الله بهذا أو سماني لك قال لا ولكن أرسلك فغضب وخرج من بينهم متوجها إلى البحر
وقوله فظن أن لن نقدر عليه وقرأ ابن عباس فظن أن لن نقدر عليه وهو شاذ وقرأ ابن عامر فظن أن لن نقدر عليه واعلم أن في الآية سؤالا معروفا يعد من مشكلات القرآن وهو أنه قال فظن أن لن نقدر عليه فكيف يظن هذا بالله ومن ظن هذا بالله فقد كفر والجواب عنه أن للآية وجهين أحدهما أن معنى قوله فظن أن لن نقدر عليه أي لن نقدر عليه بمعنى الحكم والقضاء يقال قدر وقدر بمعنى واحد إلا أنه يقال قدر يقدر وقدر يقدر قال الشاعر
فليس عشيات اللوى برواجع لنا أبدا ما أبرم السلم النضر
ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى
تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر
يعني يقدره
ومن هذا قوله فإن غم عليكم فاقدروا له أي قدروا له وهو خبر صحيح
والوجه الثاني من الجواب وهو أن معنى قوله فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه ومن هذا قوله تعالى وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه

تفسير السمعاني ج:3 ص:403
تفسير السمعاني ج 3/ص 404
فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين 87 فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين 88 أي ضيق واعلم أن معنى التضييق والتقدير عليه هو الحبس في بطن الحوت
قال أهل العلم ولم يكن يونس من أولي العزم من الرسل وكان ضيق الصدر فلما وضع عليه أعباء النبوة تفسخ تحتها كما يتفسخ الربع وهذا القول مأثور عن السلف

وقوله فنادى في الظلمات في القصة أنه لما ذهب ركب السفينة وفي السفينة قوم كثير فجاء حوت وحبس السفينة وخشي القوم على أنفسهم الهلاك وتنبه يونس أنه هو المراد فقال ألقوني تنجوا فامتنعوا عن ذلك ثم إنهم استهموا فخرج السهم عليه مرات فألقوه فالتقمه الحوت ومرت السفينة قال سالم بن أبي الجعد والتقم الحوت حوت آخر
وأما قوله فنادى في الظلمات أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وفي القصة أن الحوت مر به إلى الأرض السابعة وسمع من تسبيح الأرضين والأحجار ودواب البحار أمرا عظيما فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال ابن عباس مكث فيه أربعين يوما وعن غيره ثلاثة أيام وروي أنه لما دعا بهذه الدعوة سمعت الملائكة صوته فقالوا يا رب صوت معروف من مكان مجهول فقال الله تعالى هو عبدي يونس

جعلت بطن الحوت سجنا له فدعوا
وقوله تعالى فاستجبنا له يعني أجبناه
وقوله ونجيناه من الغم أي من غم البحر وضيق المكان
وقوله وكذلك ننجي المؤمنين وقرىء نجى المؤمنين والأولى أن يقرأ بنونين
قال الزجاج بنون واحد لحن وهو من الخطأ روى عاصم عنه

تفسير السمعاني ج:3 ص:404
تفسير السمعاني ج 3/ص 405
وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين 89 فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا

وروي عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه قال سمعت النبي يقول
كلمة أعرفها لا يقولها أحد في كرب إلا فرج عنه وهي كلمة أخي يونس لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وفي القصة أن الحوت ألقاه في ساحل
البحر وأنبت الله له شجرة من يقطين وقصة ذلك تأتي من بعد في سورة
والصافات فإن قيل قوله وكذلك ننجي المؤمنين هو مكتوب في المصحف بنون
واحدة فكيف جعلتم أصح القراءتين بنونين والجواب عنه أنه إنما كتب بنون
واحد لأن النون الأولى متحركة والنون الثانية ساكنة فخفيت الساكنة في جنب
المتحركة فحذفت وقد ذكر الفراء وجها لقراءة عاصم وهو أن معناه نجى
النجاء المؤمنين فخفض المؤمنين على إضمار المصدر
قوله تعالى وزكريا إذ نادى ربه أي دعا ربه
وقوله رب لا تذرني فردا أي وحيدا ومعناه هو ما ذكرنا من دعاء الولد
وقوله وأنت خير الوارثين
قوله تعالى فاستجبنا له أي فأجبناه
وأما قوله ووهبنا له يحيى سمي يحيى لأن رحمها حي بالولد
وقوله وأصلحنا له زوجه فيه قولان أحدهما -وهو المعروف- أنه كان عقيما
فجعله ولودا والآخر ما روي عن عطاء أنه قال معنى الإصلاح أنه كان في لسان
امرأته طول وفي خلقها سوء فأصلحها
وقوله إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ينصرف إلى جميع الأنبياء الذين
ذكرهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:405
تفسير السمعاني ج 3/ص 406
لنا خاشعين 90 والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية
للعالمين 91 إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون 92 وتقطعوا أمرهم

وقوله يسارعون أي يبادرون
وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا أي رغبا في الطاعات ورهبا من المعاصي وقيل رغبا في الجنة ورهبا من النار وقال خصيف رغبا ببطون الأكف ورهبا بظهورها

وقوله وكانوا لنا خاشعين أي متواضعين وعن ابن عباس قال هو أن يضع يمينه على شماله في الصلاة يومىء ببصره إلى موضع السجود وقال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب وعن الحسن قال ذللا لأمر الله تعالى والتي أحصنت أي عفت فرجها وقيل منعت من الحرام
وقوله فنفخنا فيها من روحنا الأكثرون أن هذا جيب الدرع على ما بينا وفيه قول آخر أنه نفخ رحمها وخلق الله المسيح في بطنها وذكر روحنا تخصيصا وكرامة للمسيح عليه السلام
وقوله وجعلنا وابنها آية للعالمين
أي دلالة للعالمين فإن قيل هما كانا آيتين فهلا قال آيتين والجواب إنما قال آية لأن الآية فيهما كانت واحدة وهي أنها أتت به من غير فحل قال أهل العلم وفيها آيات أحدها أنه لم تعتن قبلها أنثى للتحرز والآخر إتيانها بعيسى من غير أب والثالث مجيىء رزقها من عند الله من غير سبب من مخلوق ويقال إنها لم تقبل ثدي أحد سوى أمها
قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة أي ملتكم ودينكم ملة واحدة

تفسير السمعاني ج:3 ص:406
تفسير السمعاني ج 3/ص 407
بينهم كل إلينا راجعون 93 فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون 94 وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون 95 حتى إذا فتحت والأمة في أصل اللغة اسم للجماعة وسمى الدين أمة لأنه يبعث على الاجتماع
وقوله وأنا ربكم فاعبدون أي وحدوني وحقيقة معنى الآية أن الملة التي دعوتكم إليها هي ملة الأنبياء قبلكم إذ دين الكل واحد وهذا في التوحيد فأما الشرائع يجوز اختلافها ويقال معنى الآية أنكم خلق واحد وكونوا على دين واحد
قوله تعالى وتقطعوا أمرهم بينهم أي دعوت الخلق إلى دين واحد فتفرقوا ويقال صاروا قطعا متفرقين
وقوله كل إلينا راجعون أي من تفرق ومن لم يتفرق

قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي لا جحود لسعيه وقيل لا يخيب سعيه بل يجازى عليه
وقوله وإنا له كاتبون أي حافظون ويقال إن معنى الشكر من الله هو المجازاة

قوله تعالى وحرام على قرية وقرىء وحرم قال ابن عباس معنى قوله حرام أي واجب قال الشاعر
وإن حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوة إلا بكيت على عمرو
أي واجبا فمعنى الآية على هذا أنه واجب على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى الدنيا فإن قيل كيف يوجب عليهم أن لا يرجعوا وليسوا بمحل الإيجاب ولا الإباحة ولا غيره

تفسير السمعاني ج:3 ص:407
تفسير السمعاني ج 3/ص 408
يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون 96 واقترب الوعد الحق فإذا هي والجواب أن هذا على توسع الكلام ومعناه أنا نمنعهم من الرجوع والتحريم في اللغة هو المنع
والقول الثاني أن لا صلة قاله أبو عبيد فمعناه حرام على قرية أهلكناها أي يرجعون وقال الزجاج قوله وحرام على قرية معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أي حكمنا بهلاكها أن يتقبل أعمالهم لـ أنهم لا يرجعون أي لا يتولون قال والدليل على هذا المعنى أنه قد قال في الآية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله ثم ذكر عقبه هذه الآية وبين أن الكافر لا يتقبل عمله
قوله تعالى حتى إذا فتحت قرىء بالتخفيف والتشديد ومعنى التشديد على الجمع ومعنى التخفيف على الوحدان
وقوله يأجوج ومأجوج قد بينا والفتح للسد الذي بيننا وبينهم ويقال إن الخلق عشرة أجزاء تسعة أجزاء كلهم يأجوج ومأجوج وجزء واحد هم سائر الخلق ويقال إن جزءا من ألف جزء سائر الخلق والباقي هم يأجوج ومأجوج

قوله وهم من كل حدب ينسلون الحدب المكان المرتفع فمعناه يسرعون النزول من الآكام وهو مكان مرتفع من القلاع ونسلان الذئب سرعة مشيه قال الشاعر
نسلان الذئب أمسى باديا برد الليل عليه فينسل
وقيل من كل حدب أي من كل جانب فإن قيل ما معنى حتى في أول الآية وأين جوابه والجواب عنه قال بعضهم معناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون اقترب الوعد الحق والواو مقحمة قال امرؤ القيس

تفسير السمعاني ج:3 ص:408
تفسير السمعاني ج 3/ص 409
شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين 97 إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون 98 لو كان هؤلاء

آلهة ما
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل
والواو في قوله وانتحى مقحمة
والثاني أن معنى قوله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قالوا يا ويلنا ويقال ظهر لهم صدق ما قلناه وفي بعض الغرائب من الأخبار برواية ابن مسعود أن النبي ليلة أسري به اجتمع مع إبراهيم وموسى وعيسى -صلوات الله عليهم- فذكروا أمر الساعة فبدءوا بإبراهيم وسألوه عنها فقال لا علم لي بها ثم ذكروا لموسى فقال لا علم لي بها ثم ذكروا لعيسى فقال عيسى إن الله تعالى عهد إلي أنها دون وحيها ولا يعلم وحيها إلا الله ثم قال عيسى إن الله يهبطني إلى الأرض فأقتل الدجال
ورد الخبر أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا فيغلبون على الأرض ثم إن المسلمين يجأرون إلى الله فيرسل الله النغف في رقابهم فيهلكون وقد تنتن الأرض فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتأخذهم وتلقيهم في البحر
وعن أبي سعيد الخدري قال إن الناس يحجون ويعتمرون بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم
قوله تعالى واقترب الوعد الحق قد بينا
وقوله فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا أي منزعجة

تفسير السمعاني ج:3 ص:409
تفسير السمعاني ج 3/ص 410
وردوها وكل فيها خالدون 99 لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون 100
وقوله يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ظاهر المعنى
قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قرأ علي -رضي الله عنه- حطب جهنم وقرأ الجحدري حصب جهنم وفي الشاذ أيضا حضب جهنم بالضاد المعجمة متحركة وأما المعروفة حصب جهنم وهو ما يرمى به في النار وأما قوله وما تعبدون من دون الله روي أن النبي لما قرأ هذه الآية على الكفار قال عبد الله بن الزبعري خصمت محمدا ورب الكعبة ثم قال يا محمد أتزعم أن ما يعبد من دون الله يدخلون النار قال نعم -والورود هاهنا الدخول- قال عبد الله بن الزبعري فعيسى وعزير والملائكة يعبدون من دون الله أفهم معنا في النار فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وأنزل الله أيضا في عبد الله بن الزبعري ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون يعني أنهم قالوا ما قالوا خصومة ومجادلة بالباطل وإلا قد عرفوا أن المراد هم الأصنام
وزعم قطرب وجماعة من النحويين أن الآية ما تناولت إلا الأصنام من حيث العربية لأن الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله وهذا يقال فيما لا يعقل فأما فيمن يعقل فيقال ومن تبعدون من دون الله
قوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها أي ما دخلوها
وقوله وكل فيها خالدون أي مقيمون

تفسير السمعاني ج:3 ص:410
تفسير السمعاني ج 3/ص 411

(3/368)

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون 101 لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون 102 لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون 103 يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا
قوله تعالى لهم فيها زفير قد بينا معنى الزفير
وقوله وهم فيها لا يسمعون
قال ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار وقال بعضهم والتوابيت في توابيت فلا يسمعون ولا يبصرون شيئا ويظن كل واحد أنه لا يعذب غيره لئلا يكون له تسلى الأسوة وهذا الخبر ليس من قول ابن مسعود
قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى قد بينا
ويقال سبقت لهم منا السعادة ويقال وجبت لهم الجنة
قوله أولئك عنها مبعدون ظاهر المعنى
قوله تعالى لا يسمعون حسيسها أي حسها
وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أي مقيمون
قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر قال سعيد بن جبير الفزع الأكبر هو أن تطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ويقال الفزع الأكبر هو ذبح الموت فيقال لهؤلاء خلود ولا موت ولهؤلاء خلود ولا موت وقيل الفزع الأكبر الأمر بالجر إلى النار
وقوله وتتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم الملائكة
وقوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون ظاهر المعنى
قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وقد ثبت عن النبي أنه قال يطوي الله السماء ويأخذ الأرض بيمينه فيقول أنا الملك أين ملوك الأرض

تفسير السمعاني ج:3 ص:411
تفسير السمعاني ج 3/ص 412
أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين 104 ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن
وقوله كطي السجل للكتب روي عن ابن إسحاق أن السجل كاتب للنبي وهو قول غريب والقول الثاني أن السجل ملك والقول الثالث -وهو أصح الأقوال- أن السجل هو الصحيفة

(3/369)

وقوله للكتب أي لأجل ما كتب فمعناه كطي الصحيفة لأجل المكتوب
وقوله كما بدأنا أول خلق نعيده أي قدرتنا على إعادة الخلق كقدرتنا على إنشائه
وقوله إنا كنا فاعلين أي قادرين عليه وقد ورد في هذه الآية خبر صحيح وهو ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا وفي رواية إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وأول من يكسى إبراهيم -عليه السلام- ويجاء بقوم من أمتي فيؤمر بهم إلى النار فأقول يا رب أصحابي فيقول إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد وفي رواية أقول سحقا لأهل النار قال الشيخ الإمام أنا بهذا الحديث المكي بن عبد الرزاق قال أنا جدي أبو الهيثم قال الفربري قال البخاري قال محمد بن كثير عن سفيان الثوري عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير الخبر
قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قال عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو الزبور زبور داود والذكر هو التوراة وقال سعيد بن جبير الزبور

تفسير السمعاني ج:3 ص:412
تفسير السمعاني ج 3/ص 413
الأرض يرثها عبادي الصالحون 105 إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين 106 وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين 107 هو التوراة والإنجيل والذكر هو اللوح المحفوظ ومعناه من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ
وقوله أن الأرض يرثها عبادي الصالحون قال ابن عباس والأرض أرض الجنة وعنه أيضا أن الأرض هي أراضي الكفار يفتحها الله للمسلمين ويجعلها لهم وقيل إن الأرض هي الأرض المقدسة

قوله تعالى إن في هذا لبلاغا يجوز أن يكون قوله في هذا أي في القرآن ويجوز أن يكون معناه في هذه السورة وقوله لبلاغا أي سببا يبلغهم إلى رضا الله وقيل بلاغا أي كفاية
وقوله لقوم عابدين قيل عالمين وقيل مطيعين
قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين من المشهور المعروف عن النبي أنه قال إنما أنا رحمة مهداة أي هدية من الله ثم اختلفوا في العالمين على قولين فأحد القولين أنهم المسلمون فهو رحمة للمسلمين والقول الثاني أنهم جميع الخلق وهذا القول أشهر وأما معنى رحمته للكافرين فهو تأخير العذاب عنهم وقيل هو رفع عذاب الاستئصال عنهم وأما رحمته للمؤمنين فمعلومة

تفسير السمعاني ج:3 ص:413
تفسير السمعاني ج 3/ص 414
قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون 108 فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون 109 إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون 110 وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين 111 قال رب احكم بالحق
قوله تعالى قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون أي أسلموا
قوله فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء أي لتستووا في الإيمان به وأوضح الأقوال ما ذكره ابن قتيبة وهو أن معناه آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به
وقوله وإن أدري أقريب أم بعيد يعني ما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون
قوله تعالى إنه يعلم الجهر من القول الآية ظاهر المعنى
قوله تعالى وإن أدري لعله فتنة لكم اختلفوا في أن الهاء إلى ماذا ترجع في لعله على قولين أحدهما أنه يرجع إلى قوله وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون يعني إن هذا الذي أقول لعله فتنة لكم والقول الثاني أنه يرجع إلى ما ذكرنا من تأخير العذاب عنهم وقوله فتنة أي محنة واختبار

وقوله ومتاع إلى حين أي إلى القيامة وقيل إلى الموت
قوله تعالى قل رب احكم بالحق وقرأ حفص عن عاصم قال رب احكم بالحق على الخبر والأول هو المختار ولأن سواد المصحف متبع لا يجوز خلافه فإن قيل قوله قل رب احكم بالحق كيف يجوز هذا الدعاء والله لا يحكم إلا بالحق والجواب عنه قلنا روي عن قتادة أنه قال كان الأنبياء قبل محمد يقولون ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق فأمر الله رسوله أن يقول رب احكم بالحق واختلفوا في معناه قال بعضهم رب احكم بالحق أي عجل الحكم بالحق

تفسير السمعاني ج:3 ص:414
تفسير السمعاني ج 3/ص 415
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون 112 وقال أبو عبيد رب احكم بحكمك الحق والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب هو ظهور الرغبة من الطالب في حكمه بالحق وهذا الأخير ليس من قول أبي عبيدة وقال بعضهم رب احكم بالحق تعبد من الله والله يحكم بالحق سئل أو لم يسأل أورده النحاس
وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون أي تكذبون ومثله قوله تعالى سيجزيهم وصفهم أي سيجزيهم جزاء كذبهم ويقال على ما تصفون أي تكذبون

تفسير السمعاني ج:3 ص:415
تفسير السمعاني ج 3/ص 416
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم 1 يوم ترونها تذهل كل تفسير سورة الحج
قال ابن عباس في أظهر الروايتين هي مكية إلا قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم وآيتين بعد هذه الآية وقوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية وعن ابن عباس في رواية أخرى أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة

قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم أي احذروا عن عقوبته بطاعته ويقال اتقوا ربكم أي اتقوا جميع المناهي وفيها الشرك وغيره
وقوله إن زلزلة الساعة الزلزلة شدة الحركة على حال هائلة واختلف القول في هذه الزلزلة فذكر علقمة والشعبي أنها قبل يوم القيامة وذكر ابن عباس الحسن وقتادة والسدي وغيرهم أنها عند قيام الساعة وهذه القول أصح القولين لما نذكره من الخبر من بعد
وقوله شيء عظيم أي أمر عظيم
قوله تعالى يوم ترونها يعني الساعة
وقوله تذهل أي تغفل وتشتغل وفيه تسهو وتنسى قال الشاعر في الذهول
أطالت بك الأيام حتى نسيتها كأنك عن يوم القيامة ذاهل
وقال عبد الله بن رواحة بين يدي النبي

تفسير السمعاني ج:3 ص:416
تفسير السمعاني ج 3/ص 417
مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد 2
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
وقوله كل مرضعة عما أرضعت يعني كل أم عن ولدها
وقوله وتضع كل ذات حمل حملها فإن قال قائل كيف تضع المرأة حملها يوم القيامة الجواب قلنا أما على قولنا إن الزلزلة قبل قيام الساعة فمعنى وضع الحمل على ظاهره وإن قلنا إن الزلزلة عند قيام الساعة فالجواب من وجهين أحدهما أن المراد من الآية النساء اللواتي متن وهن حبالى والوجه الثاني وهو الأصح أن هذا على وجه تعظيم الأمر وذكر شدة الهول لا على حقيقة وضع الحمل والعرب تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد وهذا على طريق عظم الأمر وشدته وقد قال الله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا والمراد ما بينا

وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقرىء سكرى بغير الألف والمعنى واحد والذي عليه أهل التفسير أن المراد من الآية سكرى من الفزع والخوف وليسوا سكارى من الشراب وقالوا أيضا في صورة السكارى وليسوا بسكارى والقول الأول أحسن لأن الله تعالى قال ولكن عذاب الله شديد وفي الآية خبر صحيح أورده البخاري وغيره وهو ما رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري أن النبي قرأها بين الآيتين ثم قال إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لآدم قم يا آدم فابعث من ذريتك بعث النار فيقول آدم لبيك وسعديك والخير في يديك وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فقال أصحاب رسول الله وأينا ذلك الواحد فقال النبي سددوا وقاربوا وأبشروا فإن معكم خليقتين ما كانتا مع قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج وكفرة الجن والإنس من قبلكم وفي رواية

تفسير السمعاني ج:3 ص:417
تفسير السمعاني ج 3/ص 418
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد 3 كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير 4 قال تسعمائة وتسعة وتسعين من يأجوج ومأجوج وواحد منكم ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم في ذلك اليوم بين الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض وفي رواية ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير وكالرقمة في ذراع الدابة قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث المكي بن عبد الرزاق قال أخبرنا جدي أبو الهيثم قال الفربري قال البخاري قال عمر بن حفص بن غياث قال أخبرنا أبي عن الأعمش الخبر

قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم الأكثرون على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث وكان ينكر البعث ويجادل فيه وعن سهل بن عبد الله في هذه الآية قال هو من يجادل في آيات الله بالهوى وعن غيره قال هو الذي يرد النص بالقياس
وقوله ويتبع كل شيطان مريد المريد المتمرد والمتمرد هو المستمر في الشر يقال حائط ممرد أي مطول وقيل المريد هو العاري عن الخير يقال صبي أمرد إذا كان عاريا خده من الشعر
وقوله كتب عليه أي على الشيطان
وقوله أنه من تولاه فأنه يضله أي كتب على الشيطان أن يضل من تولاه
وقوله ويهديه إلى عذاب السعير أي إلى عذاب جهنم

تفسير السمعاني ج:3 ص:418
تفسير السمعاني ج 3/ص 419
يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
قوله تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ذكر الله تعالى في هذه الآية الدلالة على منكري البعث والخطاب للمشركين
وقوله إن كنتم في ريب من البعث أي في شك من البعث
وقوله فإنا خلقناكم من تراب ذكر التراب هاهنا لأن آدم خلق من تراب وهو الأصل
وقوله ثم من نطفة النطفة هي الماء النازل من الصلب
وقوله ثم من علقة العلقة هي الدم المتجمد وقيل المنعقد
وقوله ثم من مضغة المضغة هي قطعة لحم كأنها مضغت

وقوله مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس مخلقة تام الخلق وغير مخلقة ناقص الخلق والقول الثاني أن المخلقة هو الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة هو السقط وفي هذا الموضع أخبار منها ما روى علقمة عن ابن مسعود أنه إذا استقرت النطفة في الرحم أخذها الملك بيده فيقول أي رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تخلق منها نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أشقي أو سعيد أذكر أو أنثى ما رزقه ما عمله ما أجله وأين الموضع الذي يقبض فيه فيقول الله تعالى له اذهب إلى أم الكتاب ففيه كل ذلك فيذهب إلى أم الكتاب فيجد فيه أنه شقي أو سعيد ذكر أو أنثى فيكتب ذلك فيسعى الرجل في عمله ويأكل رزقه ويمضي في أجله حتى يتوفاه الله تعالى في المكان الذي قدر أين يقبض فيه
وقد ورد خبران صحيحان عن النبي في هذا أحدهما ما روى الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال أخبرني الصادق المصدوق أبو القاسم أن خلق أحدكم يجمع في رحم أمه أربعين يوما نطفة ثم أربعين يوما علقة

تفسير السمعاني ج:3 ص:419
تفسير السمعاني ج 3/ص 420
لنبين لكم ثم أربعين يوما مضغة ثم يؤمر الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح والخبر متفق على صحته

والخبر الثاني هو ما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره قال أبو الطفيل فقلت ثكلتني أنشقى ولم نعمل فأتيت حذيفة بن أسيد فذكرت له قول ابن مسعود فقال ألا أخبرك بأعجب من هذا سمعت رسول الله يقول إذا مكثت النطفة في رحم الأم أربعين يوما -أو خمسة وأربعين- جاء الملك فيقول يا رب أذكر أو أنثى فيقول الرب ويكتب الملك فيقول أشقي أو سعيد فيقول الرب ويكتب الملك فيقول ما رزقه ما عمله ما أجله ما أثره ما مصيبته فيقضي الله ما شاء ويكتب الملك ثم يطوي الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص إلى يوم القيامة قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال أبو الحسن بن فراس قال أخبرنا أبو جعفر الديبلي قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال سفيان الخبر أخرجه مسلم في الصحيح

وأنشدوا في المخلقة

أفي غير المخلقة البكاء فأين العزم ويحكم والحياء

وقوله لنبين لكم أي نبين لكم أمر الخلق في الابتداء لتستدلوا بقدرة

تفسير السمعاني ج:3 ص:420

تفسير السمعاني ج 3/ص 421

ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا

الله في الابتداء على قدرته على الإعادة

وقوله ونقر في الأرحام ما نشاء أي نثبت في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي إلى وقت الولادة

وقوله ثم نخرجكم طفلا أي أطفالا واحد بمعنى الجمع

وقوله ثم لتبلغوا أشدكم قد بينا معنى الأشد

وقوله ومنكم من يتوفى وحكى أبو حاتم أن في قراءة بعضهم ومنكم من يتوفى بفتح الياء ومعناه يستوفى أجله والمعروف يتوفى بالرفع يعني يتوفى قبل بلوغ الكبر

وقوله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر أي إلى أخس العمر والمراد منه حالة الخرف والهرم قال عكرمة من قرأ القرآن لم يخرف

وقوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي لا يعقل من عبد عقله شيئا

وقوله وترى الأرض هامدة وهذا ذكر دليل آخر على إحياء الموت

وقوله هامدة أي جافة يابسة لا نبات فيها وقال قتادة هامدة غبراء منهشمة

وقيل هامدة دارسة قال الشاعر

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وأرى ثيابك باليات همدا

وقال آخر

رمى الحدثان نسوة آل حرب

بنازلة همدن لها همودا
فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا

تفسير السمعاني ج:3 ص:421
تفسير السمعاني ج 3/ص 422
وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج 5 ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير
وقوله فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت أي تحركت قال الشاعر
تثنى إذا قامت وتهتز إن ما مشت كما اهتز غصن البان في ورق خضر
وقوله وربت أي انتفخت للنبات وقيل في الآية تقديم وتأخير ومعناه وربت واهتزت ويقال اهتزت أي النبات وربت أي ارتفع وإنما أنث لذكر الأرض وقرأ أبو جعفر وربأت بالهمز وهو في معنى الأول
وقوله وأنبتت من كل زوج بهيج أي صنف حسن فهذا أيضا دليل على إعادة الخلق وفي بعض ما ينقل عن السلف إذا رأيتم الربيع فاذكروا والنشور
وقوله ذلك بأن الله هو الحق يعني هذا الذي ذكرته لكم دليل بأن الله هو الحق
وقوله وأنه يحيى الموتى يعني هو دليل على أنه يحيي الموتى

وقوله وأنه على كل شيء قدير أي لما قدر على ابتداء الخلق وعلى إحياء الأرض الميتة فاعلم أنه على كل شيء قدير وفي بعض الأخبار عن النبي من جاء يوم القيامة بثلاث لم يصد وجهه عن الجنة شيء من علم أن الله وحده لا شريك له وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور

تفسير السمعاني ج:3 ص:422
تفسير السمعاني ج 3/ص 423
6 وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور 7 ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير 8 ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق 9 ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد 10 ومن الناس من يعبد الله على حرف
وقوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قد بينا
قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى أي ولا حجة
وقوله ولا كتاب منير أي ولا كتاب له نور وفي بعض الأخبار أن النبي قال إن على الباطل ظلمة وإن على الحق نورا
وعن بعضهم قال ما عز ذو باطل وإن طلع من جيبه القمر وما ذل ذو حق وإن أصفق العالم
واعلم أن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة ومجادلته إنكاره البعث وضربه لذلك الأمثال

وقوله ثاني عطفه أي لاوى عنقه وقال ابن جريج يعرض عن الحق تكبرا
وقوله ليضل عن سبيل الله أي ليضل الناس عن دين الله
وقوله له في الدنيا خزي أي هوان وقد قتل النضر يوم بدر صبرا ولم يقتل صبرا غيره وغير عقبة بن أبي معيط
وقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي المحرق
وقوله ذلك بما قدمت يداك الآية ظاهر المعنى

قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال مجاهد على شك وقال الزجاج على حرف أي الطريقة في الدين لا يدخل فيها دخول متمكن ولا يدخل بكليته فيه ويقال ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على ضعف كالقائم على حرف الشيء يكون قدمه ضعيفا غير مستقر ومنهم من قال على

تفسير السمعاني ج:3 ص:423
تفسير السمعاني ج 3/ص 424
فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين 11 يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك حرف أي على جهة ثم فسر الجهة فقال فإن أصابه خير اطمأن به أي ثبت على الإيمان ورضي به وسكن إليه
وقوله وإن أصابته فتنة أي محنة وبلية
وقوله انقلب على وجهه أي رجع على عقبه وارتد
وقوله خسر الدنيا والآخرة الخسران في الدنيا فوات ما أمل وطلب والخسران في الآخرة هو الخلود في النار ويقال الخسران في الدنيا هو القتل على الكفر والخسران في الآخرة ما بينا وقرأ مجاهد خاسر الدنيا والآخرة
وقوله ذلك هو الخسران المبين أي البين
قال أهل التفسير نزلت الآية في قوم من المشركين كان يؤمن أحدهم فإن كثر ماله وصح جسمه ونتجت فرسه قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا وسكن إليه وإن أصابه مرض أو مات ولده أو قل ماله قال ما أصابني من هذا الدين إلا شر فيرجع
وفي بعض الأخبار أن رجلا من اليهود أسلم فعمي بصره وهلك ماله ومات ولده فأتى النبي وقال يا رسول الله أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فقال منذ دخلت في هذا الدين لم أصب إلا شرا أصابني كذا وكذا فقال النبي إن الإسلام ليسبك الرجل كما تسبك النار خبث الذهب والفضة والحديد والخبر غريب
قوله تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه أي لا يضر إن لم

تفسير السمعاني ج:3 ص:424
تفسير السمعاني ج 3/ص 425
هو الضلال البعيد 12 يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير 13 يعبده ولا ينفعه إن عبده
وقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد أي الضلال المستمر
قوله تعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قال قالوا في الآية الأولى ما لا يضره وقال هاهنا لمن ضره فكيف وجه التوفيق الجواب عنه أن معنى قوله يدعو لمن ضره
أي لمن ضر عبادته وقوله في الآية الأولى ما لا يضره أي لا يضر إن ترك عبادته على ما بينا
السؤال الثاني قالوا قال في هذه الآية أقرب من نفعه والجواب أن هذا على عادة العرب وهم يقولون مثل هذا اللفظ ويريدون أنه لا نفع له أصلا وهذا مثل قوله تعالى ذلك رجع بعيد أي لا رجع أصلا
السؤال الثالث وهو المشكل أنه قال لمن ضره فأيش هذا الكلام الجواب أنه اختلف أهل النحو في هذا فأكثر النحويين ذهبوا إلى أن هذا على التقديم والتأخير ومعناه يدعو من بضره أقرب من نفعه وأما المبرد أنكر هذا وقال لا يجوز هذا في اللغة والجواب عن السؤال على هذا قال بعضهم معنى يدعو يقول
قال الشاعر
يدعون عنترا والسيوف كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم
يعني يقولون فعلى هذا معنى الآية يدعو أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه

تفسير السمعاني ج:3 ص:425
تفسير السمعاني ج 3/ص 426

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد 14 من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد هو إله أو مولى ومنهم من قال يدعو لمن ضره يعني إلى الذي ضره أقرب من نفعه ومنهم من قال معناه ذلك هو الضلال البعيد يدعو أي في حال دعائه ثم استأنف فقال لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ومنهم من قال ذلك هو الضلال البعيد يدعو يعني الذي هو الضلال البعيد يدعو وذلك بمعنى الذي ثم استأنف قوله لمن ضره أقرب من نفعه اختاره الزجاج وقال ابن فارس حين حكى أكثر هذه الأقاويل ونكل الآية إلى عالمها
وقوله لبئس المولى أي الناصر وقيل المعبود
وقوله ولبئس العشير أي المخالط والصاحب والعرب تسمى الزوج عشيرا لأجل المخالطة

قال النبي إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير أي الزوج
قوله تعالى إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية إلى آخرها ظاهر المعنى
قوله تعالى من كان يظن أن لن ينصره الله قال ابن عباس معناه من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا
وروي عنه أنه قال لما دعا رسول الله أسدا وغطفان إلى الإسلام -وكان بينهم وبين أهل الكتاب حلف- فقالوا لا يمكننا أن نسلم ونقطع الحلف لأن محمدا ربما لا يظهر ولا يغلب فينقطع الحلف بيننا وبين أهل الكتاب فلا يميروننا فأنزل الله تعالى هذه الآية
والقول الثاني من كان يظن أن لن ينصره الله أي لن يرزقه الله وهذا فيمن

تفسير السمعاني ج:3 ص:426
تفسير السمعاني ج 3/ص 427
بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ 15 وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد 16 إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن أساء الظن بربه وخاف أن لا يرزقه

قال أبو عبيدة تقول العرب أرض منصورة أي ممطورة وعن بعض الأعراب أنه سأل وقال انصرني ينصرك الله أي أعطني أعطاك الله
وقوله في الدنيا والآخرة ظاهر المعنى
وقوله فليمدد بسبب إلى السماء المراد من السماء سماء بيته في قول جميع المفسرين وهو السقف
والسبب الحبل ومعناه فليمدد حبلا من سقف بيته ثم ليقطع أي ليختنق به
وقوله فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ أي هل له حيلة فيما يغيظه ليدفع عن نفسه ويقال ثم لينظر هل ينفعه ما فعله
قال أهل المعاني وهو مثل قوله القائل إن لم ترض بكذا فمت غيظا
قوله تعالى وكذلك أنزلناه آيات بينات الآية ظاهر المعنى
قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا قد بينا هذا في سورة البقرة
وقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فإن قيل ما معنى إعادة إن في آخر الآية وقد ذكرها في أول الآية والجواب أن العرب تقول مثل هذا للتأكيد قال الشاعر
إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
وقوله إن الله على كل شيء شهيد أي شاهد
قوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض الآية قال الزجاج السجود هاهنا بمعنى الطاعة أي يطيعه واستحسنوا هذا القول لأنه موافق للكتاب وهو قوله تعالى ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وأيضا

تفسير السمعاني ج:3 ص:427
تفسير السمعاني ج 3/ص 428

الله على كل شيء شهيد 17 ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء 18 فإن من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات مطيع كله لله تعالى وقال بعضهم إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه وهذا قول فاسد والصحيح ما قدمنا والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة بالخشية فقال وإن منها لما يهبط من خشية الله ولا يستقيم حمل الخشية على ظهور أثر القدرة فيه وأيضا فإن الله تعالى قال يا جبال أوبي معه أي سبحي معه ولو كان المراد ظهور أثر الصنع لم يكن لقوله مع داود معنى لأن داود وغيره في رؤية أثر الصنع سواء وأيضا فإن الله تعالى قال وإن من شيء إلا يسبح بحمده أي يطيع الله بتسبيحه ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولو كان المراد بالتسبيح ظهور أثر الصنع فيه لم يستقم قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ذكر هذه الدلائل أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري وأثنى عليه ابن فارس فقال ذب عن الدين ونصر السنة وقوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب أي هذه الأشياء كلها تسبح الله تعالى
وقوله وكثير من الناس أي المسلمون
وقوله وكثير حق عليه العذاب هم الكافرون وإنما حق عليهم العذاب هاهنا بترك السجود ومعنى الآية وكثير من الناس أبو السجود فحق عليهم العذاب وقوله ومن يهن الله فما له من مكرم أي ومن يشقي الله فما له من مسعد وقال بعضهم ومن يهن الله ومن يذله الله فما له من إكرام أي لا يكرمه أحد

تفسير السمعاني ج:3 ص:428
تفسير السمعاني ج 3/ص 429
هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من

وقوله إن الله يفعل ما يشاء أي يكرم ويهين ويشقي ويسعد بمشيئته وإرادته وهو اعتقاد أهل السنة

قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم في الآية أقوال أحدها أنها نزلت في أهل الكتاب والمسلمين قال أهل الكتاب ديننا خير من دينكم ونحن أحق بالله منكم لأن نبينا وكتابنا أقدم وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم وديننا خير من دينكم لأن كتابنا قاض على الكتب ولأن نبينا خاتم النبيين فأنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول قتادة وجماعة
والثاني ما روي عن محمد بن سيرن أنه قال نزلت الآية في الذين بارزوا يوم بدر من المسلمين والمشركين فالمسلمون هم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث والمشركون هم شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فالآية نزلت في هؤلاء الستة وكان أبو ذر يقسم بالله أن الآية نزلت في هؤلاء ذكره البخاري في الصحيح
والقول الثالث أن الآية نزلت في جملة المسلمين والمشركين
والقول الرابع أنها نزلت في الجنة والنار اختصمتا فقالت الجنة خلقني الله ليرحم بي وقالت النار خلقني الله لينتقم بي وهذا قول عكرمة والمعروف القولان الأولان قال ابن عباس ذكر الله تعالى ستة أجناس في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية وجعل خمسة في النار وواحد للجنة فقوله هذان خصمان ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم
وقوله اختصموا في ربهم أي جادلوا في ربهم
وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار أي نحاس مذاب ويقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:429
تفسير السمعاني ج 3/ص 430

فوق رءوسهم الحميم 19 يصهر به ما في بطونهم والجلود 20 ولهم مقامع من حديد 21 كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب سمى النار التي يعذبون بها لباسا لأنها تحيط بهم كإحاطة اللباس وقال بعضهم يلبس أهل النار مقطعات من النار وهذا أولى الأقاويل
وقوله يصب من فوق رءوسهم الحميم وهو الماء الذي انتهت حرارته وفي التفسير أن قطرة منه لو وضعت على جبال الدنيا لأذابتها
وقوله يصهر به أي يذاب به وفي الأخبار أنه يثقب رأس الكافر ويصب على دماغه الحميم فيصل إلى جوفه فتسليه جميع ما في جوفه
وقوله والجلود أي ويذيب الجلود وينضجها
وقوله ولهم مقامع من حديد المقمعة هي المرزبة من حديد ويقال هي الحرز من حديد وقيل إن مقمعة منها لو وضعت في الدنيا واجتمع الإنس والجن عليها لم يقلوها
وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أي رجوا وفي التفسير أن النار تجيش بهم فترفعهم إلى أعلاها فيريدون الخروج فيضربهم الزبانية بالمقامع من الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا
وقوله وذوقوا عذاب الحريق أي تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق

قوله تعالى إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ظاهر المعنى
وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب الأساور جمع السوار
وقوله من ذهب معلوم المعنى
وقوله ولؤلؤ أي ومن لؤلؤ

تفسير السمعاني ج:3 ص:430
تفسير السمعاني ج 3/ص 431
الحريق 22 إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير 23 وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد 24 إن الذين كفروا
وقرئ لؤلؤا أي يحلون لؤلؤا

وقوله ولباسهم فيها حرير أي من الديباج وروى شعبة عن خليفة بن كعب عن ابن الزبير قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن لم يلبسه في الآخرة لا يدخل الجنة لأن الله تعالى قال ولباسهم فيها حرير
وفي بعض الأخبار ولو دخل الجنة لم يلبسه في الجنة
وقوله وهدوا إلى الطيب من القول قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله ويقال هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده وعن قطرب أنه القرآن ويقال هو الأمر بالمعروف وقيل هو القول الذي يثنى به الخلق ويثيب عليه الخالق
وقوله وهدوا إلى صراط الحميد أي صراط الله وصراط الله هو الإسلام ويقال إلى المنازل الرفيعة
قوله تعالى إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله تقدير الآية إن الكافرين والصادين عن سبيل الله وقال بعضهم معناه إن الذين كفروا فيما تقدم

تفسير السمعاني ج:3 ص:431
تفسير السمعاني ج 3/ص 432
ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم 25 ويصدون عن سبيل الله في الحال
وقوله والمسجد الحرام أي يصدون عن المسجد الحرام
وقوله الذي جعلناه للناس أي جعلناه للناس قبلة لصلاتهم ومنسكا لحجهم
وقوله سواء العاكف فيه والبادي وقرئ سواء العاكف فيه والباد بالنصب

والتنوين فقوله سواء بالرفع معلوم المعنى وقوله سواء بالنصب أي سويتهم سواء وقوله العاكف فيه والبادي المقيم فيه والجائي

واختلفوا أن المراد من هذا هو جميع الحرم أو المسجد الحرام فأحد القولين أن المراد منه هو مسجد الحرام وهذا قول الحسن وجماعة ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفضل فيه وفضل الطواف وسائر العبادات وثوابها والقول الثاني أن المراد من الآية جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم بمكة والجائي من مكة سواء في النزول فكل من وجد مكانا فارغا ينزل إلا أنه لا يزعج أحدا وهذا قول مجاهد وعمر بن عبد العزيز وعطاء وجماعة من التابعين وكان عمر - رضي الله عنه - ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في زمان الموسم وفي رواية منعهم أن يتخذوا الأبواب فاتخذ رجل بابا فضربه بالدرة وفي الخبر أن دور مكة كانت تدعى السوائب من شاء سكن ومن استغنى أسكن وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها وعلى القول الأول يجوز
وقوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم فيه قولان أحدهما أن الباء زائدة ومعناه ومن يرد فيه إلحادا بظلم قال الشاعر
نحن بني جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

تفسير السمعاني ج:3 ص:432
تفسير السمعاني ج 3/ص 433
وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين
أي تدعو الفرح وهذا قول الفراء ونحاة الكوفة وأما المبرد أنكر أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية من يكون إرادته فيه بأن يلحد بظلم قال الشاعر
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
ومعناه أراد في أن أنسى

وقوله نذقه من عذاب أليم أي يوصل إليه العذاب الأليم وأما الإلحاد فهو الميل يقال لحد وألحد بمعنى واحد ومنهم من قال ألحد إذا جادل ولحد إذا عدل عن الحق وأما معنى الإلحاد ها هنا قال بعضهم هو الشرك وقال بعضهم هو كل سيئة حتى شتم الرجل غلامه وقال عطاء الإلحاد في الحرم هو أن يدخل غير محرم أو يرتكب محظور الحرم بأن يقتل صيدا أو يقلع شجرة فإن قال قائل أيش معنى تخصيص الحرم بهذا كله وكل من عمل سيئة وإن كان خارج الحرم استحق العقوبة والجواب ما روي عن ابن مسعود أنه قال من هم بخطيئة في غير الحرم لم تكتب عليه ومن هم بخطيئة في الحرم كتب عليه وعنه أنه قال وإن كان بعدن أبين ومعناه أنه وإن كان بعيدا من الحرم فإذا هم بخطيئة في الحرم أخذ به وهذا معنى الإرادة المذكورة في الآية

قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أي بينا وأعلمنا وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء من الطوفان ثم إن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت بعث ريحا خجوجا فكنس موضع البيت حتى أبدى عن موضع البناء وفي رواية أخرى أن الله تعالى بعث سحابة بقدر البيت فيها رأس تكلم فقال يا إبراهيم ابن بقدري فهذا معنى قوله وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت
وقوله ألا تشرك بي شيئا يعني وقلنا له لا تشرك بي شيئا

تفسير السمعاني ج:3 ص:433
تفسير السمعاني ج 3/ص 434
والركع السجود 26 وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق 27 ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات
وقوله وطهر بيتي للطائفين أي الطائفين بالبيت
وقوله والقائمين أي المقيمين والركع السجود أي المصلين
وقوله وطهر بيتي أي ابن بيتي طاهرا

قوله تعالى وأذن في الناس بالحج وقرأ ابن أبي إسحاق بالحج بخفض الحاء وكذلك في جميع القرآن وفي القصة أن إبراهيم - عليه السلام - صعد المقام فارتفع المقام حتى صار كأطول جبل في الدنيا وفي رواية صعد أبا قبيس ثم نادى يا أيها الناس إن الله تعالى كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم فأجابه كل من يحج من أرحام الأمهات وأصلاب الآباء قال ابن عباس وأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا فالناس يأتون ويقولون لبيك اللهم لبيك فهو إجابة إبراهيم وروي أن إبراهيم - صلوات الله عليه - لما أمره الله تعالى بدعاء الناس قال يا رب كيف يبلغهم صوتي قال عليك الدعاء وعلي التبليغ
وقوله يأتوك رجالا أي رجالة وهم المشاة وفي بعض الأخبار أن آدم - صلوات الله عليه - حج أربعين حجة ماشيا
وقوله وعلى كل ضامر أي وعلى كل بعير ضامر والضامر هو المهزول قال ابن عباس ما أتأسف على شيء تأسفي أني لم أحج ماشيا لأن الله تعالى قدم المشاة على الركبان
وقوله يأتين من كل فج عميق أي من كل طريق بعيد
وقوله ليشهدوا منافع لهم قال أبو جعفر محمد بن علي هي المغفرة وقال غيره منافع لهم أي التجارة والقول الأول أحسن ويقال منافع الدنيا والآخرة
وقوله ويذكروا اسم الله عليه في أيام معلومات قال ابن عباس الأيام

تفسير السمعاني ج:3 ص:434
تفسير السمعاني ج 3/ص 435
على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير 28 ثم

ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق 29 المعلومات هي العشر وقال علي وابن عمر هي يوم النحر وثلاثة أيام بعده
وقوله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي إذا ذبحوها
وقوله فكلوا منها هذا أمر إباحة وليس بأمر إيجاب وقال بعضهم هو أمر ندب ويستحب أن يأكل منها

وقوله وأطعموا البائس الفقير البائس هو الذي اشتد بؤسه والبؤس العدم وقيل البائس هو الذي به زمانه والفقر معلوم المعنى
قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم التفث ها هنا هو حلق الرأس وقلم الظفر ونتف الإبط وإزالة الوسخ وقيل إن التفث ها هنا رمي الجمار وقال الزجاج ولا يعرف التفث ومعناه إلا من القرآن فأما قطرب حكاه عن أهل اللغة بمعنى الوسخ
وقوله وليوفوا نذورهم فيه قولان أحدهما أنه الوفاء بما نذره على ظاهره والقول الآخر أن معناه الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى بنذره
وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق هذا الطواف هو طواف الإفاضة وعليه أكثر أهل التفسير
وقوله بالبيت العتيق في العتيق قولان أحدهما أن الله تعالى أعتقه عن أيدي الجبابرة فلم يتسلط عليه جبار والثاني العتيق أي القديم وهو قول الحسن وفي العتيق قول ثالث وهو أن معنى العتيق أن الله تعالى أعتقه عن الغرق أيام الطوفان وهذا قول معتمد يدل عليه قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فلما قال مكان البيت دل أن البيت رفع أيام الطوفان

تفسير السمعاني ج:3 ص:435
تفسير السمعاني ج 3/ص 436
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور 30
قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله قال مجاهد حرمات الله الحج والعمرة وقال عطاء حرمات الله ما نهى عنه والحرمة كل ما نهى عن انتهاكها قال زيد بن أسلم حرمات الله ها هنا خمسة البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام وقال بعضهم تعظيم حرمات الله أن يفعل الطاعة ويأمر بها ويترك المعصية وينهى عنها
وقوله فهو خير له عند ربه معناه أن تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة

وقوله وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ما يتلى عليكم هو قول الله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية
وقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان من ها هنا للتجنيس ومعناه اجتنبوا الأوثان التي هي رجس ويقال إن الرجس والرجز هو العذاب ومعنى قوله فاجتنبوا الرجس أي اجتنبوا سبب العذاب
وقوله واجتنبوا قول الزور أي الكذب قال عبد الله بن مسعود أشهد لقد عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور
وروي هذا اللفظ مرفوعا إلى النبي

تفسير السمعاني ج:3 ص:436
تفسير السمعاني ج 3/ص 437
حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق 31 ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى
وفي الآية قول آخر وهو أن قول الزور هو الشرك والقول الثالث أن قول الزور هو تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك
وقوله حنفاء لله غير مشركين به قال أهل التفسير كانت قريش يقولون من حج واحتنف وضحى فهو حنيف فقال الله تعالى حنفاء لله غير مشركين به يعني أن الحنيفة إنما يتم بترك الشرك ومن أشرك لا يكون حنيفا وقد بينا معنى الحنيف من قبل
وقوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء أي سقط من السماء وفي بعض الأخبار عن بعض الصحابة أنه قال بايعت رسول الله أن لا أخر إلا مسلما أي لا أسقط ميتا إلا مسلما
وقوله فتخطفه الطير أي تسلبه الطير وتذهب به
وقوله أو تهوي به الريح في مكان سحيق أي تسقط به الريح في مكان بعيد
ومعنى الآية أن من أشرك فقد هلك وبعد عن الحق بعدا لا يصل إليه بحال ما دام مشركا

قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله في الشعائر قولان قال ابن عباس هي البدن وتعظيمها استسمانها واستحسانها وعن عطاء أن شعائر الله هي الجمار وعن زيد بن أسلم قال شعائر الله الصفا والمروة والركن والبيت

تفسير السمعاني ج:3 ص:437
تفسير السمعاني ج 3/ص 438
القلوب 32 لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق 33

ولكل أمة جعلنا منسكا وعرفة والمشعر الحرام والجمار وقال بعضهم شعائر الله معالم دينه
وقوله فإنها من تقوى القلوب أي هذه الفعلة وهي التعظيم من تقوى القلوب
وقوله لكم فيها منافع قال عروة بن الزبير يعني المنافع من البدن قبل النحر وذلك ركوبها والشرب من لبنها وغير ذلك وقال مجاهد المنافع التي فيها قبل أن يسمى للهدي فإذا سميت للهدي فلا ينتفع بها وهذا قول ابن عباس وطائفة من الصحابة والقول الأول اختاره الشافعي - رحمة الله عليه - استدلوا على صحة القول الأول بما روي أن النبي رأى رجلا يسوق بدنة فسأله عنها فقال إنها بدنة فقال اركبها ويلك
وقوله إلى أجل مسمى على القول الأول الأجل المسمى هو النحر وعلى القول الثاني الأجل المسمى تسميتها بدنة وأما إذا حملنا الشعائر على غير البدن فقوله لكم فيها منافع ينصرف إلى ما ذكر الله تعالى من الثواب في تعظيم الشعائر التي ذكرناها
وقوله ثم محلها إلى البيت العتيق المحل ها هنا هو وقت النحر ومكانه
وقوله إلى البيت العتيق قد بينا
قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا قال ابن عباس عيدا وقال غيره

تفسير السمعاني ج:3 ص:438
تفسير السمعاني ج 3/ص 439

ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين 34 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون 35 والبدن جعلناها لكم من مذبحا ويقال متعبدا
وقوله ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام
وقوله فإلهكم إله واحد يعني سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده فإن إلهكم إله واحد
وقوله فله أسلموا أي فله أخلصوا
وقوله وبشر المخبتين فيه أقوال أحدها أنه بمعنى المتواضعين وقال إبراهيم النخعي بمعنى المخلصين وقال غيره بمعنى الصالحين ويقال بمعنى المسلمين وعن عمرو بن أوس قال هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وذكر الكلبي أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم والخبت هو المكان المطمئن من الأرض قال امرؤ القيس شعرا
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي خفاف عقنقل
وقوله الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت قلوبهم
وقوله والصابرين على ما أصابهم أي وبشر الصابرين على ما أصابهم
وقوله والمقيمي الصلاة أي المقيمين للصلاة

وقوله ومما رزقناهم ينفقون ظاهر المعنى
قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن جمع البدنة وسميت البدنة لضخامتها والبعير والبقر يسمى بدنة فأما الغنم لا تسمى بدنة
وقوله جعلناها لكم من شعائر الله قد بينا ومعناه من أعلام دين الله وسمي البدن شعائر لأنها تشعر وإشعارها هو أن تطعن في سنامها على ما هو

تفسير السمعاني ج:3 ص:439
تفسير السمعاني ج 3/ص 440

(3/394)

شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشركون 36 لن ينال المعروف في الفقه وفي الآثار أن عمر - رضي الله عنه - حج آخر حجة في آخر سنة فكان يرمي جمرة العقبة فأصابت جمرة صلعته فسال الدم منها فقال رجل أشعر أمير المؤمنين فلما رجع إلى المدينة قتل
وقوله لكم فيها خير قد بينا
وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وعن ابن مسعود أنه قرأ صوافي وعن الحسن البصري أنه قرأ صوافن والمعروف صواف ومعناه مصطفة وأما صوافي معناه خالصة وأما صوافن فهو أن يقام على ثلاث قوائم ويعقل يده اليسرى وهذا هو الصفون قال الشاعر
ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسير
وقوله فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على جنوبها
وقوله فكلوا منها قد بينا
وقوله وأطعموا القانع والمعتر المعروف أن القانع هو السائل والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسأل قال مالك أحسن ما سمعت في هذا أن القانع هو المعتر والمعتر الرائي قال الشاعر
على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل
ويقال القانع هو الذي يقنع بما أعطي والمعروف هو القول الأول أن القانع هو السائل ويقال المسكين الطواف
وقوله كذلك سخرناها لكم أي ذللناها لكم
وقوله لعلكم تشكرون ظاهر المعنى
قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها روي أن المشركين كانوا إذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:440
تفسير السمعاني ج 3/ص 441

الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين 37 إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور 38 أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم ذبحوا أنضحوا بالدم حول البيت فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك فأنزل الله تعالى قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ومعناه لا يصل الدم واللحم إلى الله تعالى وإنما تصل التقوى وقيل لا تصل الدماء واللحوم إلا بالتقوى ويقال لا يرضى إلا بالتقوى

وقوله كذلك سخرها لكم أي ذللناها لكم

وقوله لتكبروا الله على ما هداكم معناه لتعظموا الله على ما هداكم

وقوله وبشر المحسنين قد بينا معنى المحسنين من قبل

قوله تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا وقرىء يدفع والمدافعة عنهم بحفظهم ونصرتهم ويقال يدافع الكفار عن الذين آمنوا ويقال يدافع المؤمنين وساوس الشيطان وهواجس النفوس ويقال يدافع عن الجهال بالعلماء وعن العصاة بالمطيعين

وقوله إن الله لا يحب كل خوان كفور الخوان هو كثير الخيانة والكفور هو الذي كفر النعمة

قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أهل التفسير هذه أول آية نزلت في إباحة القتال وقد رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقرىء أذن للذين يقاتلون بنصب الألف والتاء وإنما ذكر أذن و أذن بالرفع والنصب لأن المسلمين قبل الهجرة كانوا قد استأذنوا من النبي أن يقاتلوا الكفار فلم يأذن لهم فلما هاجروا إلى المدينة أنزل الله تعالى آيات القتال

تفسير السمعاني ج:3 ص:441

تفسير السمعاني ج 3/ص 442

لقدير 39 الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم ظلموا أي لأنهم ظلموا

وقوله وإن الله على نصرهم لقدير أي قادر

قوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أي ظلما

وقوله إلا أن يقولوا ربنا الله قال سيبويه هذا استثناء منقطع ومعناه لكن أخرجوا لأنهم قالوا ربنا الله وقال بعضهم لكن أخرجوا لتوحيدهم

وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض القول المعروف أن الدفع هاهنا هو دفع المجاهدين عن الدين وعن سائر المسلمين وعن ابن عباس -رضي الله

عنهما- قال عمن لا يصلي بالمصلى وعمن لا يجاهد بالمجاهد وعمن لا يعلم بمن يعلم
وروي عن علي -رضي الله عنه- قال هذا هو الدفع عن التابعين بأصحاب رسول الله وقال بعضهم هو الدفع عن الحقوق بالشهود وعن قطرب -واسمه محمد بن الحسين- قال هو الدفع عن النفوس بالقصاص
وقوله لهدمت صوامع وبيع أي صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود أي مواضع صلاتهم وقرىء وصلوات برفع الصاد واللام قراءة عاصم الجحدري وعن الضحاك أنه قرأ وصلوات
وقوله ومساجد أي مساجد المؤمنين وقال بعضهم الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات هي المساجد في الطرق للمسافرين من المؤمنين وأما المساجد هي المساجد في الأمصار
وقال بعضهم الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود فإن قال قائل هذه المواضع التي للكفار ينبغي أن تهدم فكيف قال لهدمت والجواب عنه أن معنى الآية لولا دفع الله لهدمت هذه المواضع في زمان كل نبي فهدمت الصوامع في زمن موسى والبيع في زمن عيسى والصلوات في زمن داود وغيره والمساجد

تفسير السمعاني ج:3 ص:442
تفسير السمعاني ج 3/ص 443

الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز 40 الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور 41 وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود 42 وقوم إبراهيم وقوم لوط 43 وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير 44 فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
في زمن محمد
وقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا معلوم المعنى
وقوله ولينصرين الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ظاهر المعنى
قوله تعالى الذين إن مكناهم في الأرض هذه الآية تنصرف إلى قوله ولينصرن الله من ينصره
وقوله أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الآية نازلة في هذه الأمة وروي عن ابن عباس أنه قال الآية نزلت في طلقاء من بني هاشم وهذا قول غريب
وقوله ولله عاقبة الأمور أي عواقب الأمور
قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح أنزل الله تعالى هذه الآية في تعزية النبي وتسليته فكأنه قال إن كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى يعني أن هؤلاء الأنبياء قد كذبوا أيضا

وقوله فأمليت للكافرين أي أمهلت للكافرين والإمهال من الله هو الاستدراج والمكر
وقوله ثم أخذتهم فكيف كان نكير أي إنكاري وإنكاره بالعقوبة
قوله فكأين من قرية أهلكناها أي فكم من قرية أهلكناها

تفسير السمعاني ج:3 ص:443
تفسير السمعاني ج 3/ص 444
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد 45
وقوله وهي ظالمة أي أهلها ظالمون
وقوله فهي خاوية على عروشها أي ساقطة على سقوفها والخاوية في اللغة هي الخالية وذكر الخاوية هاهنا لأن الدور إذا سقطت خلت عن أهلها

وقوله وبئر معطلة وقوله وقصر مشيد أي وكم من قصر مشيد ذهب أهلوه وهلكوا وفي المشيد قولان أحدهما أن المشيد هو المطول والآخر أن المشيد هي المبني بالشيد والشيد هو الجص قال الشاعر
شاده مرما وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
وقال بعضهم إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر على قلة جبل وأما البئر في سفحه وكان لكل واحد منهما قوم في نعمة عظيمة فكفروا فأهلكهم الله تعالى وبقي البئر والقصر خاليتين عن الكل وحكي أن سليمان بن داود -صلوات الله عليهما- كان إذا مر بخربة قال أيتها الخربة أين ذهب أهلوك وعن أبي بكر -رضي الله عنه- أنه قال في خطبته أين الذين بنوا المدائن ورفعوها وأين الذين بنوا القصر وشيدوها وأين الذين جمعوا الأموال ثم يقرأ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فإن قال قائل أيش فائدة ذكر البئر المعطلة والقصر المشيد وفي العالم من هذا كثير فلا يكون لذكر هذا فائدة والجواب عنه أنه قد جرت عادة العرب بذكر الديار للاعتبار وقد ذكروا مثل هذا كثيرا في أشعارهم فكذلك هاهنا ذكر الله تعالى القصور الخالية والديار المعطلة ليعتبر المعتبرون بذلك
قال الأسود بن يعفر
ماذا أومل بعد آل محرق
تركوا منازلهم وبعد إياد

تفسير السمعاني ج:3 ص:444
تفسير السمعاني ج 3/ص 445
أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور 46 ويستعجلونك بالعذاب
أهل الخورنق والسرير وبارق والقصر ذي الشرفات من سداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم
ماء الفرات يجيء من أطواد
وأرى النعيم وكل ما يلهى به
يوما يصير إلى بلى ونفاد

قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أي يعلمون بها ويقال إن العقل علم غريزي واستدل من قال إن محله القلب بهذه الآية
وقوله أو آذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبروا بها
وقوله فإنها لا تعمى الأبصار وقد روي عن النبي أنه قال ألا إن العمى عمى القلب
وقال بعضهم عينان في الوجه وعينان في القلب فالعينان في الوجه للنظر والعينان في القلب للاعتبار وعن قتادة أنه قال البصر الظاهر بلغة ومنفعة وأما بصر القلب فهو البصر النافع
وقوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور معناه أن العمى الضار هو عمى القلوب وأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين ومن المعروف في كلام الناس ليس الأعمى من عمي بصره وإنما الأعمى من عيت بصيرته
وحكي عن ابن عباس أنه دخل على معاوية بعدما عمي وكان أبوه قد عمي

تفسير السمعاني ج:3 ص:445
تفسير السمعاني ج 3/ص 446
ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون 47 وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير 48 قل يا أيها الناس إنما أنا في آخر عمره وكذلك جده عبد المطلب فقال له معاوية ما لكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له ابن عباس وما لكم يا بني أمية تصابون في بصائركم
وقوله تعمى القلوب التي في الصدور هاهنا على طريق التأكيد مثل قوله تعالى يقولون بأفواههم ومثل قول القائل نظرت بعيني ومشيت بقدمي
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده نزلت الآية في النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية
وقوله ولن يخلف الله وعده أي وعد العذاب

وقوله وإن يوما عند ربك كألف سنة فيه قولان أحدهما وإن يوما من الأيام التي خلق فيها الدنيا كألف سنة والقول الثاني أن معناه وإن يوما من أيام عذابهم

كألف سنة مما تعدون والقول الثاني هو الأولى لأنه قد سبق ذكر العذاب
قوله تعالى وكأين من قرية أمليت لها أي أمهلت لها
وقوله وهي ظالمة يعني أهلها ظالمون
وقوله ثم أخذتها وإلي المصير أي المرجع
قوله تعالى قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أي منذر مرشد
وقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم الرزق الكريم هو الذي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة
وقوله والذين سعوا في آياتنا معاجزين أي معاندين مشاقين وقرىء معجزين أي مثبطين الناس عن اتباع النبي ويقال ظانين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي يفوتون منا
وقوله أولئك أصحاب الجحيم أي النار والجحيم عبارة عن معظم النار

تفسير السمعاني ج:3 ص:446
تفسير السمعاني ج 3/ص 447
لكم نذير مبين 49 فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم 50 والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم 51 وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
وقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي وقرأ ابن عباس ولا محدث
قال الشيخ الإمام -رضي الله عنه- أخبرنا بهذا أبو علي الشافعي قال أخبرنا أبو الحسن بن فراس قال أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء عن جده محمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ هكذا
فقوله ولا محدث يعني ملهم كأن الله حدثه في قلبه ومن المعروف أن النبي قال قد كان في الأمم السابقة محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر

وأما الكلام في الرسول والنبي فقال بعضهم هما سواء وفرق بعضهم بينهما فقال الرسول هو الذي يأتيه جبريل -عليه السلام- بالوحي والنبي هو الذي يأتيه الوحي في المنام أو يلهم إلهاما ومنهم من قال الرسول الذي له شريعة يحفظها والنبي هو الذي بعث على شريعة غيره فيحفظها وقد قالوا كل رسول نبي وليس كل نبي برسول
وقوله إلا إذا تمنى الأكثرون على أن معناه إذا قرأ ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته قال الشاعر في عثمان
تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر
أي تلا وقال بعضهم تمنى هو حديث النفس والقصة في الآية هو ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والزهري والضحاك وغيرهم أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:447
تفسير السمعاني ج 3/ص 448
النبي قرأ سورة والنجم في صلاته وعنده المسلمون والمشركون ويقال قرأ في الصلاة فلما بلغ قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ومر في السورة حتى سجد في آخرها ففرح المشركون وسروا وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير ولا نريد إلا هذا وسجدوا معه قال ابن مسعود ولم يسجد الوليد بن المغيرة ورفع ترابا إلى جبهته وقال سجدت -وكان شيخا كبيرا- قال فجاء جبريل -عليه السلام- وقال اقرأ علي سورة والنجم فقرأ وألقى الشيطان على لسانه هكذا فقال هذا لم آت به وأخرجه من قراءته فحزن رسول الله حزنا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته
فإن قال قائل كيف يجوز هذا على النبي وقد كان معصوما من الغلط في أصل الدين وقال الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي إبليس

والجواب عنه اختلفوا في الجواب عن هذا قال بعضهم إن هذا ألقاه بعض المنافقين في قراءته وكان المنافق هو القارىء فظن المشركون أن الرسول قرأ وسمى ذلك المنافق شيطانا لأن كل كافر متمرد بمنزلة الشيطان وهذا جواب ضعيف

تفسير السمعاني ج:3 ص:448
تفسير السمعاني ج 3/ص 449
الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم 52 ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد 53
ومنهم من قال إن الرسول لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر هذا بين قراءة النبي وسمع المشركون ذلك وظنوا أن الرسول قرأ وهذا اختيار الأزهري وغيره وقال بعضهم إن الرسول أغفأ إغفأة ونعس فجرى على لسانه هذا ولم يكن به خبر بإلقاء الشيطان وهذا قول قتادة وأما الأكثرون من السلف ذهبوا إلى أن هذا شيء جرى على لسان الرسول بإلقاء الشيطان من غير أن يعتقد وذلك محنة وفتنة من الله وعادة والله تعالى يمتحن عباده بما شاء ويفتنهم بما يريد وليس عليه اعتراض لأحد وقالوا إن هذا وإن كان غلطا عظيما فالغلط يجوز على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه
وعن بعضهم أن شيطانا يقال له الأبيض عمل هذا العمل وفي بعض الروايات أنه تصور بصورة جبريل وأدخل في قراءته هذا والله أعلم
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يزيل الله ما يلقي الشيطان
وقوله ثم يحكم الله آياته أي يثبت الله آياته

وقوله والله عليم حكيم ظاهر المعنى
قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض أي محنة وبلية
وقوله والقاسية قلوبهم أي الجافة قلوبهم عن قبول الحق
وقوله وإن الظالمين لفي شقاق بعيد أي في ظلال طويل وقيل مستمر وهو الأحسن

تفسير السمعاني ج:3 ص:449

تفسير السمعاني ج 3/ص 450
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم 54 ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
قوله تعالى وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك يعني ما أثبته ولم ينسخه
وقوله فيؤمنوا به أي يعتقدون به من قبل الله تعالى
وقوله فتخبت له قلوبهم أي تسكن إليه قلوبهم
وقوله وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أي إلى طريق قويم وهو الإسلام
قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي في شك منه
وقوله حتى تأتيهم الساعة بغتة قيل هي الموت وقيل هي القيامة
وقوله أو يأتيهم عذاب يوم عقيم فيه قولان أحدهما أن اليوم العقيم هو يوم القيامة والقول الثاني أن اليوم العقيم هو يوم بدر وعليه الأكثرون وعن أبي بن كعب أنه قال أربع آيات في يوم بدر أحدها هو قوله عذاب يوم عقيم والآخر قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى والثالث قوله تعالى فسوف يكون لزاما والرابع قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر فالقتل يوم بدر هو العذاب الأدنى وأما العقيم في اللغة هو المنع يقال رجل عقيم وامرأة عقيم إذا منعا من الولد وريح عقيم إذا لم تمطر ويوم عقيم إذا لم يكن فيه خير ولا بركة فيوم بدر يوم عقيم لأنه لم يكن فيه خير ولا بركة للكفار قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:3 ص:450
تفسير السمعاني ج 3/ص 451

حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم 55 الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم 56 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين 57 والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين 58 ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم 59 ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم
قوله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم أي يقضي بينهم
وقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ظاهر المعنى
وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين أي مذل مخز
قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الرزق الحسن هو الذي لا ينقطع أبدا وذلك رزق الجنة
وقوله وإن الله لهو خير الرازقين أي أفضل الرازقين
وقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه وقرىء مدخلا بفتح الميم والمدخل بالرفع من الإدخال والمدخل بالفتح الموضع
وقوله وإن الله لعليم حليم أي عليم بأعمال العباد حليم عنهم
قوله تعالى ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به روي أن قوما من المسلمين لقوا قوما من المشركين في آخر المحرم وقد بقيت ليلتان منه فتصد المشركون المسلمين فقال لهم المسلمون كفوا فإن هذا شهر حرام فلم يكفوا فقاتلهم المسلمون على وجه الدفع وظفروا فأنزل الله تعالى هذه الآية ويقال إن قوما من المشركين قتلوا قوما من المسلمين فظفر بهم النبي

تفسير السمعاني ج:3 ص:451
تفسير السمعاني ج 3/ص 452

بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور 60 ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير 61 ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير 62 ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير 63 له ما في السموات وقتلهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وإنما سمي الفعل الأول عقوبة وإن كان في الحقيقة اسم العقوبة يقع على ما يكون جزاء للجناية على ازدواج الكلام لأنه ذكره في مقابلة العقوبة وهذا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
وقوله تعالى ثم بغى عليه البغي هاهنا ما فعله المشركون بالمسلمين من الظلم والإخراج من الديار وأخذ الأموال
وقوله لينصرنه الله ظاهر المعنى
وقوله إن الله لعفو غفور أي ذو تجاوز وعفو عن المسلمين
قوله تعالى ذلك بأن الله يولج الليل في النهار الآية ظاهر المعنى

وقوله ذلك بأن الله هو الحق أي ذو الحق
وقوله وأن ما يدعون من دونه هو الباطل يعني ليس بحق
وقوله وأن الله هو العلي الكبير أي المتعالي المتعظم ويقال إن العلي هاهنا ينصرف إلى الدين أي دينه يعلو الأديان والكبير صفته تبارك وتعالى ويقال الحق اسم من أسماء الله تعالى ذكره يحيى بن سلام وأما الباطل فيقال إنه إبليس ويقال إنه الأوثان
قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة أي ذات خضرة كما يقال مسبعة ومبقلة أي أرض ذات بقل وذات مسبع
قال عكرمة الآية نزلت في مكة خاصة فإن المطر هناك يقع بالليل وتخضر

تفسير السمعاني ج:3 ص:452
تفسير السمعاني ج 3/ص 453

(3/406)

وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد 64 ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم 65 وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الأرض بالنهار وعن الخليل قال ألم تر تنبيه ثم ابتداء وقال ينزل الله المطر فتصبح الأرضين مخضرة فلهذا رفع تصبح
وقوله إن الله لطيف خبير أي لطيف باستخراج النبات من الأرض وبرزق العباد خبير بما في قلوبهم أي بما يعرض في قلوبهم عند نقصان الرزق أو عدمه وقيل عند جدوبة الأرض
قوله له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد أي الغني عن أعمال الخلق المحمود في أفعاله
قوله تعالى ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره أي وسخر الفلك تجري في البحر بأمره ويقال ما في الأرض هي الدواب التي تركب في البر وأما الفلك هو الذي يركب في البحر
وقوله ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه في بعض الآثار أنه إذا أظهرت الصلبان في الأرض وضربت بالنواقيس ارتجت السماء والأرض وكادت السماء أن تقع فيرسل الله ملائكة فيمسكون بأطراف السماء والأرض ويقرءون سورة الإخلاص حتى تسكن وأما المعروف في معنى الآية أن الله يمسك السماء بغير عمد على ما ذكرنا من قبل
وقوله إن الله بالناس لرءوف رحيم قد بيناه
قوله تعالى وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الإحياء الأول هو الإنشاء والإحياء الثاني هو البعث من القبور
وقوله إن الإنسان لكفور أي لكفور لنعمة الله

إن الإنسان لكفور 66 لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم 67 وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون 68 الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون 69 ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير
قوله تعالى لكل أمة جعلنا منسكا بفتح السين وقرىء منسكا بكسرها
فالمنسك بالكسر موضع النسك كالمجلس موضع الجلوس وأما المنسك بالفتح هو على المصدر للنسك قال الفراء المنسك بالفتح موضع العبادة والمناسك مواضع أركان الحج ويقال المنسك المذبح وعن ابن عباس منسكا أي عيدا وقيل منسكا أي شريعة وملة
وقوله هم ناسكوه أي عاملون بها
وقوله فلا ينازعنك في الأمر منازعتهم أنهم قالوا أتأكلون مما قتلتموه ولا تأكلون مما قتله الله
وقال الزجاج معنى قوله فلا ينازعنك في الأمر أي فلا تنازعهم قال وهذا مستقيم في كل ما لا يكون إلا بين اثنين يجوز أن يقال لا يخاصمنك فلان أي لا تخاصمه ولا يجوز أن يقال لا يضربنك فلان بمعنى لا تضربه لأن الضرب إنما يكون من الواحد وإنما قال الزجاج هذا لأن قوله فلا ينازعنك إخبار وقد نازعوه ولا يجوز الخلاف في خبر الله تعالى فذكر أن المعنى فلا تنازعهم ليكون أمرا لا خبرا وقرىء فلا ينزعنك في الأمر أي لا يغلبنك
وقوله وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم أي دين مستقيم
قوله تعالى وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم الآية ظاهر المعنى
قوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض معنى قوله ألم تعلم أي قد علمت
وقوله إن ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ

---

70 ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير 71 وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير 72 يا أيها الناس ضرب مثل

وقوله إن ذلك على الله يسير أي هين
قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا أي حجة
وقوله وما ليس لهم به علم يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم
وقوله وما للظالمين من نصير أي مانع من العذاب
قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر أي الإنكار
وقوله يكادون يسطون أي يقعون
وقوله بالذين يتلون عليهم آياتنا يعني المؤمنين وقيل يتناولون بالشتم والمكروه
وقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم أي بشر عليكم وأكره لكم
وقوله النار كأنهم سألوا ما ذلك فقال أجب وقل النار
وقوله وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير أي بئس المرجع
قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فإن قال قائل أين المثل قلنا معناه ضرب لي مثل أي شبه لي مثل على معنى أن المشركين اتخذوا الأصنام معي آلهة فاستمعوا له أي استمعوا خبر الأصنام وحالها ثم قال إن الذين تدعون من دون الله الأصنام
وقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ذكر الذباب لخسته ومهانته وضعفه

تفسير السمعاني ج:3 ص:455
تفسير السمعاني ج 3/ص 456

فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب 73 ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز 74 الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وعن بعض السلف قال خلق الله تعالى الذباب ليذل به الجبابرة وهو حيوان مستأنس ممتنع لأنه يستأنس بك فيقع عليك ثم إذا أردت أن تأخذه امتنع منه
وقوله وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب واستلب منه شيئا فأخبر الله تعالى أن الأصنام لا يستنقذون من الذباب ما استلبه وعن السدي أنهم كانوا يأتون بالطعام ويضعون بين يدي الأصنام فيجيء الذباب ويقعن عليه ويأكلن منه فهو معنى قوله تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
وقوله ضعف الطالب والمطلوب الطالب الذباب والمطلوب الصنم ويقال الطالب الصنم والمطلوب الذباب
وقيل ضعف الطالب والمطلوب أي العابد والمعبود
وقوله ما قدروا الله حق قدره أي ما عظموا الله حق عظمته ويقال ما عرفوا الله حق معرفته وقيل ما وصفوا الله حق صفته وعن ابن عباس أن اليهود قالوا إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السبت فأنزل الله

تعالى ما قدروا الله حق قدره
وقوله إن الله لقوي عزيز أي قوي على ما يريد عزيز أي منيع في ملكه
قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أما من الملائكة فهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وغيرهم وأما من الناس فهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم صلوات الله عليهم
وقوله إن الله سميع بصير سميع لأقوال العباد بصير بهم
قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم قد بينا هذا من قبل ويقال

تفسير السمعاني ج:3 ص:456

تفسير السمعاني ج 3/ص 457
إن الله سميع بصير 75 يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور 76 يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون 77 وجاهدوا في الله حق جهاده ما بين أيديهم ما قدموا من العمل وما خلفهم ما أخروها فلم يعملوها
وقوله وإلى الله ترجع الأمور تصير الأمور
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا والركوع والسجود معلومان ولا تقبل صلاة إلا بهما سوى صلاة الجنازة
وقوله واعبدوا ربكم أي وحدوا ربكم ويقال أخلصوا في ركوعكم وسجودكم
وقوله وافعلوا الخير أي صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وسائر وجوه البر
وقوله لعلكم تفلحون وتفوزون
وفي هذه الآية سجدة للتلاوة منقولة عن جماعة من الصحابة وروى مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن النبي قال في الحج سجدتان من لم يسجدهما فلا يقرأها وفي رواية من لم يسجدهما فلم يقرأها
قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده اعلم أن الجهاد يكون بالنفس وبالقلب وبالمال فأما الجهاد بالنفس فهو فعل الطاعات واختيار الأشق من الأمور وأما الجهاد بالقلب فهو دفع الخواطر الردية وأما الجهاد بالمال فهو البذل والإيثار
وقوله حق جهاده قال بعضهم هو أن يطيع الله ولا يعصيه ويذكره

تفسير السمعاني ج:3 ص:457
تفسير السمعاني ج 3/ص 458
هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم فلا ينساه ويشكره فلا يكفره وقال بعضهم حق جهاده هو أن لا يخل بفرض ما وعن بعض أهل التحقيق قال حق جهاده هو أن لا يترك جهاد نفسه طرفة عين وفي بعض الغرائب من الأخبار أن النبي لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من

الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وعنى بالجهاد الأصغر هو الجهاد مع الكفار وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس وأنشد بعضهم

يا رب إن جهادي غير منقطع وكل أرضك لي ثغر وطرسوس
وقوله هو اجتباكم أي اختاركم
وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج فإن قال قائل في الدين حرج كثير بلا إشكال فما معنى قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قلنا فيه أقول أحدها أن الحرج هو الضيق ومعنى الآية هاهنا أنه لا ضيق في الدين بحيث لا خلاص عنه فمعناه أن المذنب وإن وقع في ضيق من معصيته فقد جعل الله له خلاصا بالتوبة وكذلك إذا حنث في يمينه جعل الله له الخلاص بالكفارة والقول الثاني أن معنى الآية أن الله تعالى لم يكلف نفسا فوق وسعها وقد ذكرنا هذا من قبل والقول الثالث أن المراد من الآية أنه إذا كان مريضا فلم يقدر على الصلاة قائما صلى قاعدا فإن لم يقدر على الصلاة قاعدا صلى بالإيماء ويفطر إذا شق عليه الصوم بسفر أو مرض أو هرم وكذلك سائر وجوه الرخص
وقوله ملة أبيكم إبراهيم فيه قولان أحدهما أن الآية خطاب مع العرب وقد كان إبراهيم أبا لهم والقول الثاني أن الآية خطاب مع جميع المسلمين وجعل

تفسير السمعاني ج:3 ص:458
تفسير السمعاني ج 3/ص 459
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة إبراهيم أباهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وحفظ حقه وإنما نصب ملة على معنى ابتغوا ملة إبراهيم
وقوله هو سماكم المسلمين فيه قولان أحدهما أن الله سماكم المسلمين من قبل أو في التوراة والإنجيل
وقوله وفي هذا أي في القرآن والقول الثاني أن إبراهيم سماكم المسلمين والدليل على هذا القول أن الله تعالى قال خبرا عن إبراهيم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك الآية

وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ذكرنا هذا في سورة البقرة والنساء وفي الخبر أن الله تعالى أعطى هذه الأمة ثلاثا مثل ما أعطى الأنبياء كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقال الله تعالى لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي أنت شاهدا على أمتك فقال الله تعالى لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعطه فقال الله تعالى لهذه الأمة ادعوني أستجب لكم

وقوله فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ظاهر المعنى وروى ابن مسعود عن النبي أنه قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة
وقوله واعتصموا بالله أي تمسكوا بدين الله ويقال معناه ادعوا الله

تفسير السمعاني ج:3 ص:459
تفسير السمعاني ج 3/ص 460
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير 78 ليثبتكم على دينه
وفيه قول ثالث أن الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة وعن الزهري أنه قال الاعتصام بالسنة نجاة
وقوله هو مولاكم أي حافظكم فنعم المولى أي الحافظ ونعم النصير أي الناصر

تفسير السمعاني ج:3 ص:460

تفسير السمعاني ج 3/ص 461
سورة المؤمنون
بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون 1 تفسير سورة المؤمنين وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد أفلح المؤمنون روى عبد الرزاق عن يونس بن سليم عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد القاري عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال كنا إذا نزل الوحي على رسول الله سمع عند وجهه دوي كدوي النحل فأنزل عليه مرة فمكثنا ساعة فلما سري عنه استقبل القبلة وقال اللهم أكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ثم قال لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة وقرأ قد أفلح المؤمنون إلى آخر العشر قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن سراج قال أخبرنا محمد بن محمد بن محبوب قال أخبرنا محمد بن عيسى بن سورة أخبرنا عبد بن حميد عن عبد الرزاق الحديث
وقوله قد أفلح أي فقد سعد وفاز وظفر وقال بعضهم نال البقاء الدائم والبركة قال الشاعر
نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجوا الصلاح بعد عاد وحميرا

تفسير السمعاني ج:3 ص:461
تفسير السمعاني ج 3/ص 462
الذين هم في صلاتهم خاشعون 2 وقرئ قد أفلح المؤمنون أي اصيروا إلى ما

فيه الصلاح
وقال لبيد شعرا
فاعقلي إن كنت مما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل
وقال غيره
لو كان حي مدرك الفلاح
أدركه ملاعب الرماح
قال ابن عباس نالوا ما إياه طلبوا ونجوا مما عنه هربوا
وقوله المؤمنون المصدقون
وقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون أي خاضعون خائفون يقال الخشوع خوف القلب وحقيقته هو الإقبال في الصلاة على معبوده والتذلل بين يديه ويقال هو جمع الهمة ودفع العوارض عن الصلاة وتدبر ما يجري على لسانه من القراءة والتسبيح والتهليل والتكبير وعن علي - رضي الله عنه - قال الخشوع أن لا يلتفت عن يمينه ولا عن شماله في الصلاة

وعن أبي هريرة قال كان أصحاب رسول الله يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود وعن إبراهيم النخعي قال هو السكن في الصلاة

تفسير السمعاني ج:3 ص:462
تفسير السمعاني ج 3/ص 463
والذين هم عن اللغو معرضون 3 والذين هم للزكاة فاعلون 4 والذين هم لفروجهم حافظون 5 إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين
وقوله والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن عباس يعني الشك وقال الحسن المعاصي كلها ذكر الزجاج أن اللغو هو كل كلام باطل مطرح ويقال إن اللغو ها هنا هو معارضة الكفار بالسب والشتم وهذا قول حسن لأن الله تعالى قال وإذا مروا باللغو مروا كراما أي إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه
قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون أي مؤدون
قال الشعبي هي زكاة الفطر وقال بعضهم الزكاة ها هنا هي العمل الصالح فكأنه قال والذين هم للعمل الصالح فاعلون
قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون حفظ الفرج هو التعفف عن الحرام

وقوله إلا على أزواجهم يقال إن الآية في الرجال بدليل أن الله تعالى قال أو ما ملكت أيمانهم والمرأة لا يجوز لها أن تستمتع بملك يمينها وقيل إن أول الآية

في الرجال والنساء جميعا وقوله أو ما ملكت أيمانهم إلى الرجال دون النساء فإنهم غير ملومين أي غير معاتبين فإن قيل إذا أصاب امرأته في حال الحيض أو النفاس وما أشبهه وكذلك الجارية فقد أتى حراما وإن كان قد حفظ فرجه عن غير زوجته وملك يمينه ويكون ملوما والجواب عنه أن تقدير الآية في هذا والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم على وجه يجوز في الشرع فإنهم غير ملومين وكذلك الجواب عن قول من استدل بهذه الآية في جواز إتيان المرأة في غير مأتاها أو الجارية
وقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون أي سوى ذلك

تفسير السمعاني ج:3 ص:463
تفسير السمعاني ج 3/ص 464
6 فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون 7 والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون 8 والذين هم على صلواتهم يحافظون 9 أولئك هم وابتغى أي طلب وقوله فأولئك هم العادون أي الظالمون المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام واستدل العلماء بهذه الآية على أن الاستمناء باليد حرام وعن ابن عباس سئل عنه فقال هو نائك نفسه وعن ابن جريج أنه قال سألت عطاء عنه فقال هو مكروه فقلت أفيه حد فقال ما سمعت وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه سئل عن هذا الفعل فقال أف أف سمعت أن قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير قال عذب الله أمة من الأمم كانوا يعبثون بمذاكيرهم وكرهه مالك والشافعي وحكى أبو عاصم النبيل عن أبي حنيفة أنه كرهه فإن جعل بين يديه وبين ذكره حريرة قال لا بأس به وذكر النقاش في تفسيره عن عمر بن الخطاب أنه قال أولئك أقوام لا خلاق لهم

وقوله تعالى والذين هم لآمانتهم وعهدهم راعون يقال رعى كذا إذا قام بالمصلحة فيه ومنه قوله وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ويقال للوالي هو راع لأنه يقوم بمصلحة الرعية ومعنى قوله راعون ها هنا أداء الأمانة والوفاء بالعهد
قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون قد بينا معنى المحافظة وعن ابن مسعود أنه سئل عن المحافظة فقال حفظ الوقت فقيل له فمن تركها أصلا قال ذلك الكفر وأعاد ذكر الصلاة ها هنا ليبين أن المحافظة واجبة كما أن الخشوع واجب
قوله تعالى أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس روي الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي قال ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا دخل النار ورث أهل الجنة منزله

تفسير السمعاني ج:3 ص:464

تفسير السمعاني ج 3/ص 465
وعن مجاهد قال إذا دخل الجنة هدم منزله في النار وعنه أنه قال إن الله غرس جنة عدن بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وأغلق عليها فلا يدخلها إلا من شاء الله ويفتح بابها في كل سحر وكانوا يرون أن نسيم السحر منه
وفي بعض المسانيد عن ابن عباس عن النبي إن الله خلق جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قلد أفلح المؤمنون أنا محرمة على كل بخيل ومرائي
وفي رواية أن الله تعالى قال قد أفلح المؤمنون ثم قال وعزتي لا يجاورني فيك بخيل
وفي بعض المسانيد أيضا عن النبي قال إن الله تعالى خلق آدم بيده وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده ثم قال لجنة عدن وعزتي لا يسكنك بخيل ولا ديوث
وفي بعض التفاسير أن النبي قال أن الله تعالى خلق الفردوس وجعل لها

تفسير السمعاني ج:3 ص:465
تفسير السمعاني ج 3/ص 466

الوارثون 10 الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون 11 ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين 12 ثم جعلناه نطفة في قرار مكين 13 ثم خلقنا لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحبالها المسك الأفر والأخبار كلها غرائب هم فيها خالدون أي مقيمون لا يظعنون أبدا
قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين قال أهل اللغة السلالة صفوة الماء المسلول من الصلب وقوله من طين الطين ها هنا هو آدم وعليه الأكثرون والمراد من الإنسان ولده ومنهم من قال المراد من الإنسان هو آدم وقوله من سلالة أي سل من كل تربة وقال الكلبي السلالة ها هنا هو الطين الذي إذا قبض عليه الإنسان خرج الماء من جانبي يده وعن مجاهد قال هو منى بني آدم قال الشاعر
وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بغل
فإن نتجت مهرا فلله درها
وإن ولدت بغلا فجاء به البغل
وقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين أي في مكان استقر فيه وعن مجاهد قال ما من نطفة إلا ويذر عليها من التربة التي خلق منها
وقوله ثم خلقنا النطفة علقة العلقة هي القطعة من الدم

تفسير السمعاني ج:3 ص:466
تفسير السمعاني ج 3/ص 467

النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين 14 ثم إنكم بعد ذلك لميتون
وقوله فخلقنا العلقة مضغة المضغة هي القطعة من اللحم
وقوله فخلقنا المضغة عظما وقري عظاما والمعنى واحد قال الشاعر
في حلقهم عظم وقد شجينا
أي في حلوقهم عظام
ويقال إن بين كل خلقين أربعين يوما
وقوله فكسونا العظام لحما أي ألبسنا

وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر الأكثرون أن المراد منه نفخ الروح فيه وقال الضحاك استواء الشباب وعن قتادة قال نبت الأسنان وعن الحسن ذكرا أو أنثى وفي بعض التفاسير أن الله ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر وعشرا من يوم وقعت النطفة في الرحم ولهذا تقدرت عدة الوفاة بهذا القدر من الزمان
وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين روي أن عمر - رضي الله عنه - لما سمع هذه الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي هكذا أنزل فإن قيل هذه الآية تدل على أنا نخلق أفعالنا لأن الله تعالى قال فتبارك الله أحسن الخالقين فذكر الخالقين على وجه الجمع الجواب أن معناه أحسن المقدرين وقد ورد الخلق بمعنى التقدير قال الشاعر
ولأنت تفري ما خلقت وبعض
القوم يخلق ثم لا يفري

تفسير السمعاني ج:3 ص:467
تفسير السمعاني ج 3/ص 468
15 ثم إنكم يوم القيامة تبعثون 16 ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين 17 وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون 18 فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه
أي يقدر
ويقال إن معناه يصنعون وأصنع وأنا أحسن الصانعين
قوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون قال بعضهم الميت والميت واحد وقال بعضهم الميت هو الذي قد مات والميت هو الذي يموت في المستقبل ومثله المائت وهذا كما قالوا سيد وسائد هو الذي يسود في المستقبل
قوله تعالى ثم إنكم يوم القيامة تبعثون البعث هو الإطلاق فكأنهم حبسوا مدة ثم أطلقوا
قوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الطرائق ها هنا هي السموات وفي تسميتها طرائق وجهان أحدهما أنها سميت طرائق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل إذا جعلت بعضها فوق بعض
والوجه الثاني أنها سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة

وقوله وما كنا عن الخلق غافلين أي نحن حافظون لهم يقال حفظنا السماء أن تقع عليهم ويقال ما تركناهم سدى بغير أمر ولا نهي
قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر في الخبر أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان ودجلة والفرات
وروي أنه أنزل خمسة أنهار من عين في الجنة وذكر مع الأربعة التي ذكرناها نيل مصر وفي هذا الخبر أن الله أودعها الجبال ثم أجراها لمنفعة العباد وفي هذا الخبر أيضا أنه إذا كان خروج يأجوج ومأجوج رفع الله القرآن والكعبة والركن والمقام وتابوت موسى والأنهار الخمسة فلا يبقى شيء من خير الدنيا والآخرة فهو قوله تعالى

تفسير السمعاني ج:3 ص:468
تفسير السمعاني ج 3/ص 469
كثيرة ومنها تأكلون 19 وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين 20 وإنا على ذهاب به لقادرون
قوله تعالى فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ظاهر المعنى وخص النخيل والأعناب بالذكر لأنهما كانتا أكثر فواكه العرب
قوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء معناه وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزيتون وإنما خصها بالذكر لأنها لا تحتاج إلى معاهد فالمنة فيها أكثر ولأنها مأكول ومستصبح بها وقوله سيناء بالحبشية هو الحسن وأما المروي عن ابن عباس معنيان أحدهما أن المراد من سيناء هو البركة ومعناه جبل البركة والآخر أن معناه الشجر يعني الجبل المشجر أورده الكلبي
وقوله تنبت بالدهن وقرئ تنبت واختلفوا في هذا منهم من قال أنبت ونبت بمعنى واحد قال الشاعر
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل
يعني حتى إذا نبت البقل فالمعنى على هذا تنبت بالدهن أي ومعها الدهن أو فيها الدهن وقال أبو عبيدة الباء زائدة فالمعنى على هذا تنبت ثمر الدهن

وأما من فرق بين تنبت وتنبت فقال معناه تنبت ثمرها بالدهن وتنبت ثمر الدهن وأنشدوا في زيادة الباء شعرا

تفسير السمعاني ج:3 ص:469
تفسير السمعاني ج 3/ص 470
وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة

ومنها تأكلون 21 وعليها وعلى الفلك تحملون 22 ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
سود المحاجر لا يقرأن بالسور
أي لا يقرأن السور
وقوله وصبغ للآكلين وقرئ وصباغ للآكلين وهو في الشاذ مثل لبس ولباس
ومعناه وإدام للآكلين فإن الخبز إذا غمس فيه أي في الزيت انصبغ به بمعنى
تلون والإدام كل ما يؤكل مع الخبر عادة سواء انصبغ به الخبر أو لم ينصبغ روي
عن النبي أنه أخذ لقمة وتمرة وقال هذه إدام هذه
وعنه أنه قال سيد إدام أهل الجنة اللحم
قوله تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة يعني الآية تعتبرون بها
وقوله نسقيكم مما في بطونها أي اللبن
وقوله ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون يعني من لحومها وعليها وعلى
الفلك تحملون ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:470
تفسير السمعاني ج 3/ص 471
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون 23 فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله
لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين 24 إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا
به حتى حين 25 قال رب انصرني بما كذبون 26 فأوحينا إليه أن اصنع الفلك
قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوا الله
ما لكم من إله غيره أي معبود سواه وقوله أفلا تتقون معناه أفلا تخافون
عقوبته إذا عبدتم غيره

قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم قد ذكرنا
معنى الملأ وذكرنا إنكارهم إرسال البشر
وقوله يريد أن يتفضل عليكم يتفضل أي يظهر الفضل ولا فضل له كما يقال
فلان يتحلم أي يظهر الحلم ولا حلم له ويتظرف أي يظهر الظرافة ولا ظرافة
له
وقوله ولو شاء الله لأنزل ملائكة يعني بإبلاغ الوحي وقوله ما سمعنا بهذا في
آبائنا الأولين أي بإرسال بشر رسولا وقيل بدعوة مثل دعوته
قوله تعالى إن هو إلا رجل به جنة أي جنون
وقوله فتربصوا به حتى حين قال ابن عباس إلى وقت ما ويقال إلى أن يموت
قوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون يعني أهلكهم نصرة لي جزاء تكذيبهم
قوله تعالى فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا قد بينا من قبل ويقال
غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة
وقوله فإذا جاء أمرنا وفار التنور المراد من الأمر هاهنا وقت إغراقهم والتنور
تنور الخابزة وقد بينا غير هذا
وقوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين قال ابن عباس معناه من كل صنف

تفسير السمعاني ج:3 ص:471
تفسير السمعاني ج 3/ص 472
بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون 27 فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين 28 وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين 29 إن في اثنين اثنين
وقوله وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم أي سبق عليه الحكم بإهلاكه وهو ابن نوح قال الحسن كانوا سبعة وثامنهم نوح وقيل ستة وسابعهم نوح
وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون قد بينا

قوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أي استقررت وجلست وقد يكون الاستواء بمعنى الارتفاع قال الخليل دخلنا على أبي ربيعة الأعرابي فقال لنا استووا أي ارتفعوا وقوله فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين أي الكافرين وفي بعض الأخبار عن النبي أنه قال مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها سلم ومن لم يركبها هلك
قوله تعالى وقل رب أنزلني منزلا مباركا وقرىء منزلا فالمنزل موضع النزول والمنزل بمعنى الإنزال وفي موضع النزول قولان أحدهما أنه السفينة بعد الركوب والآخر أنه الأرض بعد النزول من السفينة والبركة بعد النزول هو كثرة النسل من أولاده الثلاثة والبركة قبل النزول هو النجاة وفي بعض أخبار النبي من نزل منزلا فقال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين كان ضمانا على الله أن يحفظه من كل شيء يهوله وإن توفي في ذلك المنزل دخل الجنة ذكره ابن فارس

تفسير السمعاني ج:3 ص:472
تفسير السمعاني ج 3/ص 473
ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين 30 ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين 31 فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون 32 وقال الملأ في تفسيره برواية أبي هريرة والخبر غريب
قوله تعالى إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين قال ابن عباس مبتلين من أطاع ومن عصى وعن غيره قال معناه ما من أمة إلا ونحن قد ابتليناها
قوله ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أي قوما آخرين
قوله تعالى فأرسلنا فيهم رسولا منهم في التفسير أن القرن هم قوم هود وهم عاد والرسول هو هود ويقال قوم صالح وصالح والأول أصح وأظهر
وقوله أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قد ذكرنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:473

(3/423)

تفسير السمعاني ج 3/ص 474
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون 33 ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون 34 أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم
قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة أي بالمصير إلى الآخرة
وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا أي وأغنياهم في الحياة الدنيا ويقال وسعنا عليهم المعيشة في الحياة الدنيا حتى أترفوا والإتراف هو التنعم بملاذ العيش قال القتيبي والترفة كالتحفة
وقوله ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون يعني منه
وقوله تعالى ولئن أطعتم بشرا مثلكم أي من لحم ودم مثلكم
وقوله إنكم إذا لخاسرون أي المغبونون ويقال تاركون طريقة العقلاء فتكونون بمنزلة من خسر عقله
قوله تعالى أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخروجون
تحصيل المعنى أيعدكم أنكم إذا متم وقبرتم ثم خرجتم من قبوركم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخروجون وأما على القراءة المعروفة فنصب الأول بتقدير الباء أي بأنكم وأما إنكم الثانية للتأكيد قال الزجاج ونظير هذا في القرآن قوله تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم
قوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون قال ابن عباس معناه بعيد بعيد ما توعدون أي لا يكون ذلك أبدا هيهات وأيهات بمعنى واحد قال الشاعر
أيهات أيهات العقيق وأهله أيهات خل بالعقيق نواصله

تفسير السمعاني ج:3 ص:474
تفسير السمعاني ج 3/ص 475

(3/424)

مخرجون 35 هيهات هيهات لما توعدون 36 إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين 37 إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين 38 قال رب انصرني بما كذبون 39 قال عما قليل ليصبحن نادمين 40 فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين 41 ثم

قوله تعالى إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فإن قيل كيف يستقيم قوله ونحيا ولم يكونوا مقرين بالبعث والجواب من وجوه أحدها أنه على التقديم والتأخير يعني نحيا ونموت والآخر يموت الآباء ويحيا الأبناء والثالث يموت قوم ويحيا قوم
قوله وما نحن بمبعوثين أي بمنشرين
وقوله إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين أي بمصدقين
قوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون قد بينا
قوله قال عما قليل ليصبحن نادمين أي ليصبحون نادمين ومعنى يصبحون يصيرون
قوله تعالى فأخذتهم الصيحة بالحق في القصة أن جبريل - عليه السلام - صاح بهم صيحة فتصدعت قلوبهم
ويقال إن المراد من الصيحة الهلاك قال امرؤ القيس
فدع عنك نهيا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل
وتمثل بهذا البيت علي رضي الله عنه في بعض حروبه
وقوله بالحق أي بالعدل ويقال بما استحقوا
وقوله فجعلناهم غثاء الغثاء ما يبس من الشجر والحشيش وعلا فوق السيل ويقال الغثاء هو الزبد فالزبد لا ينتفع به ويذهب باطلا فشبههم بعد الهلاك به
وقوله فبعدا للقوم الظالمين أي هلاكا للقوم الظالمين

تفسير السمعاني ج:3 ص:475
تفسير السمعاني ج 3/ص 476
أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين 42 ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون 43 ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون 44 ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان

قوله ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين أي قوما آخرين
قوله ما تسبق من أمة أجلها أي وقت هلاكهم
وقوله وما يستأخرون أي يتأخرون عن وقت هلاكها
قوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وقرئ تترى بالتنوين والمعنى متواترين بعضهم على إثر بعض ويقال بين كل نبيين قطعة من الزمان والأصل في تترى وترى إلا أن الواو قلبت تاء فكأنه قال بعثنا الرسل وترا وترا
وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه أي جحدوه وأنكروه
وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا أي في الهلاك
وقوله وجعلناهم أحاديث أي سمرا وقصصا قال بعضهم شعرا
فكن حديثا حسنا ذكره فإنما الناس أحاديث
وقوله فبعدا لقوم لا يؤمنون قد بينا
قوله تعالى ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين أي بحجة بينة

وهي الآيات التسع
قوله تعالى إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين أي طالبين للعلو بغير الحق والاستكبار طلب التكبر ويقال عالين قاهرين لمن تحتهم بالظلم وقوله تعالى فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا أي لموسى وهارون وقوله وقومهما لنا عابدون قال أبو عبيدة تقول العرب لكل من أطاع إنسانا قد عبده

تفسير السمعاني ج:3 ص:476
تفسير السمعاني ج 3/ص 477
مبين 45 إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين 46 فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون 47 فكذبوهما فكانوا من المهلكين 48 ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون 49 وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين 50 وفي بعض التفاسير أن القبط كانوا يعبدون فرعون وفرعون كان يعبد الصنم
قوله تعالى فكذبوهما فكانوا من المهلكين أي بالغرق
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون أي التوراة
قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية قد بينا

وقوله وآويناهما إلى ربوة وقرىء ربوة وقرأ أبو الأشهب العقيلي رباوة وأما الربوة فيها أقوال عن أبي هريرة قال هي رملة فلسطين وروي هذا مرفوعا إلى النبي
وقال سعيد بن المسيب هي غوطة دمشق ويقال أنزه المواضع في الدنيا أربعة مواضع غوطة دمشق في الشام والإيلة بالعراق وشعب بران بفارس وسعد سمرقند وعن كعب قال ربوة هي بيت المقدس وعن وهب بن منبه قال هي مصر وفي اللغة الربوة هو المكان المرتفع
وقوله ذات قرار أي أرض مستوية يستقرون فيها وقيل مستوية مرتفعة منبسطة
وقوله ومعين أي ذات ماء جار ويقال ذات عيون تجري فيها يقال عانت البركة إذا جرى فيها الماء وأنشدوا في المعين شعرا
إن الذين غدوا بلبك غادروا وسلا بعينك لا يزال معينا
قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال مجاهد

تفسير السمعاني ج:3 ص:477
تفسير السمعاني ج 3/ص 478
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم 51 وقتادة والسدى وجماعة إن المراد من قوله يا أيها الرسل هو محمد والعرب تذكر الجمع وتريد به الواحد فإنهم يقولون للرجل أيها القوم كف عنا أذاك

ومنهم من قال إن المراد منه جميع الرسل وقال بعضهم المراد عيسى -عليه السلام- كأنه قال وقلنا لعيسى يا أيها الرسل وقد روى أبو هريرة أن النبي قال يا أيها الناس إن الله لا يقبل إلا الطيب وإن الله تعالى أمر المسلمين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات من رزقناكم واشكروا لله ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يده إلى السماء فيقول يا رب مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له

وفي القصة أن عيسى كان يأكل من غزل أمه والأكل هو أخذ الشيء بالفم ليوصله إلى البطن بالمضغ وأما قوله من الطيبات أي من الحلال وقوله واعملوا صالحا الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة
وقوله إني بما تعملون عليم هذا حث على فعل الطاعة يعني اعملوا الصالحات فإني مجازيكم على عملكم
قوله تعالى وإن هذه أمتكم أمة واحدة أي دينكم دين واحد وقيل شريعتكم شريعة واحدة ويقال أمرتكم بما أمرت به من قبلكم من الأنبياء والمرسلين فأمركم واحد
وقوله وأنا ربكم فاتقون فاحذروني
قوله تعالى فتقطعوا أمرهم بينهم أي تفرقوا هودا ونصارى وصابئين ومجوسا زبرا أي قطعا قال مجاهد زبرا كتبا أي جعلوا كتبهم قطعا ومعناه آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرفوا البعض ولم يحرفوا البعض
وقوله كل حزب بما لديهم فرحون أي مسرورون

تفسير السمعاني ج:3 ص:478
تفسير السمعاني ج 3/ص 479
وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون 52 فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون 53 فذرهم في غمرتهم حتى حين 54 أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين 55 نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون 56
ويعني أن كل فريق مسرورون بما عندهم فأهل الإيمان مسرورون بالإيمان وبمتابعة النبي والكفار مسرورون بكفرهم وبمخالفة النبي
قوله تعالى فذرهم في غمرتهم أي في ضلالتهم وقيل في عمايتهم
وقوله حتى حين معناه إلى أن يموتوا والآية للتهديد
قوله تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال الآية معناه أيحسبون أن الذي نجعله مددا لهم من المال والبنين نسارع لهم في الخيرات أي نعجل لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا لهم رضا بأعمالهم وحقيقة المعنى أن ليس الأمر على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم بل هو استدراج لهم ومكر بهم فهو معنى قوله تعالى بل لا يشعرون

قوله تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون الخشية انزعاج النفس لما يتوقع من المضرة والإشفاق هاهنا هو الخوف من العذاب فمعنى الآية أن المؤمنين من خشية ربهم لا يأمنون عذابه قال الحسن البصري المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق إساءة وأمنا
قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي يصدقون
قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون معلوم المعنى
قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا روي عن النبي أنه قرأ والذين يأتون ما أتوا به وهو قراءة عائشة -رضي الله عنها
وقوله يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا وقوله يأتون ما آتوا أي

تفسير السمعاني ج:3 ص:479
تفسير السمعاني ج 3/ص 480
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون 57 والذين هم بآيات ربهم يؤمنون 58 والذين هم بربهم لا يشركون 59 والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يفعلون ما فعلوا
وقوله وقلوبهم وجلة أي خائفة
وقوله أنهم إلى ربهم راجعون أي لأنهم إلى ربهم راجعون ومعناه خافوا لأنهم علموا أن رجوعهم إلى ربهم وروى عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت للنبي يا رسول الله قول الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يسرقون ويشربون الخمر وقلوبهم وجلة قال لا يا ابنة الصديق بل هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة أنها لا تقبل منهم وفي رواية ويخشون أن لا تقبل منهم قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو علي الشافعي قال أبو الحسن ابن فراس أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المقرىء أخبرنا جدي محمد عن سفيان بن عيينة أخبرنا مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الخبر وقال الحسن البصري عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم هذا هو القول المعروف في الآية

تفسير السمعاني ج:3 ص:480
تفسير السمعاني ج 3/ص 481
أنهم إلى ربهم راجعون 60 أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون 61 ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون 62 بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون والقول الثاني أن المراد من الآية أنهم عملوا بالمعاصي وخافوا من الله

قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أي إليها سابقون
قال الشاعر
تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا
أي إلى سوائكا ويقال لها سابقون أي من أجلها سابقون يقول الإنسان لغيره
قصدت هذه البلدة لك أي لأجلك وعن ابن عباس أنه قال وهم لها سابقون أي
سبقت لهم السعادة من الله
قوله تعالى ولا نكلف نفسا إلا وسعها قد بينا المعنى ويقال لم نكلف المريض
الصلاة قائما ولا الفقير الزكاة والحج ولا المسافر الصوم وأشباه هذا
وقوله ولدينا كتاب ينطق بالحق أي عندنا كتاب ينطق بالحق وهو اللوح
المحفوظ واستدل بعضهم بهذه الآية أن من كتب إلى إنسان كتابا فقد كلمه
وقوله ينطق بالحق أي يخبر بالصدق
وقوله وهم لا يظلمون أي لا ينقص حقهم
قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا أي في غطاء يقال فلان غمره الماء
أي غطاه
وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون فيه قولان أن للكفار أعمالا
خبيثة محكومة عليهم سوى ما عملوا هم لها عاملون هذا قول مجاهد وجماعة
وقال قتادة الآية تنصرف إلى أصحاب الطاعات ومعناه أن المؤمنين لهم أعمال
سوى ما عملوا من الخير هم لها عاملون والقول الأول أظهر

تفسير السمعاني ج:3 ص:481
تفسير السمعاني ج 3/ص 482

---

63 حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون 64 لا تجأروا اليوم إنكم منا
لا تنصرون 65 قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون 66
مستكبرين به سامرا تهجرون 67
قوله تعالى حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قد بينا معنى المترف
وقوله بالعذاب وهو السيف يوم بدر ويقال هو القحط الذي أصابهم بدعاء النبي
وقوله إذا هم يجأرون أي يصيحون ويستغيثون
قوله تعالى لا تجأروا اليوم لا تصيحوا اليوم والجؤار هو رفع الصوت
وقوله إنكم منا لا تنصرون أي ليس أحد يمنعنا من عذابكم وقيل لا تنصرون لا
ترزقون يقال أرض منصورة أي ممطورة
قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون أي
ترجعون قهقري على أعقابكم ويقال أقبح المشي هو الرجوع على عقبيه
قهقري
قوله تعالى مستكبرين به اختلف القول في قوله فأظهر الأقاويل أن المراد منه
الحرم ويقال البيت أي متعظمين بالبيت الحرام وتعظيمهم أنهم كانوا يقولون
نحن أهل الله وجيران بيته وكان سائر العرب في خوف وهم في أمن هذا قول
ابن عباس ومجاهد وجماعة والقول الثاني مستكبرين به أي بالقرآن على معنى

أنهم استكبروا فلم يؤمنوا به والقول الثالث أنه الرسول على المعنى الذي ذكرنا في القرآن
وقوله سامرا وقرىء في الشاذ سمارا والسامر والسمار في اللغة بمعنى واحد والآية في أنهم كانوا يقعدون بالليل حول البيت يسمرون قال الثوري السمر ظل القمر تقول العرب لا أكلمك السمر والقمر أي الليل والنهار
وقوله تهجرون أي تعرضون عن النبي والإيمان به والقرآن والإيمان

تفسير السمعاني ج:3 ص:482
تفسير السمعاني ج 3/ص 483

(3/431)

أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين 68 أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون 69 أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون 70 ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم وقيل تهجرون أي تهذون وقرىء تهجرون من الهجر في الكلام وهو القبيح وفي الروايات أنهم كانوا يقعدون عند البيت في ظل القمر ويسبون النبي
قوله تعالى أفلم يدبروا القول يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن
وقوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين يعني أيظنون أنه جاءهم ما لم يأت من قبلهم ومعناه أنا بعثنا إليهم رسولا كما بعثنا إلى الأولين
قوله تعالى أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون يعني أنهم عرفوه صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وعرفوا وفاءه بالعهد وأداءه للأمانات وصدقه في الأقوال وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب على ما ذكرنا من قبل
قوله تعالى أم يقولون به جنة أي جنون
وقوله بل جاءهم بالحق أي بالصدق وقوله وأكثرهم للحق كارهون أي ساخطون
قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم أي لو اتبع ما نزل من القرآن أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن وإنما قال هذا لأنهم كانوا يودون أن ينزل الله تعالى ذكر أصنامهم على ما يعتقدونها ولأنه هو في معنى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي قراءة ابن مسعود لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ومن خلق
والقول الثاني في الآية أن المراد من الحق هو الله تعالى ومعناه لو اتبع الله أهواءهم لسمى لنفسه شريكا وولدا ولفسدت السموات والأرض ومن

تفسير السمعاني ج:3 ص:483
تفسير السمعاني ج 3/ص 484

بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون 71 أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين 72 وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم 73 وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون 74 فيهن
وقوله بل أتيناهم بذكرهم أي بما يذكرهم ويقال بشرفهم وهو معنى قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أي شرف لك ولقومك
وقوله فهم عن ذكرهم معرضون أي عن شرفهم وعما يذكرهم معرضون
قوله تعالى أم تسألهم خرجا وقرىء خراجا وكلاهما بمعنى الجعل والأجر وعن أبي عمرو بن العلاء قال الخراج في الأرض والخرج في الرقاب
وقوله فخراج ربك أي ثوابه خير أي أجر ربك خير
وقوله وهو خير الرازقين أي المعطين
قوله تعالى وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم أي إلى دين الحق
قوله تعالى وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون أي عن طريق الحق لعادلون
قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر روي أن النبي دعا على قريش فقال اللهم اجعل عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجدب والقحط حتى أكلوا العلهز وهو الدم بالوبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو

تفسير السمعاني ج:3 ص:484
تفسير السمعاني ج 3/ص 485
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون 75 ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون 76 رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر أي الجوع والقحط
وقوله للجوا في طغيانهم يعمهون أي مضوا في طغيانهم يعمهون ولم ينزعوا عنه
قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فيه قولان أحدهما أنه السيف يوم بدر والآخر أنه الجوع والقحط وروي أن النبي لما دعا على قومه قدم أبو سفيان عليه فقال يا محمد ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال نعم فقال له قتلت الآباء بالسيف وأهلكت الأبناء بالجوع فادع لنا يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم

وقوله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم والاستكانة طلب السكون
وقوله وما يتضرعون أي لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا إلى عتوهم وتمردهم

تفسير السمعاني ج:3 ص:485
تفسير السمعاني ج 3/ص 486
حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون 77 وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون 78 وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون 79 وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون 80 بل قالوا مثل ما قال الأولون 81 قالوا أئذا متنا وكنا ترابا
قوله تعالى حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يقال بالموت ويقال بقيام الساعة
وقوله إذا هم فيه مبلسون أي متحيرون آيسون وعن السدي قال حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو فتح مكة ويقال العذاب الشديد هو الأمراض والشدائد وعن مجاهد قال هو القتل يوم بدر
قوله تعالى وهو الذي أنشأ لكم السمع أي الأسماع لتسمعوا وهذا واحد بمعنى الجمع وقوله والأبصار أي لتبصروا وقوله والأفئدة لتعقلوا وقوله قليلا ما تشكرون أي لم تشكروا هذه النعم
قوله تعالى وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون أي خلقكم وأنشركم وكثركم في الأرض وقوله وإليه تحشرون أي تبعثون
قوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان ويقال ومنه اختلاف الليل والنهار
وقوله أفلا تعقلون معناه أفلا تعقلون الآيات التي وضعتها فيها
قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الأولون معناه كذبوا كما كذب الأولون
قوله تعالى قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أي محشورون وقالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب

قوله تعالى لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين أي أكاذيب الأولين ويقال أسمار الأولين وأقاصيصهم وقيل ما سطره الأولون في

تفسير السمعاني ج:3 ص:486
تفسير السمعاني ج 3/ص 487
وعظاما أئنا لمبعوثون 82 لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين 83 قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون 84 سيقولون لله قل أفلا تذكرون 85 قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم 86 سيقولون لله قل أفلا تتقون 87 قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير كتبهم ولا حقيقة له
قوله تعالى قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ظاهر المعنى
قوله تعالى سيقولون لله يعني هو ملك لله وملكه
وقوله أفلا تذكرون أي تتعظون

قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم أي السرير الضخم
قوله تعالى سيقولون لله وقرئ سيقولون الله
أما قوله تعالى سيقولون الله هذا راجع إلى اللفظ فالمعنى كالرجل يقول لغيره من مالك هذا الدار فيقول زيد
وأما قوله سيقولون لله يرجع إلى المعنى دون اللفظ كما يقول القائل لغيره من مالك هذه الدار فيقول هي لزيد
وقوله قل أفلا تعقلون أي أفلا تحذرون
قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء أي مالك كل شيء والتاء للمبالغة وكذلك فعلوت تذكر للمبالغة مثل قولهم جبروت ورهبوت من كلامهم رهبوت خير من رحموت ومعناه أن ترهب خير من أن ترحم
وقوله وهو يجير ولا يجار عليه أن يؤمن على كل الناس ولا يؤمن عليه أحد ومعناه أن من أمنه الله لا يقدر عليه أحد ومن لم يؤمنه الله لم يؤمنه أحد وقيل من أراد الله عذابه لا يقدر أحد على منع العذاب عنه ومن أراد أن يعذب غيره من الخلق قدر الله على منعه منه وقوله إن كنتم تعلمون ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:3 ص:487
تفسير السمعاني ج 3/ص 488
ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون 88 سيقولون لله قل فأنى تسحرون 89 بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون 90 ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون 91 عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون 92 قل رب إما تريني ما يوعدون
قوله تعالى سيقولون لله قل فأنى تسحرون أي تخدعون وقيل تصرفون عن الحق قال الحسن معناه أين ذهبت عقولكم وقال أبو عبيدة فأنى تسحرون أي تعمهون
قوله تعالى بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون أي بالصدق إنهم لكاذبون فيما يدعون لله من الشريك والولد
قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله أي من شريك وقوله إذا لذهب كل إله بما خلق أي تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه ونعمته إلى غيره وقوله ولعلا بعضهم على بعض أي طلب بعضهم الغلبة على البعض كما يفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ثم نزه نفسه فقال سبحان الله عما يصفون
قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أي السر والعلانية
وقوله فتعالى عما يشركون أي تعظم عما يشركون ومعناه أنه أعظم أن يوصف بهذا الوصف
قوله تعالى قل رب إما تريني ما يوعدون يعني إن أريتني ما وعدتهم من العذاب رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي اجعلني خارجا منهم ولا تعذبني معهم هكذا ذكره الزجاج قال أهل التفسير وهذا دليل على أنه يجوز للعبد أن يسأل الله تعالى ما هو كائن لا محالة

قوله تعالى وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون أي ما نعدهم من العذاب

تفسير السمعاني ج:3 ص:488
تفسير السمعاني ج 3/ص 489

---

93 رب فلا تجعلني في القوم الظالمين 94 وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون 95 ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون 96 وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين 97 وأعوذ بك رب أن يحضرون 98 حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون 99
قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة أكثر أهل التفسير أن المراد منه هو الدفع بالصبر واحتمال الأذى والكف عن المقاتلة وهذا قبل آية السيف وعن جماعة من التابعين أنهم قالوا هو أن يسلم على من يؤذيه فالدفع هو بالسلام عليه وعن الضحاك عن ابن عباس قال هو دفع الشرك بلا إله إلا الله وعن بعضهم هو دفع المنكر بالموعظة
قوله تعالى نحن أعلم بما يصفون أي بوصفهم وكذبهم
قوله تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم والهمز في اللغة مأخوذ من الدفع ودفع الشياطين غيره إلى المعصية يكون بوسوسته فعرف أن الهمزات هي الوساوس وقيل همز الشيطان إغراؤه على المعصية وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون أي يحضروا أمري وإنما ذكر الحضور لأنه يغريه على المعصية ويوسوسه إذا حضر
قوله تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت أي حضر أحدهم الموت وقوله قال رب ارجعون فيه قولان أحدهما أنه خطاب للملائكة وهم الملائكة الذين يحضرون بقبض الروح وهذا قول ضعيف لأنه قد قال رب
وأما القول الثاني - وهذا المعروف - أن الخطاب مع الله وكأن الكافر يسأل ربه عند الموت أن يرده إلى الدنيا فإن قيل كيف يستقيم هذا وقد قال ارجعون والواحد لا يخطاب بخطاب الجمع ولا يستقيم أن يقول القائل اللهم اغفروا لي والجواب عنه أنه إنما ذكر بلفظ الجمع على طريق التفخيم والتعظيم فإن الله تعالى أخبر عن نفسه بلفظ الجمع فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومثل هذا كثير في القرآن فذكر قوله ارجعون على موافقة هذا كما يخاطب الجمع

تفسير السمعاني ج:3 ص:489
تفسير السمعاني ج 3/ص 490

لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون 100 فإذا نفخ في الصور وعن الخليل أنه سئل عن هذه الآية - وكان شديد التوقي في كلام القرآن - وقال رب ارجعون معناه اجعلني مرجوعا وقوله تعالى لعلي أعمل صالحا فيما تركت أي أقول لا إله إلا الله وقيل هو العمل بالطاعة قال قتادة طلب الرجوع ليعمل صالحا لا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات فرحم الله امرءا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب
قوله تعالى كلا إنها كلمة هو قائلها يعني سؤال الرجعة وقد قال أهل العلم من السلف لا يسأل الرجعة عبد له عند الله ذرة من خير لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه واتفقوا أن سؤال الرجعة يكون للكافر لا للمؤمن
وقوله ومن وراءهم برزخ أي حاجز وهو القبر
وقوله إلى يوم يبعثون فالبرزخ هو ما بين الموت إلى البعث ويقال ما بين الدنيا والآخرة
قوله تعالى فإذا نفخ في الصور حكي عن الحسن البصري أنه قال أي في الصور وهذا قول ضعيف والصحيح أن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل ومن المشهور أن النبي قال كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى بأذنه متى يؤمر فينفخ
فمن العلماء من يقول ينفخ ثلاث نفخات نفخة للصعق ونفخة للموت

تفسير السمعاني ج:3 ص:490
تفسير السمعاني ج 3/ص 491
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون 101 ونفخة للبعث والأكثرون أنه ينفخ نفختين نفخة للموت ونفخة للبعث والصعق هو الموت ويكون بين النفختين أربعون سنة
قوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ أي لا أنساب يتفاخرون ويتواصلون بها وأما أصل الأنساب فباقية

وأما قوله عليه الصلاة والسلام كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي أي لا ينفع سبب ولا نسب يوم القيامة إلا سببي ونسبي ويقال سببه القرآن ونسبه الإيمان
وقوله ولا يتساءلون أي لا يسأل بعضهم بعضا سؤال تواصل فإن قيل أليس أن الله تعالى قال فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
الجواب ما روي عن ابن عباس أنه قال يوم القيامة مواطن وتارات ففي موطن يشتد عليهم الخوف فتذهل عقولهم فلا يتساءلون وفي موضع يفيقون إفاقة فيتساءلون
قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أي الفائزون والناجون
قوله تعالى ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا

تفسير السمعاني ج:3 ص:491
تفسير السمعاني ج 3/ص 492
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون 102 ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون 103 تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون 104 ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون 105 أنفسهم بهلاك الآية وقوله في جهنم خالدون أي مقيمون
قوله تعالى تلفح وجوههم النار اللفح أكبر من النفح ومعناه يصيب وجوههم حر النار وقيل تحرق وجوههم النار وتنضجها
وقوله وهم فيها كالحون الكالح في اللغة هو العابس وأما المروي في التفسير هو الذي تقلصت شفتاه وظهرت أسنانه
وعن ابن مسعود أنه قال كالرأس النضيج قد بدت أسنانه وتقلصت شفتاه وذكر أبو عيسى الترمذي في جامعه برواية أبي سعيد الخدري عن النبي قال في هذه الآية هو أن تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وفي بعض التفاسير وتخرج أسنانه عن شفتيه أربعين ذراعا
وعن بعض التابعين من الخائفين أنه مر على شواء فرأى رءوس الغنم وقد أبرزت فلما نظر إليها غشي عليه كأنه يذكر هذه الآية

وقوله تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون أي تجحدون وتنكرون
وقوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وقرىء شقاوتنا وهما بمعنى واحد والمراد منه إنما أدخلنا النار بما غلب علينا من حكمك وقضائك بشقاوتنا وقوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:492
تفسير السمعاني ج 3/ص 493
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين 106 ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون 107 قال اخسئوا فيها ولا تكلمون 108 إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين 109 فاتخذتموهم سخريا وكنا قوما ضالين أي عن الحق
قوله تعالى ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيتركهم مقدار عمر الدنيا وفي رواية مثلي عمر الدنيا
ثم يقول قال اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فينقطع رجاؤهم حينئذ ولا يسمع بعد ذلك منهم إلا الزفير والشهيق وأما قوله اخسئوا أي ابعدوا وهو مثل قولهم خسأت الكلب أي أبعدته
قوله تعالى إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين قال أهل التفسير هذا في بلال وسلمان وعمار وصهيب والفقراء من أصحاب الرسول
وقوله فاتخذتموهم سخريا وقرىء سخريا فقوله سخريا من الاستهزاء وقوله

سخريا من التسخير
وقوله حتى أنسوكم ذكري أي اشتغلتم بالاستهزاء والسخرية عليهم وتركتم ذكري وكان الواجب عليكم أن تذكروني بدل استهزائكم بهم
وقوله وكنتم منهم تضحكون وفي الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة وهو موعود عليه وعن جعفر بن محمد -رضي الله عنه- قال من ضحك ضحكة مج مجة من العلم لا يعود إليه أبدا
قوله تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون أي بصبرهم أنهم هم الفائزون أي الناجون

تفسير السمعاني ج:3 ص:493
تفسير السمعاني ج 3/ص 494
حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون 110 إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون 111 قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين 112 قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين 113 قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون 114 أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون 115
قوله تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين يعني قال الله تعالى للكفار كم لبثتم في الأرض عدد سنين أي في الدنيا ويقال في القبور وقرىء قل كم لبثتم في الأرض عدد سنين ومعناه قل يا أيها الكافر
قوله تعالى قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم إنما ذكروا يوما أو بعض يوم لأنهم نسوا عدد ما لبثوا من هول ما يلقاهم يوم القيامة فإن قال قائل هذه الآية تدل على أن عذاب القبر ليس بثابت للكفار لأنه لو كان ثابتا لم يقولوا لبثنا يوما أو بعض يوم والجواب عنه من وجهين أحدهما أنه ذهب عن قلوبهم عذاب القبر من هول ما يلقاهم يوم القيامة والثاني أن الله تعالى يرفع العذاب عن أهل القبور بين النفختين فينسون عذاب القبر ويستريحون وإنما يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم لهذا
وقوله فاسأل العادين أي الملائكة الذين يعرفون عدد ما لبثوا
قوله تعالى قال إن لبثتم إلا قليلا يعني ما لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أي لو تعلمون عدد ما لبثتم وإنما ذكر قليلا لأن الواحد من أهل الدنيا وإن لبث في الدنيا سنين كثيرة فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة

قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي لتلعبوا أو تعبثوا وقد سمى الله تعالى جميع الدنيا لعبا ولهوا فقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو فالآية تدل على أن الآدمي لم يخلق لطلب الدنيا والاشتغال بها وإنما خلق ليعبد الله ويقوم بأوامره وعن بعضهم قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا هو في معنى قوله

تفسير السمعاني ج:3 ص:494
تفسير السمعاني ج 3/ص 495
فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم 116 ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون 117 وقل رب تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى ومعناه أنه لا يهمل أمره وقال بعضهم خلق لهلاك الأبد أو لملك الأبد
وقوله وأنكم إلينا لا ترجعون ظاهر المعنى
قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم أي المرتفع وقيل الحسن وقد بينا معنى تعالى من قبل
قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به أي لا بينة ولا حجة له به قال أهل العلم لا حجة لأحد في دعوى الشرك وإنما الحجة عليهم
وقوله فإنما حسابه عند ربه هذا في معنى قوله تعالى ثم إن علينا حسابهم وروي أن أعرابيا أتى النبي وقال ومن يحاسبنا يوم القيامة قال الله قال نجونا ورب الكعبة إن الكريم إذا قدر غفر والخبر غريب
وقوله إنه لا يفلح الكافرون أي لا يسعد ولا يفوز
قوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين
اغفر استر وارحم اعطف والغفور الستور والرحيم هو العطوف

تفسير السمعاني ج:3 ص:495
تفسير السمعاني ج 3/ص 496
اغفر وارحم وأنت خير الراحمين 118
قوله وأنت خير الراحمين أي خير من رحم

تفسير السمعاني ج:3 ص:496
تفسير السمعاني ج 3/ص 497
بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها تفسير سورة النور
وهي مدنية وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ فيما خرجه من الزيادة على الصحيحين برواية شعيب بن إسحق عن الزهري عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي قال في النساء لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور
قوله تعالى سورة أنزلناها وقراءة الأعرج ومجاهد سورة أنزلناها والسورة مجموع آيات مما أنزل الله تعالى معلوم الابتداء والانتهاء وإنما رفع سورة لأن معناها هذه سورة وقوله سورة بالنصب فتقديره أنزلنا سورة
وقوله وفرضناها قرىء بالتشديد والتخفيف أما بالتخفيف ففي معناه وجهان

أحدهما ألزمناكم العمل بما فرض فيها والآخر فرضناها أي قدرنا ما فيها من الحدود والفرض هو التقدير ومنه قوله تعالى فنصف ما فرضتم أي ما قدرتم وأما بالتشديد ففي معناه وجهان
أحدهما فرضنا فرائضها وشددد لما فيها من الكثرة
والوجه الثاني فرضناها أي بيناها وفصلناها
قال مجاهد هو الأمر بالحلال والنهي عن الحرام

تفسير السمعاني ج:3 ص:497
تفسير السمعاني ج 3/ص 498
وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون 1 الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات أي دلالات واضحات
وقوله لعلكم تذكرون أي تتعظون

قوله تعالى الزانية والزاني قال أهل العلم إنما بدأ بالمرأة لأن رقة القلب عليهن أكثر فبدأ بهن لئلا يترك إقامة الحد عليها ويكون أمرها لهم ومنهم من قال لأن الشهوة فيهن أكثر والزنا نتيجة الشهوة وبدأ في حد السرقة بالرجل لأن القوة والجراءة في الرجال أكثر والسرقة نتيجة القوة والجراءة وهذا قول حسن
وقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الجلد ضرب الجلد يقال جلدته إذا ضربت جلده وبطنته إذا ضربت بطنه وظهرته إذا ضربت ظهره وفي الآية قولان أحدهما أن الآية عامة في الأبكار والثيب فتجلد الثيب مع الرجم روي عن علي -رضي الله عنه- أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
وأما قول عامة العلماء فهو أن الآية مخصوصة للأبكار وأن الثيب يرجم ولا يجلد واتفق أهل العلم أن هذه الآية ناسخة لأن المذكورة في الإمساك في سورة النساء
وقد روي عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن النبي نزل عليه الوحي ونحن عنده وكان إذا نزل عليه الوحي تغير وجهه وصرفنا أبصارنا عنه فلما سرى عنه قال لتأخذوا عني فقلنا نعم يا رسول الله فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب الرجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام

تفسير السمعاني ج:3 ص:498
تفسير السمعاني ج 3/ص 499
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين 2

وذكر النقاش أن في حرف أبي بن كعب في سورة الأحزاب الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
وكان عمر -رضي الله عنه- قد هم أن يكتب هذا على حاشية المصحف ثم ترك لئلا يلحق بالقرآن ما ليس منه

وقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقرىء رافة بغير همز وقرىء في الشاذ رآفة يعني رحمة واعلم أن الرحمة والرأفة معنى في القلب لا ينهى عنه لأنه يوجد في القلب من غير اختيار إنسان وإنما معنى الآية استعمال الرحمة في تعطيل الحد وتخفيفه
وروي عن عبد الله بن عمر أنه ضرب أمة له الحد وكانت قد زنت فجعل يضرب رجلها وظهرها فقال له سالم ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها ولا بضرب رأسها وقد ضربت فأوجعت وقد قال أهل العلم يجتهد في جلدة الزاني ما لا يجتهد في جلدة شارب الخمر لنص الكتاب
وقوله في دين الله أي في حكم الله
وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ظاهر المعنى
وحقيقة معناه أن المؤمن لا تأخذه رحمة ورقة إذا جاء أمر الرب
وقوله وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين قال ابن عباس واحد فما فوقه وعن عطاء رجل إلى ألف رجل وعن سعيد بن جبير وعكرمة رجلان وعن الزهري وقتادة ثلاثة نفر وقال مالك أربعة نفر وهو قول الشافعي وجماعة من أهل العلم
قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة في الآية أقوال أحدهما أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:499
تفسير السمعاني ج 3/ص 500
الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم الآية نزلت في امرأة تسمى أم مهزول وكانت بغية وإذا تزوجت برجل شرطت عليه أن تنفق عليه فأراد رجل من أصحاب رسول الله أن يتزوج بها فسأل النبي فأنزل الله تعالى هذه الآية الزاني لا ينكح إلا زانية ويقال إن اسم المرأة كان عناق وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص

والقول الثاني قال مجاهد وقتادة وغيرهما كان بالمدينة بغايا على أبوابهن رايات يعرفن بها وكن مخاصيب الرجال فلما هاجر أصحاب رسول الله إلى المدينة أراد ناس من فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم فأنزل الله تعالى هذه الآية

والقول الثالث روي عن الحسن البصري أنه قال معنى الآية الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود وفي بعض المسانيد روى هذا القول عن النبي بطريق أبي هريرة

تفسير السمعاني ج:3 ص:500
تفسير السمعاني ج 3/ص 501
والقول الرابع روي عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أن معنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية ومعنى النكاح هو الوطء قال الزجاج وهذا القول ضعيف لأنه لم يرد في القرآن ذكر النكاح بمعنى الوطء

والقول الخامس -وهو أحسن الأقاويل- قول سعيد بن المسيب أن الآية منسوخة وقد كان في حكم الإسلام لا يجوز أن يتزوج الزاني بالمزني بها قال عبد الله بن مسعود إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبدا قال سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم والزانية أيم فيجوز التزوج بها للزاني وغيره والدليل على أن الحكم الآن هذا ما روي عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه كان جالسا في المسجد وعنده عمر فجاء رجل وقد دهش وكان به لوث فقال أبو بكر قد جاء هذا لأمر سله يا عمر فقال له عمر ما شأنك فذكر أنه جاءه ضيف وأن الضيف زنى بابنته فقال له عمر قبحك الله ودق على صدره وقال هلا سترت على ابنتك ثم دعا بالرجل والمرأة فأمر أبو بكر -رضي الله عنه- أن يجلد الجلد ثم زوج المرأة من الرجل وذكر أبو عبيد -رحمه الله- أنه يكره للرجل أن يتزوج بالفاجرة وإن فجرت امرأته استحب له طلاقها قال وأما الخبر الذي روي عن النبي أن رجلا أتاه وقال إن امرأتي لا ترد يد لامس فقال طلقها فقال إني أحبها قال استمتع بها قال أبو عبيد هذا الخبر نقل

تفسير السمعاني ج:3 ص:501
تفسير السمعاني ج 3/ص 502
ذلك على المؤمنين 3 والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم بروايتين كل واحد منهما مرسل فليس يثبت هذا عن النبي ولئن يثبت فيحتمل أن قوله إن امرأتي لا ترد يد لامس تنفق ما وقع بيدها وتعطي وكأنه شكا منها الخرق وتضييع ماله وليس المراد هو أنها تزني فإنه لا يجوز أن يذكر ذلك عند النبي ثم يأمره بإمساكها
وقوله وحرم ذلك على المؤمنين ظاهر المعنى وقد بينا أن ذلك منسوخ
قوله تعالى والذين يرمون المحصنات والمحصنات هن اللواتي أحصن أنفسهن

وقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أي على زناهن والمراد من الرمي المذكور في الآية هو القذف بالزنا
وقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة أي اضربوهم ثمانين سوطا
وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا اختلف السلف في هذا فروي عن شريح والحسن وإبراهيم النخعي وجماعة أنهم قالوا شهادة القاذف لا تقبل أبدا إذا حد وإن تاب وهذا قول أهل العراق
وقال عمر بن عبد العزيز والزهري وسعيد بن المسيب والشعبي وجماعة أنه إذا تاب قبلت شهادته وهذا قول أهل الحجاز
وقال الشعبي يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته وحكي سعيد بن المسيب أن عمر قال لأبي بكرة تب تقبل شهادتك فلم يتب والمسألة معروفة
وقوله وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا فمن قال إن شهادة القاذف

تفسير السمعاني ج:3 ص:502
تفسير السمعاني ج 3/ص 503
الفاسقون 4 إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم 5 والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين 6 تقبل بعد التوبة ذهب إلى أن قوله إلا الذين تابوا ينصرف إلى الكل سوى الحد وعن الشعبي أن الحد يسقط أيضا بالتوبة وأما من ذهب إلى أن شهادة القاذف لا تقبل بعد التوبة قال إن قوله إلا الذين تابوا ينصرف إلى قوله وأولئك هم الفاسقون فإن قيل إذا قبلتم شهادة القاذف بعد التوبة فما معنى قوله تعالى أبدا والجواب عنه قال الزجاج في كتابه أبد كل إنسان مدته على ما يليق بقصته فإذا قيل لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد به مادام كافرا وإذا قيل لا تقبل شهادة القاذف أبدا يراد به مادام قاذفا وأما توبة القاذف فبإكذابه نفسه ويقال بندامته على ما وجد منه
قوله وأصلحوا أي استقاموا على التوبة
وقوله فإن الله غفور رحيم قد بينا من قبل

قوله والذين يرمون أزواجهم يعني يقذفون نساءهم بالزنا
وقوله ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم أي غير أنفسهم
وقوله فشهادة أحدهم أربع بالرفع وقرىء بالنصب أربع فأما بالرفع فتقديره فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع فيكون رفعا على خبر الابتداء وأما بالنصب فتقديره فشهادة أحدهم أن يشهد أربع
وقوله شهادات بالله إنه لمن الصادقين يعني فيما رميتها به من الزنا
قوله تعالى والخامسة أن لعنة الله عليه وقرىء أن لعنة الله عليه بسكون

تفسير السمعاني ج:3 ص:503
تفسير السمعاني ج 3/ص 504
والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين 7 ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين 8 والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين 9 النون ومعناه أنه لعنة الله عليه وأنشد سيبويه شعرا
في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى وينتعل
يعني أنه هالك
وقوله إن كان من الكاذبين يعني فيما رماها به من الزنا
قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب في العذاب قولان أحدهما أنه الحد والآخر أنه الحبس وتأويل الحد أظهر لأن الله تعالى قال وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي الحد
وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين يعني فيما رماها به من الزنا
قوله تعالى والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين وقرىء أن غضب الله عليها وقرىء أن غضب الله عليها بكسر الضاد فقوله أن غضب الله عليها هذا فعل وقوله أن غضب الله عليها اسم وقوله أن

تفسير السمعاني ج:3 ص:504
تفسير السمعاني ج 3/ص 505
غضب الله هو فعل أيضا يعني أنه غضب الله

وقوله إن كان من الصادقين أي فيما رماها به من الزنا وسبب نزول الآية ما روى ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء عند النبي فقال له النبي البينة وإلا فحد في ظهرك فقال هلال يا رسول الله والذي بعثك بالحق إني لصادق وسينزل الله ما يبرىء ظهري من الحد فنزلت هذه الآية فدعا رسول الله هلالا وامرأته ولاعن بينهما فبدأ هلال والتعن أربع مرات فلما بلغ الخامسة قال له النبي أمسك فإنها موجبة فقال هلال إن الله يعلم أني صادق وشهد بالخامسة ثم قامت المرأة فالتعنت أربع مرات فلما بلغت الخامسة قال لها النبي أمسكي فإنها موجبة قال ابن عباس فتلكت تلكؤا ساعة حتى ظننا أنها سترجع ثم قالت لا أفضح قومي اليوم وشهدت بالخامسة فقال النبي إن جاءت بالولد أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على هذا النعت فقال النبي لولا الأيمان لكان لي ولها شأن والخبر صحيح
وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال كنا جلوسا في المسجد ليلة جمعة ومعنا رجل فخرج منا ودخل بيته فوجد مع امرأته رجلا فجاء إلى النبي

وشكا إليه فقال عليك بالشهود فقال وأنى لي بالشهود فقال قد حرت في هذا الأمر فإن الرجل إن قتل قتلتموه وإن تكلم حددتموه وإن سكت سكت على

تفسير السمعاني ج:3 ص:505
تفسير السمعاني ج 3/ص 506

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم 10 إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم غيظ اللهم فاحكم فأنزل الله تعالى هذه الآيات وفي رواية ثالثة أنه لما أنزل الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربع شهداء الآية قال سعد بن عبادة يا رسول الله أرأيت أني وجدت لكاعا يتفخذ رجل فلا أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فإلى أن آتي بالشهداء قد قضى الرجل حاجته فقال النبي انظروا يا معشر الأنصار ما يقول سيدكم فقالوا يا رسول الله إنه لرجل غيور وإنه ما تزوج امرأة قط إلا عذراء وما طلق امرأة فأحب أحد منا أن يتزوجها فقال سعد إني أعلم أن ما أنزل الله حق ولكني تعجبت فأنزل الله تعالى آية اللعان على ما بينا
وفي الباب أخبار كثيرة وفيه حديث عاصم بن عدي وعويمر العجلاني وغيرهما وذلك مذكور في كتب الحديث
قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم
جواب الآية محذوف ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان أيها الرجل لولا كذا أي لولا كذا لشتمتك فعلى هذا معنى قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم

تفسير السمعاني ج:3 ص:506
تفسير السمعاني ج 3/ص 507
ورحمته لنال الكاذب منكما العذاب في الحال ومنهم من قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتأخير العذاب وإمهاله لعجل عذابه

قوله تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم هذه الآيات في قصة عائشة - رضي الله عنها - وكان سبب نزولها ما رواه الزهري عن عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة كلهم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت كان رسول الله إذا خرج إلى سفر أقرع بين نسائه فخرج إلى غزوة غزاها وأقرع بين نسائه فخرجت قرعتي وفي رواية أن الغزوة كانت غزوة مريسيع وفي رواية أخرى أن الغزوة كانت غزوة بني المصطلق وقالت فلما رجعنا قبل المدينة عرس رسول الله ليلة ثم إنهم آذنوا بالرحيل

فخرجت لحاجتي فلما قضيت شأني رجعت فالتمست صدري فوجدت عقدا لي من جزع ظفار سقط فرجعت وجاء القوم الذين يرحلون هودجي ووضعوا الهودج على البعير وظنوا أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا فإنما يأكلن العلقة من الطعام فرجعت وقد مر الجيش فلا داع ولا مجيب وكان صفوان بن المعطل السلمي كان تأخر عن الجيش وفي رواية أنه كان يعتاد التأخر حتى إن كان سقط من أحد شيء أو ترك إنسان شيئا يأخذه ويرده عليه فجاء ورائي فاسترجع وما كلمني بكلمة وقد استدلت جلبابي فأناخ بعيره ووطأه لي حتى ركبته وجاء يقودني حتى لحقنا بالجيش وقد نزلوا موغرين في حر الظهيرة قالت فلما وصلنا إلى الجيش تكلم الناس وهلك من هلك الخبر بطوله
قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث المكي بن عبد الرزاق الكشميهني أخبرنا

تفسير السمعاني ج:3 ص:507
تفسير السمعاني ج 3/ص 508
جدي أبو الهيثم بن محمد بن يوسف الفربري أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري أخبرنا أبو الربيع الزهراني عن فليح بن سليمان عن الزهري الخبر ويروى أنه تلبث الوحي سبعة وثلاثين يوما

وفي هذا الخبر أن عائشة اشتكت واستأذنت رسول الله ورجعت إلى بيت أبيها وكان رسول الله يدخل قبل رجوعها إلى بيت أبيها وهي مشتكية فيقول كيف تيكم ثم لما رجعت إلى بيت أبيها عرفت الخبر من قبل أم مسطح فازدادت وبقا وجعلت تبكي ولا يرقأ لها دمع حتى كاد البكاء يصدع قلبها وذكرت لذلك لأمها فقالت لها أمها هوني عليك فقلما تكون امرأة وضيئة عند رجل ولها ضرائر إلا تكلموا فيها
وفي هذا الخبر أن النبي دعا عليا وأسامة بن زيد واستشارهما فأما علي فقال يا رسول الله إن في النساء كثرة وأما أسامة فقال لا أعلم منها إلا خيرا وسل الجارية - يعني بريرة - فسأل بريرة فقالت لا أعلم منها إلا أنها جارية حديثة السن تعجن فتدخل الداجن فتأكل عجينها
وفي هذا الخبر أن النبي جاء إلى بيت أبي بكر - رضي الله عنه - بعد أن مضت المدة التي ذكرناها فقال يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة قالت فقلص دمعي حتى ما أجد منه قطرة ثم قلت إن قلت أني فعلت والله يعلم أني ما فعلت ليصدقنني وإن قلت لم أفعل والله يعلم أني لم أفعل ليكذبنني وما أعرف مثلي ومثلكم إلا ما قال أبو يوسف ونسيت اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تنحيت فأخذ رسول الله الوحي قالت وكنت أحقر في نفسي أن أظن أن الله ينزل في قرآنا يتلى

تفسير السمعاني ج:3 ص:508

تفسير السمعاني ج 3/ص 509
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم 11 ولكني كنت أظن أنه يرى رؤيا فلما تغشاه الوحي لم أفزع لما علمت أني بريئة والله يعلم ذلك

(3/453)

وفي بعض الروايات أن أبوي كادت نفسهما تخرج خوفا فلما سرى عن رسول الله قال أبشري يا عائشة قد أنزل الله تعالى براءتك وتلا الآيات إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم فقال لي أبي قومي إلى رسول الله وقالت أمي قومي إلى رسول الله فقلت لا أقوم ولا أحمد إلا الله فإن الله تعالى أنزل براءتي
قوله تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم الإفك هو أشد الكذب وإنما سمي إفكا لأنه مصروف عن الحق وقوله عصبة منكم هؤلاء العصبة هم عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله أخت زينب ونفر آخرون والعصبة العشرة فما فوقها
وقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم هذا خطاب لعائشة وصفوان بن معطل فإنهم قذفوهما جميعا وقال بعضهم هو خطاب لعائشة ولأبويها والنبي وصفوان ومعنى الآية لا تحسبوه شرا لكم يعني هذا الإفك هو خير لكم لأجل الثواب وما ادخر الله لهم من ذلك
وقوله لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم أي من الإثم بقدر ما اكتسب
وقوله والذي تولى كبره وقرىء كبره وقرأ الأعرج كبره فقوله كبره أي إثمه وقوله كبره أي معظمه قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:3 ص:509
تفسير السمعاني ج 3/ص 510
لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين 12 لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون 13 ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تنغرف
وأما الذي تولى كبره فالأكثرون أنه عبد الله بن أبي بن سلول وأما العذاب العظيم فهو النار في الآخرة

(3/454)

وقد روى مسروق أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة فأذنت له فقال مسروق أتأذنين له وقد قال ما قال فقالت قد أصابه العذاب العظيم وكان قد عمى وقد تاب حسان من تلك المقالة ومدح عائشة فقال
حصان رزان ما تزن بريبة

وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإن كان ما بلغت أني قلته
فلا رفعت سوطي إلى أناملي
وعن أبي عمرو بن العلاء أنه أنكر الكبر وقال إنما الكبر في الولاء والنسب وقد ذكر غيره أن كل واحد منهما صحيح وقد بينا
قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي بمن هو مثل أنفسهم وهو مثل قول النبي المؤمنون كنفس واحدة وقد قال الله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا ويقال إن معنى ظن هاهنا أيقن
وقوله وقالوا هذا إفك مبين أي كذب ظاهر

تفسير السمعاني ج:3 ص:510
تفسير السمعاني ج 3/ص 511
لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم 14 إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم 15 ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم 16
قوله لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء أي على ما زعموا
وقوله فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فإن قال قائل كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء ومن كان كاذبا فهو كاذب عند الله سواء أتى بالشهداء أو لم يأت بهم الجواب قلنا قال بعضهم عند الله أي في حكم الله وقال بعضهم عند الله هم الكاذبون أي كذبوهم بما أمركم الله والجواب الثالث أن هذا في حق عائشة -رضي الله عنها- فمعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي

قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم أفضتم أي خضتم وقوله عذاب عظيم أي عذاب لا انقطاع له هكذا قاله ابن عباس وفسر بهذا لأن الله تعالى قد ذكر أنه أصاب الذي تولى كبره عذاب عظيم وكذلك العذاب العظيم هو في الدنيا وقد أصابه فإنه قد جلد وحد وأما العذاب الذي لا انقطاع له لم يصبه في الدنيا وإنما يصيبه في الآخرة
وروت عمرة عن عائشة أن النبي لما نزلت هذه الآيات حد أربعة نفر عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش
قوله تعالى إذا تلقونه بألسنتكم أي يلقيه بعضكم ويرويه بعضكم عن بعض وعن عائشة أنها قرأت إذ تلقونه بألسنتكم الكذب ويقال هو الإسراع في

تفسير السمعاني ج:3 ص:511

تفسير السمعاني ج 3/ص 512
يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين 17 ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم 18 إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون 19 ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم 20 يا أيها الذين آمنوا لا الكذب
وقوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا أي خفيفا وهو عند الله عظيم أي كبير
قوله تعالى ولولا إذ سمعتموه ومعناه هلا إذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم البهتان هو الكذب على المكابرة يقال بهته إذا أخبرته بكذبه وفي بعض الأخبار أن أم أيوب الأنصاري قالت لأبي أيوب أما بلغك كذا وهو ما نسب إلى عائشة فقال أبو أيوب ما كان لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم قال هذا قبل أن تنزل الآية ثم نزلت الآية على وفق قوله
قوله يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا قال مجاهد ينهاكم الله أن تعودا لمثله أبدا

إن كنتم مؤمنين ويبين لكم الآيات أي الدلالات
والله عليم حكيم عليم بخلقه حكيم في فعله
قوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة يعني أن تذيع وتشتهر في الذين آمنوا أي عائشة وصفوان وآل أبي بكر وكانت إشاعتهم أن بعضهم كان يلقى بعضا فيقول له أما بلغك كذا وكذا من خبر عائشة
وقوله لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة العذاب في الدنيا هو الحد والعذاب في الآخرة هو النار
وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يعني براءة عائشة وأنه خلقها طيبة طاهرة

تفسير السمعاني ج:3 ص:512
تفسير السمعاني ج 3/ص 513
تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم 21 ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة من الفواحش
قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم محذوف الجواب وجوابه لنالكم العذاب الشديد في الحال
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان أي خطايا الشيطان وقيل آثاره ويقال تخطيه من الحلال إلى الحرام ومن الطاعة إلى المعصية
وقوله ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء أي القبائح من الأفعال والمنكر أي كل ما يكرهه الله
وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا أي ما صلح

منكم من أحد أبدا
ولكن الله يزكي من يشاء أي يصلح من يشاء قال الشاعر
إنما نحن كشيء فاسد فإذا أصلحه الله صلح
وقوله والله سميع عليم ظاهر المعنى
وقوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة هو مأخوذ من الألية والألية اليمين قال الشاعر
قليل الألايا حافظ ليمينه
وإن بدرت منه الألية برت
نزلت الآية في شأن أبي بكر ومسطح وكان ابن خالة أبي بكر وفي نفقته وهو

تفسير السمعاني ج:3 ص:513
تفسير السمعاني ج 3/ص 514
أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم 22 إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب رجل من أهل بدر من المهاجرين الأولين فلما ذكر في عائشة ما ذكر أنزل الله تعالى براءتها من السماء حلف أبو بكر ألا ينفق عليه وكان مسكينا لا شيء له فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرىء ولا يتأل قرأه أبو جعفر فالأكثرون أن معنى قوله ولا يأتل ما بينا ومنهم من قال معناه لا يقصر من قول القائل لا آلوا في أمركم كذا أي لا أقصر وقوله أولو الفضل منكم والسعة أي الغنى والسعة
وقوله أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين هو مسطح فإنه كان قريب أبي بكر وكان مسكينا ومن المهاجرين فإن قال قائل كيف ذكر الواحد بلفظ الجمع قلنا يجوز مثل هذا في اللغة ويجوز أنه أراده وأراد غيره
وقوله وليعفوا وليصفحوا أي ليعفوا عن أفعالهم وليصفحوا عن أقوالهم
وقوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم هذا خطاب لأبي بكر -رضي الله عنه- وروي أنه لما نزلت هذه الآية وقرئت عليه قال بلى والله نحب أن يغفر لنا
وقوله والله غفور رحيم أي ستور صفوح
قوله تعالى إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات أي الغافلات عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة أن لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة -رضي الله عنها- هكذا

تفسير السمعاني ج:3 ص:514
تفسير السمعاني ج 3/ص 515
عظيم 23 يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون 24 يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين 25 الخبيثات للخبيثين

وقوله لعنوا في الدنيا والآخرة روي عن خصيف قال قلت لمجاهد من قذف مؤمنة لعنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذاك لعائشة ويقال هذا في جميع أزواج النبي
وقوله ولهم عذاب عظيم قد بينا
قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم شهادة الألسنة يوم القيامة بنطقها من غير اختيار الإنسان
وقوله وأيديهم وأرجلهم يقال تختم الأفواه ثم تتكلم الأيدي والأرجل بما كانوا يعملون ظاهر
قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي حسابهم العدل
وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي العادل المظهر لعدله
قوله تعالى الخبيثات للخبيثين في الآية قولان معروفان أحدهما الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام والطيبون والطيبات هكذا
والقول الثاني الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء وهكذا الطيبات والطيبون والخبيث من الرجال عبد الله بن أبي بن سلول ودونه والخبيثات من النساء أهل بيته ويقال كلامه في عائشة والطيبات هي عائشة من النساء وأمثالها والطيبون للنبي وقومه
واعلم أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تفتخر بأشياء منها أن جبريل -عليه

تفسير السمعاني ج:3 ص:515
تفسير السمعاني ج 3/ص 516

والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم 26 يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون السلام- أتى بصورتها في سرقة من حرير أي قطعة وقال هذه زوجك وذلك بعد وفاة خديجة ويقال أتى بصورتها في كفه ومنها أن النبي لم يتزوج بعذراء إلا بها ومنها أن النبي قبض ورأسه في حجرها ودفن في بيتها ومنها أنه نزل براءتها من السماء ومنها أنها بنت خليفة رسول الله وأنها صديقة وكان مسروق إذا روى عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من السماء
وقوله أولئك مبرءون مما يقولون أي مطهرون بما يقولون
وقوله لهم مغفرة ورزق كريم المغفرة هو العفو عن الذنوب والرزق الكريم هو الجنة

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
قرأ ابن عباس حتى تستأذنوا قال تستأنسوا غلط من الكاتب والمعروف
تستأنسوا وفيه ثلاثة أقوال أشهرها تستأذنوا فالاستئناس بمعنى الاستئذان
والقول الثاني هو التنحنح قاله مجاهد والقول الثالث حتى تستأنسوا هو التعرف
والاستعلام حتى يؤذن له أو لا يؤذن

تفسير السمعاني ج:3 ص:516
تفسير السمعاني ج 3/ص 517
27 فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم
وقوله وتسلموا على أهلها
السنة إذا بلغ الإنسان باب دار يقول أدخل وقال بعضهم إذا وقع العين على
العين يقدم السلام وإذا لم تقع العين على العين قدم الاستئذان

وقد ثبت عن النبي أنه قال إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فروي
أن أبا موسى الأشعري أتى باب عمر واستأذن ثلاثا فلم يؤذن له فرجع فقال
عمر أليس قد سمعت صوت عبد الله بن قيس قالوا استأذن ثلاثا ورجع فدعاه
وقال لم رجعت فقال سمعت رسول الله يقول كذا فقال لتأتيني بمن يشهد لك
وإلا لأعلونك بالدرة فجاء أبي بن كعب وذكر له ذلك فجاء وشهد له وقيل غيره
شهد له
قال الحسن الأول إعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع وعن قتادة
قال إذا لم يؤذن له لا يقعد على الباب فإن للناس حاجات وقال بعضهم إن كان
طريقا يجوز أن يقف ويقعد وإن كان فناء بيته لا يقعد إلا بإذنه قالوا وإن كان
الباب مردودا فلا ينظر إلى الدار من شق الباب وإن كان الباب مفتوحا فلا بأس
أن ينظر لأنه لما فتح الباب فقد أذن

تفسير السمعاني ج:3 ص:517
تفسير السمعاني ج 3/ص 518
ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم 28 ليس عليكم جناح أن
تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
وقوله تعالى فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم أي لا تدخلوها
بغير إذن المالك
وقوله وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم يعني إذا كان في البيت قوم
وقالوا ارجع فليرجع والسنة أن لا يتغير أذن أو رد لأنه ربما يكون للقوم معاذير
وكان ابن عباس -رضي الله عنه- يأتي باب الأنصاري لطلب الحديث فيقعد
على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج ذلك الرجل ويقول يا ابن عم رسول
الله لو أخبرتني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم

وقوله هو أزكى لكم يعني هو أصلح لكم
وقوله والله بما تعملون عليم ظاهر المعنى
قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة

فيه أقوال أحدها أنها المنازل في طريق المسافرين والقول الثاني أنها حوانيت التجار والقول الثالث أنها المنازل الخربة والقول الرابع أنها الخانات والمنازل في الطرق فهو الدخول فيها والنزول وأما في حوانيت التجار فالمنفعة هو البيع والشراء وأما في الخرابات فالبول والغائط
وقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ظاهر المعنى
وروي عن شعيب بن الحبحاب قال كان أبو العالية يأتيني وأنا في دكانتي فيستأذن ثم يدخل فأقول له إنما هو الحانوت فيقول لي الإنسان يخلو في حانوته بحسابه ودراهمه وأما الاستئذان على المحارم فإن كانوا في دار منفردة يستأذن وإن كانوا في دار واحدة فإذا دخل عليها يتنحنح ويتحرك أدنى حركة وقيل لقتادة لا

تفسير السمعاني ج:3 ص:518
تفسير السمعاني ج 3/ص 519
29 قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون 30 أستأذن على أمي فقال أتحب أن ترى عورتها قال لا قال استأذن وعن إبراهيم النخعي أنه قال ليس على حوانيت السوق إذن وعن ابن سيرين أنه كان إذا جاء إلى حانوت السوق يقول السلام عليكم أدخل ثم يلج وعن أبي موسى الأشعري وحذيفة أنه يستأذن على ذوات المحارم ومثله عن الحسن البصري
قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية من صلة ومعناه يغضوا أبصارهم حكي هذا عن سعيد بن جبير وقال بعضهم من ها هنا للتبعيض وإنما ذكر من ها هنا لأن غض البصر إنما يجب عن الحرام ولا يجب عن الحلال
وقوله ويحفظوا فروجهم هذا أمر بالتعفف قال أبو العالية حفظ الفرج في كل القرآن بمعنى الامتناع من الحرام وأما ها هنا فإنه بمعنى الستر

وقد روي عن النبي أنه قال لعلي - رضي الله عنه - إن لك في الجنة كنزا وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك رواه علي نفسه وعن بعض السلف قال إن النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزنا طويلا وعن خالد بن أبي عمران أنه قال إن الرجل لينظر نظرة فينغل قلبه كما ينغل الأديم فيفسد قلبه حتى لا ينتفع به
وروى أبو أمامة عن النبي أنه قال من نظر إلى محاسن امرأة وغض بصره

تفسير السمعاني ج:3 ص:519
تفسير السمعاني ج 3/ص 520
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها عنها أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها
وقوله ذلك أزكى لهم أي أطهر لهم
وقوله إن الله خبير بما يصنعون أي عليم بما يصنعون
قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن
وروي أن ابن أم مكتوم أقبل إلى النبي وعنده أم سلمة وميمونة فقال لهما رسول الله احتجبا فقالتا إنه أعمى فقال أعمياوان أنتما
وقوله ولا يبدين زينتهن الزينة كل ما تتزين به المرأة من الحلي والثياب
وقوله إلا ما ظهر منها اختلف القول في هذا قال ابن مسعود هي الثياب وهذا اختيار أبي عبيد
والقول الثاني ما روي عن ابن عباس أنه قال الكحل وحكى الكلبي عنه أنه قال الكحل والخاتم والخضاب وعنه أنه قال الوجه والكفان واعلم أن المراد بالزينة

تفسير السمعاني ج:3 ص:520
تفسير السمعاني ج 3/ص 521

وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني موضع الزينة ها هنا فعلى هذا يجوز النظر إلى وجه المرأة وكفيها من غير شهوة وإن خاف الشهوة غض البصر واعلم أن الزينة زينتان زينة ظاهرة زينة باطنة
فالزينة الظاهرة هي الكحل والفتخة والخضاب إذا كان في الكف وأما الخضاب في القدم فهو الزينة الباطنية وأما السوار في اليد فعن عائشة أنه من الزينة الظاهرة والأصح أنه من الزينة الباطنة وهو قول أكثر أهل العلم وأما الدملج والمخنقة والقلادة وما أشبه ذلك فهو من الزينة الباطنة فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبي النظر إليه من غير شهوة وما كان من الزينة الباطنة لا يجوز للأجنبي النظر إليها وأما الزوج ينظر ويتلذذ وأما المحارم ينظرون من غير تلذذ
وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني بمقانعهن على جيوبهن وكان النساء في ذلك الوقت يسدلن خمرهن من ورائهن فتبدوا صدورهن ونحورهن فأمر الله تعالى أن يضربن بالمقانع على جيوبهن لئلا تظهر صدورهن ولا نحورهن وروت صفية بنت شيبة عن عائشة - رضي الله عنها - أنه لما نزلت هذه الآية عمد نساء الأنصار إلى حجور مناطقهن فقطعن منها قطعة وتخمرن فأصبحن وكأن على رؤسهن الغربان

وقوله ولا يبدين زينتهن المراد من هذه الزينة الباطنية
وقوله إلا لبعولتهن أي أزواجهن
وقوله أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهم أو بني إخوانهم أو بني أخواتهن فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة إلا أنهم لا ينظرون إلى ما بين السرة إلى الركبة ويحل للزوج النظر إليه وأما نفس الفرج

تفسير السمعاني ج:3 ص:521
تفسير السمعاني ج 3/ص 522

(3/464)

أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من فيه وجهان على ما عرف في الفقه وقد ورد عن عائشة ما يدل على أنه يكره النظر إلى الفرج وقيل إنه يورث العمى
وقوله أو نسائهن فيه قولان أحدهما أن المراد بهن النساء المسلمات فعلى هذا لا يجوز للمسلمة أن تبدي محاسنها عند اليهودية ولا النصرانية
والقول الثاني أن قوله نسائهن عام في جميع النساء فيجوز للمرأة أن تنظر إلى المرأة إلا ما بين السرة إلى الركبة
وقوله أو ما ملكت أيمانهن اختلف القول في هذا فروي عن عائشة وأم سلمة أنهما قالت المراد منه العبيد فيجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته ما ينظر ذو الرحم المرحم من غير شهوة وهذا إذا كان العبد عفيفا والقول الثاني قول سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أنهم قالوا لا يجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته إلا ما ينظر الأجنبي إلى الأجنبي فعلى هذا تحمل الآية على الإماء والقول الأول أظهر في معنى الآية لأنه قد سبق قوله أو نسائهن فدخل فيه الحرائر والإماء وفي الآية قول ثالث وهو أنه يجوز أن ينظر العبد إلى مولاته ما يظهر عند البذلة والمهنة مثل الساعدين والقدمين والعنق ولا ينظر إلى ما سوى ذلك وإنما جاز ذلك لأنه يشق ستر هذا مع العبيد وأما مع الأجانب لا يشق وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها كاتبت عبدا لها يقال له نبهان فكانت لا تحتجب عنه ثم قالت له يوما يا نبهان ما بقي من كتابتك فقال ألفا درهم فقالت أدها إلى محمد بن عبد الله بن أبي أمية والسلام عليك وأرسلت حجابها
وقوله أو التابعين غير أولي الإربة اختلف القول فيه قال مجاهد هو

تفسير السمعاني ج:3 ص:522
تفسير السمعاني ج 3/ص 523

(3/465)

الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن الصغير وقال عكرمة هو العنين وقال بعضهم هو الشيخ الهرم وعن بعضهم أنه المجبوب ومن المعروف في التفاسير أنهم الذين يتبعون الرجال وليس لهم همة إلا بطونهم ولا يعرفون أمر النساء ويقال إنه المخنث الذي ليس له حاجة إلى النساء وعن عائشة - رضي الله عنها - أن مخنثا يقال له هيت كان يدخل على أزواج النبي قالت وكنا نظن أنه من غير أولي الإربة يعني أنه لا يعرف أمر النساء شيئا فوصف يوما امرأة فقال إنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فسمع النبي ذلك فقال ما ظننت أنه يعرف هذا وأمر بإخراجه
وأما الإربة هي الحاجة مأخوذ من الإرب ومن هذا حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي كان يقبل وهو صائم وكان أملككم لإربه ومن قال لا فقد أخطأ وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا أي الأطفال الذين لم يظهروا واحد بمعنى الجمع
وقوله لم يظهروا على عورات النساء أي لم يطيقوا أمر النساء ويقال لم يظهروا على عورات النساء أي لم يعرفوا العورة من غير العورة فلم يميزوا وقيل لم يبلغوا حد الشهوة

تفسير السمعاني ج:3 ص:523
تفسير السمعاني ج 3/ص 524
وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون 31 وأنكحوا الأيامى
وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن روي أن المرأة كانت تمر على الرجال وفي رجلها الخلخال وكانت تضرب برجلها لتسمعهم صوت خلخالها فنهين عن ذلك فإن قال قائل أيش في ضرب الخلخال ما يوجب النهي والجواب عنه أن فيه استدعاء الميل وتحريك الشهوة

وقوله وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون فيه قولان أحدهما أن المراد منه التوبة من الصغائر لأنه لمم جميع المؤمنين وإنما الصغائر توجد من جميع المؤمنين فأما الكبائر فلا ومنهم من قال لا بل الآية عامة في الصغائر والكبائر والتوبة هي الندم على ما سلف والإقلاع في الحال والعزيمة على ترك العود وهذا هو معنى النصوح المقرون بالتوبة المذكور في غير هذا الموضع وذكر بعضهم أن الله تعالى أمر المشركين بنفس التوبة مطلقا فقال قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وأمر اليهود والنصارى بالتوبة والإصلاح والبيان وهو بيان صفة النبي فقال تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا وأمر المنافقين بالتوبة والإصلاح والاعتصام والإخلاص فقال إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وقد بينا معنى ذلك من قبل وأمر جميع المؤمنين بالتوبة في هذه الآية ولا بد لكل إنسان أن يتوب إما من صغيرة أو كبيرة وقد ثبت برواية الأغر المزني أن النبي قال أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب كل يوم مائة مرة خرجه مسلم في الصحيح

تفسير السمعاني ج:3 ص:524
تفسير السمعاني ج 3/ص 525
منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وقوله تعالى لعلكم تفلحون أي تسعدون وتفوزون
قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم أي زوجوا الأيامى منكم والأيم اسم لكل
امرأة لا زوج لها ثيبا كانت أو بكرا قال الشاعر
فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي مدى الدهر ما لم تنكحي أتأيم
وقد ذهب داود وأصحاب الظاهر أن النكاح واجب واستدلوا بهذه الآية وأما عندنا
هو مباح في وقت سنة في وقت مباح إذا كانت نفسه لا تتوق إلى النساء سنة
إذا تاقت نفسه إلى النساء وقد روي عن النبي أنه قال من أحب فطرتي
فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح

وثبت عن النبي أنه قال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء
وعن بعض السلف أنه قال من غلبت عليه الشهوة وعنده مال فليتزوج وإن لم
يكن عنده مال فليدم النظر إلى السماء فإن شهوته تذهب
وقوله والصالحين من عبادكم وإمائكم
قرئ في الشاذ من عبيدكم وإمائكم زوجوا الأيامى من الحرائر وزوجوا
الصالحين من العبيد والإماء والمراد من العباد العبيد
وقوله إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله روي عن عمر أنه قال عجبت

تفسير السمعاني ج:3 ص:525
تفسير السمعاني ج 3/ص 526
والله واسع عليم 32 وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من
فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم لمن يطلب الغنى بغير النكاح
والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن بعضهم أن الله
تعالى وعد الغنى بالنكاح ووعد الغنى بالتفرق فقال في النكاح يغنهم الله من
فضله أي من الله وقال في الفراق وإن يتفرقا يغني الله كلا من سعته ويقال
إن الغنى ها هنا هو الغنى بالقناعة وقيل باجتماع الرزقين وقيل في قوله
ووجدك عائلا فأغنى أي بمال خديجة
وقوله والله واسع عليم أي واسع الغنى عليم بأحوال العباد وعن الحسن بن
علي - رضي الله عنهما - أنه كان ينكح ويطلق كثيرا ويقول إنما أبتغي الغنى
من النكاح والطلاق ويتلو هاتين الآيتين وقد ذكر بعضهم أن الأيم كما ينطلق
على المرأة ينطلق على الرجل يقال رجل أيم إذا لم يكن له زوجة وامرأة أيم

إذا لم يكن لها زوج والشعر الذي أنشدنا دليل عليه وفي الخبر أن النبي نهى عن الأيمة أي العزبة

وعن القاسم بن محمد أنه قال أمرنا بقتل الأيم أي الحية وقال بعضهم وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين أي بالصالحين وقوله من عبادكم أي من رجالكم ثم أمر من بعد بتزويج الإماء والقول الأول الذي سبق أظهر
قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا أي ليطلب العفة الذين لا يجدون ما لا ينكحون به
وقوله حتى يغنيهم الله من فضله فيه معنيان أحدهما أن يجدوا مالا يقدرون به على النكاح والآخر أن يوفقهم الله للصبر عن النكاح وعن عكرمة أنه قال إذا رأى الرجل امرأة واشتهاها فإن كان له امرأة فليصبها وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض

تفسير السمعاني ج:3 ص:526
تفسير السمعاني ج 3/ص 527
فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا
وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم أي يطلبون الكتابة مما ملكت أيمانكم أي من العبيد والإماء والكتابة هي أن يعقد مع عبده عقدا على مال بشرط أنه إذا أدى عتق وسبب نزول هذه الآية أنه كان لحويطب بن عبد العزى غلام وطلب منه أن يكاتبه فأبى فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله فكاتبوهم أكثر أهل العلم على أنه أمر ندب لا حتم وذهب جماعة إلى أنه أمر حتم إذا كان للعبد مال يؤدى فروى أبو محمد بن سيرين كان عبدا لأنس بن مالك وطلب من أنس أن يكاتبه فأبى فذكر ذلك سيرين لعمر فقال لأنس كاتبه فأبى فعلاه الدرة حتى كاتبه وعن ابن جريج قال قلت لعطاء أيجب على المولى أن يكاتب عبده إذا طلب قال نعم ومثله عن الضحاك قالا وهذا إذا كان عند العقد مال فإن لم يكن عنده مال لم يجب وروي أن عبدا لسلمان قال له كاتبني قال عندك مال قال لا قال أتريد أن تطعمني أوساخ الناس ولم يكاتبه
وقوله إن علمتم فيهم خيرا أي مالا قاله ابن عباس ومثله قوله وإنه لحب الخير لشديد أي لحب المال قال الشاعر

ماذا ترجى النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاربها
أي المال وقال الحسن البصري إن علمتم فيهم خيرا أي دينا

تفسير السمعاني ج:3 ص:527
تفسير السمعاني ج 3/ص 528
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا وأمانة وقال النخعي وفاء وصدقا وعن بعضهم قدرة على كسب المال
وقال الزجاج لو أراد بالخير المال لقال إن علمتم لهم خيرا فلما قال فيهم خيرا دل أنه أراد به الوفاء والصدق
وقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم فيه أقوال روى عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال هو حث الناس على معونة الكاتبين فعلى هذا تتناول الآية المولى وغير المولى
والقول الثاني أن المراد منه سهم الرقاب وقد جعل الله تعالى للمكاتبين سهما في الصدقات والقول الثالث هو أن قوله وآتوهم خطاب للموالي خاصة
وقوله من مال الله الذي آتاكم هو بدل الكتابة روي هذا عن عثمان وعلي والزبير ثم اختلفوا فقال بعضهم يعينه بمال الكتابة وقال بعضهم يحط عنه من مال الكتابة وعن علي - رضي الله عنه - أنه يحط عنه الربع وعن ابن عباس أنه يحط عنه الثلث وعن بعضهم أنه يحط شيئا من غير تحديد وهذا قول الشافعي واختلفوا أنه على طريق الندب أم على طريق الإيجاب فعند بعض الصحابة الذي ذكرنا أنه ندب وعند بعضهم أنه واجب والوجوب أظهر
وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يعني على الزنا نزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول وقوم من المنافقين كانوا يكرهون إماءهم على الزنا طلبا للأجعال فروي أن عبد الله بن أبي بن سلول كان له أمة يقال لها مثلة فأمرها بالزنا فجاءت ببرد ثم أمرها بالزنا فأبت وأنزل الله تعالى هذه الآية

وقوله إن أردن تحصنا أي تعففا فإن قيل الآية تقتضي أنها إذا لم ترد التحصن يجوز إكراهها على الزنا والجواب من وجهين أحدهما أنه إنما ذكر قوله إن أردن تحصنا لأن الإكراه إنما يوجد في هذه الحالة فإذا لم ترد التحصن بغت بالطوع

تفسير السمعاني ج:3 ص:528
تفسير السمعاني ج 3/ص 529
ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم 33 ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين 34 الله نور
والجواب الثاني أن قوله إن أردن تحصنا منصرف إلى الآية السابقة وهو قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن أردن تحصنا
وقوله لتبتغوا عرض الحياة الدنيا أي لتطلبوا من أموال الدنيا وفي بعض الآثار الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا
وقوله ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن وهكذا روي في قراءة ابن عباس فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم

قوله تعالى ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي للحلال والحرام وقوله مبينات أي واضحات لا لبس فيها
وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم معناه تشبيها لحالكم بحالهم حتى لا تفعلوا مثل ما فعلوا فيصيبكم مثل ما أصابهم
وقوله وموعظة للمتقين أي تذكيرا وتخويفا
قوله تعالى الله نور السموات والأرض قال ابن عباس هادي أهل السموات والأرض وعنه أنه قال ضياء السموات والأرض وعن قتادة وغيره منور السموات والأرض فليقال نور السموات بالملائكة والأرض بالأنبياء ويقال نور السموات بالنجوم والشمس والقمر ونور الأرض بالنبات والزهر